فهـــــرست

الجـــزء الرابع

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندى

صفحة

صفحة

(تم فهرست الجزء الرابع من كتاب صبح الأعشى)

ويليه الجزء الخامس

وأوله المقصد الثانى

فى ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية

صبح الأعشى

الجـــزء الرابع

al-Qalqashandī, Aḥmad ibn ʿAlī

/Kitāb Ṣubḥ al-aʿshá /

دار الكتب الخديوية

كتاب

صبح الأعشى

تأليف

الشيخ أبى العباس أحمد القلقشندى

الجزء الرابع

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٢ هـ
١٩١٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحالة الثالثة

من أحوال المملكة ، ما عليه ترتيب المملكة

(من ابتداء الدولة الأيوبية وإلى زماننا)

واعلم أن الدولة الأيوبية لما طرأت على الدولة الفاطمية وخلفتها فى الديار المصرية ، خالفتها فى كثير من ترتيب المملكة ، وغيّرتْ غالب مَعالمها ، وجرت على ماكانت عليه الدولة الأتابكية عماد الدين زنكى بالموصل ، ثم ولده الملك العادل نور الدين محمود بالشام وما معه ؛ وكان من شأنهم أنهم يلبسون الكلوتات الصُّفْر على رءوسهم مكشوفةً بغير عمائم ، وذوائبُ شعورهم مُرْخاةٌ تحتها سواء فى ذلك المماليك والأمراء وغيرهم . حتّى يحكى عن الملك المعظم عيسى بن العادل أبى بكر صاحب دِمَشْق فى اطّراح التكلف : أنه كان يلبس الكلوتة الصفراء بلا شاش ، ويخترق الأسواق من غير أن يُطرَّق بين يديه كغيره من الملوك ، وكان سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى حين ملك المَوْصِل بعد أبيه أحدث حمل السَّنْجَق على رأسه ، فتبعه الملوك على ذلك ؛ وألزم الأجناد أن يشدّوا السيوف فى أوساطهم ، ويجعلوا الدَّبابيس تحت رُكَبِهم عند الركوب كما حكاه السلطان عماد الدين صاحب حَماة فى تاريخه .

فلمـا ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمـه الله الديار المصرية، جرىٰ علىٰ هـذا المنهج أو ماقاربه، وجاءت الدولة التركيـة ، وقد تنقحت المملكة وتَرَتَّبَتْ ، فأخذت فى الزيادة فى تحسين الترتيب وتنضـيد الملك وقيام أُبَّهَتِه، ونقلت عن كل مملكة أحْسَنَ ما فيهـا، فسلكت سبيلَه وَنَسَجَتْ علىٰ منواله حتّىٰ تهذَّبتْ وترتبت أحسنَ ترتيب، وفاقت سائرَ الممالك،وفَخَرَ مَلِكُها علىٰ سائرِ المُلوك .

ولم يزل السلطان والجُنْد يلبسون الكلوتةَ الصفراءَ بغير عمامة إلىٰ أن وَلِىَ السلطانُ "الملك الأشرف خليل" بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون السلطنةَ، فأحدث الشاشَ عليها فجاءت فى نهاية من الحسن، وصاروا يلبسونها فوق الذّوائب الشـعر المُرْخاةِ علىٰ ما كان عليه الأمر أوّلا إلىٰ أن حَجَّ السلطانُ الملك النـاصر محمد آبن قلاوون فى سلطنته الثالثة، فحلق رأسـه وحلق الناسُ رءُوسَهم، وآسـتداموا حلق رءُوسهم وتركت ذوائب الشعر إلىٰ الآن .

ويتعلق القول من ذلك بعشرة مقاصد .

المقصـــــد الأوّل

(فى ذكر رسوم الملك وآلاته، وهو أنواع كثيرة، بعضها عامّ فى الملوك أو أكثرهم، وبعضها خاصٌّ بهذه المملكة)

منها – (سرير الملك) ويقال له تخت الملك . وهو من الأمور العـامة للملوك، وقد تقدّم أن أوّل من آتخذ مرتبة للجلوس عليها فى الإسـلام معاويةُ رضى الله عنه حين بَدَّنَ، ثم تنافس الخلفاء والملوك بعده فى الإسلام فى ذلك حتّىٰ آتخذوا الأَسِرَّةَ، وكانت أسِرَّةُ خلفاء بنى العبَّـاس ببغداد يبلغ علوّها نحوَ سـبعة أذرع . وهو فى هذه المملكة مِنْبر من رُخَام بصَـدْر إيوان السلطان الذى يجلس فيه ، وهو علىٰ هيئة منابر

الجوامع إلا أنه مستند إلى الحائط ، وهذا المِنْبَرُ يجلس عليه السلطان فى يوم مُهِمّ كقدوم رُسُل عليه ونحو ذلك ، وفى سائر الأيام يجلس على كرسىّ من خشب مغشًّى بالحرير، إذا أرخى رجليه كادتا أن تَلْحقا الأرض ، وفى داخل قصوره يجلس على كرسىّ صغير من حديد يحمل معه إلى حيث يجلس .

ومنها – (المقصورة) للصلاة فى الجامع . وقد تقدّم فى الكلام على ترتيب الخلافة أن أوّل مَن اتخذها فى الإسلام معاويةُ ، وقد صارت سُنّةً لملوك الإسلام بعد ذلك تمييزا للسلطان عن غيره من الرعية ، وهى فى هذه المملكة مَقْصُورةٌ بجامع قلعة الجبل على القرب من المِنْبَرِ متَّخذةٌ من شِبَاك حديد محكمةِ الصنعة ، يصلِّى فيها السلطان ومَنْ معه من أخصاء خاصكيته يوم الجمعة .

ومنها – (نَقْشُ اسم السلطان) على ما يُنْسَجُ ويُرْقَمُ من الكُسْوة والطُّرزِ المتخذة من الحرير أو الذهب بلون مخالف للون القماش أو الطرز لتصير الثياب والطُّرُز السلطانية مميَّزة عن غيرها ، تنويها بقدر لابسها : من السلطان أو مَنْ يُشَرِّفُهُ بلبسها عند ولاية وظيفة أو إنعام أو غير ذلك . ولذلك دارٌ مفردة بعمله بالإسكَنْدَرِيَّة تعرفُ بدار الطِّراز ، وعلى ذلك كانت خلفاء الدولتين : بنى أُمَيَّةَ وبنى العبَّاس حين كانت الخلافة قائمة .

ومنها – (الغاشِيَة) . وهى غاشية سرج من أديم مخروزةٌ بالذهب ، يخالها الناظر جميعَها مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يديه عند الركوب فى المواكب الحَفْلة كالميادين والأعياد ونحوها ، يحملها الرِّكَابدارِيَّة ، رافعا لها على يديه يلفتها يمينا وشمالا ، وهى من خواص هذه المملكة .

ومنها – (المِظَلَّة) . ويعبر عنها بالجِتْرِ (بجيم مكسورة ، قد تبدل شينا معجمة ، وتاء مثناة فوق) ، وهى قُبَّةٌ من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائرٌ من فِضَّةٍ

مَطْلِيَّة بالذهب ، تحمل على رأسه فى العيدين . وهى من بقايا الدولة الفاطمية ، وقد تقدّم الكلام عليها مبسوطا فى الكلام على ترتيب مملكتهم .

ومنها — (الرَّقَبة) . وهى رقبة من أطلس أصفر مزركشة بالذهب بحيث لا يرى الأطلس لتراكم الذهب عليها ، تجعل على رقبة الفرس فى العيدين والميادين من تحت أذنى الفرس إلى نهاية عُرْفِه ، وهى من خواصّ هذه المملكة .

ومنها — (الجفتة) . وهما آثنان من أوشاقية إصطبله قريبان فى السنّ ، عليهما قَبَاءان أصـفران من حرير بطراز من زَرْكش ، وعلى رأسيهما قُبَّعَتَان من زركش ، وتحتهما فرسان أشهبان برقبتين وعُدّة ، نظير ما السلطان راكب به كأنهما معدّان لأن يركبهما ، يركبان أمامه فى أوقات مخصوصة كالركوب للعب الكُرة فى الميدان الكبير ونحو ذلك ، وهما من خواصّ هذه المملكة .

ومنها — (الأعلام) . وهى عدّة رايات ، منها راية عظيمة من حرير أصفر مطرّزة بالذهب ، عليها ألقاب السلطان وآسمه ، وتسمّى العِصَابة ، وراية عظيمة فى رأسها خُصْلة من الشعر تسمّى الجاليش ، ورايات صُفْر صغار تسمّى السَّناجق .

قال السلطان عماد الدين صاحب حَمَاة فى تاريخه : وأوّل من حَمَلَ السنجق على رأسه من الملوك فى ركوبه غازى بن زنكى ، وهو أخو السلطان نور الدين محمود آبن زنكى صاحب الشأم .

ومنها — (الطبلخاناه) . وهى طبول متعدّدة معها أبواق و زمر (١) تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص ، تدُقّ فى كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب ، وتكون صحبة الطلب فى الأسفار والحروب ، وهى من الآلات العامّة لجميع الملوك . ويقال إن الإسكندر

(١) لعله و زَمّارات .

كان معه أربعون حِمْلا طبلخاناه ، وقد كتب أرسطو فى "كتاب السياسة" الذى كتبه للإسْكَنْدَرِ أن السرّ فى ذلك إرهابُ العدوّ فى الحرب . والذى ذهب إليه بعض المحققين أن السرّ فى ذلك أن فى أصواتها تهييجا للنفس عند الحرب وتقوية الجأش كما تنفعل الإبل بالحُدَاء ونحو ذلك .

ومنها — (الكوسات) . وهى صُنُوجات من نُحاس شبه التُّرس الصغير ، يُدَقّ بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص ، ومع ذلك طبولٌ وشَبَّابة ، يدق بها مرتين فى القلعة فى كل ليلة ، ويُدَارُ بها فى جوانبها مرةً بعد العشاء الآخرة ، ومرةً قبل التسبيح على المواذن(١) ، وتسمّى الدَّوْرة بذلك فى القلعة ، وكذلك إذا كان السلطان فى السفر تدور حول خيامه .

ومنها — (الخيام والقَمَاطيط) فى الأسفار . ولهذا السلطان من ذلك المَدَد الكبير ، تُتخذ له الخيام العظيمةُ الشأنِ المختلفةُ المقاديرِ والصنعة من القطن الشامىّ الملوّن بالأبيض والأحمر والأزرق وغيرها ، وكذلك من الجوخ المختلف الألوان مما يُدْهِش بحسنه العقولَ : لينوب مَنَاب قصورهم فى الإقامة ، وسيأتى ذكر أمور أخرى من آلات الملك سوى ماتقدّم منفردة فى أماكنها إن شاء الله تعالى .

المقصـــد الثـانى

(فى حواصل السلطان ، وهى على أربعة أنواع(٢))

النـــوع الأول

(الحواصـــل المعبَّر عنها بالبيوت)

وذلك أنهم يضيفون كل واحد منها إلى لفظ خاناه كالطشت خاناه ، والشراب خاناه

---

(١) صوابه المآذن وكثيرا مايجارى لغة العامة .

(٢) يظهر أن هـذا التنويع من الناسخ فإنه فى الضوء لم يذكر التنويع و إنما قسم الحواصل الى البيوت الثمانية فقط ثم أتبعها بالمقصد الثالث .

ونحوهما، وخاناه لفظ فارسيّ معناه البيت، والمعنىٰ بيت كذا إلا أنهم يؤخرون المضاف عن المضاف إليه علىٰ عادة العجم فى ذلك، وهى ثمـانية بيوت .

الأول - (الشَّرَابخاناه) . ومعناها بيت الشراب، وتشتمل علىٰ أنواع الأشْرِبة المُرْصَدَة لخاصّ السلطان، والمشروبِ الخاص من السكر والأقْسِما وغير ذلك ، وفيها يكون السكر المخصوص بالمشروب، وبها الأوانى النفيسـةُ من الصِّينىّ الفـاخر من اللَّازَوَرْدِىّ وغيره مما تساوِى السُّكُرُّجة الواحدة اللطيفة منه ألف درهم فمـا حوله . ووظيفة الشادّ بها تكون لأمير من أكابر أمراء المئين الخاصكية المؤتمنين ، ولهـا مِهْتار يعرف بمهتار الشرابخاناه متسلمٌ لحواصلها، له مكانة علية، وتحت يده غِلْمانٌ عنده برسم الخِدْمة، يُطْلَق علىٰ كل منهم شَراب دار، وسيأتى فى الكلام علىٰ الألقاب فى المقالة الثالثة معنىٰ الإضافة إلىٰ الدار فى ذلك ونحوه .

الثـانى - (الطِّشْتَخَانَاهْ) . ومعناه بيت الطشت، سميت بذلك لأن فيها يكون الطِّشْت الذى تغسل فيـه الأيدى والطِّشْت الذى يُغسَل فيـه القماش ، وقد غلب عليهم آستعمال لفظ الطشت بشين معجمة مع كسر الطاء، وصوابه بالسين المهملة مع فتح الطاء، وأصله طَسٌّ بسين مشدّدة فأبدلت من إحدىٰ السينين تاء للآستثقال . فإذا جُمِع أو صُغِّرَ، ردّت السين إلىٰ أصلها ، فيقال فى الجمع طِسَاس وطُسُوس ، وفى التصغير طُسَيس . قال الجوهرىّ : ويقال فيه أيضا طَسَّة، ويجمع علىٰ طَسَّات، والناس الآن يقولون طاسة ويجمعونه علىٰ طاسات ، ويجعلون الطِّشْتَ آسمـا لنوع خاص، والطاسةَ آسمـا لنوع خاص .

وفى الطِّشْتَخاناه يكون ما يلبسه السلطان مر الكلوتة والأقبية وسائر الثياب والسيف والخُفّ والسُّرموزة وغير ذلك .

وفيها يكون مايجلس عليه السلطان من المَقاعد والمخادّ والسَّجّادات التى يصلّى عليها وما شاكل ذلك، ولها أيضا مِهْتارٌ من كبار المهتارية، يعرف بمهتار الطِّشْتَخاناه، وتحت يديه عدّة غِلْمان بعضهم يعرفون بالطشتدارية ، وبعضهم يعرف بالرختوانية . وله التحدّث فى تفرقة اللحم على المماليك السلطانية من الحوائج خاناه وإقامة قُبّاض اللحم ، ويطلق على كلٍّ من غلمان الطشتخاناه وقباض اللحم بابا ، وهى لفظة رومية بمعنى الأب، أطلقوها على مهتار الطِّشْتَخاناه تعظيما له، ثم غلبت على من عداه ، ولغلمانها دُرْبَةٌ بترتيب الأحمال التى تحمل على ظهور البغال للزينة فى المواكب العظيمة ونحوها، يأتون فيها من بديع الصَّنْعة والتعاليق الغريبة بكل عجيب، وهم يتباهَوْن بذلك، ويسامِى بعضهم بعضا فيه .

الثالث ــ (الفِرَاش خاناه) . ومعناها بيت الفِرَاش، وتشتمل على أنواع الفَرْش من البُسُط والخيام، ولها مِهْتار يعرف بمهتار الفراش خاناه ، وتحت يده جماعة من الغِلْمان مستكثَرة مرصَدُون للخدمة فيها فى السفر والحَضَر يعبر عنهم بالفرّاشين ، وهم من أمْهَرِ الغلمان وأنْهَضِهِمْ، ولهم دُرْبَةٌ عظيمة فى نَصْب الخيام حتّى إن الواحد منهم ربما أقام الخَيْمة العظيمة ونصبها وحده بغير معاون له فى ذلك ، ولهم معرفة تامة بشدّ الأحمال التى تحمل فى المواكب على ظهور البغال، يبلغ الحمل منها نحوَ خمسة عشرة ذراعا .

الرابع ــ (السِّلاح خاناه) . ومعناها بيت السلاح، وربما قيل الزَّرَدْخاناه ومعناها بيت الزَّرَد لما فيها من الدروع الزَّرَد، وتشتمل على أنواع السلاح: من السيوف، والقِسِىّ العربية ، والنُّشّاب، والرماح ، والدروع المتخذة من الزرد المانع ، والقرقلات المتخذة من صفائح الحديد المُغَشّاة بالديباج الأحمر والأصفر، وغير ذلك

من الأطبار وسائر أنواع السـلاح ، ويقلُّ بها قسىّ الرِّجْل والرِّكاب لعدم معاناتها بالديار المصرية ، وإنما تكثر بالثغور كالإسْكَنْدرِيَّة وغيرها ، وفى كل سنة يحمل إليها مايعمل بخزائن السلاح من الأسلحة ، يجعل علىٰ رءُوس الحمّـالين ويُزَفّ إلىٰ القلعة ويكون يوما مشهودا ، وفى هـذه السلاح‌خاناه من الصُّنّاع المقيمين بها لإصلاح العُدَد وتجديد المستعملات جماعة كثيرة ، ويسمّى صانع ذلك الزردكاش ، وهى لفظة عجمية وكأن معناها صانع الزرد ، ولهـا غِلْمان أخرىٰ وفرّاشون بسبب خدمة القُماش وآفتقاده .

الخامس – (الرِّكاب‌خاناه) . ومعناها بيت الركاب ، وتشتمل علىٰ عُدَد الخيل من السروج ، واللجم ، والكَنابيش ، وعبى المراكيب ، والعبى الإصطبليات ، والأجلال ، والمَخَالى وغير ذلك من الأصناف التى يطول ذكرها ، وفيها من السُّروج المَغشّاة بالذهب والفضة المطلية والساذجة والكَنابيش المتخذة من الذهب المزركش المزهّرة بالريش ، وغير المزهرة ، والعبى المُتّخذة من الحرير وصوف السمك[1] ، وغير ذلك من نفائس العُدَد والمراكيب ما يحير العقول ويُدهش البصر ، ممـا لا يقدر علىٰ مثله إلا عظماء الملوك . ولهـا مهتار متسلم لحواصلها يعبر عنه بمهتار الركاب‌خاناه ، وتحت يده رجال لمعاضدته علىٰ ذلك .

السـادس – (الحوائج‌خاناه) . ومعنـاها بيت الحوائج ، وليست علىٰ هيئـة البيوت المتقدمة مشتملةً علىٰ حاصل معينّ ، وإنمـا لهـا جهة تحت يد الوزير منها يصرف اللّحم الراتب للمطبخ السلطانىّ والدور السلطانية ورواتب الأمراء والممـاليك السـلطانية وسائر الجنـد والمتعمّمين ، وغيرهم من أرباب الرواتب الذين تملأ

(١) لم نعثر علىٰ حيوان بهذا الاسم ولعله مصحف عن السمند .

أسماؤهم الدفاتر ، وكذلك تَوَابلُ الطعام للطبخ السلطانى والدور السلطانية ، ومن له تَوابلُ مرتَّبة من الأمراء وغيرهم ، والزيت للوقود ، والحبوب ، وغير ذلك من الأصناف المتعدّدة ، ولها مباشرون منفردون بها يضْبِطون أسماء أرباب المستحَقَّات ومقاديرَ آستحقاقهم ، وهى من أوسع جهات الصرف حتّى إن ثمن اللحم وحده يبلغ ثلاثين ألف درهم فى كل يوم خارجا عما عداه من الأصناف ، وربما زاد علىٰ ذلك .

السابع ــ (المَطْبَخ). وهو الذى يُطْبَخ فيه طعام السلطان الراتب فى الغَدَاء والعَشَاء والطارئ فى الليل والنهار والأسمطة التى تمدّ بالإيوان الكبير بدار العدل فى أيام المواكب ، ويحمل إليه اللحم والتوابل وسائر الأصناف من الحوائجخاناه المتقدّمة الذكر بقدر معلوم مرتب ، يُستهلَك فيه فى كل يوم قناطير مقنطرة من اللحم والدَّجاج والإوَزّ والأطعمة الفاخرة ، وله أمير من الأمراء يحكم عليه يسمّى أستادار الصحبة وتحت يده آخر يعبر عنه بالمُشْرِف ، وله طَبَّاخ كبير معتبر يعبر عنه باسباسلار .

الثامن ــ (الطبلخاناه) . ومعناه بيت الطبل ، ويشتمل علىٰ الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات ، ويحكم علىٰ ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بأمير عَلَم ، يقف عليها عند ضربها فى كل ليلة ، ويتولّى أمرها فى السَّفَر ، ولها مهتار متسلم لحواصلها يعرف بمهتار الطبلخاناه ، وله رجال تحت يده ما بين دبندار : وهو الذى يضرب علىٰ الطبل ، ومُنَفِّر وهو الذى يضرب بالبوق ، وكُوسِىّ ، وهو الذى يضرب بالصنوج النحاس بعضها علىٰ بعض وغير أولئك من الصُّنَّاع .

المَقْصِـــد الثـالث

(فى ذكر أعيان المملكة وأرباب المناصب الذين بهم آنتظام المملكة وقيام المُلْك ، وهم على أربعة أضرب)

الضـــرب الأوّل

(أرباب السيوف ، والنظر فيهم من وجهين)

الوجـــه الأوّل

(مراتبهم على سبيل الإجمال ، وهى على نوعين)

النـــوع الأوّل

(الأمراء ، وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى — أمراء المِئِين مقدّمو الألوف ، وعدّة كل منهم مائة فارس .

قال فى "مسالك الأبصار" : وربما زاد الواحد منهم العشرة والعشرين ؛ وله التَّقْدِمَةُ على ألف فارس ممن دونه من الأمراء ، وهذه الطبقة هى أعلى مراتب الأمراء على تقارب درجاتهم ، ومنهم يكون أكابر أرباب الوظائف والنوّاب . ثم الذى كان آستقرّ عليه قاعدة المملكة فى الروك الناصرى محمد بن قلاوون ، وما بعده إلى آخر الدولة الأشرفية شعبان بن حسين ، أن يكون بالديار المصرية أربعة وعشرون مقدّما ، ولما آستجدّ فى الدولة الظاهرية الديوانُ المُفْرَد لخاص السلطان وأفرد له عدّة كثيرة من المماليك السلطانية والمستخدمين ، نقصت عِدّة المقدّمين عما كانت عليه ، وصارت دائرةً بين الثمانية عشر والعشرين مقدّما بما فى ذلك من نائب الإسْكَنْدَرِيَّةِ ونائبى الوجهين : القبلىّ والبحرىّ .

الطبقة الثانية — أمراء الطبلخاناه ، وعدّة كل منهم فى الغالب أربعون فارسا .

قال فى "مسالك الأبصار" : وقد يزيد بعضهم على ذلك إلى سبعين فارسا، بل ذكر فى "التعريف" فى أواخر المكاتبات أنه يكون للواحد منهم ثمانون فارسا . قال فى "مسالك الأبصار" : ولا تكون الطبلخاناه لأقل من أربعين ، وهذه الطبقة لاضابط لعدّة أمرائها بل تتفاوت بالزيادة والنقص لأنه مهما فرقت إمرة الطبلخاناه فجعلت إمرتى عشرين أو أربع عشرات، أوضم بعض العشرات ونحوها إلى بعض وجعلت (١) طبلخاناه، ومن أمراء الطبلخاناه تكون الرتبة الثانية من أرباب الوظائف والكُشّاف بالأعمال، وأكابر الولاة .

الطبقة الثالثة — أمراء العشرات، وعدّة كل منهم عشرة فوارس . قال فى "مسالك الأبصار" : وربما كان فيهم من له عشرون فارسا ولا يعدّ إلا فى أمراء العشرات، وهذه الطبقة أيضا لاضابط لعدد أمرائها بل تزيد وتنقص كما تقدّم فى الكلام على أمراء الطبلخاناه، ومن هذه الطبقة يكون صغار الوُلاة ونحوهم من أرباب الوظائف .

الطبقة الرابعة — أمراء الخَمْسات . وهم أقل من القليل خصوصا بالديار المصرية، وأكثر مايقع ذلك فى أولاد الأمراء المندرجين بالوفاة رعايةً لسَلَفِهم، وهم فى الحقيقة كأكابر الأجناد .

النوع الثانى

(الأجناد، وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى — المماليك السلطانية . وهم أعظم الأجناد شأنا، وأرفعُهم قدرا، وأشدّهم إلى السلطان قُرْبا، وأوفرُهم إقطاعا ، ومنهم تؤمَّر الأمراء رتبة بعد رتبة ،

(١) لعل الواو زائدة .

وهم فى العِدَّة بحسب ما يُؤْثِره السلطان من الكثرة والقلَّة ، وقد كان لهم فى زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم فى أيام السلطان الملك الظاهر برقوق العَدد الجَمّ والمَدَدُ الوافر لطول مُدَّة ملكهما واعتنائهما بجلب المماليك ومشتراها .

الطبقة الثانية — أجناد الحَلْقة . وهم عدد جَمٌّ وخلق كثير، وربما دخل فيهم من ليس بصفة الجند من المتعمِّمين وغيرهم ، بواسطة النزول عن الإقطاعات ، وقد جرت عادة ديوان الجيش عدم الجمع على الجند كى لا يُحاط بعدّته ويطلع إليه . قال فى "مسالك الأبصار" : ولكل أربعين نفسا منهم مقدّم منهم، ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر كانت مواقفهم معه، وترتيبهم فى موقفهم إليه . ومن الأجناد طائفة ثالثة يقال لهم البحرية يبيتون بالقلعة وحولَ دهاليز السلطان فى السفر كالحَرَس، وأوّل من رتبهم وسماهم بهذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب .

الوجـــــه الثانى

(فى ذكر أرباب الوظائف من أرباب السيوف المتقدم ذكرهم؛ وهم على نوعين)

النـــوع الأوّل

(من هو بحضرة السلطان ، وهى خمسة وعشرون وظيفة)

الأولى — النِّيابة . ويعبر عن صاحبها بالنائب الكافل، وكافل الممالك الإسلامية . قال فى "التعريف" : وهو يحكُم فى كل ما يحكم فيه السلطان ويُعَلِّم فى التقاليد والتواقيع والمناشير، وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يُعلِّم عليه السلطان، وسائر النوّاب لا يُعَلِّمُ الرجل منهم إلا على ما يتعلّق بخاصة نيابته . قال : وهذه رتبة

لا يخفىٰ ما فيها من التميز . قال فى "مسالك الأبصار" : وجميع نوّاب الممالك تكاتبه فيما تُكاتب فيه السلطان ويراجعونه فيه كما يُراجَع السلطان، ويستخدم الجُنْدَ من غير مشاورة السلطان، ويعيّن أرباب الوظائف الجليلة كالوزارة وكتابة السر، وقل أن لا يجاب فيمن يُعيِّنه؛ وهو سلطانٌ مختصر بل هو السلطان الثانى. وعادته أن يركب بالعسكر فى أيام المواكب وينزل الجميعُ فى خدمته . فإذا مثل فى حضرة السلطان،وقف فى ركن الإيوان . فإذا آنقضت الخدمة،خرج إلىٰ دار النيابة بالقلعة والأمراءُ معه ويجلس جلوسا عاما للناس،ويحضُره أرباب الوظائف،ويقف قدامه الحُجّاب، وتقرأ عليه القِصَصُ، ثم يُمَدُّ السماطَ للأمراء كما يمدّ لهم السلطان فيأكلون وينصرفون . وإذا كانت النيابة قائمة علىٰ هذه الصورة، لم يكن السلطان يتصدّىٰ لقراءة القِصَص،وسماع الشّكاوىٰ بنفسه، ويأمر فى ذلك بما يرىٰ من كتابة مثال ونحوه،ولكنه لايستبدّ بمايكتب من الأبواب السلطانية بنفسه بل يكتب بإشارته وينبه علىٰ ذلك، وتشمله العلامة الشريفة بعد ذلك .

أمّا ديوان الجيش فإنه لا يكون له خدمةٌ إلا عنده ولا آجتماعٌ إلا به، ولا آجتماع لهم بالسلطان فى أمر من الأمور، وماكان من الأمور المُعضلة التى لابدّ من إحاطة علم السلطان بها فإنه يُعْلمه بها تارة بنفسه وتارة بمن يرسله إليه . هذا آخر كلامه فى "المسالك" غير أن هذا النائب تارة يُنَصَّب وتارة يُعَطَّلُ جِيدُ المملكة منه؛ وعلىٰ هذاكان الحال فى الأيام الناصرية آبن قلاوون تارة وتارة وكذا الحال فى زماننا . وإذاكان منتصبا، آختُصَّ بإخراج بعض الإقطاعات دون بعض،ويكون صاحب ديوان الجيش هو الملازم له وناظر الجيش ملازم السلطان .

قال فى "التعريف" : أمّا نائب الغَيْبة (١) : وهو الذى يترك إذا غاب السلطان

(١) كذا فى الضوء أيضا ومراده يترك وشأنه فى الحكم .

والنائب الكافل، وليس إلا لإخماد الثوائر وخلاص الحقوق، فحكمه فى رسم الكتابة إليه رسم مثله من الأمراء .

الثانية — الأَتَابَكِيَّة . ويعبر عن صاحبها بأَتَابك العساكر . قال السلطان عماد الدين فى "تاريخه" : وأصله أطابك ومعناه الولد الأمير، وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السَّلْجوقىّ حين فوّض إليه ملكشاه تدبيرَ المملكة سنة خمس وستين وأربعمائة، ولقبه بألقاب منها هذا ؛ وقيل أطابك معناه أمير أب، والمرادُ أبو الأمراء، وهو أكبر الأمراء المقدّمين بعد النائب الكافل، وليس له وظيفة ترجع إلىٰ حكم وأمر ونهى، وغايته رِفْعَةُ المَحَلّ وعلو المقام .

الثالثة — وظيفة رأس نَوْبة . وموضوعها الحكم علىٰ المماليك السلطانية والأخذُ علىٰ أيديهم ، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء : واحدٌ مقدّم ألف وثلاثةٌ طبلخاناه .

الرابعة — إمرة مجلس . وموضوعها (١) وهو يتحدّث علىٰ الأطباء والكحّالين، ومَنْ شاكلهم، ولا يكون إلا واحدا .

الخامسة — إمرة سلاح . وأصل موضوعها حمل السلاح للسلطان فى المجامع الجامعة، وصاحبها هو المقدّم علىٰ السِّلاح‌دارية من المماليك السلطانية والمتحدّث فى السلاح‌خاناه السلطانية ، وما يُستعمل لها ويقدّم إليها ، ولا يكون إلا واحدا من الأمراء المقدّمين .

السادسة — إمرة أخورية . وموضوعها التحدّث علىٰ إصطبل السلطان وخيوله ، وعادتها مقدّم ألف يكون متحدّثا فيها حديثا عاما، وهو الذى يكون ساكنا

---

(١) بياض بالأصل ولعله وموضوعها تولّى أمور مجلس السلطان .

بإصطبل السلطان، ودونه ثلاثة من أمراء الطبلخاناه . أما أمراء العشرات والجند، فغير محصورين .

السابعة – الدَّوَادارِيَّة . قال فى "مسالك الأبصار" : وموضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامّة الأمور، وتقديم القِصَص إليه، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف وتقديمُ البريد، هو وأمير جاندار وكاتب السر، ويأخذ الخط على عامّة المناشير والتواقيع والكُتُب . وإذا خرج عن السلطان بكتابة شىء بمرسوم، حمل رسالته وعينت فيما يكتب ، وسيأتى بيان ذلك فيما يكتب بالرسائل فى الكلام على قوانين ديوان الإنشاء إن شاء الله تعالى .

وفى هـذه الوظيفة عدّةٌ من الأمراء والجُنْد ، وقد كانت فى أيام الناصر محمد بن قلاوون وما تلاها ليس فيها أميرٌ مقدّم ألف ، ثم آل الأمر إلى أن صار الأعلى منهم مقدّمَ ألف، ونائبه طبلخاناه . وأوّل من آستقرّ فى وظيفة الدّوادارية من الأمراء الألوف طغيتمر النجمى فى الدولة الناصرية حسن، ثم صار غالب من يليها ألوف، وربما كان طبلخاناه أحيانا .

الثامنة – الحُجُوبيـة . قال فى "مسالك الأبصار" : وموضوعها أن صاحبها يُنصفُ بين الأمراء والجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب إن كان ، وإليه تقديم مَنْ يعرض ومَنْ يرد، وعَرْضُ الجند وما ناسب ذلك، والذى جرت به العادة خمسة حُجّابٍ ، آثنان من مقدّمى الألوف : وهما حاجب الحُجّاب[(١)] هو المشار إليه من الباب الشريف ، والقائم مقام النائب فى كثير من الأمور . وآعلم أن هذا الآسم أوّل ما حدث فى الدولة الأُمَوِيَّة فى خلافة عبد الملك بن مَرْوَانَ، وكان موضوعها إذ ذاك حَجْبَ السلطان عن العامّة، ويُغْلِق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره فى مواقيته،

(١) فى الكلام سقط ظاهر ولعل الأصل "حاجب الحجاب ونائبه وحاجب الحجاب هو الخ" تأمل .

ثم تبعهم بنو العبّاس إلى ذلك . وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة : أنه كان للمقتدر سبعمائة حاجب . هذا وكانت الخلافة قد أخذت فى الضعف، وهو خلاف موضوعها الآن ، وفيها بممالك المغرب معانٍ أخرى يأتى ذكرها عند الكلام على ممالكها إن شاء الله تعالى .

التاسعة — إمرة جاندار . وموضوعها أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان . قال فى "مسالك الأبصار" : ويقدّم البريد مع الدّوادار وكاتب السر . قال : وصاحبها كالمتسلم للباب ، وله به البردداريّة وطوائف الركابية والخازندارية . وإذا أراد السلطان تعزير أحد أو قتله كان ذلك على يد صاحب هذه الوظيفة ، وهو المتسلم للزّرَدْخاناه التى هى أرفع قدرا فى الاعتقالات ، ولا تطول مدّة المعتقَل بها ، بل إمّا يعجل بتخلية سبيله أو إتلاف نفسه ؛ وصاحب هذه الوظيفة هو الذى يطوف بالزّفّة حول السلطان فى سفره ، وقد جرت العادة أن يكون فيها أميران : مقدّم ألف ، وطبلخاناه ، والمشار إليه هو المقدّم .

العاشرة — الاستادارِيّة . قال فى "مسالك الأبصار" : وموضوعها التحدّث فى أمر بيوت السلطان كلها من المَطابخ والشّراب‌خاناه والحاشية والغِلْمان ، وهو الذى يمشى بطلب السلطان ، ويحكم فى غِلمانه وباب داره ، وإليه أمر الجاشنكيرية ، وإن كان كبيرُهم نظيرَه فى الإمرة من ذوى الإذن ، وله حديثٌ مطلق وتصرف تامٌّ فى استدعاء ما يحتاجه كلُّ مَنْ فى بيت السلطان من النفقات والكساوى (١) وما يجرى مجرى ذلك للماليك وغيرهم . وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة : واحد مقدّم ألف وثلاثة طبلخاناه ، وربما نقصوا عن ذلك .

(١) جمع الكسوة كُسًا وكِسَاءٌ . فما فى الاصل جار على اصطلاح العامة .

الحادية عشرةَ ــ الجاشنكيريّة . وموضوعها التحدّثُ فى أمر السِّماط مع الأستادار علىٰ ما تقدّمت الإشارة إليه ، ويقف علىٰ السِّماط مع أستادار الصحبة ، وأكبرهم يكون من الأمراء المقدّمين .

الثانيةَ عشرةَ ــ الخازندارية . وموضوعها التحدّث فى خزائن الأموال السلطانية من نَقْد وقُمَاش وغير ذلك ، وكانت عادتها طبلخاناه ، ثم استقرّت تقدمة ألف ، ويطالبه فى حساب ذلك ناظرُ الخاصّ الآتى ذكره .

الثالثة عشرة ــ شَدّ الشراب‌خاناه . وموضوعها التحدّث فى أمر الشراب‌خاناه السلطانيــة وما يحمل إليهـا من السُّكَّر والمشروب والفواكه وغير ذلك ، وتارة يكون مقدّما، وتارة يكون طبلخاناه .

الرابعةَ عشرةَ ــ أستادارية الصحبة . وموضوعها التحدّث علىٰ المَطْبَخ السلطانىّ والإشراف علىٰ الطعام والمشى أمامه والوقوف علىٰ السِّماط ،والعادة أن يكون صاحبها أمير عشرة .

الخامسةَ عشرةَ ــ تقدمة المماليك . وموضوعها التحدّث علىٰ المماليك السلطانية والحكم فيهم، ولا يكون صاحبها إلا من الخدّام ،والعادة أن تكون إمرة طبلخاناه، وله نائب أمير عشرة .

السادسةَ عشرةَ ــ زِمَامية الدور السلطانية . وصاحبها من أكبر الخدّام ، وهو المعبر عنه بالزِّمَام ،وعادته أن يكون أمير طبلخاناه .

السابعة عشرة ــ نِقَابة الجيوش . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى موضوعة لتحلية الجند فى عَرْضهم ، ومعه يمشى النُّقَباء . وإذا طلب السلطان أو النائب

أو الحاجب أميرا أو غيره، أحضره . قال : وهو كأحد الحُجّاب الصغار، وله التطلب بالحراسة فى الموكب والسفر .

الثامنةَ عشرةَ ـ المهمندارية . وموضوعها تلَقِّى الرسل الواردين وأمراء العُرْبان وغيرهم ممن يرِدُ من أهل المملكة وغيرها .

التاسعة عشرة ـ شَدّ الدواوين . وموضوعها أن يكون صاحبها رفيقا للوزير متحدّثا فى آستخلاص الأموال، وما فى معنىٰ ذلك، وعادتها إمرة عشرة .

العشرون ـ إمرة طَبَر . وموضوعها أن يكون صاحبها حاملا الطَّبَر فى المواكب، ويحكم علىٰ مَنْ دونه من الطَّبَردارية، وعادتها إمرة عشرة أيضا .

الحادية والعشرون ـ إمرة عَلَم . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدّثا علىٰ الطبلخاناه السلطانية وأهلها، متصرفا فى أمرها، وعادتها إمرة عشرة .

الثانية والعشرون ـ إمرة شكار . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدّثا فى الجوارح السلطانية من الطُّيور وغيرها والصُّيود السلطانية وأحواش الطيور وغيرها، وهى إمرة عشرة .

الثالثة والعشرون ـ حِرَاسة الطير . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدّثا علىٰ حراسة الطيور من الكَرَاكِىّ التى هى بصدد أن يصيدها السلطان فى الأماكن التى تنزل بها الطيور من المزارع وغيرها، وهى إمرة عشرة .

الرابعة والعشرون ـ شدّ العمائر . وموضوعها أن يكون صاحبها متكلما فى العمائر السلطانية مما يختار السلطان إحداثَه أو تجديده من القصور والمنازل والأسوار، وهى إمرة عشرة .

الخامسة والعشرون ـ الولاية . والوُلَاة بالحاضرة علىٰ صنفين .

الصنف الأوّل

(وُلَاة الشُّرْطة، المعروفون فى الديار المصرية بوُلاة الحرب ؛ وهم ثلاثة ، بالقاهرة ، والفُسْطَاط المعروف بمصر ، والقَرَافة)

فأما والِى القاهرة ، فيحكم فى القاهرة وضواحيها ، وهو أكبر الثلاثة وأعلاهم رتبةً ، وعادته إمرة طبلخاناه .

وأما والِى الفسطاط ، فيحكم فى خاصَّة مصر علىٰ نظير ما يحكم والِى القاهرة فى بلده ، وعادته إمرة عشرة .

وأما والِى القرافة ، فيحكم فى القرافة التى هى تُرْبة هاتين المدينتين بمراجعة والِى مصر ، وعادته إمرة عشرة . وقد أضيفت الآن القرافة إلىٰ مصر ، وصارت ولاية واحدة وجعلت إمرة طبلخاناه ولكنها لاتبلغ شأوَ القاهرة .

الصنف الثانى

(وُلَاة القَلْعة ، وهم اثنان)

أحدهما ــ والِى القلعة ، وهو أمير طبلخاناه ، وله التحدّث علىٰ باب القلعة الكبير الذى منه طلوع عامَّة العسكر ونزولهم فى الفتح والغلق ونحو ذلك .

الثانى ــ والِى باب القلة ، وهو أمير عشرة ، وله التحدّث علىٰ الباب المذكور وأهله كما لوالى القلعة التحدّث علىٰ الباب الكبير المتقدّم ذكره .

النـــــوع الثانى

(ماهو خارج عن الحضرة السلطانية، وهم علىٰ ثلاث طبقات)

الطبقة الأولىٰ

(نُوّاب الســـلطنة)

والذى بمصر الآن ثلاثُ نيابات ، جميعها مستحدثة عن قُرْب .

الأولىٰ ـ نيابةُ الإسكندرية . وهى نيابة جليـلة تُضاهى نيابةَ طَرَابُلُس وحماةَ وصَـفَد من المملكة الشامية الآتى ذكرها ، وبها كرسىّ سلطنةٍ ونمجاه سلطانية توضع علىٰ الكرسىّ ، ونائبها من الأمراء المقدّمين يركَبُ فى المواكب بالشبّابة السلطانية ، ومعه أجناد الحَلْقَةِ المرتَّبون بها ، ويخرج فى موكبه إلىٰ ظاهر الإسْكَنْدَرِيَّةِ خارجَ باب البحر، ويجتمع إليه الأمراء المسيَّرون بها هناك، ثم يعود وهم معه إلىٰ دار النيابة، ويُمدّ السماط السلطانىّ، ويأكل عليه الأمراء والأجناد، ويحضره القضاة ، وتقرأ القِصَص علىٰ عادة النيابات ثم ينصرفون .

وكان ٱبتـداء ترتيب هذه النيابة فى سنة سبع وستين وسبعمائة فى الدولة الأشرفية شعبان بن حسين حين طَرقَ العـدوُّ المخذول من الفرنج الإسكندريةَ وفتكوا بأهلها وقتلوا منهم الخلقَ العظيم ونهبوا الأموال الجمَّة، وكانت قبل ذلك ولاية تُعدّ فى جملة الولايات، وكان لواليها الرتبة الجليلة والمكانة العلية من أكابر أمراء الطبلخاناه .

الثانية ـ نِيَابة الوجه القبلىّ . وهى ممـا ٱسْتُحْدِث فى الدولة الظاهرية برقوق، وهو فى رتبة نيابة الوجه البحرىّ بل أعظم خَطَرا منـه، ومقرُّ نيابته مدينة أُسْيوط المتقدّم ذكرها ، وحكمه علىٰ جميع بلاد الوجه القبلىّ بأسرها ، وهى فى الترتيب علىٰ

ماتقدّم من نيابة الوجه البحرىّ ، وكانت قبل ذلك كاشفا يطلق عليه والِى الوُلاة كما كان فى الوجه البحرىّ .

الثالثة — نيابة الوجه البحرىّ . وهى مما آستحدث فى الدولة الظاهرية أيضا ، ونائبها من الأمراء المقدّمين ، وهو فى رتبة مقدّم العسكر بغزّة الآتى ذكرها ، ومقرّ نائبها دمنهور مدينة البحيرة المتقدّم ذكرها ، وليست على قاعدة النيابات بل هى فى الحقيقة وِلَاية حرب كبيرة ، وقد كان القائم بها قبل ذلك كاشفا يطلق عليه والى الولاة ولم يكن له مَقَرّة خاصة .

الطبقة الثانيـــة
(الكُشَّافُ)

قد تقدّم أنه قبل النيابة بالوجهين القبلىّ والبحرىّ كان بهما كاشفان ، ولما استقرّت النيابة بهما جعل للوجه البحرىّ كاشف من أمراء الطبلخاناه على العادة المتقدّمة ، يتحدّث فى بلاده ماعدا عمَل البحيرة لقربه من نائب الوجه البحرىّ ، وجعل كاشف آخر من رتبته لعمل الفَيُّوم وعطَّل من الوالى ، وأضيف إليه عمل البهنسى أيضا ، وسائر الوجه القبلىّ أمره راجع إلى نائبه المتقدّم ذكره .

الطبقة الثـالثــــة

(الوُلَاة بالوجهين : القبلىّ والبحرىّ)

وقد تقدّم ذكر أعمـالهما . ومراتب الوُلاة بهما لا تخرج عن مرتبتين .

المرتبــــة الأولى

(أمراء الطبلخاناه، وهى سبع[1] ولايات بالوجهين : القبلىّ والبحرىّ)

فأما الوجه القبلىّ ففيه أربع وُلَاة من هذه الرتبة .

الأوّل ـ والى البهنسىٰ، وهى أقرب ولاة الطبلخاناه بهذا الوجه الآن إلىٰ القاهرة .

الثانى ـ والى الأُشْمُونِين .

الثالث ـ والى قُوص وإخميم، وهو أعظم ولاة الوجه القبـلىّ حتّى إنه يركب فى المواكب بالشَّبَّابة السلطانية أسوة النوّاب بالممالك .

الرابع ـ والى أُسْوان ، وهو محدَث فى الدولة الظاهرية برقوق، وكانت قبـل ذلك مضافة إلىٰ والى قُوص ، وكانت ولاية الفَيُّوم طبلخاناه آستقرت كشفا علىٰ ما تقدّم .

أما أُسْيوط ، فلم يكن بها ولاية لكونها كانت مستقرّ والى الولاة بالوجه القبلىّ، ثم صارت مسـتقرّ النائب به ، وسيأتى بيان ما كان ولايةَ طبلخاناه ، ثم نقل إلىٰ العَشَرات .

وأما الوجه البحرىّ ففيه أربعة ولاة من هذه الرتبة .

---

(١) لعله ثمـان ولايات كما يظهر من عد الولاة بالوجهين .

الأوّل ــ والى الشرقية وهو والى بُلْبَيْس .

الثانى ــ والى مَنُوف .

الثالث ــ والى الغربيــة ، وهو والى المحلة ، ورتبته فى الوجه البحرىّ فى رِفعة القدر تضاهى رتبة والى قُوص فى الوجه القبلىّ .

الرابع ــ والى البحيرة ، وهو والى دَمَنْهُور .

وقد تقــدّم أن الإسكندرية قبل أن تسـتقرّ نيابةً كان بها وال من أمراء الطبلخاناه .

المرتبة الثـانيــــة

(من الوُلَاة أمراء العشرات، وهى سبعة وُلَاة بالوجهين)

فأما الوجه القبلىّ ففيه ثلاثة ولاة .

الأوّل ــ والى الجيزة ، وقد كان قبل ذلك طبلخاناه، ثم نقل إلى العشرات .

الثانى ــ والى إطفيح ، ولم يزل عشرة .

الثالث ــ والى منفلوط ، وهو وإن كان الآن أمير عشرين فقد تقدّم أن مَنْ دون الأربعين معــدود فى العشرات . على أنها كانت قبل ذلك ولايةَ طبلخاناه وحُطَّت عن ذلك .

وقد كان بعَيْذابَ فى الايام الناصرية والٍ أميرُ عشرة يولىّ من قِبَل السـلطان ويراجع والى قُوص فى الأمور المهمة .

وأما الوجه البحرىّ، ففيه أربعة وُلَاة من هذه الرتبة .

الأوّل ـ والى قَلْيُوبَ، ولم تزل ولايتها إمرة عشرة .

الثانى ـ والى أُشْمُومَ، ولم تزل عشرة أيضا .

الثالث ـ والى دِمْيَاطَ .

الرابع ـ والى قَطْيا، وكان قبل ذلك طبلخاناه .

الضرب الثانى

(من أعيان المملكة وأرباب المناصب حَمَلةُ الأقلام، وهم على نوعين)

النــــوع الأوّل

(أرباب الوظائف الدّيوانية، وهى كثيرة للغاية لايسع آستيفاؤها والمعتبر منها مما يجب الاقتصارُ عليه تسعُ وظائف[1])

الأولى ـ الوِزَارة . وهى أجلّ الوظائف وأرفعها رتبةً فى الحقيقة لو لم تخرج عن موضوعها ويُعْدَل بها عن قاعدتها . قال فى "مسالك الأبصار" : وربها ثانى السلطان لو أُنْصِفَ وعُرِفَ حقُّه، لكنها لما حدَثت عليها النيابة تأخرت وقعَدَ بها مكانُها حتّى صار المتحدّث فيها كناظر المال لا يتعدّى الحديث فيه، ولا يتسع له فى التصرف مجال، ولا تمتدّ يده فى الولاية والعزل لِتَطَلُّعِ السلطان إلى الإحاطة بجزئيّات الأحوال . قال : وقد صار يليها أُناسٌ من أرباب السيوف والأقلام بأرزاق على قدر الإنفاق، وقطيعتها أشهر من أن تذكر .

قال : وكان هذا السلطان (يعنى الناصرَ محمد بن قلاوون رحمه الله) قد أبطلها ، وصار ما كان يتحدّث فيه الوزير منقسما إلى ثلاثة : ناظرِ المال ـ ومعه شادّ الدواوين

(١) أوصلها فى العد الى ست وعشرين ومراده أن المهم منها تسع وان كان قد ذكر أكثر .

لتحصيل المال وصرف النفقات، وناظر الخاص لتدبير الأمور العامة وتعيين المباشرين، وكاتب السر للتوقيع فى دار العدل مما كان يوقّع فيه الوزير مشاورةً وآستقلالا .

قلت : ولما عادت الوزارة بعد ذلك، صارت إلى ما كانت عليه من الاقتصار على التحدّث فى المال ، وبقيت كتابة السر على ماصارت إليه من التوقيع على القصص بدار العدل وغيرها . ثم إن كان الوزير صاحب قلم، فهو المستقلّ بمباشرة الوظيفة نظرا وتنفيذا ومحاسبةً على الأموال، وإن كان صاحبَ سيف، كان مقتصرا على النظر والتنفيذ، وكان أمر الحساب فى الأموال راجعا إلى ناظر الدولة معه .

ثم لوظيفة الوزارة أتباع كثيرة أجلها نظر الدولة وآستيفاء الصُّحْبة وآستيفاء الدولة .

فأما نظر الدولة : وهو المعبر عنه فى مصطلح الدواوين المعمورة بالصُّحْبة الشريفة فموضوعها أن صاحبها يتحدّث مع الوزير فى كل ما يتحدّث فيه ويشاركه فى الكتابة فى كل ما يكتُب فيه ، ويوقع فى كل ما يوقّع فيه الوزير تبعا له . وإن كان الوزير صاحب سيف، كان ناظر الدولة هو المتحدّث فى أمر الحسبانات ، وما يتعلق بها والوزير مقتصر على النظر والتنفيذ .

وأما آستيفاء الصحبة ــ فهى وظيفة جليلة رفيعة القدر . قال فى "مسالك الأبصار" : وصاحبها يتحدّث فى جميع المملكة مصرا وشاما ، ويكتب مراسيمَ يعلّم عليها السلطان، تارة تكون بما يُعْمَل فى البلاد، وتارة بإطلاقات، وتارة بآستخدامات كبار فى صغار الأعمال، وما يجرى مجراه .

قال : وهذا الديوان هو أرفع دواوين الأموال ، وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية ، وكلٌّ من دواوين الأموال فهو فرعُ هذا الديوان وإليه يرجع حسابه وتتناهى أسبابه .

وأما آستيفاء الدولة ـ فهى وظيفة رئيسية، وعلىٰ متوليها مدار أمور الدولة فى الضبط والتحرير ومعرفة أصول الأموال ووجوه مصارفها، ويكون فيها مستوفيان فأكثر .

الوظيفة الثانية ـ كتابةُ السر . قال فى "مسالك الأبصار" : وموضوعها قراءة الكتب الواردة علىٰ السلطان وكتابة أجوبتها وأخذُ خَطِّ السلطان عليها وتسفيرها، وتصريف المراسيم ورودا وصَدَرا ، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها . وقد تقدّم فى الكلام علىٰ الوزارة أنه صار يوقِّع فيما كان يوقع عليه بقلم الوزارة مع مراجعة السلطان فيما يحتاج إلىٰ المراجعة فيه، فى أمور أخرىٰ من التحدّث فى أمر البريد وتصريف البريدية والقُصَّاد. ومشاركة الدَّوادار فى أكثر الأمور السلطانية مما تقدّم ذكره مفصلا . وبديوانه كُتَّاب الدَّسْت : وهم الذين يجلسون معه فى دار العدل ويقرءُون القصص علىٰ السلطان ويوقِّعون عليها بأمر السلطان ، وكُتَّاب الدَّرْج : وهم الذين يكتبون الولايات والمكاتبات ونحوها مما يكتب عن الأبواب الشريفة، وربما شاركهم كُتَّاب الدست فى ذلك .

الوظيفة الثالثة ـ نظر الخاصّ . وهى وظيفة محدَثة، أحدثها السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" رحمه الله حين أبطل الوزارة علىٰ ما تقدّم ذكره ، وأصل موضوعها التحدّث فيما هو خاصٌّ بمال السلطان . قال فى "مسالك الأبصار" : وقد صار كالوزير لقربه من السلطان وتصرُّفه، وصار إليه تدبير جملة الأمور وتعيين المباشرين يعنى فى زمن تعطيل الوزارة . قال : وصاحب هذه الوظيفة لايقدر علىٰ الآستقلال بأمر إلا بمراجعة السلطان. ولناظر الخاصّ أتباع من كُتَّاب ديوان الخاصّ كمستوفى الخاص، وناظر خِزَانة الخاص ونحو ذلك مما لا يسع آستيعابُه .

الوظيفة الرابعة ـ نَظَر الجيش . وموضوعُها التحدّث فى أمر الإقطاعات بمصر والشام والكتابةُ بالكشف عنها ومشاورةُ السلطان عليها وأخذُ خطّه ؛ وهى وظيفة

جليلة رفيعة المقدار ، وديوانها أوّل ديوان وُضِع فى الإسلام بعد النبىّ صلى الله عليه وسلم فى خلافة عمرَ . قال الزُّهرِىّ : قال سعيد بن المسيب : وذلك فى سنة عشرين من الهجرة ، وسيأتى الكلام علىٰ مايتعلق بها فى الكلام علىٰ كتابة المناشير فى المقالة السادسة إن شاء الله تعالىٰ . ولناظر الجيش أتباع بديوانه يُوَلَّوْن عن السلطان ، كصاحب ديوان الجيش وكُتّابِه وشهوده ،وكذلك صاحب ديوان المماليك ، وكاتب المماليك وشهود المماليك . فإن المماليك السلطانية فرع من الجيش ونظرهم راجع إلىٰ ناظر الجيش .

الوظيفة الخامسة — نظر الدواوين المعمورة والصحبة الشريفة . وهو المعبر عنه بناظر الدولة ، وموضوعها التحدّث فى كل ما يتحدّث فيه الوزير ، وكلُّ ما كَتَبَ فيه الوزير كَتَبَ فيه هو ، يكتب فيه بمثل مارسم به .

الوظيفة السادسة — نظر الخِزانة . قال فى "مسالك الأبصار" : وكانت أوّلا كبيرة الوضع لأنها مستودَع أموال المملكة ، فلما استُحدِثت وظيفة الخاص ، صَغُر أمر الخِزانة ، وسميت بالخزانة الكبرىٰ ، وهو اسم فوق مسماه . قال : ولم يكن بها الآن إلا خِلَعٌ تخلع منها أو مايحضر إليها ويصرف أوّلا فأوّلا ، وفى الغالب يكون ناظرها من القُضاة أو من يلتحق بهم ، ولناظر الخزانة أتباع يُوَلَّوْن عن السلطان كصاحب ديوان الخزانة .

الوظيفة السابعة — نظر البيوت والحاشية . وهو نظر جليل ، وكلُّ ما يتحدّث فيه الأستادار له فيه مشاركة فى التحدّث فيه ، وقد تقدّم تفصيل حال وظيفة الأستادارية .

الوظيفة الثامنة — نظر بيت المال . وموضوعها حملُ حمول المملكة إلىٰ بيت المال والتصرف فيه تارة قبضا وصرفا وتارة بالتسويغ محضرا وصرفا . قال فى "مسالك الأبصار" : ولا يليها إلا ذو العدالة البارزة من أهل العلم والديانة .

الوظيفة التاسعة — نظر الإصطبلات السلطانية. وموضوعها مباشرة إصطبلات السلطان والتحدّث فى أنواع الخيول والبغال والدواب والجمال السلطانية، وعليقها وعُدّتها، وما لها من الآستعمالات والإطلاقات، وكل مايبتاع لها أو يباع منها، وأرزاق المستخدمين بها ونحو ذلك .

الوظيفة العاشرة — نظر دار الضيافة والأسواق . وموضوعها التحدّث فى أمر ما يتحصّل من سوق الخيل والرقيق ونحوهما، وصرف ذلك فى كلفة من يرد إلى الأبواب السلطانية من رُسُل الملوك ونحوهم، وصرف مرتبات مقررة لأناس فى كل شهر، والتحدّثُ فيها ولايةً وعزلا وتنفيذا راجعٌ إلى الدّوادار؛ وللوزير المشاركة معه فى المتحصّل فى شىء مخصوص .

الوظيفة الحادية عشرة — نظر خزائن السلاح . وموضوعها التحدّث على كل ما يستعمل من السلاح السلطانى، وعادته أن يجمع ما يتحصّل من عمل كل سنة ويجهّز فى يوم معين، ويحمل على رءوس الحمّالين إلى خزائن السلاح بالقلعة المحروسة، ويخلع عليه وعلى رُفْقَتِه من المباشرين .

الوظيفة الثانية عشرة — نظر الأملاك السلطانية . وموضوعها التحدّثُ على الأملاك الخاصّة بالسلطان من ضِياع ورِباع وغير ذلك .

الوظيفة الثالثة عشرة — نظر البَهار والكارمى(١) . وموضوعها التحدّث على واصل التجار الكارميّة من اليمن من أصناف البَهار وأنواع المتجر، وهى وظيفة جليلة تارة تضاف إلى الوزارة وتجعل تبعا لها، وتارة تضاف إلى الخاص وتجعل تبعا لها، وتارة تنفرد عنهما بحسب ما يراه السلطان .

(١) رجع فى الضوء الكامى بالنون وقال انه نسبة الى الكانم فرقة من السودان كان منهم طائفة مقيمة بمصر يتجرون فى البهار من الفلفل والقرنفل ونحوهما مما يجلب من الهند واليمن فعرف ذلك بهم الى آخر ما قال فراجعه .

الوظيفة الرابعة عشرة – نظر الأهراء بمصر بالصناعة . وهى شُونة الغلال السلطانية التى يتكلم عليها الوزير، وموضوعها التحدّث فيما يصل إليها من النواحى من الغلال وغيرها ، وما يُصرف منها على الإصطبلات الشريفة والمُنَاخات السلطانية وغير ذلك .

الوظيفة الخامسةَ عشرةَ – نظر المواريث الحَشْرِيَّة . وموضوعها التحدّث على ديوان المواريث الحشرية ممن يموت ولا وارث له ، أو وله وارث لايستغرق ميراثه ، مع التحدّث فى إطلاق جميع الموتى من المسلمين وغيرهم .

الوظيفة السادسةَ عشرةَ – نظر الطواحين السلطانية بمصر بالصناعة أيضا . وهو مغلق عظيم فيه عشرة حجارة يخرج منها فى كل يوم نحو خمسين تليسا .

الوظيفة السابعة عشرة – نظر الحاصلات . وهو المعبَّر عنه بنظر الجهات ؛ وموضوعه التحدّث فى أموال جهات الوزارة من متحصَّل ومصروف أو حمل لبيت المال وغيره .

الوظيفة الثامنة عشرة – نظر المرتَجَعات . وموضوعها التحدّث على ما يُرتَجَع ممن يموت من الأمراء ونحو ذلك ، وقد رُفِضت هذه الوظيفة وتعطّلت ولايتها فى الغالب وصار أمر المرتَجَع موقوفا على مستوفِى المرتجع ، وهو الذى يحكم فى القضايا الديوانية ويفصلها على مُصطَلَح الديوان ، وهو المعبر عنه بديوان السلطان .

الوظيفة التاسعة عشرة – نظر الجيزة . وموضوعها التحدّث على ما يَتحصَّل من عمل الجيزيَّة التى هى خاص السلطان ، وهى فرع من فروع الدواوين .

الوظيفة العشرون – نظر الوجه القبلى . وموضوعها التحدّث على بلاد الصعيد بأسرها مما يَتحصَّل فيها من ميراث وغيره .

الوظيفة الحادية والعشرون ـ نظر الوجه البحرىّ . وموضوعها كموضوع نظر الوجه القبلىّ المتقدّم ذكره .

الوظيفة الثانية والعشرون ـ صَحَابة ديوان الجيش . وموضوعها التحدّث فى كل ما يتحدّث فيه ناظر الجيش من أمر الإقطاعات .

الوظيفة الثالثة والعشرون ـ صَحَابة ديوان البيمارستان . وموضوعها التحدّث فى كل ما يتحدّث فيه ناظر البيمارستان .

الوظيفة الرابعة والعشرون ـ صَحَابة ديوان الأحباس . وصاحبها يكتب فى كل ما يكتب فيه ناظر الأحباس إلا أنها بطَلَتْ .

الوظيفة الخامسة والعشرون ـ آستيفاء الصحبة .

آستيفاء الدولة (١)

النـــوع الثانى

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم صنفان)

الصـــنف الأوّل

(من له مجلس بالحضرة السلطانية بدار العدل الشريف ، وهو منحصر فى خمس وظائف)

الوظيفة الأولىٰ ـ قضاء القضاة . وموضوعها التحدّثُ فى الأحكام الشرعيـة وتنفيذ قضاياها ، والقيامُ بالأوامر الشرعية ، والفصل بين الخصوم ، ونصب النوّاب

---

(١) تقدم الكلام عليهما فى الكلام علىٰ توابع الوظيفة الأولىٰ من هذا النوع وهى الوزارة فرأى أنه لا داعى الىٰ الإعادة فلا سقط كما قد يتوهم .

للتحدث فيما عَسُر عليه مباشرته بنفسه ، وهى أرفع الوظائف الدينية واعلاها قدرا وأجلّها رتبة .

وآعلم أن الأمر فى الزمن الأوّل كان قاصرا على قاضٍ واحد بالديار المصرية من أىّ مذهب كان، بل كان فى الدولة الفاطمية قاضٍ واحدٌ بالديار المصرية، وأجنادِ الشام، وبلادالمغرب ، مضافٌ إليه التحدّث فى أمر الصلاة ودُور الضرب وغير ذلك على ماستقف عليه فى تقاليد بعض قضاتهم فى الكلام على تقاليد القضاة إن شاء الله تعالى، ثم آستقرّ الحال فى الأيّام الظاهرية بيبرس فى سنة ثلاث وستين وستمائة على أربعة قضاة من مذاهب الأئمة الأربعة : الشافعىّ ومالك وأبى حنيفة وأحمدبن حَنْبَل رضى الله عنهم، وكان السبب فى ذلك فيما ذكره صاحب "نهاية الأرب" أن قضاء القضاة بالديار المصرية كان يومئذٍ بيد القاضى تاج الدين عبد الوهاب آبن بنت الأعزّ بمفرده ، وكان الأمير جمال الدين ايدغدى أحد أمراء السلطان الملك الظاهر المتقدّم ذكره يعانده فى أموره، ويغُضّ منه عند السلطان، لتثبّته فى الأمور وتوقفه فى الأحكام . فبينما السلطان ذاتَ يوم جالس بدار العدل إذ رُفعت إليه قصة بسبب مكانٍ باعه القاضى بدر الدين السنجارىّ ، ثم آدّعى ذرّيته بعد وفاته أنه موقوف، فأخذ الأمير ايدغدى يَغُضّ من القُضاة بحضرة السلطان ،فبكت السلطان لذلك ، ثم قال للقاضى تاج الدين : ما الحكم فى ذلك ؟ قال : إذا ثبتت الوقفية يستعادُ الثمن من تركة البائع ، قال : فإن عجزت التركة عن ذلك ، قال : يوقف على حاله ، فآمتعض لها السلطان وسكت ، ثم جرى فى المجلس ذكرُ أمور أخرى توقف القاضى فى تمشيتها ، وكان آخرُ الأمر أن الأمير ايدغدى حَسَّنَ للسلطان نصبَ أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ففعل ، وأقرّ القاضى تاجَ الدين آبن بنت الأعزّ فى قضاء الشافعية، وولّى الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح

السبكيّ قضاة المالكية ، والقاضى بدر الدين بن سلمان قضاة الحنفية ، والقاضى شمسُ الدين محمد آبن الشيخ عماد الدين إبراهيم القدسيّ قضاة الحنابلة ، وجعل لهم الأربعة أن يولُّوا النوّاب بأعمال الديار المصرية ، وأفرد القاضيَ تاج الدين بالنظر فى مال الأيتام والأوقاف ، وكُتِبَ له بذلك تقليدٌ من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر أوّله "الحمد لله مجرِّد سيف الحق على مَنْ آعتدى". ثم كل من الأربعة له التحدّث فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة والفُسْطَاط ، ونصب النوّاب ، وإجلاس الشهود ، ويستقلُّ الشافعيّ منهم بتولية النوّاب بنواحى الوجهين القبليّ والبحريّ لا يشاركه فيه غيره .

الوظيفة الثانية — قضاء العسكر . وهى وظيفة جليلة قديمة كانت فى زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان قاضى عسكره بهاء الدين بن (١)

وموضوعها أن صاحبها يحضُر بدار العدل مع القُضاة المتقدّم ذكرهم ، ويسافر مع السلطان إذا سافر ، وهم ثلاثة نفر : شافعيّ ، وحنفيّ ، ومالكيّ ، وليس للحنابلة منهم حظ ، وجلوسهم فى دار العدل دون القُضاة الأربعة المتقدّمى الذكر على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة — إفتاء دار العدل . وموضوعها على نحو ما تقدّم فى قضاء العسكر ، وبها أربعة نفر ، من كل مذهب واحد ، وجلوسهم دون قُضاة العسكر على ما يأتى ذكره .

الوظيفة الرابعة — وَكَالة بيت المال . وهى وظيفة عظيمة الشأن رفيعة القدر ، وموضوعها التحدُّث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشتَرَياته من أراض وآدُر وغير ذلك ، والمعاقدة على ذلك وما يجرى هذا المجرى . قال فى "مسالك الأبصار":

(١) بياض بالأصل .

ولا يليها إلا أهل العلم والديانة ، ومجلسه بدار العدل : تارة يكون دون المحتَسِب ، وتارة فوقه بحسب رفعة قدر كل منهما فى نفسه .

الوظيفة الخامسة ـ الحِسْبة . وهى وظيفة جليلة رفيعة الشأن ، وموضوعها التحدّث فى الأمر والنهى ، والتحدّث على المعايش والصنائع ، والأخذُ على يد الخارج عن طريق الصلاح فى معيشته وصناعته . وبالحضرة السلطانية محتسبان : أحدهما بالقاهرة ، وهو أعظمهما قدرا وأرفعهما شأنا ، وله التصرف بالحكم والتولية بالوجه البحرى بكماله خلا الإسْكَنْدرِيَّة ، فإن لها محتسبا يخُصها ، والثانى بالفُسْطَاط ومرتبته منحطة عن الأوّل ، وله التحدّث والتولية بالوجه القبلىّ بكماله ، والذى يجلس منهما بدار العدل فى أيام المواكب محتسب القاهرة فقط دون محتسب مصر ، ومحلُّ جلوسه دون وكيل بيت المال ، وربما جلس أعلى منه إذا كان أرفع منه بعلم أو نحوه .

الصنف الثانى

(من أرباب الوظائف الدينية من لامَجلِسَ له بالحضرة السلطانية)

وهذه الوظائف لاحصْرَ لعددها على التفصيل ، ولا سبيلَ إلى آستيفاء ذكرها على تفاوُت المراتب فوجب الاقتصار على ذكر المُهِمّ منها .

ثم هذه الوظائف منها ماهو مختصٌّ بشخص واحد ، ومنها ماهو عامٌّ فى أشخاص .

فأما التى هى مختصة بشخص واحد .

فمنها (نِقَابة الأشراف) وهى وظيفة شريفة ، ومرتبة نفيسة ، موضوعها التحدّث على ولد علىّ بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهم المراد بالأشراف ، فى الفحص عن أنسابهم والتحدّث فى أقاربهم

والأخذ على يد المتعدّى منهم ونحو ذلك ، وكان يعبَّر عنها فى زمن الخلفاء المتقدّمين بنقابة الطالبيِّين .

ومنها (مشيخة الشيوخ) والمراد بها مشيخة الخانقاه التى أنشأها الملك الناصر محمد آبن قلاوون بسرياقوس من ضواحى القاهرة .

أمّا مشيخة الخانقاه الصلاحية بالقاهرة المعروفة بسعيد السعداء، فإنها وإن قَدُم زمنها وعَظُم قدرها دونَ تلك فى المشيخة .

ومنها (نَظَر الأحبـاس المبرورة) وهى وظيفة عاليـة المقـدار ؛ وموضوعها أنّ صاحبها يتحدّث فى رِزق الجوامع والمساجد والرُّبُط والزوايا والمدارس من الأرضين المفردة لذلك من نواحى الديار المصرية خاصةً ، وما هو من ذلك على سبيل البِرّ والصدقة لأناس معيَّنين ، وأصل هذه الوظيفة أن اللَّيْثَ بن سعد رحمه الله آشترى أراضىَ من بيت المـال فى نواحٍ من البُلْدان وحَبَّسها على وجوه البِرّ ، وهى المسماة بديوان الأحبـاس بوجوه العين ، ثم أضيـف إلى ذلك الرِّبَاعُ والدور المعروفة بالفُسْطَاطِ وغيره ، ثم أضيف إليها رِزَق الخطابات ، ثم كثرت الرِّزَق من الأرضين فى الدولة الظاهرية بيبرس بواسطة الصاحب بهاء الدين بن حنا وأخذت فى الزيادة إلى زماننا؛ وهى تارة يتحدّث فيها السلطان بنفسه، وتارة النائب، وفى غالب الوقت يتحدّث فيها الدَّوادار الكبير على ما آستقرّ عليه الحال آخرا .

ومنها (نظر البيمارستان) والمراد البيمارستان المنصورىّ الذى أنشأه المنصور قلاوون بين القصرين ، وكان داراً لِستّ الملك أخت الحاكم الفاطمىّ فغيـرَّ معالمه وزاد فيـه ، وليس له نظير فى الدنيـا فى بِرّه ومعروفه ؛ وهى من أجلّ الوظـائف وأعلاها؛ وعادةُ النظر فيه من أصحاب السيوف لأكبر الأمراء بالديار المصرية .

وأمّا التى هى عامّة فى أشخاص .

فمنها (الخَطَابة) وهى فى الحقيقة أجلّ الوظائف وأعلاها رتبة، إذ كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعلها بنفسه، ثم فعلها الخلفاء الراشدون فمَنْ بعدهم، وهى على كثرة الجوامع بالديار المصرية بحيث إنها لاتحصى كَثْرَةً ـ لا يتعلق منها بولاية السلطان إلا القليل النادر: كجامع القلعة إلا إذا كان مفردا عن القضاء ونحو ذلك مما لا ناظر له خاصٌّ .

ومنها (التداريس) وهى على آختلاف أنواعها من الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة وغير ذلك لا يولِّى السلطان فيها إلا فيما يَعْظُمُ خَطَره و يرتفع شأنه مما لا ناظر له خاصٌّ كالمدرسة الصلاحية بجوار تربة الإمام الشافعىّ رضى الله عنه، والزاوية الصلاحية بالجامع العتيق بالفُسْطَاط، وهى المعروفة بالخشابية، والمدرسة المنصورية بالبيمارستان المنصورىّ المتقدّم ذكره بين القصرين، ودرس الجامع الطولونى ونحو ذلك .

المقصد الرابع

(فى زِىّ أعيان المملكة من أرباب المناصب السلطانية بالديار المصرية فى لبسهم وركوبهم، وهم أربع طوائف)

الطائفة الأولى

(أرباب السُّيوف، وزِيُّهم راجع إلى أمرين)

الأمر الأوّل (لُبْسهم) . ويختلف الحال فيه بآعتبار مواضع اللُّبس من البدن .

فأما مابه تَغْطِيَةُ رءُوسهم، فقد تقدّم أنهم كانوا فى الدولة الأيوبية يلبسون كَلُّوتات صُفْر بغير عمائم، وكانت لهم ذوائبُ شعر يرسلونها خلفهم . فلما كانت الدولة

الأشرفية "خليل بن قلاوون" رحمه الله، غير لونها من الصُّفْرَةِ إلى الحُمْرَة وأمر بالعمائم من فوقها، و بقيت كذلك حتى حجّ الملكُ الناصر "محمد بن قلاوون" رحمه الله فى أواخر دولتـه فحلق رأسـه فحلق الجميع رءوسهم، وآستمرّوا على الحلق إلى الآن ، وكانت عمـامتهم صغيرة فزيد فى قدرها فى الدولة الأشرفية " شعبان بن حسين " فحسُنت هيئتها وجادت ، وهى على ذلك إلى زماننا .

وأما ثياب أبدانهم فيلْبَسون الأقبية التَتَرِيَّة والتكلاوات فوقها ثم القَبَاء الإسلامىّ فوق ذلك، يشدّ عليه السيف من جهة اليسار والصولق والكرّالك من جهة اليمين .

قال السـلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تاريخه" : وأوّل من أمر بذلك غازى بن زنكى أخو العادل نور الدين الشهيد حين ملك المَوْصِلَ بعـد أبيه ، ثم الأمراء والمقدَّمون وأعيان الجند تلبس فوقه أقبيةً قصيرةَ الأكمام أقصرَ من القَبَاء التحتانىّ بلا تفاوت كبير فى قِصَر الكُمّ وطوله ، مع سَعَة الكم القصير وضيق الأكمام الطويلة .

ثم إن كان زمنُ الصيف كان جميع القماش من الفوقانىّ وغيره أبيضَ من النصافى ونحوه، وتشـدّ فوق القَبَاء الإسلامىّ المِنْطَقَةُ، وهى الحيـاصة، ومعظم مناطقهم من الفضة المطلية بالذهب، و ربمـا جُعِلت من الذهب ، وقد تُرصَّع باليشم . قال فى "مسالك الأبصار" : ولا تُرصَّع بالجواهر إلا فى خلع السـلطان لأكابر أمراء المِئين .

و إن كان زمنُ الشتاء كانت فوقانياتهم ملوّنة من الصوف النفيس والحرير الفائق، تحتها فِرَاءُ السِّنجاب الغض . و يلبس أكابر الأمراء السَّمُّورَ ، والوشق ، والقاقم
Hermine. B. carier Zibel. p.gris
والفنك ، ويجعل فى المِنْطَقَة منديلا لطيفا مُسْـدَلا على الصولق ، ومعظمهم يلبس

المطرز على الكُمّين من الزركش أو الحرير الأسود المرقوم . قال فى "المسالك" : ولا يَلْبَسُ المُطَرّزَ إلا مَنْ له إقطاع فى الحَلْقَةِ ، أما مَنْ هو بعدُ بالجامكية ، فلا يتعاطى ذلك .

وأما ما يجعل فى أرجلهم ، فإن كان فى الصيف لَبِسوا الخفاف البيض العَلَوية ، وإن كان فى الشتاء لبسوا الخِفَاف الصفر من الأديم الطائفى ، ويشدّون المهاميز المسَقَّطة بالفضة فى القدم على الخف . قال فى "مسالك الأبصار" : ولا يُكَفَّت مِهْمازَه بالذهب إلا مَنْ له إقطاع فى الحَلْقة على ما تقدّم فى لبس المطرّز .

الأمر الثانى (ركوبهم) . أما مايركبون ، فالخيل المُسَوَّمَةُ النفيسة الأثمان خصوصا الأمراء ومن يُلْحق بشأْوِهم ، ولا يركبون البغال بحال بل تركبها غلمانهم خلفهم بالقُماش النفيس والهيئة الحسنة والقوالب المحلاة بالفضة ، وربما غُشّى جميعها بالفضة بل ربما غُشّى جميعها بالذهب للسلطان وأعيان الأمراء ، ومعها العِبِيّ السابلة الملوّنة من الصوف الفائق ، وربما جعلت من الحرير لأعيانهم ، وقد يتخذ بدلها الكنابيش بالحواشى المَخَايش ، وربما كانت زركشا للسلطان والأمراء ، وتحلّى لُجُمُهم وتُسَقَّط بالفضة بحسب آختيار صاحبها ، ويجعل الدَّبُّوس فى حَلْقة متصلة بالسرج تحت ركبته اليمنى . قال صاحب حماة : وأوّل من أمرهم بذلك غازى بن زنكى حين أمرهم بشدّ السيوف فى أوساطهم على ما تقدّم ذكره . قال فى "مسالك الأبصار" : وعلى الجملة فزِيُّهم ظريف وعُدَدُهم فائقة نفيسة .

الطائفة الثانية

(أرباب الوظائف الدينية من القُضاة وسائر العلماء ، وزِيُّهم راجع أيضا إلى أمرين)

الأمر الأوّل (ملبوسهم) . ويختلف ذلك بآختلاف مراتبهم ، فالقضاة والعلماء

منهم يلْبَسون العمائم من الشاشات الكبار للغاية ، ثم منهم من يرسل بين كتفيه ذُؤابة تلحق قَرَبُوسَ سرجه إذا ركب، ومنهم من يجعل عِوَض الذُّؤابة الطيلسانَ الفائق، ويَلْبَسُ فوق ثيابه دلقا متسعَ الأكمام طويلَها مفتوحا فوق كتفيه بغير تفريج، سابلا على قدميه. ويتميز قُضاة القضاة الشافعيّ والحنفيّ بلُبْس طرحة تسترُ عمامته وتنسدل على ظهره ، وكان قبل ذلك مختصا بالشافعيّ ؛ ومَنْ دون هذه منهم تكون عمـامته ألطف، ويلبس بدل الدلق فَرَجيَّة مفرجة من قدّامه من أعلاها إلى أسفلها مزرّرة بالأزرار ، وليس فيهم من يَلْبَس الحرير، ولا ما غلب فيه الحرير؛ وإن كان شتاء كان الفَوْقانى من ملبوسهم من الصوف الأبيض الملطيّ، ولا يلبسون الملوّن إلا فى بيوتهم، وربمـا لبسه بعضهم من الصوف فى الطرقات، ويلبسون الخِفَاف من الأديم الطائفيّ بغير مَهامِيز.

الأمر الثانى (مركوبهم) . أما أعيان هذه الطائفة من القُضاة ونحوهم فيركبون البِغَال النفيسة المساوية فى الأثمـان لمُسَوَّمَاتِ الخيول، بلُجُم ثِقَال وسروج مدهونة غير مُحلَّاة بشيء من الفضة ، ويجعلون حول السرج قرقشينا من جوخ . قال فى "مسالك الأبصار" : وهو شبيه بثوب السرج مختصر منه، ويجعلون بدل العبي الكنابيش من الصوف المرقوم محاذية لكفل البغلة، ويمتاز قضاة القضاة بأن يجعل بدل ذلك الزنارىّ من الجوخ،وهو شبيه بالعباءة مستدير من وراء الكَفَل ولا يعلوه بردنب ولا قوش، وربمـا رَكِبوا بالكنابيش . وأما من دون هؤلاء من هذه الطائفة فربما ركبوا الخيول بالكنابيش والعبي .

الطائفـــة الثـالثة

(مشايخ الصوفية)

وهم مُضاهُون لطائفة العلماء فى لبس الدلق إلا أنه يكون غير سابل ، ولا طويل الكُمّ ، ويُرْخون ذؤابة لطيفة علىٰ الأذن اليسرىٰ لا تكاد تلحق الكتف ، ويركبون البغال بالكابيش علىٰ نحو ما تقدّم .

الطائفة الرابعـــة

(أرباب الوظائف الديوانية)

أما أعيانهم كالوزراء ومَنْ ضاهاهم ، فيلبسون الفراجى المضاهية لفراجى العلمـاء المتقدّمة الذكر، وربمـا لَبِسوا الجِبَاب المفرجة من ورائها . وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أن أكابرهم كانوا يجعلون فى أكمامهم بادهنجات مفتوحة ؛ وقد صار ذلك الآن قاصرا علىٰ ما يلبسونه من التشاريف . ومَنْ دون هؤلاء يلبسون الفرجيات المفرجة من ورائها علىٰ ما تقدّم .

وأما ركوبهم فيضاهى ركوب الجند أو يقاربه . قال فى "مسالك الأبصار" : وتجمّل هذه الطائفة بمصر أكمل مما هم بالشام فى زيّهم وملبوسهم ، إلا ما يحكىٰ عن قبْط مصر فى بيوتهم من اتساع الأحوال والنفقات ، حتّىٰ إن الواحد منهم يكون فى ديوانه بأدنىٰ اللباس ويأكل أدنىٰ المآكل ، ويركب الحمار ، حتّىٰ إذا صار فى بيته انتقل من حال إلىٰ حال وخرج من عدم إلىٰ وجود . قال : ولقد تبالغ النـاس فيما تحكى من ذلك عنهم .

المقصـــد الخامس

(في هيئة السلطان في ترتيب الملك ، وله ثلاث[1] هيئات)

الهيئـــة الأولىٰ

(هيئته في جلوسه بدار العدل لخلاص المَظالم)

عادةُ هذا السلطان إذا كان بالقلعة في غير شهر رمضان أن يجلس بُكْرَةَ يوم الاثنين بإيوانه الكبير المسمّٰى بدار العدل المتقدّم ذكره مع ذكر القلعة في الكلام علىٰ حاضرة الديار المصرية؛ ويكون جلوسه علىٰ الكرسيّ الذي هو موضوع تحت سرير المُلْك . قال في "مسالك الأبصار" : ويجلس علىٰ يمينه قُضاة القُضاة من المذاهب الأربعة، ثم وكيل بيت المـال، ثم الناظر في الحسبة . ويجلس علىٰ يساره كاتب السِّرّ، وقدامه ناظر الجيش وجماعةُ الموقِّعين تكملة حَلْقَةٍ دائرة . قال : وإن كان الوزير من أرباب الأقلام ، كان بينه وبين كاتب السر ، وإن كان من أرباب السـيوف، كان واقفا علىٰ بُعْـدٍ مع بقيـة أرباب الوظائف . وكذلك إن كان ثَمَّ نائب وقف مع أرباب الوظائف . ويقف من وراء السلطان مماليكُ صِغار عن يمينه ويساره من السلاحدارية والجمدارية والخاصكية؛ ويجلس علىٰ بُعْـد بقدر خمسةَ عشرَ ذراعا من يَمْنته ويَسْرته ذوو السنّ من أكابر أمراء المِئِين ، وهم أمراء المَشُورَةِ ؛ ويليهم مِن أسـفلَ منهـم أكابرُ الأمراء ، وأربابُ الوظائف وقوفٌ ، وباقي الأمراء وقوف من وراء المَشُورَة؛ ويقف خلْفَ هذه الحَلْقَةِ المحيطة بالسلطان الحُجَّابُ والدَّوادارية لإحضار قِصَص أرباب الضرورات وإحضار المساكين ، وتقرأ عليه القصص فما احتاج فيه إلىٰ مراجعة القضاة راجعهم فيه ،وما كان متعلقا بالعسكر تحدّث فيه مع الحاجب وناظر الجيش ، ويأمر في البقية بما يراه .

(١) الصواب سبع كما عبر به في الضوء، وهي في العدد أيضا سبع كما ستراه .

قلت : وقد آستقرّ الحال على أن يكون عن يمينه قاضيان من القضاة الأربعة : وهما الشافعىّ والمالكىّ، وعن يساره قاضيان وهما الحنفىّ ثم الحنبلىّ؛ ويلى القاضى المالكىّ من الجانب الأيمن قُضاةُ العسكر الثلاثةُ المتقدّم ذكرهم الشافعىّ ثم الحنفىّ ثم المالكى؛ ويليهم مُفْتُو دار العدل على هذا الترتيب؛ ويليهم وكيلُ بيت المال ثم الناظر فى الحِسْبة بالقاهرة، وربما جلس المحتسب فوق وكيل بيتِ المال إذا علا قَدْرُه عليه بعِلْمٍ أو رياسة . كل هؤلاء صفٌّ واحدٌ عن يمين السلطان مستدبرين جِدارَ صدر الإيوان مستقبلين بابه، والقاضيان الحنفىّ والحنبلىّ كذلك من الجانب الأيسر، والوزير إن كان من أرباب الأقلام إلى جانب الكرسىّ من الجانب الأيسر بانحراف، وكاتب السرّ يليه، وتستدير الحَلْقَةُ حتّى يصير الجالس بها مستدبرا باب الإيوان على ماتقدّمت الإشارة إليه فى كلام "مسالك الأبصار" .

الهيئة الثانيـــة
(هيئتـــه فى بقيّـــة الأيام)

عادته فيما عدا الآثنين والخميس من الأيام أن يخرج من قُصُوره الجَوّانيـة المتقدّم ذكرها إلى قصره الكبير المُشْرِف على إصطبلاته، ثم تارة يجلس على تخت الملك الذى بصَدْره، وتارة يجلس على الأرض، ويقف الأمراء حوله على ما تقدّم فى الجلوس فى الإيوان، خلا أمراء المَشُورَة والغرباء منه فليس لهم عادة بحضور هذا المجلس إلاّ مَنْ دعت الحاجة إلى حضوره، ثم يقوم فى الثالثة من النهار فيدخل إلى قصوره الجوّانية لمصالح ملكه، ويعبر عليه خاصته من أرباب الوظائف كالوزير، وكاتب السر، وناظر الخاص، وناظر الجيش فى الأشغال المتعلقة به على ماتدعو الحاجة إليه.

الهيئة الثالثـــة

(هيئته فى صلاة الجمعة والعيدين)

أما صـلاة الجمعة فإن عادته أن يخرج إلىٰ الجامع المجاور لقصره المتقـدّم ذكره من القصر، ومعه خاصة أمرائه، فيدخل من أقرب أبواب الجامع للقصر، ويصلّى فى مقصورة فى الجامع عن يمين المِحْراب خاصـة، ويصلّى عنده فيها أكابر خاصته، ويجىء بقية الأمراء: خاصّتهم وعامّتهم فيصلون خارج المقصورة عن يمينها ويسارها علىٰ مراتبهم، فإذا فرغ من الصلاة دخل إلىٰ دُور حريمه وذهب الأمراء كلُّ أحد إلىٰ مكانه .

وأما صلاة العيدين، فعادته أن يركب من باب قصره وينزل من مَنْفَذة من الإصطبل إلىٰ الميدان الملاصـق له، وقد ضُرب له فيـه دِهْليز علىٰ أكمل ما يكون من الهيئة، ويَحْضُر خطيب جامع القلعة إلىٰ الميدان فيصلى به العيد ويخطب، فإذا فرغ من سمـاع الخطبة ركب وخرج من باب الميـدان والأمراء والممـاليك يمشون حوله، وعلىٰ رأسه العصائب السلطانية، والغاشية محمولة أمامه، والجتر وهو المظلة محمول علىٰ رأســه مع أحد أكابر الأمراء المقدّمين وهو راكب فرسا إلىٰ جانبـه، والأوشاقِيَّان[(١)] الجفتة المتقدّم ذكرهمـا راكبان أمامه، وخلفه الجنائب، وعلىٰ رأســه العصائب السُّلْطانية، وأرباب الوظائف من السلاحدارية كلُّهم خلفه، والطَّبَرْدارية أمامه مشاة بأيديهم الأطبـار، ويطلُع من باب الإصطبل ويطلُع إلىٰ الإيوان الكبير المقدّم ذكره، ويمدّ السماط ويَخْلَع علىٰ حامل الجتر، وأمير سلاح، والأسـتادار، والجاشنكير، وجماعة من أرباب الوظائف ممن لهم خدمة فى مُهِمِّ العيـد كنوّاب أستادار، وصغار الجاشنكيرية، وناظر البيوت ونحوهم .

---

(١) لم يذكر هذه الجملة فى الضوء وعدم ذكرها أولىٰ لانها سبقت .

الهيئة الرابعة

(هيئته للعب الكرة بالميدان الأكبر)

عادته أن يركب لذلك بعد وفاء النيل ثلاثة مواكب متوالية فى كل سبت ينزل من قصره أول النهار من باب الإصطبل، وهو راكب على الهيئة المذكورة فى العيد ماعدا الجتر فإنه لا يحمل على رأسه، وتحمل الغاشية أمامه فى أول الطريق وآخره، ويصير إلى الميدان فينزل فى قصوره، وينزل الأمراء منازلهم على قدر طبقاتهم، ثم يركب للعب الكرة بعد صلاة الظهر والأمراء معه، ثم ينزل فيستريح، ويستمرّ الأمراء فى لعب الكرة إلى أذان العصر، فيصلى العصر ويركب على الهيئة التى كان عليها فى أول النهار ويطلع إلى قصره .

الهيئة الخامسة

(هيئته فى الركوب لكسر الخليج عند وفاء النيل)

واعلم أن السلطان قد يركب لكسر الخليج، ولم تجر العادة بركوبه فيه بمظلة ولا رقبة فرس، ولا غاشية، ولا ما فى معنى ذلك مما تقدم ذكره فى ركوب الميدان والعيدين، بل يقتصر على السناجق، والطبردارية، والجاويشية ونحو ذلك، ويركب من القلعة عند طلوع صاحب المقياس بالوفاء فى أىّ وقت كان، ويتوجه إلى المقياس فيدخله من بابه ويمدّ هناك سماطا يأكل منه من معه من الأمراء والمماليك، ثم يذاب زعفران فى إناء ويتناوله صاحب المقياس ويسبح فى فسقية المقياس حتى يأتى العمود والإناء الزعفران بيده فيخلّق العمود، ثم يعود ويخلّق جوانب الفسقية وتكون حرّاقة السلطان قد زيّنت بأنواع الزينة، وكذلك حراريق الأمراء، وقد فتح شبّاك المقياس المطلّ على النيل من جهة الفسطاط وعلّق عليه ستر، فيؤتى بحرّاقة

السلطان إلىٰ ذلك الشباك فينزل منه ويَتَسَبَّحُ وحراريق الأمراء حوله وقد شحن البحر بمراكب المتفرجين ، يسيرون خلف الحراريق حتّٰى يدخل إلىٰ فم الخليج ، وحراقة السلطان العظمىٰ المعروفة بالذَّهبيَّة وحراريقُ الأمراء يلعب بها فى وسط ٱمتدادها ، ويرمى بمدافع النَّفْط علىٰ مقدامها، ويسير السلطان فى حراقته الصغيرة حتّٰى يأتىَ السدّ فيُقْطَعَ بحضوره، ويركب وينصرف إلىٰ القلعة .

الهيئة السادسة

(هيئتـــه فى أســـفاره)

ولم تجر العادة فيها باظهار ماتقدّم من الزينة فى موكب العيد والميدان، بل يركب فى عدّة كبيرة من الأمراء : الأكابر والأصاغر ،والخواصّ، والغرباء، وخواصّ مماليكه . ولا يركب فى السَّيْر برقبة ولا عصائب ،ولا تتبعه جنائب ، ويقصد فى الغالب تأخير النزول إلىٰ الليل . فإذا دخل الليـل حُملت أمامه فوانيس كثيرةٌ ومَشَاعلُ ، فإذا قارب مُخَيَّمه ، تُلُقِّيَ بالشموع المركبـة فى الشمعدانات المكَفَّتَة ، وصاحت الجاويشية بين يديه ،وترجل الناس كافة إلا حَمَلة السلاح والأوشاقيةُ وراءه، ومشت الطبردارية حوله حتّٰى يدخل الدهليز الأوّل من مُخَيَّمه فينزل ويدخل إلىٰ الشـقة ، وهى خيمة مستديرة متسـعة ، ثم منها إلىٰ شقة مختصرة ، ثم إلىٰ لاجوق . وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخلها سور خركاه من خشب،وفى صدر اللّاجُوق قصرٌ صغير من خشب ينصب لمبيت فيه ، وينصب بإزاء الشقة حَمّـامٌ بقدور من رَصَاص وحوض علىٰ هيئـة الحمـامات بالمدن إلا أنه مختصر . فإذا نام طافت به المماليك دائرةً وطاف بالجميع الحَرَس، وتدور الزَّفَّة حول الدهليز فى كل ليلة مرتين: عند نومه وعند ٱستيقاظه من النوم،ويطوف مع الزَّفَّة أميرٌ من أكابر الأمراء وحوله

الفوانيس والمشاعل، ويبيت على باب الدهليز أرباب الوظائف من النقباء وغيرهم. فإذا دخل إلى المدينة، ركب على هيئة ركوبه لصلاة العيد بالمظلة وغيرها، هذا ما يتعلق بخاصته.

أما موكبه الذى يسير فيه جمهور مماليكه، فشعاره أن يكون معهم مقدم المماليك والأستادار، وأمامهم الخزائن والجنائب والهجن، ويكون بصحبته فى السفر من كل ما تدعو الحاجة إليه من الأطباء والكحالين والجرائحية وأنواع الأدوية والأشربة والعقاقير وما يجرى مجرى ذلك، يُصْرَف ذلك لمن يعرض له مرض بالطريق.

الهيئة السابعة

(النوم)

وقد جرت العادة أنه يبيت عنده خواصّ مماليكه من الأمراء وأرباب الوظائف من الجمدارية وغيرهم، يَتَنَاهَرون بالنَّوْبَة بقسمة بينهم على بناكيم الرمل، كلما انقضت نَوْبَةٌ قوم أيقظوا أصحاب النوبة الذين يلونهم، ويتعانى كل منهم ما يشاغله عن النوم فقوم يقرءون فى المصاحف، وقوم يلعبون بالشِّطْرَنْج والأكل (١) وغير ذلك.

(١) أى وقوم يتشاغلون بالأكل الخ.

المقصـــد السادس

(فى عادته فى إجراء الأرزاق، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(الجارى المستمر، وهو على نوعين)

النـــوع الأوّل

(الإقطاعات)

والإقطاعات فى هـذه المملكة تجرى على الأمراء والجُنْد ، وعامة إقطاعاتهم بلاد وأراضٍ يَسْتَغِلُّها مُقْطَعُها ويتصرف فيها كيف شاء، وربما كان فيها نقد يتناوله من جهات وهو القليل ، وتختلف بآختلاف حال أربابها .

فأما الأمراء بالديار المصرية فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أنّ أكابر الأمراء يبلغ إقطاعُ الواحد منهم مائتى ألف دينار جيشية ، وربما زاد على ذلك . ويتناقص بآعتبار آنحطاط الرتبة إلى ثمانين ألف دينار وما حولها ، ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء الطبلخاناه ثلاثين ألف دينار فأكثر، وينقص إلى ثلاثة وعشرين ألف دينار، ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء العشرات تسعة آلاف دينار إلى مادون ذلك، ويبلغ إقطاع الواحد من مقدّمى الحَلْقة إلى ألف وخمسمائة دينار ، وكذلك أعيان جند الحَلْقة إلى مائتين وخمسين دينارا .

وأما إقطاعات الشام فلا تُقارب هـذا المقدارَ بل تكون بقدر الثلثين فى جميع المتقدم، خلا أكابر الأمراء المقدّمين بالديار المصرية، فليس بالشام من يبلغ شأوهم إلا نائب الشام فإنه يقاربهم فى ذلك . قال فى "مسالك الأبصار" : وليس للنوّاب فى الممالك مَدْخَل فى تأمير أمير عِوَضَ أمير بل إذا مات أميرٌ صغير أو كبير طولع به

السلطان فأمَّرَ مكانه مَنْ أراد ممن فى خدمته، ويخرجه إلىٰ مكان الخدمة، وأما مَنْ كان فى مكان الخدمة أو ينقل إليه من بلد آخر فعلىٰ ما يراه فى ذلك .

أما جُنْـد الحَلْقة، فمن مات منهم آستخدم النائب عِوَضَـه، وكتب بذلك رُقْعة فى ديوان جيش تلك المملكة، ويُجَهِّزُ مع بريدىّ إلىٰ الأبواب السلطانية فيُقَابَلُ عليها من ديوان الجيش بالحضرة، ثم إن أمضاها السلطان كتب عليها (يكتب) ويكتب بها مربعة من ديوان الجيش، ويكتب عليها منشور .

ولجميع الأمراء بحضرة السلطان الرواتبُ الجاريةُ فى كل يوم: من اللحم، والتَّوابل، والخبز، والعليق، والزيت؛ ولأعيانهم الكسوة والشَّمعُ؛ وكذلك المماليك السلطانية وذوُو الوظائف من الجنـد مع تفاوُت مقادير ذلك بحَسَب مراتبهم وخُصوصيّتهم عند السلطان وقربهم إليه . قال فى "مسالك الأبصار" : وإذا نشأ لأحد الأمراء ولد، أطلق له دنانيرُ وخبزٌ ولحم وعليق إلىٰ أن يتأهل للإقطاع فى جملة الحَلْقة، ثم منهم من ينقل إلىٰ العشرة أو الطبلخاناه علىٰ حسب الحظوظ والأرزاق .

النوع الثـانى

(رزق أرباب الأقــلام)

وهو مبلغٌ يصرف إليهـم مُشاهَرة . قال فى "مسالك الأبصـار" : وأكبرهم كالوزير له فى الشهر مائتان وخمسون دينارا جيشية، ومن الرواتب والغَلَّة ما إذا بسط وثمن كان نظير ذلك، ثم دونَ ذلك ودونَ دونِه، ولأعيانهم الرواتب الجارية: من اللحم، والخبز، والعليق، والشَّمَع، والسُّكَّر، والكسوة ونحو ذلك، إلىٰ غير ذلك مما هو جار علىٰ العلماء وأهل الصلاح من الرواتب والأراضى المؤبدة، وما يجرى مجراها مما يتوارثه الخلف عن السلف مما لا يوجد بمملكة من الممالك، ولا مصر من الأمصار .

الضـــرب الثـانى

(الإنعام وما يجرى مجراه : مما يقع فى وقتٍ دون وقت، وهو علىٰ خمسة أنواع)

النوع الأوّل

(الخِلَع والتَّشـاريف)

قال فى "المسالك": واصاحب مصر فى ذلك اليدُ الطُّولىٰ حتّىٰ بَقِىَ ببابه سُوقًا يَنْفُقُ فيه كل مجلوب، ويحضُر الناس إليه من كل قُطْرٍ حتّىٰ كاد ذلك يَنْهَك المملكة و يودى بمُتَحَصَّلَاتها عن آخرها . قال : وغالب هذا مما قرّره هذا السلطان ، ولقد أتعب مَنْ يجىء بعده من كثرة الإحسان،

وهى علىٰ ثلاثة أصناف .

الصنف الأوّل

(تشاريف أرباب السيوف)

وهى علىٰ طبقات، أعلاها ماهو مختص بالأمراء المقدّمين من النوّاب وغيرهم فوقانى أطلس أحمر بطرز زركش، مُفَرَّى بسنجاب، بدائره سجف من ظاهره مع غشاء قندس، وتحته قَبَاءٌ أطلس أصفر، وكلوتة زركش بكلاليب ذهب، وشاش رفيع موصول به طرفان من حرير أبيض، مرقومان بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملوّن، ومِنْطَقَة ذهب مركَّبة علىٰ حاشية حرير تشدّ فى وسطه، ويختلف حال المِنْطَقَة بحسب المراتب . فأعلاها أن يعمل من عمدها [بواكير](١) وسَطًا ومجبسين، مرصَّعة بالبَلَخْش والزُّمُرُّد واللُّؤْلُؤ، ثم مَا كَانَ ببيكارية واحدة مرصعة، ثم مَا كَانَ ببيكارية واحدة من غير ترصيع ، فإن كان التشريف لتقليد ولاية مُفَخَّمة ، زيد سيفًا محلًّى بذهب وفرسا مُسْرَجا ملجما بكنبوش زركش، وربما زيد أكابر النوّاب كنائب الشام

(١) الزيادة عن ضوء الصبح .

تركيبة زَرَكَش على الفوقانى ، وشاش حرير سكندرى مموج بالذهب ، ويعرف ذلك بالمتمر . وعلى ذلك كان شاش صاحب حماة ، ويكون عوض كنبوشه زنارى أطلس أحمر ، ودون ذلك من التشاريف أقبية طرد وحش من عمل الإسكندرية ومصر والشام ، مجوّخ : جاخاتٌ مكتوبة بألقاب السلطان ، وجاخاتٌ صُوَرُ وحوش أو طيور صِغَار ، وجاخات ملوّنة مموّجة بقصب مذهب ، يفصل بين جاخاته نقوشٌ ، يركب على القَبَاء طراز زركش ، وعليه السنجاب والقندس كما تقدّم ، وتحته قباء من الطرح السكندرى المفرج ، وكلوتة زركش بكلالِيبَ وشاش كما تقدّم ، وحياصة ذهب تارة تكون ببيكارية وتارة لا تكون ، وهذه لأصاغر أمراء المِئِين ومَنْ يُلْحق بهم ، وكذلك أصحاب الوظائف المختصة بذلك كالجوكندار والولاة ومن يجرى مجراهم[١] .

ثم للتشاريف أماكن .

منها إذا ولى أمير أو صاحب مَنْصب وظيفة فإنه يلبس تشريفا يناسب ولايته التى وَلِيَها على حسب ما تقتضيه الرتبة علوا وهبوطا .

ومنها عيد الفطر ، يخلع فيه على جميع أرباب الوظائف : من الأمراء وأرباب الأقلام كالأستادار والدوادار وأمير سلاح والوزير وكاتب السر وناظر الخاص وناظر الجيش ونحوهم ، كلٌّ منهم بما يناسبه .

قال فى "مسالك الأبصار" : ومن عادة السلطان أن يُعِدَّ لكل عيد خِلْعة على أنها الملبوسة من نسبة خِلَع أكابر المئين فلم يلبسها ، ولكن يختص بها بعضَ أكابر المئين يخلعها عليه .

ومنها الميادين ، يخلع فيها على أكابر الأمراء كل ميدان يختص بأمير أو أكثر يلبس فيه خلعة من المفرّج المُذْهَب .

(١) لم يذكر فى الأصل الصنف الثانى والثالث وهما تشاريف الوزراء والكتّاب وتشاريف القضاة والعلماء ، وقد تكلم عليهما فى الضوء ، فانظره .

ومنها دَوَران المحمل فى شوّال ، يخلع فيه على أرباب الوظائف بالمحمل كالقاضى والنـاظر والمحتسب والشاهد والمقدّمين والأدلة وناظر الكسوة ومباشريها ومَنْ فى معناهم .

النـــوع الثـانى

(الخيـــول)

قد جرت عادة صاحب مصر أن ينعم على أمرائه بالخيول مرتين فى كل سنة : المرة الأولى عند خروجه إلى مرابط خيوله على القُرْط فى أواخر ربيعها ، فينعم على الأخِصَّاء من أمرائه بما يختاره من الخيول على قدر مراتبهم ، وتكون خيول المقدّمين منهم مُسْرَجة ملجَمة بكنابيش من زركش ، وخيولُ أمراء الطبلخانات عُرْياً من غير قُماش . المرة الثانية عند لَعِبه الكُرَةَ بالميدان ، وتكون خيول المقدّمين والطبلخانات مُسْرَجَةً مُلْجَمَةً بفضة يسيرة بلا كنابيش ؛ وكذلك يرسل إلى نوّاب الممالك الشاميـة كل أحد بحسبه ، وليس لأمراء العشرات فى ذلك حظ إلا ما يتفـقدهم به على سبيل الإنعام .

قال المقرّ الشهابىّ بن فضل الله : وللخاصة المقرّبين من الأمراء المقدّمين والطبلخانات زيادات كثيرة فى ذلك بحيث يصل بعضهم إلى مائة فرس فى كل سنة ؛ وله أوقاتٌ أخرى يفرّق فيها الخيلَ على مماليكه ، وربما أعطى بعض مقدمى الحَلْقة ؛ وكلُّ مَنْ مات له فرس من مماليكه دفع إليه عوضه ، وربمـا أنعم بالخيول على ذوى السِّنّ من أكابر الأمراء عند الخروج إلى الصيد ونحوه .

ولخيول الأمراء فى كل سـنة إطلاقات أراض بالأعمـال الجيزية لزرع القُرْط لخيولهم من غير خَرَاج ؛ وللمماليك السلطانية البِرْسيم المزدرَع على قدر مراتبهم ، وما يدفع

إليهم من القرط يكون بدلا من عليق الشعير المرتّب لهم فى غير زمن الربيع عوضا عن كل عليقة نصف فدّان من القرط القائم على أصله فى مدّة ثلاثة أشهر .

النوع الثالث

(الكُسْوة والحوائص)

قد جرت عادة السلطان أنه ينعم على مماليكه وخواصّ أهل المناصب من حَمَلة الأقلام فى كل سنة بكسوة فى الشتاء وكسوة فى الصيف على قدر مراتبهم ، ومن عاداته أنه إذا ركب للَعب الكرة بالميدان فَرّق حوائصَ من ذهب على بعض الأمراء المقدّمين ، يفرّق فى كل موكب ميدان على أميرين بالنَّوْبة حتّى يأتى على آخرهم فى ثلاث سنين أو أربع بحسب ما تقع نَوْبته فى ذلك . قال فى "المسالك" : أما أمراء الشأم فلا حظّ لهم من الإنعام فى أكثرَ من قبَاء واحد يلبس فى وقت الشتاء إلا من تعرّض لقصد السلطان فإنه ينعم عليه بما يقتضيه حاله .

النوع الرابع

(الإنعام والأوقاف[1])

وأكثر الأوقات لا ضابط لعطائه إنما يكون بحسب مزية المنعَم عليه عند السلطان وقربه منه . قال فى "مسالك الأبصار" : ولخاصة الأمراء المقدّمين أنواع من الإنعامات كالعَقَار والأبنية الضَّخْمة التى ربما أُنْفق على بعضها فوق مائة ألف دينار، وكساوى القماش المنوّع ، وفى أسفارهم فى وقت خروجهم إلى الصيد وغيره العلوفات والأموال .

(١) فى الضوء "والإدرار" .

النوع الخامس

(المأكول والمشروب)

أعظم أسمطة هـذا السلطان تكون بالإيوان الكبير أيامَ المواكب . إذا خرجت القضاة وسائر أرباب الأقلام من الخِدْمة ، مُدّ السماطُ بالإيوان الكبير من أوله إلى آخره بأنواع الأطعمة المنوّعة الفاخرة ، ويجلِسُ السلطانُ على رأس الخِوانِ والأمراءُ يَمْنَةً ويَسْرَةً على قدر مراتبهـم فى القرب من السلطان ، فيأكلون أكلا خفيفا ثم يقومون ، ويجلس مَنْ دونهم طائفة بعد طائفة ، ثم يُرفَع الخِوانُ . وأما فى بقيـة الأيام فيمدّ الخِوانُ فى طَرَفَى النهار لعامّة الأمراء خلا البرّانيين فإنه لا يحضُره منهم إلا القليل النادر .

ففى أوّل النهار يمدّ سماطٌ أوّلُ لا يأكل منه السلطان شيئا ، ثم سِماط ثانٍ بعده قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل ، ثم سماط ثالث بعـده يسمى الطارئ ، ومنه مأكول السلطان .

وفى أُخْرَيَاتِ النهار يمدّ سماطان الأوّل والثانى المسمى بالخاص ، ثم إن ٱستُدْعى بطارئ حضر ، وإلا فبحسب ما يؤمر به ، وفى كل هـذه الأسمطة يسـقَى بعـدها المشروب من الأقسما السكّرية عقب الأكل . وأما فى الليل فيبيت بالقرب من مبيته أطباقٌ من أنواع المآكل المختلفة والمشروب الفائق لِتشاغل أصحاب النُّوَب بالمأكول والمشروب عن النوم . قال فى "مسالك الأبصار" : ولكل ذى إمرة بمصر من خواص السلطان عليه السكر والحَلْوَى فى شهر رمضان ، والضَّحية على مقادير رُتَبهم .

المقصـــــــد السابع

(فى آختصاص صاحب هذه المملكة بأماكنَ داخلة فى نطاق مملكته، يمتاز بها علىٰ ملوك الأرض من المسلمين وغيرهم)

منها **الـكعبة المعظمة** داخلة فى نطاق هذه المملكة، وآختصاصه بكسوتها ودَوَران المحمل فى كل سنة .

أما كسوة الكعبة، فإنها كانت فى الزمن الأوّل مختصّةً بالخلفاء، وكانت خلفاء بنى العبّاس يجهزونها من بغدادَ فى كل سـنة، ثم صـارت إلىٰ ملوك الديار المصرية يجهزونها فى كل سنة، وآستقرّت علىٰ ذلك إلى الآن . ولا عِبْرة بمـا وقع من آستبداد بعض ملوك اليمن فى بعض الأعصار بذلك فى بعض الســنين، وهذه الكسوة تُنْسَج بالقاهرة المحروسـة بمشهد الحُسَين من الحرير الأسود مطرّزةً بكتابة بيضاء فى نفس النسج، فيها : ﴿إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ الآية . ثم فى آخر الدولة الظاهرية برقوق آسـتقرّت الكتابة صفراء مشعَّرة بالذهب . ولهـذه الكسوة ناظر مسـتقلٌّ بها، ولهـا وقف أرض بيسوس من ضواحى القاهرة يُصْرَف منهـا علىٰ آستعمالهـا .

وأما دَوَران المَحْمِل، فقد جرت العادة أنه يدور فى الســنة مرتين : المرّة الأولىٰ فى شهر رجب بعد النصف منه، يحمل وينادىٰ لأصحـاب الحوانيت التى فى طريق دَوَرانه بتزيين حوانيتهم قبل ذلك بثلاثة أيام، ويكون دَوَرانه فى يوم الآثنين أوالخميس لا يتعدّاهما، ويحمل المَحْمِلُ علىٰ جمـل وهو فى هيئة لطيفة من خركاه وعليه غِشـاءٌ من حرير أطلس أصفر، وبأعلاه قُبَّة من فضة مطلية ويبيت فى ليلة دَوَرانه داخلَ باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم، ويحمل بعـد الصبح علىٰ الجمل المذكور

ويسير إلى تحت القلعة، فيركب أمامه الوزيرُ والقضاةُ الأربعة والمحتسبُ والشهودُ وناظر الكسوة وغيرهم، ويركب جماعة من المماليك السلطانية الرَّماحة ملبسين المصفَّات الحديد المُغَشَّاة بالحرير الملون، وخيولهم ملبسة البركستوانات والوجوه الفولاذ كما فى القتال، وبأيديهم الرماح، عليها الشطفات السلطانية فيلعبون تحت القلعة كما فى حالة الحرب، ومنهم جماعة صغار بيد كل منهم رمحان يديرهما فى يده وهو واقف على ظهر الفرس، وربما كان وقوفه فى نَعْل من خشب على ذُبَاب سيفين من كل جهة. وهو يفعل كذلك ويهيئوا من أزيار النفط وغيرها جملة مستكثرة، ويطلق تحت القلعة فى خلال ذلك، ثم يذهب إلى الفُسْطَاط فيمرّ فى وسطه، ثم يعود إلى تحت القلعة ويفعل كما فى الأول إلا أنه أقل من ذلك؛ ثم يحمل من(١) جامع الحاكم ويوضع فى مكان هناك إلى شوّال؛ وفى خلال ذلك كله الطبلخانات والكوسات السلطانية تضرب خلفه، ويخلَع فيه على جماعة مستكثرة؛ وكذلك يفعل فى نصف شوّال إلا أنه يرجع من تحت القلعة إلى باب النصر ويخرج إلى الرَّيْدَانِيَّة للسفر ولا يتوجه إلى الفُسْطَاط.

المقصــــد الثامن

(فى آنتهاء الأخبار إليه، وهو على ثلاثة أنواع)

النـــوع الأوّل

(أخبار الملوك الواردة عليه مكاتبات منهم)

وقد جرت العادة أنه إذا وصل رسولٌ من مَلِك من الملوك إلى أطراف مملكته كاتَبَ نائبُ تلك الجهة السلطانَ عرّفه بوُفُوده، وآستأذنه فى إشخاصه إليه، فتبرُزُ المراسيمُ السلطانية بحضوره فيحضُر. فإذا وقع الشُّعور بحضوره فإن كان مرسله

(١) لعله إلى جامع الخ.

ذا مَكانة عظيمة من الملوك : كأحد القانات من ملوك الشرق، خرج بعض أكابر الأمراء كالنائب وحاجب الحُجّاب ونحوهما للقائه، وأُنْزِل بقصور السلطان بالميدان الذى يلعب فيه بالكُرَة ، وهو أعلىٰ منازل الرسل . وإن كان دون ذلك تلقاه المهمندار واستأذن عليه الدَّوادار وأنزله دارَ الضيافة أو ببعض الأماكن علىٰ قدر رتبته ، ثم يرتقب يومَ موكبٍ فيجلس السلطان بإيوانه ، وتحضر أعيان المملكة الذين شأنهم الحضور من أرباب السيوف والأقلام، ويحضُر ذلك الرسول وصحبته الكتاب الوارد معه ، فيُقَبِّلُ الأرض ويتناول الدوادار الكتابَ منه فيمسحه بوجه الرسول ، ثم يدفعه إلىٰ السلطان فيفُضُّه ويدفعه إلىٰ كاتب السر فيقرؤه علىٰ السلطان ويأمر فيه أمرَه .

النــوع الثـانى

(الأخبار التى تَرِدُ عليه من جهة نوابه)

عادة هذا السلطان أن يطالعه نُوَّابُه فى مملكته بكل ما يتجدد عندهم من مهمَّات الأمور أو ما قاربها، وتؤخذ أوامره وتعود أجوبته عليهم من ديوان الإنشاء بما يراه فى ذلك ، أو يبتدئهم هو بما يقتضيه رأيه، وينفَّذ علىٰ البُرُد أو أجنحة الحَمَام الرسائلِ علىٰ ما يأتى ذكره فى المقالة الثالثة من الكتاب إن شاء الله تعالىٰ .

وقد جرت العادة أنه إذا ورد بَرِيدٌ من بلد من بلاد المملكة أو عاد المجهَّز من الأبواب الشريفة بجواب، أحضره أمير جاندار والدوادار وكاتب السر بين يدى السلطان فيُقَبِّلُ الأرض ، ثم يأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدىِّ، ثم يناوله للسلطان فيفُضُّه ويجلس كاتب السرِّ فيقرؤه عليه ويأمر فيه بأمره .

وأما بطائق الحمـام ، فإنه إذا وقع طائر من الحمام الرسائلى بطاقة أخذها البرّاج وأتى بها الدّوادار، فيقطع الدوادار البطاقة عن الحمـام بيده، ثم يحملها إلى السلطان ويحضر كاتب السر فيقرؤها كما تقدّم .

النـــوع الثـالث

(أخبار حاضرته)

جرت العادة أن والى الشُّرْطَة يستعلم متجدّدات ولاياته من قتل أو حريق كبير أو نحو ذلك فى كل يوم من نوابه ، ثم تكتب مطالعة جامعـةٌ بذلك وتحمل إلى السلطان صبيحةَ كل يوم فيقف عليها. قال فى "مسالك الأبصار": وأما مايقع للناس فى أحوال أنفسهم فلا .

المقصـــد التاسع

(فى هيئة الأمراء بالديار المصرية وترتيب إمرتهم)

وآعلم أن كل أمير من أمراء المِئِين أو الطبلخانات سلطان مختصَر فى غالب أحواله ، ولكل منهم بيوت خَدَمة كبيوت خَدَمة السلطان من الطَّشْت خاناه، والفِرَاش خاناه، والرِّكاب خاناه ، والزَّرَدْخاناه، والمطبخ، والطبلخاناه، خلا الحوائج خاناه فإنها مختصة بالسلطان ، ولكل واحد من هـذه البيوت مِهْتار متسلم حاصلَه ،وتحت يده رجال وغِلمـان لكل منهم وظيفة تخصه، وكذلك لكل منهم الحواصل من إصـطبلات الخيول ومُنَاخات الجمـال وشُوَن الغلال؛ وله من أجناده أسـتادار، ورأس نَوْبة، ودَوادار، وأمير مجلس،وجمدارية، وأمير اخور، وأستادار صحبة، ومشرف،وتوصف البيوت فى دواوين الأمراء بالكريمة، فيقال البيوت الكريمة كما يقال فى بيوت السلطان البيوت الشريفة، وكذلك كل فرد منها فيقال : الطَّشْت خاناه الكريمة والفراش خاناه

الكريمة ، وكذا فى الباقى ؛ ويوصف الإصطبل بالسعيد فيقال : الإصطبل السعيد ، وكذلك المُنَاخ ؛ وتوصَف الشُّوَن بالمعمورة فيقال : للشُّونة المعمورة . قال فى "مسالك الأبصار" : ومن رسم الأمراء أن يركب الأمير منهم حيث ركب وخلفه جنيب مُسْرَجٌ مُلْجَمٌ ، وربما ركب الأمير من أكابرهم بجنيبين سواء فى ذلك الحاضرة والبرّ . قال : ويكون لكل منهم طلب مشتمل على أكثر مماليكه ، وقدامهم خِزَانة محمولة للطبلخاناه على جمل واحد ، يجرّه راكب على جمل آخر ، والألف على جملين وربما زاد بعضهم على ذلك . وأمامَ الخزانة عِدّة جنائب تُجَرّ على أيدى مماليكَ رُكّابِ خيل وهُجُن ، وركّابة من العرب على هجن ، وأمامهم الهُجْن بأكوارها مجنوبة ، للطبلخاناه قطار واحد وهو أربعة ، ومركوب الهَجّان والألف قطاران وربما زاد بعضهم . قال : وعدد الجنائب فى كثرتها وقلتها إلى رأى الأمير وسَعَة نفسه ، والجنائب المذكورة منها ماهو مُسْرَجٌ مُلْجَمٌ ، ومنها ماهو بعباءة لاغير . انتهى كلامه .

ومن عادتهم أيضا أن الأمير إذا ركب يكون أكابر أجناده من أرباب الوظائف : كرأس نَوْبة والدّوادار ، وأمير مجلس ، ومشاة الخدمة أمامَه ؛ وكلُّ من كان منهم أكبر كان إليه أقرب ؛ وتكون الجمدارية من مماليكه الصِّغار خلفَه وأميراخوره خلف الجميع ، ومعه الجنائب والأوشاقية على قاعدة السلطان فى ذلك .

ومن عادة أكابر(١) مجالس بيوتهم أنه ينصب للأمير بشتميخ خلف ظهره من الجوخ الأحمر المزهر بالجوخ الملون ، برنك ذلك الأمير وطراز فيه ألقابه ، ويجلس على مقعد مُسْنِدا ظهره إلى البشتميخ ، وربما جلس أكابرهم على مدورة من جلد ورجلاه على الأرض ، وتكون الناس فى مجلسه فى القرب إليه على حسب مراتبهم .

ومن عادة كل أمير من كبير أو صغير أن يكون له رنك يخصه مابين هناب أو دواة أو بقجة أو فرنسيسية ونحو ذلك ، بشطفة واحدة أو شطفتين ، بألوان مختلفة ، كل

(١) لعله "ومن عادة الأكابر فى مجالس الخ"

أمير بحسب ما يختاره و يؤثره من ذلك ، ويجعل ذلك دهانا على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم كمطابخ السكر، وشون الغلال ، والأملاك والمراكب وغير ذلك ،وعلى قماش خيولهم من جوخ ملون مقصوص ،ثم على قماش جمالهم من خيوط صوف ملونة تنقش على العبي والبلاسات ونحوها ، وربما جعلت على السيوف والأقواس والبركصطوانات للخيل وغيرها .

ومن عوائد أمراء العسكر بالحضرة السلطانية أنهم يركبون فى يومى الآثنين والخميس فى الموكب منضمين على نائب السلطنة الكافل إن كان ، و إلا فعلى حاجب الحُجّاب ، ويسيرون تحت القلعة مرّاتٍ ،ثم يقفون بسوق الخيل وتُعْرَض عليهم خيول المناداة ، وربما نُودِى على كثير من آلات الخيل والخِيَم والحركاوات والأسلحة . قال فى "مسالك الأبصار" : وقد ينادى على كثير من العَقَارات ، ثم يطلُعُون إلى الخِدْمة السلطانية على ماتقدّم .

ومن قاعدة هذه المملكة أن أجناد الأمراء كافة تُعْرَض بديوان الجيوش السلطانية وتثبت أسماؤهم مفصّلة فيه ، وكانوا فيما تقدّم يحلون بالديوان . أما الآن ، فقد ترك ما هنالك وآكتُفِى بأوراق تكتب من دواوين الأمراء بأسماء أجناده وتخلّد بديوان الجيوش . ثم كلما مات واحد منهم أو فُصِل من الخدمة ، عُرِض بديوان الجيش واحد مكانه يعبر فيه عرض من ديوان ذلك الأمير .

ومن عادتهم أن من مات من الأمراء والجند قبل آستكمال سنة خدمته حوسب فى مستحق إقطاعه على مقدار مدّته ، وكتب له بذلك محاسبة من ديوان الجيوش ، ويكون ما يَتحصّل من المغل شركة بين المستقِرّ و بين الميت أو المنفصل على حسب استحقاق القراريط ، كل شهر من السنة بقيراطين .

ومن عادة الأمراء أنه إذا مر السلطان فى متصيَّداته بإقطاع أمير كبير، قدم له من الإوَزّ والدَّجاج وقصب السكر والشعير ما تسمو اليه همة مثله فيقبله منه، ثم ينعم عليه بخِلْعة كاملة يلبسها، وربما أمر لبعضهم بشىء من المال فيقبضه.

المقصد العاشر

(فى وُلاة الأمور من أرباب السيوف بأعمال الديار المصرية،

وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى

(النُّوّاب، والمستقِرّ بها ثلاث نيابات)

الأُولى – نيابة الإسْكَنْدَرِيَّة: وهى نيابة جايلة، نائبها من الأمراء المقدّمين يُضاهِى فى الرتبة نيابةَ طَرَابُلُس وما فى معناها أو يقاربها، وبها حاجبٌ أميرُ عشرة، وحاجب جندىّ، ووال للمدينة، وأجناد حَلْقَةٍ عدّتهم مائتا نفر، يعبر عنهم بأجناد المائتين، وبها قاضى قضاة مالكىّ، وقاض حنفىّ مستحدَث، وربما كان بها قاض شافعىّ، والمالكىّ أكبر الكل بها، وهو المتحدّث فى أموال الأيتام والأوقاف. على أنه ربما وَلِىَ قضاءَ قضاتها فى الزمن الماضى شافعىٌّ، وبها مُوَقِّع يعبر عنه فى البلد بكاتب السر، وناظر متحدّث فى الأموال الديوانية، ومعه مستوف، وتحت يده كُتَّابٌ وشهود؛ وبها محتسب؛ وليس بها قُضاة عسكر ولا مُفْتُو دار عدل؛ ووكيل بيت المال بها نائب عن نائب بيت المال بالقاهرة، وتُرَكَّز بها أمراء المقدّمين والطبلخانات فى غير الزمن الذى يمتنع سير المراكب الحربية فى البحر بشدّة الريح منها، ووال للتركيز يسمّى الحاجب. وقد مرّ القول على معاملتها، وذكر أحوالها فى الكلام على قواعد الديار المصرية المستقرّة فأغنى عن إعادته هنا.

وهذه النيابة مع جلالة قَدْرها ورِفْعةِ محلّها ليس لها عَمَل يحكم فيه نائبها ولا قاضيها ومحتسبها، بل حكمهم قاصر على المدينة وظواهرها لا يتعدّى ذلك، بخلاف غيرها من سائر نيابات المملكة، وبها كرسى سلطنة بدار النيابة، وعادة الخِدْمة السلطانية بها فى أيام المواكب أن يركب نائب السلطنة من دار النيابة وفى خدمته مماليكه وأجناد المائتين المتقدم ذكرهم. ويخرج من دار النيابة عند طلوع الشمس، ويسير فى موكبه والشَّبَّابة السلطانية بين يديه حتّى يخرج من باب البحر، ويخرج الأمراء المركَّزون على حِدتِهم أيضا، ويجتمعون فى الموكب ويسيرون خارج باب البحر ساعة ثم يعودون، ويتوجه النائب إلى دار النيابة فى مماليكه وأجناد المائتين. وقد فارقه الأمراء المركَّزون وتوجه كلٌّ منهم إلى منزله . فإذا صار إلى دار النيابة : فإن كان فى ذلك الموكب سِماطٌ، وضع الكرسىّ فى صدر الإيوان مغشّى بالأطلس الأصفر ووضع عليه سيف نمجاة سلطانية ومُدّ السماط تحته وأكل مماليك النائب وأجناد المائتين وجلس النائب بجنبة من الإيوان والشباكُ مُطِلٌّ على مينا البلد ، ويجلس القاضى المالكى عن يمينه، والقاضى الحنفى عن يساره، والناظر تحته، والموقِّع بين يديه، ورءوس البلد على قدر منازلهم ، وترفع القصص فيقرؤها الموقِّع على النائب فيفصلها بحضرة القضاة ثم ينصرف الموكب .

قلت : وهذه النيابة مستحدَثة، وكان ٱبتداء ترتيبها فى سنة سبع وستين وسبعمائة فى الدولة الأشرفية شعبان بن حسين حين طرقها الفرنج وفتكوا بأهلها وقتلوا ونهبوا وأسروا، وكانت قبل ذلك ولايةً تعدّ فى جملة الولايات الطبلخاناه ، وكان لواليها الرتبةُ الجليلة والمكانةُ العلية .

الثانية — نيابة الوجه البحرى . وهى مما ٱستُحْدِث فى الدولة الظاهرية برقوق، ونائبها من الأمراء المقدّمين، وهو فى رتبة مقدم العسكر بغَزَّة الآتى ذكره فى الممالك

الشامية، ومقرّ نيابتها مدينة دَمَنْهُورَ بالبحيرة، وحكمه على جميع بلاد الوجه البحرىّ المتقدّم ذكرها فى الكلام على أعمال الديار المصرية المستقرّة خلا الإسْكَنْدرِيَّة، وليست على قاعدة النيابات فى ركوب المواكب وما فى معناها؛ بل نائبها فى الحقيقة كاشِفٌ كبير، وليس فيها من رسوم النيابة سوى لبس التشريف وكتابة التقليد والمكاتبة بما يكاتب به مثل نائبها من النوّاب، وقد كان القائم بها فى الزمن الأوّل قبل آستقرارها نيابةً يعبر عنه بوالى الوُلَاةِ .

الثالثة — نيابة الوجه القبلىّ . وهى مما آستُحدِث فى الدولة الظاهرية برقوق أيضا، وكان مقرّ نائبها مدينةَ أُسْيوط، وحكمه على جميع بلاد الوجه القبلىّ، وهى فى الترتيب والرتبة على ما تقدّم من نيابة الوجه البحرىّ، غير أنها أعظم خَطَرا فى النفوس وكان القائم بها قبل ذلك يسمّى والى الولاة كما تقدّم فى الوجه البحرىّ .

الطبقة الثانيـــة
(الكُشَّافُ)

قد تقدّم أنه قبل آستحداث النيابة بالوجهين القبلىّ والبحرىّ كان بهما كاشفان يعبَّر عن كل منهما بوالى الولاة ، ولما آستقرّا نيابتين جعل للوجه البحرىّ كاشفٌ من أمراء الطبلخاناه على العادة المتقدّمة، وهو فى الحقيقة تحت أمر نائب الوجه البحرىّ، ومقرّته مُنْية غَمْر من الشرقية ، وجعل كاشف آخر للبهنساوية والفَيّوم، وعُطِّل الفَيُّومُ من الوالى، و باقى الوجه القبلىّ أمرُه راجعٌ إلى نائبه، وللجيزية كاشفٌ يتحدّث فى جسورها وسائر متعلّقاتها، ولا يتعدّى أمره إلى غيرها من النواحى .

الطبقة الثالثـــة

(الوُلاة بالوجهين القبلىّ والبحرىّ)

وقد تقدّم ذكر أعمالها، ومراتب الولاة بهما لاتخرج عن مرتبتين :

المرتبة الأولى — الولاة من أمراء الطبلخاناه. وهى سبع ولايات[(١)] بالوجهين القبلىّ والبحرىّ على ما آستقرّ عليه الحال .

فأما الوجه القبلىّ ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة : وهى ولاية البهنسى، وولاية الأشْمُونين، وولاية قُوص، وهى أعظمها حتّى إن واليها كان يركب بالشـبّابة أسوة النوّاب بالممالك، وولاية أسوان : وهى مستحدثة فى الدولة الظاهرية برقوق، وكانت قبل ذلك مضافة إلى والى قُوص يجعل فيها نائبا من تحت يده، وكانت ولاية الفَيُّوم طبلخاناه، ثم آستقرّت كشفا على ماتقدّم .

أما أُسْيوط، فلم يكن بها والٍ لكونهـا مقرّ نائب الوجه القبلىّ ومقرّ والى الولاة من قبله، وسيأتى ما كان ولاية طبلخاناه من الوجه القبلىّ ثم نقل .

وأما الوجه البحرىّ ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة، وهى ولاية الشرقية، ومقرّ واليها بُلْبَيْس؛ وولاية المنوفيـة ومقرّ واليهـا مدينة مَنُوف؛ وولاية الغربية، ومقرّ واليها المحلة الكبرى، وهى تضاهى ولاية قُوص من الوجه القبلىّ إلا أن واليها لم يركب بالشبابة قط؛ وولاية البحيرة، ومقرّ واليها مدينة دَمَنْهورَ، وربما عطلت ولايتها لكونها مقرّة النائب، وقد تقدّم أن ولاية النائب قبل أن تستقرّ نيابة كانت ولاية طبلخاناه.

المرتبة الثانية — من الولاة أمراء العشرات . وهى سبع ولايات بالوجهين :

فأما القبلىّ ففيه من هذه الرتبة ثلاث ولايات : ولاية الجيزة، وكانت قبل ذلك طبلخاناه؛ وولاية إطفيح ولم تزل عشرة؛ وولاية منفلوط وولايتها عشرون، وكانت

---

(١) قد عد ثمان ولايات .

قبل ذلك ولاية طبلخاناه، وقد كان بعَيْذَابَ فى الأيام الناصرية ابن قلاوون وما بعدها وال أمير عشرة يولَّى من قِبَل السلطان ويراجع والِيَ قُوصَ فى الأمور المهمة .

وأما الوجه البحرىّ ، ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة ، ولاية مَنُوف ، وولاية أُشْمُومَ ، وولاية دِمْيَاطَ ، وولاية قَطْيا ، وكانت قبل ذلك طبلخاناه .

الطبقة الرابعـــة

(أمراء العُرْبان بنواحى الديار المصرية)

قد تقدّم فى الكلام على مايحتاج إليه الكاتب فى المقالة الأُولى ذكر أصول أنساب العرب ، وانقسامُهم إلى قَحْطَانِيَّةٍ وهم العارِبَة ، وإلى عَدْنَانِيَّةٍ وهم المستعْرِبة ، وبيانُ رجوع كلّ بطن من بطون العرب الموجودين الآن بالديار المصرية وغيرها إلى قبيلتهم التى إليها ينتسبون ، وبيانُ من بوجهى الديار المصرية القبلىّ والبحرىّ من القبائل ، وأفخاذ كل قبيلة المتشعّبةُ منها . والمقصودُ هنا بيانُ أمراء العُرْبان بالوجهين المذكورين فى القديم والحديث .

فأما الوجه القبلىّ ، فقد ذكر الحَمْدانىّ أن الإمرة كانت بالوجه القبلىّ فى ثلاثة أعمال :

العمل الأوّل ـ عمل قُوصَ ، وكانت الإمرة به فى بيتين من بَلِىّ من قُضَاعَةَ بن حِمْيَرَ بن سَبَإٍ من القَحْطَانِيَّة .

الأوّل ـ بنو شادٍ المعروفون ببنى شادى . وكانت منازلهم بالقصر الخَرَاب المعروف بقصر بنى شادى بالأعمـال القُوصِيَّة ، وتقدّم هناك أنه قيل إنهم من بنى أُمَيَّـةَ بن عبد شمس من قُرَيْش .

الثانى ـ العَجالة . وهم بنو العُجَيْل بن الذئب منهم أيضا ، وكانوا معهم هناك .

العمل الثانى ــ عمل الأُشْمُونَيْن. وكانت الإمرة به فى بنى ثَعْلب من السَّلاطنة، وهم أولاد أبى جُحَيش من الحَيادرة من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق، من عَقِب الحُسَيْنِ السِّبْطِ ابن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه، وكانت منازلهم بدَرْوَتِ سَرَبَام، وغلب عليها الشريف حِصْنُ الدين بن ثعلب فعرفت بدَرْوَتِ الشَّرِيف من يومئذ، وآستولى عليها وعلى بلاد الصعيد. وقد تقدم أنه كان فى آخر الدولة الأيوبية. فلما ولِىَ المُعِزّ أَيْبَكُ التُّرْكُمانى: أول ملوك الترك بالديار المصرية السلطنةَ، أَنِفَ من سلطنته وسَمَتْ نفســه إلى السلطنة فجهّز إليه المعز جيوشا، فجرت بينهم حروبٌ لم يظفَروا به فيهــا، وبقى على ذلك إلى أن كانت دولة الظاهر بيبــبرس، فنصب له حبائل الحِيَل وصاده بها وشنقه بالإسكَنْدَرِيَّة.

العمل الثالث ــ البهنسى، وكانت الإمرة فيه فى بيتين.

الأول ــ أولاد زُعازِع. (بضم الزاى)[1] من بنى جديدى من بنى بلار من لواتة[2] من البربر أو من قيس عَيْلانَ على الخلاف السابق عند ذكر نسبهم فى المقالة الأولى. قال الحمدانىّ: وهم أشهر مَنْ فى الصعيد.

الثانى ــ أولاد قُرَيْش. قال الحمدانىّ: وهم أمراء بنى زيد، ومسا كنهــم نُوَيْرة دَلَاص.

قال: وكان قُرَيْش هذا عبدا صالحا كثير الصدقة، ومن أولاده ســعد الملك المشهور بنوه هناك.

وذكر المقرّ الشهابىّ بن فضــل الله فى "التعريف": أن الإمرة بالوجه القبلىّ فى زمانه (وهو سلطنة الناصر محمد بن قلاوون وما وليها) كانت لناصر الدين عمر بن فضــل، ولم يذكر مقرّته ولا من أىّ العرب هو، وذكر أيضــا أن الإمرة فى ا فوق

(١) تقدم لنا فى الجزء الأول (ص ٣٦٥) ضبطها بالفتح والصواب ماهنا.

(٢) ضبطها المؤلف فما تقدم بالثاء المثلثة ولكن المجد ذكرها فى باب التاء المثناة.

أسْوان كانت فى عرب يقال لهم الحِدَارية فى سميرة بن مالك . قال : وهو ذو عَدَد جَمّ وشوكة مُنْكِيَة ، يغزو الحبشة وأُمَمَ السودان ويأتى بالنهاب والسبايا، وله أثر محمودٌ وفَضْلٌ مأثور، وفد على السلطان فأكرم مثواه، وعقد له لواء وشُرِّف بالتّشريف، وقُلّد، وكُتِبَ إلىٰ ولاة الوجه القبلى عن آخرهم وسائر العربان بمساعدته ومعاضدته والركوب للغَزْوِ معه متىٰ أراد، وكتب له منشور بما يفتحه من البلاد، وتقليدٌ بإمرة عربان القبلة مما يلى قُوصَ إلىٰ حيث تصلُ غايتُه، وتُرْكَزُ رايتُه .

قلت : أما فى زماننا فمذ وجَّهَتْ عربُ هَوّارة وجوهَها من عمل البحيرة إلىٰ الوجه القبلى ونزلت به آنتشرت فى أرجائه آنتشار الجراد، وبسطت يَدَها من الأعمال البهنساوية إلىٰ منتهاه حيث أسوان وما والاها ، وأذعنت لهم سائر العُرْبان بالوجه القبلى قاطبةً ، وآنحازوا إليهم وصاروا طَوْعَ قيادهم .

والإمرة الآن فيهم فى بيتين .

الأول ــ بنو عمر : محمد وإخوته . ومنازلهم بجَرْجا ومُنْشأة إخميم، وأمرهم نافذ إلىٰ أسْوانَ من القبلة وإلىٰ آخر بلاد الأُشْمُونينِ من بحرى .

الثانى ــ أولاد غَرِيب . وبيدهم بلاد البهنسىٰ، ومنازلهم دَهْروط وما حولها .

✤

وأما الوجه البحرى، فقد ذكر الحمدانى أن الإمرة فيهم فى خمسة أعمال .

العمل الأول ــ الشرقيّة . قال : والإمرة فيها فى قبيلتين .

الأولىٰ ــ ثعلبَةُ، وذكر أن الإمرة كانت فيهم فى شُقَيْر بن جرجى من المَصَافِحَة من بنى زُرَيْقٍ ، وفى عمر بن نفيلة من العُلَيْميين .

الثانية ــ جُذَام : وقد ذَكَر أن الإمرة كانت فيهم فى خمسة بيوت .

الأول ــ بيت أبى رُشْد بن حبشى، بن نجم، بن إبراهيم من العُقَيْليّين : بنى عُقَيْل

ابن قُرّة، بن موهوب، بن عُبَيد، بن مالك، بن سُوَيد، من بنى زيد بن حَرام، ابن جُذَام؛ أُمِّر بالبوق والعَلَم.

الثانى — طَرِيف بن مَكْنُون(١)، من بنى الوليد، بن سُوَيد المقدّم ذكره؛ وإلى طَرِيف هذا يُنْسَب بنو طريف من بلاد الشرقية. قال الحمدانى: وكان من أكرم العرب، كان فى مَضْيَفته أيامَ الغلاء اثنا عشر ألفا تأكل عنده، وكان يَهْشِم الثريد فى المراكب. قال: ومن بنيه فَضْل بن سَمْح بن كُمُونة، وإبراهيم بن على؛ أُمِّر كل منهما بالبُوق والعَلَم.

الثالث — بيت أولاد منازل من ولد الوليد المذكور، كان منهم مَعْبَد بن مُبارَك، أُمِّر بالبوق والعَلَم.

الرابع — بيت نمىّ بن خَثْعَم من بنى مالك، بن هَلْبَا بن مالك بن سويد، أُقطِعَ خثعم ابن نمىّ المذكور وأُمِّر، واقتنى عددا من المماليك الأتراك والروم وغيرهم، وبلغ من الملك الصالح أيوبَ منزلةً، ثم حصَل عند الملك المعز أيبك التُّرُكمانى على الدرجة الرفيعة، وقدّمه على عرب الديار المصرية، ولم يزل على ذلك حتّى قتله غِلْمانُه، فجعل المعزّ ابنيه: سلمى ودغش عوضه، فكانا له نِعْمَ الخَلَفُ، ثم قدم دغش دِمَشْق فأمَّره الملك الناصر صاحب دمشق يومئذ من بنى أيوب ببُوق وعَلَم، وأمَّرَ الملكُ أيبكُ أخاه سلمى كذلك.

الخامس — بيت مُفَرِّج بن سالم بن راضى من هَلْبَا بَعْجَة، ابن زيد، بن سُوَيد، ابن بَعْجة، من بنى زيد بن حَرام بن جُذَام؛ أمره المعزّ أيبك التركمانى بالبوق والعَلَم. وذلك أنه حين أراد المعزّ تأمير سلمى بن خثعم المقدم ذكره امتنع أن يؤمَّر حتّى يُؤمَّر مُفرِّج بن غانم(٢) فأُمِّر.

(١) تقدم فى الجزء الأول (ص ٣٣٢) ابن بكنوت. (٢) لعله سالم.

العمل الثانى ـ المَنُوفية . والإمرة فيها لأولاد نَصِير الدين من لواتة ، ولكن إمرتهم فى معنىٰ مَشْيخة العرب .

العمل الثالث ـ الغربية . والإمرة فيه فى أولاد يُوسُف من الخزاعلة من سِنْبِس من طيّئ من كَهْلان من القَحْطانية ، ومقرّتهم مدينة سَخَا من الغربية .

العمل الرابع ـ البُحَيرة . وقد ذكر فى "التعريف" : أن الإمرة فى الدولة الناصرية آبن قلاوون كانت لخالد بن أبى سليمان وفائد بن مقدم . قال فى "مسالك الأبصار" : وكانا أميرين سيدين جليلين ذَوَىْ كرم وإفضال وشجاعة وثَبَات رأى وإقدام .

العمل الخامس ـ بَرْقة . قال فى "التعريف" : ولم يبق من أمراء العرب ببَرْقة يعنى فى زمانه إلا جعفرُ بن عمر ، وكان لايزال بين طاعة وعصيان ، ومخاشنة ولِيَان ، والجيوش فى كل وقت تمدّ إليه ، وقلَّ أن تَظْفَر منه بطائل أو رجعت منه بمَغْنَم ، وإنْ أصابته نوبةٌ من الدهر[(١)] . قال : وآخر أمره أن رَكِب طريق الواح حتّى خرج من الفَيُّوم وطرق باب السلطان لائذا بالعفو ، ووصل ولم يسبِق به خبَرٌ ، ولم يعلم السلطانُ به حتّى آستأذن المستأذِن له عليه وهو فى جملة الوُقُوف بالباب ، فأُكْرِمَ أَتَمَّ الكرامة وشُرِّف بأجلّ التشاريف ، وأقام مدّة فى قِرىٰ الإحسان وإحسان القِرىٰ وأهله لايعلمون ماجرىٰ ، ولا يعلمون أين يَمَّ ولا أىَّ جهة نَحَا ، حتّى أتتهم وافداتُ البشائر وجاءت منه . فقال له السلطان : لِمَ لا أعلمتَ أهلك بقصدك إلينا؟ قال : خِفت أن يقولوا : يقتك بك السلطان فأتثبّط ، فاستحسن قَوْلَه ، وأفاض عليه طَوْلَه ، ثم أعيد إلىٰ أهله ، فانْقَلَبَ بنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لم يمسسه سوءٌ ولا رثىٰ له صاحبٌ ولا شَمِت به عدوٌّ .

(١) لم يذكر هذه الجملة فى الضوء .

قلت : والإمرة اليوم فى بَرْقة فى عمر بن عريف ، وهو رجل دَيِّنٌ وكان أبوه [عريف ذا دين متين رأيته] (١) فى الإسْكَنْدَرِية بعد الثمانين والسبعمائة ، وآجتمعتُ به فوجدت آثار الخير ظاهرةً عليه .

الفصـــل الثانى

من المقالة الثانية

(فى المملكة الشامية ، وما يتصل بها : من بلاد الأرمن والروم و بلاد الجزيرة بين الفُرَاتِ والدِّجْلَةِ مما هو مضاف إلىٰ هذه المملكة ، وفيه أربعة أطراف)

الطرف الأوّل

(فى فضل الشام وخواصّه وعجائبه ، وفيه مقصدان)

المقصـــد الأول

(فى فضل الشام)

أعظم شاهد لذلك ما أخرجه الترمذىّ من حديث زَيْد بن ثَابِت رضى الله عنه أنه قال : "كُنَّا يومًا عِنْدَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم نُؤَلِّف القُرْءانَ من الرِّقَاعِ . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : طُوبىٰ لأَهْلِ الشامِ . فقلتُ : لِمَ ذاكَ يارسولَ اللهِ ؟ قال : لأن الملائكةَ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عليه". هذا وقد بُعِثَ به الكثير من الأنبياء عليهم السلام ، وفيه ضَرَائِحُهُم الشريفة ، والمسجدُ الأقصىٰ الذى هو أحد المساجد الثلاثة التى تُشَدّ إليها الرِّحال ، وهو أوّل القبلتين ، و به يَنْزِل المسيح عليه السلام بمنارة جامع دِمَشْقَ ، و به يقتل الدجّال بمدينة لُدٍّ . وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "إن اللهَ بَارَكَ فيما بَيْنَ العَرِيش إلىٰ الفُرَاتِ وخَصَّ فِلَسْطِينَ بالتَقْدِيس" .

---

(١) ترك له فى الأصل بياضا وأخذناه عن الضوء للؤلف .

المقصد الثانى

(فى خواصّه وعجائبه)

أما خواصّه فإنّ به الأماكنَ التى تعظّمها الأممُ على آختلاف عقائدهم كالصَّخْرة التى هى قِبْلَةُ اليهود، والقُمامة التى يَحُجُّها النصارى من سائر أقطار الأرض، وطُورِنابُلُس الذى تَحُجُّه السامرةُ، وبمدينة صُور كنيسةٌ تعتقد طائفةٌ من النصارى أنه لا يصح تمليك ملوكهم إلا منها، على ماسيأتى ذكره فى الكلام على أعمال صَفَد إن شاء الله تعالى، وغير ذلك مما تنقاد به الأمم إلى صاحب هذه المملكة وتُذْعِن لمُسالمته .

وأما عجائبه فكثيرة .

منها — (حَمّةُ طَبَرِيّة) المشهورةُ : وهى عين تَنْبُع ماءً شديد الحرارة يكاد يَسْلُق البَيْضَة، يقصِدها المتردّدون للآستشفاء بالأغتسال فيها . قال آبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وليس فيها حَمّام يوقد فيه النار إلا الحَمّام الصغير .

ومنها — (قُبّةُ العَقَارب) بمدينة حِمْص . وهى قُبّة بالقرب من مسجدها الجامع ، إذا اخذ شىء من تُراب حِمْص وجبل بالماء وأُلصق بداخل تلك القُبّة وتُرِك حتى يجف ويسقُط بنفسه من غير أن يلقيها (١) أحد ثم أُخذت ووضع منها شىءٌ فى بيت لم يدخله عَقْربٌ، أو فى قُماش لم يقربه، وإن ذُرّ على عقرب منه شىء أخذها مثلُ السُّكْرِ فربما زاد عليها فقتلها، بل قيل إن ذلك لا يختصّ بالقبة بل عامّة أرض البلد كذلك حتى لايدخلها عقرب إلا مات، بل لا يقْرَب ثيابا ولا أمتعة عليها غُبارُها، وإلى ذلك أشار القاضى الفاضلُ فى البُشرى بفتوحها بقوله : "ودَبّتْ إليها عقاربُ المَجانيق فخالفت عادةَ حِمْص فى العَقَارب، ورُمِيَتْ الحجارة بالحجارة فوقعتِ العداوة المعروفة بين الأقارب" .

(١) الصواب التذكير نظرا للتذكير السابق .

ومنها — (عَيْنٌ فَوَّارَةٌ) داخلَ البحر المِلْح علىٰ القُرْب من ساحل مدينة طَرَابُلُس علىٰ قدر رَمْية حجر عن البَرّ، تَنْبُع ماءً عذبا يطفُو علىٰ وجه المـاء قدرَ ذراع أو أكثر يتبين عند سكون الريح .

ومنها — (وادى الفَوّار) وهو وادٍ بالقرب من حِصْنِ الأ كراد من عمل طَرَابُلُس غربا عنه بشَمال علىٰ الطريق السالكة. قال فى "مسالك الأبصار" : وهى صِفَة بئر قائمة فى الأرض، وفى سُفْل الأرض سِرْدَابٌ ممتدّ إلىٰ الشَّمال يَفُور فى كل أسـبوع يوما واحدا لاغير، فتسـقىٰ به أرضٌ ومُزْدرعاتٌ ، وينزل عليه التُّرْكُمان ويَرِدُونَه، ويُسْـمَع له قبل فَوَرَانِه دَوِىٌّ كالرعد، وهو فى بقية الأيام يابسٌ لا ماء فيه . قال : وذَكَرَ لى مَنْ دخل السِّرداب أن فى نهايته نهـرا كبيرا آخذا من الغرب إلىٰ الشرق تحت الأرض، له جَرَيان قَوِىٌّ، وبه موج وريح عاصف، لا يُعْرَف إلىٰ أين يجرى ولا من أىّ جهة يأتى .

ومنها — (حَمَّامُ القُدْمُوسِ) من قِلَاع الدعوة من عمل طرابلُس يخرج منها[1] أنواع كثيرةٌ من الحيات تظهر من أنابيب مائها وتدخل فى ثياب داخلها ، ولم يشتهر أنهـا أضَرَّتْ أحدا قطُّ علىٰ ممَرّ الدُّهور وتطاوُل الأزمنة، حكاه فى "مسالك الأبصار".

ومنها — (صَدْعٌ) فى سور الخَوَابِى من قلاع الدعوة من عمل طرابلس أيضا. إذا لُدِغ أحد بحَيَّة فأتىٰ إلىٰ ذلك الموضع فشاهده بعينه أو أرسل رسوله فشاهده، سلم من تلك اللَّدْغة، ولم يضره السُّمّ . إلىٰ غير ذلك من العجائب الظاهرة والمندرسة بمرور الزمان عليها .

قال ابن الأثير: وبقُرىٰ حَلَب قريةٌ تسمّى بُرَاق، يقال إن بها مَعْبَدا يقصده أصحاب الأمراض ويبيتون به. فإما أن يرىٰ المريضُ فى منامه مَنْ يقول له استعمل كذا وكذا

(١) أنث باعتبار القلعة .

قيراً، أو يمسح عليه بيده فيبرأ . قال فى تاريخه : و بقرية ميرون من قرى صَفَد مَغَارة يظهر فيها الماء فى يوم من السنة تجتمع إليه اليهود فى ذلك اليوم، ويجلبُون منه الماء إلى البلاد البعيدة؛ و بوادى دلسه من عملها عينٌ تعرف بعين الجن تفور لحظة كالنهر ثم تغور حتى لايبقى فيها ماء، ثم تفور كذلك ليلا ونهارا؛ و بقرية بكوزا من قرى صَفَد عِنَبٌ داخل العِنَبة عنبةٌ أخرى ؛ و بقرية عد شيب من قراها بَلُّوطٌ يؤخذ الواحد منه من الشجرة فيوجد حضنها حجر ؛ و بقرية عياض تراب الجير إذا عمل منه كوزٌ وسُقِىَ فيه الكسير من آدمىّ أو غيره، جُبِرَ عظمه؛ و بالناصرة من أعمالها كنيسة بها عمود إذا اجتمع عنده جماعة وعملوا سماعا عَرِق العمود حتى يظهر عَرَقُه .

الطَّــــــرَف الثانى

(فى حدودِه، وابتداءِ عمارته، وتسميته شَامًا، وفيه مقصدانِ)

المقصــــد الأوّل

(فى حدوده)

وقد اختلف فى تحديده، فذكر فى "التعريف" أن حدّه من القبلة إلى البرّ المقفر: تِيــه بنى إسْرَائيلَ و برّ الحجاز والسَّماوةِ إلى مَرْمَى الفرات بالعراق . قال : وهـذه المُحَادَاتُ كلُّها من جزيرة العرب .

وحدّه من الشرق طَرَف السَّماوة والفُرَات .

وحدّه من الشَّمال البحرالرومىّ .

وحدّه من الغرب حدّ مصر المتقدّم ذكره، وذكر فى " تقويم البُلْدان " : أن حدّه من الجنوب من أوّل رَفَح التى فى أوّل الجِفَار بين مِصْرَ والشام إلى حدود تِيــهِ بنى إسرائيل إلى مابين الشَّوْبَك وأَيْلَةَ من البلقاء، وحدّه من الشرق من البَلْقاء

إلىٰ مشاريق صَرْخَد، آخذا علىٰ أطراف الغُوطة، إلىٰ سَلَمْيَة، إلىٰ مشاريق حلب، إلىٰ بَالِس؛ وحدّه من الشمال من بالس مع الفرات إلىٰ قلعة نجم، إلىٰ البِيرَة، إلىٰ سُمَيْسَاط إلىٰ حصْنِ منصور، إلىٰ بَهَسْنَىٰ، إلىٰ مَرْعَش، إلىٰ بلاد سيس، إلىٰ طَرَسُوس، إلىٰ بحر الروم؛ وحدّه من الغرب من طَرَسُوس المذكورة آخذا علىٰ ساحل البحر الروميّ إلىٰ رَفَح المتقدّمة الذكر حيث وقع الابتداء .

قلت : والخُلْفُ بينهما فى شيئين .

أحدهما ـ أنه فى "التعريف" جعل حدّه الشّمالىّ إلىٰ البحر الروميّ، وحدّه الغربىّ حدّ مصر المتقدّم ذكره ، وفى "تقويم البلدان" جعل حدّه الشمالىّ البلاد التى بين الفُرَات والبحر الروميّ، وحدّه الغربىّ البحرَ الروميّ من طَرَسُوس إلىٰ رَفَح فيدخل حدّ مصر الذى حدّ به الجانبَ الغربىّ فى "التعريف" فى هذا الحدّ، وكأن المُوقِع لهما فى ذلك أن البحر الروميّ عن الشام غربا بشمال، فَجَنَح كل منهما إلىٰ جهة .

الثانى ـ أنه فى "تقويم البُلْدان" أدخل بلاد الأَرْمَنِ المتصلة بآخر بلاد حَلَب من الشمال فى حدود الشام، وفى "التعريف" أخرجها وهو التحقيق . وقد صرّح بذلك فى "التعريف" فيما بعدُ فقال بعد أن أفرد الفتوحات الجاهانيّة التى هى أوّل بلاد الأَرْمَنِ من جهة حَلَب بالذكر : وأتيتُ بها هٰهنا إذ لم يكن لها تَعَلُّقٌ بمملكة تُذكر فيها، وليست من الشامات فى شىء وإنما هى من بلاد الأرمن المسماة قديما ببلاد العواصم والثُّغُور، وسيأتى الكلامُ علىٰ بلاد الأَرْمَنِ بمفردها فى جملة أعمال حلب فى الكلام علىٰ قواعد المملكة الشامية إن شاء الله تعالىٰ .

علىٰ أن ما ذكره من التحديد فى "التعريف" و "تقويم البُلْدان" لا يخلو عن تساهل . فقد قال فى "التعريف" : بعد ذكر الحدودِ التى أوردها : وهذه الحدود هى الجامعةُ علىٰ ما يُحتاج إليه ، وإذا فُصِّلت تحتاج إلىٰ زيادة إيضاح . وقال

فى "تقويم البُلْدان" : بعد ذكر الحدود التى أوردها أيضا : وبعض هذه الحدود قد تقع شرقيّةً عن بعض الشام وهى بعينها جنوبيّةً عن بعض آخر، مثل البَلْقاء، فإنها جنوبيةٌ عن حَلَب وما على سمتها، وشرقيَّةٌ عن مثل غَزَّةَ وما على سمتها فلْيُعْلَم العذرُ فى ذلك .

قال آبن حوقل : وطول الشام من مَلَطْيَةَ إلى رَفَح خمس وعشرون مرحلة . فمن مَلَطْيَـةَ إلى مَنْبِج أربع مراحلَ ، ومن مَنْبِج إلى حَلَب مرحلتان ، ومن حَلَب إلى حِمْصَ خمسُ مراحلَ ، ومن حِمْص إلى دِمَشْـق خمسُ مراحلَ ، ومن دِمَشْـق إلى طَبَرِيَّةَ أربعُ مراحلَ ، ومن طَبَرِيَّة إلى الرملة ثلاثُ مراحلَ ، ومن الرملة إلى رَفَح مرحلتان .

قال التيفاشىّ فى "سرور النفس" : وطوله أكثر من شهر . قال آبن حَوْقَل : وأعرضُ ما فيه طَرَفاه . فأحد طرفيه من الفرات من جسر منبج على منبج على قُورُس فى حدّ قِنَّسْرِينَ ، ثم على العواصم فى حدّ إنطاكِيَةَ ، ثم يقع على جَبَل اللُّكَام ، ثم على المَصِّيصة ، ثم على أَذَنَة ، ثم على طَرَسُوسَ ، وذلك نحو عشر مراحل وهذا هو السَّمْتُ المستقيم . والطرف الآخر يأخذ فى البحر من حدّ يافا من جُنْد فِلَسْطِينَ حتّى ينتهى إلى الرملة إلى بيت المَقْدِس ، ثم إلى أريحا ، ثم إلى زُغَرَ ، ثم إلى جبل الشَّراة إلى أن يأتىَ إلى مَعانَ ، وتقدير ذلك ستُّ مراحل . ثم قال : أما مابين هذين الطرفين من الشام فلا يكاد بين الأُرْدُنّ ودِمَشْق وحِمْص يزيد على أكثر من ثلاثة أيام ، لأن من دِمَشْق إلى طَرَابُلُس على بحر الروم غربًا يوما و إلى أقصى الغُوطة شرقا حتّى يتصلَ بالبادية يوما ، ومن حِمْص إلى أَنْطَرْطُوسَ على بحر الروم غربا يومين ، ومن حمص إلى سَلَمْيَةَ على البادية شرقا يوما ، ومن طَبَرِيَّةَ من جُنْـد الأُرْدُنّ إلى صُور على البحر الروميّ غربا يوما ، ومنها إلى أريحا على حدود بنى فَزَارَةَ شرقا يوما .

المقصد الثانى

(فى ابتداء عمارته وتسميته شاما وما يلتحق بذلك)

أما ابتداء عمارته، فقد روى الحافظ بن عساكر فى تاريخ الشام عن هشام بن محمد عن أبيه : أن نوحا عليه السلام لما قسم الأرض بين بنيه لحق قوم من بنى كنعان ابن حام بن نوح عليه السلام بالشام فسميت الشام،(١) حين تشاءموا إليها، يعنى من أرض بابل كما جاء فى الرواية الأخرى. قال : فكانت الشام يقال لها لذلك أرض كنعان، وجاء بنو إسرائيل فأجلوهم عنها، وبقيت الشام لبنى إسرائيل إلى أن غلب عليه الروم وانتزعوه منهم فأجلوهم إلى العراق إلا قليلا منهم، ثم جاء العربُ فغلبوا على الشام (يعنى فى الفتح الإسلامى) ثم الشأم مهموز مقصور. قال النووىُّ فى "تهذيب الأسماء واللغات" وغيره : ويجوز فيه فتح الشين والمد. قال : وهى ضعيفة وإن كانت مشهورة قال الجوهرى : ويجوز فيه التذكير والتأنيث. قال النووى : والمشهور التذكير. وقد اختلف فى سبب تسميته شاما فقيل لتشاؤم بنى كنعان إليه كما تقدم فى كلام ابن عساكر، وقيل سمى بسام بن نوح لأنه نزل به. واسمه بالسريانية شام بشين معجمة، والعربُ تنقلها إلى السين المهملة. وقيل لأن أرضه مختلفة الألوان بالحمرة والسواد والبياض فسمى شامًا لذلك كما يسمى الخال فى بدن الإنسان شامة. وقيل سميت شاما لأنها عن شمال الكعبة، والشام لغة فى الشمال. قال أبو بكر بن محمد : ويجوز فيه وجهان. أحدهما أن يكون من اليد الشؤمى وهى اليسرى. والثانى أن يكون فعلا من الشؤم.

---

(١) كذا فى معجم البلدان أيضا وفى القاموس فى مادة (ك ن ع) كنعان بن سام.

الطَّـــرَف الثالث

(فى أنهاره وبحيراته وجباله المشهورة وزروعه وفواكهه ورَيَاحينه ومواشيه، ووحُوشه وطيوره، وفيه ستة مقاصد)

المقصـــد الأول

(فى ذكر الأنهار العظام بالشام وماهو مضاف إليه ممـا يتكرر ذكره بذكر البُلْدان، وهى أربعة أنهار[1])

الأوّل — نَهْر الفُرَات وهو أعظمها، وقد تقدّم فى الكلام على النيل أنه شقيقه فى الخروج من الجَنَّـة . وقد ثبت فى صحيح مسلم أن النبىّ (صلى الله عليه وسلم) ! قال : "لا تَقُومُ الساعةُ حتّى يَحْسِرَ الفُرَاتُ عن جَبَل من ذَهَبٍ فيَقْتَتِل الناسُ عليه فيُقْتَل من كل مائة تِسعةٌ وتِسعُون ، ويقولُ كلُّ رجل منهم لَعَلِّى أنا الذى أنْجُو بِهِ" وأوّل آبتدائه من شمالىّ مدينة (أَرْزَن الرُّوم) وشرقيها، وهى آخر بلاد الروم من جهة الشرق حيث الطولُ أربعٌ وستون درجة والعرض آثنتان وأربعون درجة ونصفٌ، ثم يأخذ إلى قُرْبِ (مَلَطْيَة) ثم يأخذ إلى (سُمَيْساط) ثم يأخذ مشرقا ويتجاوز (قلعة الروم) من شماليِّها وشرقيها، ثم يسير إلى (البِيرَة) من جنوبيها، ثم يمرّ مشرقا حتّى يجاوز بَالِس، ثم قَلْعَة جَعْبَر ويتجاوزها إلى الرَّقَّة ، ثم يسير مُشَرِّقا ويتجاوز الرَّحْبة من شماليها ويسير إلى عُنَّة، ثم يمتدّ إلى هِيتَ، ويمتدّ حتّى يجاوز مَخْرَج (نهر كُوثَى) الآتى ذكره، فينقسم قسمين ويمرّ أحدهما : وهو الجنوبىّ إلى (الكوفة) ويتجاوزها، ويصبّ فى بطائح العراق، ويمرّ الآخَرُ : وهو أعظمها بإزاء (قصر آبن هُبَيْرة) ويعرف هذا القسم بنهر سُورَا (بضم السين المهملة وآخره ألف يمدّ ويقصر) وهى قرية على النهر نُسب إليها،

---

(١) الصواب ستة أنهار كما يتضح مما سيأتى .

ويتجاوز قصر ٱبن هُبَيْرَةَ ويسير جنوبا إلىٰ (مدينة بابل) القديمة، ويتفرع منه بعد أن يجاوز بابل عدّةُ أنهر، ويمرّ عموده إلىٰ (مدينة النيل) ويجاوزها حتّىٰ يصب فى دِجْلَة ويسمّى من بعد مجاوزة النيل (نهر الصَّراة) . وعلىٰ الفرات أنهار تصبّ فيه وأنهار تخرج منه ليس بنا حاجة إلىٰ تفصيلها .

الثانى ـ نهر حَمَاةَ . ويسمّى العاصِىَ لأن غالب الأنهر تسقى الأرض بغير دواليبَ ولا نواعيرَ بل تَرْكَبُ البلادَ بأنفسها، ونهر حماة لايسقى إلا بنواعير تنزع الماء منه ، ويسمّى أيضا النهر المقلوبَ : لجريه من الجنوب إلىٰ الشمال ، وغالب الأنهر إنما تجرى من الشمال إلىٰ الجنوب، وٱسمه القديم نهر الأُرُنْط[1] ، وأوّله نهر صغير من ضيعة قريبة من بَعْلَبَكَّ فى الشّمال عنها علىٰ نحو مَرْحلة، تسمّى الرأس، ويمتدّ من الرأس شمالا حتّىٰ يصل إلىٰ مكان يسمّى قائم الهرمل بين قرية جُوسِيَة والرأس ، ويمرّ فى واد هناك وينْبُعُ من هناك أكثرُ ماء النهر من موضع يسمّى مَغَارة الراهب ، ويمتدّ شمالا حتّىٰ يتجاوزَ (جُوسِيَة) ويمتدّ حتّىٰ يصب فى (بحيرة قَدَس) غربىَّ حِمْص ، ويخرُج من البحيرة ويتجاوز حمص إلىٰ الرَّسْتَن ، ويمتد إلىٰ حماة ، ثم إلىٰ شَيْزَر ، ثم إلىٰ بحيرة أفامِيَةَ ، ثم يخرج من بحيرة أفامِيَةَ ، ويمرّ علىٰ دَرْكُوش ، ويمتدّ إلىٰ جسر الحديد ، وذلك جميعه شرقىَّ جبل اللُّكَام . فإذا وصل إلىٰ جسر الحديد ٱنقطع الجبل المذكور هناك ، ويستدير النهر المذكور ويرجع ويسير جنوبا بغرب ويمرّ علىٰ سُور أَنْطاكِيَةَ ، ويسير كذلك مغرِّبا بجنوب حتّىٰ يصب فى بحر الروم عند السُّوَيْدِيَّة

ويصب فى العاصى عدّة أنهر :

منها ـ نهرٌ مَنْبَعُهُ من تحت أَفَامِيَةَ يسير مغرّبا حتّىٰ يصل إلىٰ بحيرة أَفَامِيَةَ ويختلط بالعاصى .

(١) أورده ياقوت فى معجم البلدان بالدال المهملة .

ومنها ـ نهر فى شَمال أفامِيَة على نحو مِيلَيْن يُعْرَف بالنهر الكبير يسير مَدًى قريبا ويصب فى بحيرة أفامِيَة، ويخرج منها مع العاصى .

ومنها ـ النهر الأسود، يجرى من الشمال ويمرّ تحت دَرْبَساك ويمتدّ حتّى يصبّ فى بُحَيْرَة أَنْطاكِيَة ويخرج منها ويصب فى العاصى .

ومنها ـ نهر يَغْرَا ـ بفتح الياء المثناة تحت وسكون الغين المعجمة وفتح الراء المهملة ثم ألف مقصورة ـ بلدة هناك يمرّ عليها ويصب فى النهر الأسود المذكور .

ومنها ـ عِفْرِينُ ـ بكسر العين المهملة وسكون الفاء وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة تحت ونون فى الآخر ـ وهو نهر يأتى من بلاد الروم ويمرّ على الرَّاوَنْدَان إلى الجُومَة ويمرّ فى الجُومة إلى العَمْق ويختلط بالنهر الأسود .

الثالث ـ نهر الأُرْدُنّ . والأُرْدُنّ بضم الهمزة وسكون الراء المهملة وضم الدال المهملة أيضا وتشديد النون . كذا ضبطه السمعانى فى " اللُّبَاب " قال : وهى بلدة من بلاد الغَوْر من الشام نسب إليها النهر ويسمى الشريعةَ أيضا، وأصله من أنهار تصب من جبل الثلج إلى بحيرة بانْيَاس، ثم يخرج من البحيرة المذكورة ويصب فى بحيرة طَبَرِيَّة، ويمتدّ جنوبا، وهناك يصب فى نهر اليَرْمُوك بين بحيرة طبريّة المذكورة وبين القُصَيْر، ويمتدّ فى وسط الغَوْر جنوبا حتّى يجاوز بَيْسَانَ، ويمتدّ فى الجنوب كذلك إلى أريحا، ولا يزال يمتدّ فى الجنوب حتّى يصب فى بحيرة زُغَر وهى البحيرة المُنْتِنَةُ المعروفة ببحيرة لُوط .

الرابع ـ نهر العَوْجَاء ـ بفتح العين المهملة وسكون الواو وفتح الجيم وبعدها ألف ـ ويسمّى نهر أبى فُطْرس (بضم الفاء وبالطاء والراء والسين المهملات) وهو نهر شمالىّ مدينة الرملة من فِلَسْطِين باثنى عشر ميلًا، ومَنْبَعُه من تحت جبل الخليل

عليه السلام مقابِلَ قلعةٍ خراب هناك تسمّى مجد اليابا[١]، ويجرى هذا النهر من الشرق إلىٰ الغرب ، ويصب فى بحر الروم جنوبىّ غابة أَرْسُوفَ ، ومن مَنْبَعه إلىٰ مصبه دون مسافة يوم . قال فى "العزيزى" : وماالتقىٰ عليه جيشان إلا غَلَبَ الغربىّ وانهزم الشرقىّ ، وسيأتى الكلام علىٰ أنهار دِمَشْق فى الكلام علىٰ حاضرتها إن شاء الله تعالىٰ إذ لا يتعداها إلىٰ غيرها من البلاد .

الخامس — نهر جَيْحَانَ . بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحتُ وفتح الحاء المهملة وبعد الألف نون — وتُسَمّيه العامَّة جَهَانَ — بجيم وهاء مفتوحتين وألف ثم نون ، وربما زادوا ألفا بعد الجيم فقالوا جَاهَانَ ، وإليه تنسب الفتوحات الجاهانية الآتى ذكرها . قال : فى "رسم المعمور" : وأوّله عند طول ستين درجةً وعَرْض أربعين درجةً ، وهو نهرٌ يقارب الفُرَاتَ فى الكِبَر ، ويمرّ بسِيس ، ويسير من الشَّمال إلىٰ الجنوب بين جبال فى حدود الروم حتّى يبلغ المَصِّيصة من شماليّها حيث الطول تسع وخمسون وكسر والعرضُ ست وثلاثون درجةً ، وعرض خمس عشرة[٢] ، وجَرَيَانه عندها من المشرق إلىٰ المغرب ، ويتجاوز المَصِّيصة ويصبُّ بالقرب منها فى بحر الروم .

السادس — نهر سَيْحَانَ . بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الحاء المهملة وبعدها ألف ثم نون . قال فى "رسم المعمور" : وأوّله عند طول ثمان وخمسين ، وعرض أربع وأربعين ، ويمرّ ببلاد الروم إلىٰ الجنوب عند مجرىٰ جَيْحَانَ المتقدم ذكره ، ويسير حتّى يمرّ ببلاد الأَرْمَنِ ، ويمرّ علىٰ سُور أَذَنَة من شرقيها حيث الطولُ تسع وخمسون بغير كسر ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقةً ،

(١) أوردها فى المعجم هكذا "مَجْدَلْيَابَة" .

(٢) فى تقويم أبى الفداء "وخمس عشرة دقيقة" .

ويجاوز أَذَنَة ويلتقى مع جيحان المتقدّم ذكره ويصيران نهرا واحدا ، ويصُبّان فى بحر الروم بين آيَاس وطَرَسوس علىٰ ما تقدّم ذكره .

المقصد الثانى

(فى ذكر بحيراته، وهى ثمانُ بحيرات)

الأولىٰ — بحيرة طَبَرِيّة . قال الزجاجىّ : سميت طَبَرِيّة بطبارى ملك من ملوك الروم، وهى فى أوّل الغَوْر، يدخل إليها نهرُ الشريعة المنصبُّ من بحيرة بَانِيَاس الآتى ذكرها، ودَوْرها نحو مسيرة يومين، ووسطها حيث الطول ثمان وخمسون درجةً ، والعرض آثنتان وثلاثون، وهى قرعاء. ليس بها قَصَب نابت. وطَبَرِيّة مدينةٌ خرابٌ علىٰ شاطئ البحيرة المذكورة من جانبها الغربىّ الجنوبىّ ، قال العثمانىّ فى " تاريخ صفد " : ويقال إن قبر سليمان بن داود عليهما السلام بهذه البحيرة .

الثانية — بحيرة زُغَر وتعرف بحيرة سَدُوم وبحيرة لوط . وهى بحيرة منتنة ليس بها سمك ولا يأوِى إليها طير ، وفيها مصب نهر الأُرْدُنّ المسمّى بالشريعة عند نهايته، ويَغِيض الماء فيها ولا يخرج منها شىء من الأنهار، وهى فى آخر الغَوْر من جهة الجنوب ، ودَوْرها فوق مسيرة يومين ، ووسطها حيث الطول تسع وخمسون درجة والعرض إحدىٰ وثلاثون .

الثالثة — بحيرة بانِيَاس . وهى بحيرة بالقرب من بانِيَاس من مقابلة دِمَشْق يصبُّ فيها عدّة أنهار من جبلٍ هناك ، ويخرج منها نهر الشريعة ويصبُّ فى بحيرة طَبَرِيّة المتقدّم ذكرها، وبها غابة قَصَب .

الرابعة — بُحيرة البِقَاع . وهى مستنقع ماء فى جهة الغرب عن بَعْلَبَكّ علىٰ مسيرة يوم منها، بها هيش وغاباتُ قَصَب .

الخامسة ــ بحيرة دِمَشْــق . وهى بحــيرة فى شرقىّ غُوطَةِ دِمَشْق بمَيْلة يســيرة إلى الشمال يصب إليها فضلة نهر بَرَدَى وغيره، وتتسع فى أيام الشتاء وتضيق فى أيام الصيف، وبها غابات قَصَب، وفيها أماكن تَحْمِى من العدو .

السادسة ــ بحيرة قَدَس . بفتح القاف والدال وفى آخرها سين مهملة .

وهى بحيرة فى أرضٍ مستوية، عن حِمْص فى جهة الغرب على بعض يوم منهــا، وطولها من الشمال إلى الجنوب نحو ثلث مرحلة وفى طرفها الشمالى سدّ ممتدّ فى طولها مبنىّ بالحجر من بنــاء الأوائل ينسب بنــاؤه إلى الإِسْكَنْدرِ طوله شرقا وغربا ألف ومائتان وسبعة وثمــانون ذراعا، وعرضه ثمــانية عشر ذراعا ونصف ذراع، وعلى وسط السدّ بُرْجَانِ من حجر أسود .

السابعة ــ بحيرة أفامِيَة . وهى عدّة بطائح فى الغرب بمَيْلة إلى الشمال عن أفامية بين غابات من القَصَب، يصب فيها النهر العاصى من جهة الجَنُوب . وبها بحيرتان جنوبية وشمالية يصاد فيهما السمك، فالجنوبية منهما بُحَيْرةُ أفامِيَةَ المذكورة، وسَعَتها بالتقريب نحو نصف فرسخ، وقَعْرها قريب قامة، وأرضها مُوحِلَة لا يقدر الإنسان على الوقوف فيها، وبوسطها جُمّ قصَب وبَرْدِىّ وحولها القصب والصَّفْصاف، وبها من أنواع الطير مالا يحصى كثرةً، وينبت بهــا فى زمن الربيع اللَّيْنُوفَرُ الأصفر حتى يستر المــاء عن آخره بورَقِه وزَهْرِه . والبحيرة الشمالية من عمل حصن بَرْزُوِيَةَ بقدر بحيرة أفامية أربعَ مرات، ووسطها مكشوف، وينبت اللَّيْنُوفَرُ بجانبيها الجنوبىّ والشمالىّ وبينها وبين بحيرة أفامِيَةَ المذكورة زُقَاق تســير فيه المراكب من إحداهمــا إلى الأخرى . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويعتبر طول هذه البطائح وعَرْضها بأفامية .

الثــامنة ــ بحيرة أَنْطَاكِيَةَ . وهى بحيرة بين أَنْطَاكِيَةَ وبَغْرَاسَ وحارِم فى أرض تعرف بالعَمْقِ (بفتح العين المهملة وسكون الميم) من معاملة حَلَب شمالىّ أَنْطَاكِيَةَ على

مَسيرة يومين من حَلَب فى جهة الغرب عنها. وفيها مَصَبُّ نهر عِفْرِينَ والنهر الأسود ونهر يَغْرَا المتقدّم ذكرها، ودَوْرُها نحو مسيرة يوم، وآجامُ القصب محيطةٌ بها وفيها من الطير والسمك نحو ماتقدّم ذكره فى بحيرة أَفَامِيَةَ . قال فى "تقويم البُلْدان" : وطولها طول أَنْطَاكِيَةَ تقريبا، وعَرْضها أكثر من عرضها بدقائق .

المقصد الثالث

(فى ذكر جباله المشهورة التى يتعلق بها كثير من المقاصد، وهى عدّة أَجْبُل)

منها ـ (جبل الثَّلْج) بالثاء المثلثة والجيم، وما يتصل به. قال فى "تقويم البلدان": والطرف الجنوبىّ لهذا الجبل بالقرب من صَفَد . قال فى " رسم المعمور" حيث الطولُ تسع وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرضُ آثنتان وثلاثون درجة . قال : فى "تقويم البُلْدان" : ثم يمتدّ إلى الشَّمال و يتجاوز دِمَشْق . فإذا صار فى شَمَالِيِّها، سمّى جبل (سَنِير) ويسمّى جانبه المطلّ على دِمَشْق جبل (قَاسِيُون) ويتجاوز دِمَشْق و يمرّ غربىَّ بَعْلَبَكَّ، ويسمّى الجبل المقابل لبَعْلَبَكَّ جبل (لِبْنَان)[(١)] بلام مكسورة وباء موحدة ساكنة ونون مفتوحة بعدها ألف ونون ثانية ـ وإذا تجاوز بَعْلَبَكَّ وصار شرقىَّ طَرَابُلُس سمى جبل (عَكَّار) بعَيْنٍ مهملة مفتوحة وكاف مشدّدة وراء مهملة فى الآخر ـ إضافة إلى حصْنٍ بأعلاه يسمّى عَكَّارًا، ثم يمرّ شَمَالا و يتجاوز طَرَابُلُس إلى حِصْنِ الأكراد من عمل طَرَابُلُس، ويسامت حِمْصَ من غربيِّها على مسيرة يوم ويمتدّ حتّى يجاوز سَمْتَ حماة، ثم سَمْتَ شَيْزَر، ثم سمت أَفَامِيَةَ، ويسمّى قبالة هذه البلاد جبل (اللُّكَامِ) بضم اللام . قال فى "رسم المعمور" : وجبل اللُّكام يمتدّ إلى أن يصير بينه و بين جبل تَحْشَبُو ، آتساعه نصف يوم حتّى يتجاوز صَهْيُون والشُّغْر وبَكَاس والقُصَيْر، ويتهى إلى أنطاكِيَةَ فينقطع هناك ويصير قُبالةَ جبال الأَرْمن .

(١) ضبطه ياقوت والمجد بضم اللام .

قال فى "تقويم البُلْدان" : ويقابل جبلَ اللُّكام المذكور عنـد مسامته لأَفَامِيَة المتقدِّمةِ الذكر جبلٌ آخر من شرقيه ، يسمَّى جبل (شَحْشَبُو) بشين معجمة مفتوحة وحاء مهملة ساكنة وشين ثانية مفتوحة بعدها باء موحدة مضمومة ثم واو ـ إضافة الىٰ قرية هناك تسمَّى بذلك ، ويمرُّ من الجنوب إلىٰ الشَّمال علىٰ غربىِّ المَعَرَّة وسَرْمِين وحَلَب ، ثم يأخذ غربا ويتصل بجبال الروم .

ومنها ـ (جبل عامِلَةَ) وهو جبل ممتدّ فى شرقىّ ساحل بحر الروم وجنوبيِّه ، حتّٰى يقرب من مدينة صُور ، وعليـه شَقِيفُ أَرْنونَ ، نزله بنو عاملة بن سبإٍ من عرب اليمن عند تفرّقهم بسَيْلِ العَرِمِ فعُرِف بهم .

ومنها ـ (جبل عَوْف) وهو جبل بالقرب من عَجْلُونَ ، كان ينزله قوم من بنى عوف من جَرْم قُضَاعَةَ فعُرِف بهم ، وكانوا عُصاةً لايدخلون تحت طاعة حتّٰى بنىٰ عليهم أُسَامَةُ أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قلعة عَجْلُونَ فدخلوا تحت الطاعة علىٰ ماسيأتى ذكره .

ومنها ـ (جبل الصَّلْت) إضافة إلىٰ مدينة الصَّلْت الآتى ذكرها فى أعمال دِمَشْقَ ، وهو جبل فى شرقىّ جبل عَوْف وشماليّه ، كان أهله عصاةً حتّٰى بنىٰ عليهم المُعَظَّمُ عيسىٰ ابن العادل حصنَ الصَّلْت فدخلوا فى الطاعة .

المقصـــد الرابع

(فى ذكر زروعه وفواكهه ورَيَاحينه)

أما زروعه فغالبها علىٰ المطر . قال فى "مسالك الأبصار" : ومنها ماهو علىٰ سَقْىِ الأنهار وهو قليل ، وفيه من الحبوب من كل مايوجد فى مصر من البُرّ والشعير والذُّرَة والأُرُزّ والبَاقِلاَّ والبِسِلَّة والجُلُبَّان ، واللُّوبِيَاء والحُلْبَة ، والسِّمْسِم والقُرْطُم ، ولايوجد فيه

الكَتَّانُ والبَرْسِيمُ؛ وبه من أنواع البِطِّيخ والقِثّاء ما يُستطاب ويستحْسَن، وكذلك غيرها من المزدرعات كالقُلْقاس والمُلُوخيَّا والبَاذِنجان واللِّفت والجزَر والهِلْيُون والقُنَّبِيط والرِّجْلَة والبَقْلة اليمانيَة، وغير ذلك من أنواع الخضراوات المأكولة؛ وقصبُ السُّكَّر فى أغواره إلا أنه لم يبلغ فى الكثرة حدّ مصر.

وأما فواكهه، ففيه من كل ما يوجد فى مصر كالتِّين والعِنَب والرُّمّان والقَراصِيَا والبَرْقُوق والمِشْمِش والخَوْخ ـ وهو المسمّى بالدُّرَاقِن ـ والتُّوت والفِرصَاد؛ ويكثر بها[(١)] التُّفّاحُ والكُمَّثرَى والسَّفَرْجَلُ مع كونها أكثر أنواعا وأبهج مَنْظَرًا، ويزيد عليه فواكه أخر لا توجد بمصر، وربما وجد بعضها فى مصر على الندور الذى لا يعتدّ به كالجَوْز والبُنْدُق والإجّاص والعُنَّاب والزُّعْرُور، والزَّيْتونُ فيه الغاية فى الكثرة، ومنه يعتصر الزيتُ وينقل إلى أكثر البُلْدان وغير ذلك، وبأغوارها أنواع المُحَمَّضات كالأُتْرُجّ واللَّيمون والكبّاد والنَّارَنج ولكنه لا يبلغ فى ذلك حدّ مصر، وكذلك المَوْزُ ولا يوجد البَلَحُ والرُّطَبُ فيه أصلا. قال فى "مسالك الأبصار": وفيه فواكه تأتى فى الخريف وتبقى إلى الربيع كالسَّفَرْجَل والتُّفّاح والعِنَب.

وأما رَيَاحِينُه، ففيه كُلُّ ما فى مِصْرَ من الآس والوَرْدِ والنَّرْجِس والبَنَفْسَج والياسمين والنِّسْرِين، ويزيد على مصر فى ذلك خصوصا الوَرْد حتّى إنه يستقطر منه ماء الورد وينقل منه إلى سائر البُلْدان. قال فى "مسالك الأبصار": وقد نُسِىَ به ما كان يذكر من ماء ورد جُورَ ونَصِيبِين.

---

(١) أى بالشام وأنث باعتبار البقعة أو البلاد وقوله ويزيد عليه أى على مصر.

المقصد الخامس

(فى ذكر مواشيه ووحوشه وطيوره)

أما مواشيه ففيه جميع ما تقدّم من مواشى مِصْرَ من الإبل والبَقَر والغَنَم والخَيْل والبِغَال والحَمِير، إلا أن أبقاره لاتبلغ فى العِظَم مبلَغَ أبقار مصر، وأغنامه لاتبلغ فى طيبة اللحم مبلَغَ أغنامها، وحميره لم تبلغ فى الفَرَاهة مبلغ حميرها .

وأما وحوشه ، ففيه الغِزْلَانُ والأرانب والأُسُودُ وكثير من أنواع الوُحُوش المختلفة مما لايوجد مثله فى مِصْرَ .

وأما طيوره، ففيه الإوَزُّ والدَّجاج والحَمَام وأنواع طيور الماء المختلفة الأنواع . قال فى "مسالك الأبصار": ولا تكون الفراريج فيها إلا بحَضَانة ولاتنجَعُ فيها المَعَامل التى تُعْمَلُ لإخراج الفراريج فى مصر . قال : ويذكر أن رجلا من أهل مصر عمل فيها مَعْمَلا فى حاضرة العقيبة فصعد له العمل فيه فى الصيف دون الخريف .

المقصد السادس

(فى ذكر النفيس من مطعوماتها)

فيها العَسَلُ بقدر متوسط ، ويعمل فيها السُّكَّر الوسط والمكرر ، والشراب موجود فيها دون مصر، وأكثر حَلْوَاها من العَسَل والمَنِّ .

الطَّــــرَف الرابع

(فى ذكر جهاته وكُوَره القديمة وقواعده المستقرّة وأعمالها، وفيه مقصدان)

المقصد الأوّل

(فى ذكر جهاته وكُوَره القديمة)

قد قَسَّم المتقدّمون الشأم إلى خمسة أجناد ــ جمع جُنْد بضم الجيم وإسكان النون ودال مهملة فى الآخر كما ضبطه الجوهرىّ وغيره .

الأول ــ (جُنْدُ فِلَسْطِينَ) وفِلَسْطِينُ بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون الياء المثناة تحت ونون فى الآخر . قال الزجاجىّ : سميت بفِلَسْطين بن كُلْثوم من ولد فلان بن نوح ، بلدة كانت قديما نسبت الكورة إليها . قال ابن حوقل : وهو أوّل الأجناد الخمسة من جهة الغرب من رَفَحٍ إلى حد اللَّجُّون ، وعَرْضه من يافا إلى أَرِيحَا نحو يومين . قال ابن الأثير : هى كُورَةٌ كبيرة تشتمل على بلاد المَقْدِس وغَزَّةَ وعَسْقَلَانَ . قال ابن حوقل : وهى أرخى بلاد الشام .

الثانى ــ (جُنْدُ الأُرْدُنّ) والأُرْدُنُّ بلدة قديمة من بلاد الغَوْرِ نسبت الكُورةُ إليها ، وقد مرّ ضبطها فى الكلام على نهر الأُرْدُنّ عند ذكر الأنهار ، وقد نسبت الكُورةُ إليها كما نسب إليها النهر المتقدّم ذكره . قال ابن حوقل : وديار قوم لُوطٍ والبحيرة المُنْتِنَة وزُغَرُ إلى بَيْسَانَ و إلى طَبَرِيَّة تسمَّى الغَوْرَ : لأنه بين جبلين ، وسائر بلاد الشام مرتفعةٌ عليه . قال : وبعضها من الأُرْدُنّ وبعضها من فِلَسْطِينَ .

الثالث ــ (جُنْد دِمَشْق) وسيأتى الكلام عليها فى قواعد الشام المستقرّة .

الرابع ــ (جند حِمْص) وسيأتى الكلام عليها فى الصفقة الشرقية من صَفَقات دِمَشْق .

الخامس ــ (جُنْد قِنَّسْرِينَ) . قال فى "اللُّبَاب" : بكسر القاف وفتح النون المشدّدة وسكون السين وكسر الراء المهملتين ثم ياء مثناة من تحتُ ساكنة ونون فى الآخر . قال الزجاجىّ : وقد روى أنها سميت برجل من قَيْس(١) يقال له ميسرة ، نزلها فمرّ به رجل فقال له : ما أشبه هذا المَوضعَ بِقِنِّ سيرين ! فبنى منه اسم للمكان فقيل : قِنَّسْرِينُ . وقيل : دنا أبو عُبَيْدَة مَيْسَرَةَ بن مسروق القيسىّ(٢) فوجهه فى ألف فارس

(١) فى معجم البلدان لياقوت : برجل من عبس .
(٢) « « « : العبسىّ .

فى أثر العدو فمر على قِنَّسْرِينَ فجعل ينظر إليها فقال : ماهذه؟ فسُمِّيت له بالرومية. فقال : والله كأنها قِنَّسْرِينُ . قال : وهذا يدل على أن قِنَّسْرِينَ اسم مكان آخر عرفه ميسرة فشُبِّهَ به هذا فسميت به .

قال ابن الأنبارى : وفى إعرابها قولان .

أحدهما — أنها تجرى مجرى قولك الزيدون فتجعلها فى الرفع بالواو فتقول هذه قِنَّسْرُونَ وفى الخفض والنصب بالياء فتقول مررت بِقِنَّسْرِينَ ودخلت قِنَّسْرِينَ .

القول الثانى — أن تجعلها بالياء على كل حال وتجعلَ الإعراب فى النون ولا تصرفها.

وهى قاعدة من قواعد الشأم القديمة على القرب من حَلَب ؛ كان الجُنْد ينزلها فى ابتداء الإسلام ، ثم ضَعُفت بحلب وخَرِبت وصارت قرية على ما سيأتى ذكره فى الكلام على حلب إن شاء الله تعالى .

قال ابن الأثير : وكل جُنْدٍ منها عَرْضُــه من ناحية الفُرَاتِ إلى ناحية فِلَسْطِينَ، وطوله من الشرق إلى البحر ، وحكاه فى "التعريف" على وجه آخر فقال : للناس فى الشأم أقوالٌ، فمنهم من لايجعله إلا شاما واحدا [ومنهم من يجعله شامات، فيجعلون بلاد فِلَسْطِينَ والأرض المقــدسة إلى الأُرْدُنِّ شاما[1]] ويقولون الشام الأعلى ؛ ويجعلون دِمَشْقَ وبلادها من الأُرْدُنِّ إلى الجبال المعروفة بالطِّوال شاما ، ويقع على قرية النَّبْك وما هو على خطها ، ويجعلون سُورِيًّا : وهى حِمْصُ وبلادها إلى رَحْبة مالك بن طَوْق شاما، ويجعلون حماة وشَيْزَر من مضافاتها . وثَمَّ من يجعل منها حماة دون شَيْزَر ، ويجعلون قِنَّسْرِينَ وبلادَها وحَلَبَ ممـا يدخل فى هــذا إلى جبال الروم وبلاد العواصم والثُّغُور : وهى بلاد سِيس شامًا . ثم قال : أما عَكَّا وطَرَابُلُسُ وكل

(١) الزيادة عن ضوء الصبح للؤلف ليستقيم الكلام .

ما هو على ساحل البحر فكلّ ما قابَلَ منه شيئا من الشامات حُسِب منه . قال : ونبهنا على ذلك كله ليعرف . ثم قال : أما ماهو فى زماننا وعليه قانون ديواننا فإنه إذا قال سلطاننا بلاد الشام ونائب الشام لا يريد به إلا دِمَشْقَ ونائبها . وسيأتى الكلام على حدود ولايته فى الكلام على نيابة دِمَشْقَ إن شاء الله تعالى .

المقصد الثانى

(فى ذكر قواعده المستقرّة وأعمالها، وهى ستُّ قواعدَ، كُلُّ قاعدة منها تعد مملكة بل كانت كلُّ قاعدة منها مملكةً مستقلة بسلطان فى زمن بنى أيوب)

القاعدة الأولى

(دِمَشْقُ ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(فى حاضرتها)

وهى بكسر الدال المهملة وفتح الميم وسكون الشين المعجمة وقاف فى الآخر. وتسمى أيضا جِلَّقَ ــ بجيم مكسورة ولام مشدّدة مفتوحة وقاف فى الآخر . وبذلك ذكرها حَسَّانُ بن ثَابِتٍ رضى الله عنه فى مدحه لبنى غَسَّانَ : ملوكِ العرب بالشأم بقوله :

لِلهِ دَرُّ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُــمْ ... يَوْمًا بِجِلَّقَ فى الزَّمَانِ الأَوَّلِ

وحكى فى "الروض المعطار" تسميتها جَيْرُونَ ــ بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وضم الراء المهملة وسكون الواو ونون فى الآخر ــ وسماها فى موضع آخر العَذْرَاء ــ بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة وفتح الراء المهملة وألف بعدها ــ وموقعها فى أواخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون": وطولها ستون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقد آختلف فى بانيها : فقيل بناها

نُوحٌ عليه السلام، وذلك أنه لما نزل من السفينة أشرف فرأى تلَّ حراف[1] بين نهرى حراف وديصاف[1]، فأتاه فبنى حراف، ثم سار فبنى دِمَشْقَ، ثم رجع إلى بابِلَ فبناها . وقيل بناها جَيْرُونُ بن سعد بن عاد، وبه سميت جَيْرُون . ويقال إن جَيْرُون وبَرِيدا كانا أخَوَيْنِ وهما آبنا سعد بن لقمان بن عاد، وبهما يعرف باب جيرون وباب البريد من أبوابها . وقيل بناها العازر : غلام إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام، وكان حَبَشِيًّا وهبه له نُمْرُوذ بن كَنْعان حين خرج إبراهيم من النار، وكان آسمه دِمَشْق فسماها بآسمه .

وفى "كتاب فضائل الفُرْس" لأبى عُبَيْد أن بيوراسب ملك الفُرْس بناها . وقيل إن الذى بناها ذو القَرْنين عند فراغه من السد ووَكَّلَ بعمارتها غلاما له آسمه دمشقش وسكنها دمشقش ومات فيها فسميت به . وهى مدينة عظيمة البناء ذات سور شاهق ولها سبعة أبواب : باب كَيْسَانَ، وبابُ شرقىّ، وباب تُوما، وباب الصغير، وباب الجابية، وباب الفَرَاديس، والباب المسدود .

وروى الحافظ بن عساكر عن أبى القاسم تَمَّام بن محمد : أن بانيها جعل كل باب من هذه لِكَوْكَبٍ من الكواكب السبعة، وصور عليه صُورتَه ، فجعل باب كَيْسَانَ لِزُحَلَ، وباب شَرْقىّ للشمس، وباب تُوما للزُّهَرَةِ، وباب الصغير للمُشْتَرِى، وباب الجابية للمِرِّيخ، وباب الفراديس لعُطَارِدَ، والباب المسدود للقمر. وعلى كل حال فهى مدينة حسنة الترتيب، جليلة الأبنية، ذات حواجز بنيت من جهاتها الأربع، وغُوطتها أحد مستَنْزَهات الدنيا العجيبة المفضلة على سائر مستنزهات الأرض، وكذلك الرَّبْوَةُ وهى كَهْفٌ فى فم واديها الغربىّ، عنده تنقسم مياهها ، يقال إن به مَهْدَ عيسى عليه السلام . وبها الجوامع والمدارس، والخَوانق والرُّبُط، والزوايا والأسواق المرتبة

(١) كذا فى الضوء أيضا ولم نعثر على هذين الاسمين .

والديار الجليلة المُذْهبة السُّقُف المفروشة بالرخام المنوع، ذاتُ البِرَك والماء الجارى. وربما جرىٰ الماء فى الدار الواحدة فى أماكِنَ منها والماء مُحَكَّم عليها من جميع نواحيها باتقان محكم، وهى فى وَطاءة مستوية من الأرض بارزةٌ عن الوادى المنحطّ عن منتهىٰ ذيل الجبل، مكشوفةُ الجوانب لممرّ الهواء إلا من الشَّمال فإنه محجوب بجبل قاسِيُونَ، وبذلك تُعاب وتنسب إلىٰ الوَخامة. قال فى "مسالك الأبصار": ولولا جبلها الغربىُّ المُلَبَّس بالثلوج صيفا وشتاء، لكان أمرها فى ذلك أشدَّ، وحال سُكَّانها أشقّ؛ ولكنه دِرْياق ذلك السم، ودواء ذلك الداء. وهى مستديرة به من جميع نواحيه. قال فى "مسالك الأبصار": وغالب بنائها بالحجر ودُورُها أصغر مقاديرَ من دُورِ مصر لكنها أكثر زَخْرَفَةً منها وإن كان الرخام بها أقل، وإنما هو أحسن أنواعا. قال: وعناية أهلها بالمَبانى كثيرةٌ، ولهم فى بساتينهم منها ماتفوق به وتحسن بأوضاعه؛ وإن كانت حَلَبُ أجلَّ بناءً لعنايتهم بالحجر، فدِمَشْقُ أَزْيَنُ وأكثر رونقا لتحكم الماء علىٰ مدينتها وتسليطه علىٰ جميع نواحيها، ويستعمل فى عماراتها خَشَبُ الحُور - بالحاء والراء المهملتين - بدلا من خشب النخل إلا أنه لا يُغَشَّى بالبياض ويكتفى بحسن ظاهره. وأشرفُ دُورِها ماقَرُب، وأجلُّ حاضرتها ماهو فى جانبيها: الغربىّ والشَّمالىّ.

فأما جانبها الغربىُّ ففيه قلعتها؛ وهى قلعة حسنة مرجلة علىٰ الأرض، تحيط بها وبالمدينة جميعها أسوارٌ عالية، يحيط بها خَنْدَقٌ يطوف الماء منه بالقلعة. وإذا دعت الحاجة إليه أطلق علىٰ جميع الخندق المحيط بالمدينة فيعمها؛ وتحت القلعة ساحةٌ فسيحةٌ بها سُوق الخيل، علىٰ جانب وادٍ ينتهى فيه مما يلى القلعة إلىٰ شرفين محيطين به فى جهتى القبلة والشَّمال، فى ذيل كل منهما مَيْدَان مُمَرَّج بالنجيل الأخضر، والوادى يشق بينهما. وفى الميدان القبلىّ منهما القصرُ الأبلَقُ - وهو قصرٌ عظيم مبنىّ من أسفله

إلى أعلاه بالحجر الأسود والأصفر بتأليف غريب، و إحكام عجيب، بناه الظاهر بيبرس البُنْدُقْدارىّ فى سلطنته، وعلى مثاله بنى الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبلق بقلعة الجبل بمصر، وأمامَ هـذا القصر دركاه يُدخَلُ منهـا إلى دِهْليز القصر، وهو دِهْليز فسيحٌ يشتمل على قاعات ملوكية مفروشة بالرُّخام الملون البديع الحُسْنِ، مؤزَّر بالرخام المفصـل بالصَّـدَف والفَصِّ المُذْهَبِ إلى سُجُف السـقوف، و بالدار الكبرى به إيوانان متقابلان تُطل شبابيك شرقيهما على الميدان الأخضر، وغربيهما على شاطئ وادٍ أخضر يجرى فيه نهر، وله رفارِفُ عالية تناغى السُّحُبَ، تُشْرِف من جهاتها الأربع على جميع المدينة والغُوطة .

والوادى كامل المنافع بالبيوت الملوكية والإصطبلات السلطانية والحَمَّام وغير ذلك من سائر ما يُحتاج إليه؛ و بالدكاره التى أمام القصر المتقـدِم ذكرها جِسْرٌ معقود على جانب الوادى يُتوصَّل منه إلى إيوان برانىّ يُطَلُّ منه على الميـدان القبلىّ، آستجدّه أقوش الأفرم فى نيابتـه فى الأيام النـاصرية آبن قلاوون، وتُجاهَ باب القصر بابٌ يُتوصَّل من رحبته إلى الميدان الشمالىّ؛ وعلى الشرفين المتقـدّم ذكرهما أبنيةٌ جليلةٌ من بيوت ومناظرَ ومساجدَ ومدارسَ ورُبُط وخَوَانِقَ وزَوايَا وحمَّـامات ممتدّة على جانبين ممتدين طول الوادى .

ولهذه القلعة نائبٌ بمفردها غير نائب دِمَشْقَ يحفظها للسلطان ولا يُمَكِّنُ أحدا من طلوعها من النائب أو غيره . وإذا دخل السلطان دِمَشْقَ نزل بها . و بها تَخْتُ مُلْك كغيرها من ديار الملك .

وأما جانبها الشّمالىّ ويسمّى العُقَيبة، فهو مدينة مستقلة بذاتها ذاتُ أبنيةٍ جليلة وعمائرَ ضخمة، يسكنها كثير من الأمراء والجند، و بازاء المدينة فى سفح جبل قاسِيُونَ (مدينة الصالحية): وهى مدينة ممتدّة فى سَفْح الجبل بازاء المدينة فى طول مدًى يُشْرِف

على دِمَشْق وغُوطَتِها، ذاتُ بيوت (١) ومدارس وربط وأسواق و بيوت جليلة؛ و بأعاليها مع ذيل الجبل مقابر دِمَشْق العامَّةُ ، ولكل من دِمَشْق والصالحية البساتينُ الأنيقة بتسلسُلِ جداولها وتَغَنِّى دوحاتها، و بتمايل أغصانها وتغرُّد أطيارها، وفى بساتين النُّزهة بها العمائرُ الضَّخْمة ، والجَواسِقُ العليّـة ، والبرك العميقة، والبحيرات الممتدة، تتقابل بهـا الأواوين والمجالس ، وتَحُفُّ بها الغِرَاس والنصـوب المطرّزة بالسَّرْو والمُلْتَفِّ ، والحُور الممشوق القَـدّ والرياحين المتأرّجة الطيب ، والفواكه الجَنِيَّـة ، والثمرات الشَّهِيَّة ، والأشياء البديعة، التى تُغْنى شهرتها عن الوصف ، ويقوم الإيجاز فيها مقام الإطناب .

ومَسْقَىٰ دِمَشْق وبساتينها من نهر يسمَّى بَرَدَىٰ ـ بفتح الباء الموحدة والراء والدال المهملتين و بآخره ألف . أصل مخرجه من عينين: البعيدةُ منهما دون قرية تسمَّى الزَّبَدانِىّ ، ودونها عَيْنٌ بقرية تسمَّى الفِيجة ، بذيل جبـل يخرج المـاء من صـدع فى نهاية سفله قد عقد على مخرج المـاء منه عَقْدٌ رومىُّ البناء، ثم تَرْفِده منابعُ فى مجرى النهر، ثم يقسم النهر على سبعة أنهر: أربعة غربية : وهى نهر دَارَيَّا، ونهر المِزَّة، ونهر القنوات، ونهر بَانَاس. واثنان شرقية وهما نهر يَزِيد، ونهر ثَوْرَا ، ونهر بَرَدَىٰ ممتدّ بينهما.

فأما نهر بَانَاس ونهر القَنَوات ، فهما نهرا المدينة حاكمان عليها ومُسَلَّطَانِ على ديارها، يدخل نهرُ باناس القلعةَ، ثم ينقسم قسمين: قسم للجامع وقسم للقلعة، ثم ينقسم كلُّ قسم منهـما على أقسام كثيرة و يتفرق فى المدينة بأصابع مقدرة معلومة ، وكذلك ينقسم نهر القنوات فى المدينة، ولا مدخل له فى القلعة ولا الجامع ، و يجرى فى قُنِىٍّ مدفونة فى الأرض إلى أن يصـل إلى مسـتحقاتها بالدور والأماكن على حسب

(١) لعله ذات مساجد .

التقسيم، ثم تنصبُّ فضلات المـاء والبِرَك ومجـارِى المِيضآت إلىٰ قُنِىٍّ معقودة تحت الأرض، ثم تجتمع و تتنهّر وتخرج إلىٰ ظاهر المدينة لسق البساتين .

وأما نهر يَزِيدَ، فإنه يجرى فى ذيل الصالحية المتقدّم ذكرها ويشقُّ فى بعض عماراتها.

وأما بقيــة الأنهار، فإنها تنصرف إلىٰ البساتين والغيطان لسقيها، وعليها القصورُ والبنيان خصوصا تَوْرًا فإنه نيل دِمَشْق، عليه جلُّ مبانيها و به أكثر تنزهات أهلها ، مَنْ يخاله يراه زُمُرُّدَةً خضراء، لالتفاف الأشجار عليه من الجانبين .

وبها (جامع بنى أُمَيَّة) وهو جامع عظيم، بناه الوليدبن عبد الملك بن مَرْوانَ فى سنة ثمـان وثمـانين من الهجرة، وأنفق فيه أموالا جَمَّةً حتّى يقال إنه أنفق فيه أربعمائة صُنْدوق فى كل صُـنْدوق ثمـانية وعشرون ألف دينـار، وإنه آجتمع فى ترخيمه آثنا عشر ألف مُرَخِّم. قال فى "الروض المعطار" : وذَرْعه فى الطول من المشرق إلىٰ المغرب مائتا خُطْوة وهى ثلثمائة ذراع؛ وعرضه من القبـلة إلىٰ الشمال مائة خطوة وخمس وثلاثون خُطْوة وهى مائتا ذراع، وقد زُخْرِفَ بأنواع الزَّخْرَفَةِ من الفُصُوص المُذْهَبَة والمَرْمَرِ المصقول، وتحت نَسْرِه عمودان مجزَّعان بالحمرة لم يُرَ مثلهما، يقال إن الوليد آشتراهما بألف وخمسمائة دينار، وفى المحراب عمودان صغيران يقال إنهما كانا فى عرش بِلْقِيسَ ، وعند منَارته الشرقية حجرٌ يقال إنه قطعةٌ من الحجر الذى ضربه موسىٰ عليه السلام فانفجرت منه آثنتا عشْرةَ عينا .

وقد ورد أن المسيح عليه السلام ينزل علىٰ المنارة الشرقية منه ، ويقال إن القُبَّة التى فيها المحراب لم تزل مَعْبَدا لابتداء عمارتها وإلىٰ آخر وقت . بناها الصابئة متعبَّدا لهم، ثم صارت إلىٰ اليونانيين فكانوا يُعظِّمون فيها دينهم، ثم آنتقل إلىٰ اليهود فقُتِل يحيىٰ بن زكريا عليه السـلام، ونصب رأســه علىٰ باب جَيْرُونَ من أبوابه فأصابته بركتُه ، ثم صار إلىٰ النصارىٰ فجعلتها كنيســة ، ثم آفتتح المسلمون دِمَشْقَ فاتخذوه

جامعها، وعلق رأسُ الحُسَيْنِ عليه السلام عند قتله فى المكان الذى علق عليه رأس يحيىٰ بن زكريا إلىٰ أن جدّده الوليد، ويقال إن رأس يحيىٰ عليه السلام، مدفون به، وبه مُصحف عثمانَ الذى وَجَّهَ به إلىٰ الشام.

قال فى "الروض المعطار": ويقال إن أوّل من وضع جداره الأوّل هُودٌ عليه السلام. وقد ورد فى أثرٍ أنه يُعْبَد الله تعالىٰ فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة.

الجملة الثانية

(فى نواحيها وأعمالها وما يدخل تحت حكم الولايات)

وقد ذكر فى "التعريف" أن ولايتها من لَدُن العريش: حدّ مصر إلىٰ آخر سَلَمْيَة مما هو شرق بشمال وإلىٰ الرَّحْبة مما هو شرق بجنوب. قال: وقد أضيف إليها فى زمن سلطاننا بلاد جَعْبَر، وكان من حقها أن تكون مع حَلَب. وحينئذ فتكون ولايتُها مشتملةً علىٰ الشام الأعلىٰ المتقدّم ذكره وما يليه وما يلى ما يليه، وبعض الشام الأدنىٰ، وليس يخرج عنه من ذلك إلا حماة وما خرج مع صَفَد وطَرَابُلُس والكَرَك. قال: ويكون فى نيابة نائبها نيابةُ غَزَّة ونيابةُ حِمْص وبعض شىء مما يقتضى الحقُّ أن يكون مع حلب.

وتشتمل علىٰ بَرٍّ وأربع صَفَقات.

فأما البَرُّ فالمراد به ضواحيها. قال فى "التعريف": وحدّها من القبلة قرية الحِيَارَة المجاورة للكُسْوَة وما هو علىٰ سمتها طولا، ومن الشرق الجبال الطِّوال إلىٰ النَّبْك وما علىٰ سمتها من القرىٰ آخذا علىٰ عَسَّان(1) وما حولها من القُرىٰ إلىٰ الزَّبَدانى، ومن الغرب ما هو من الزَّبَدانى إلىٰ قرىٰ القران المسامتة للحِيَارَة المقدّم ذكرها. قال: ويدخل فى ذلك مرج دِمشق وغُوطتها.

(1) فى الأصل والضوء باللام [والتصحيح عن ياقوت].

وأما صَفَقاتها، فأربع صَفَقات .

الصفقة الأولىٰ

(الساحليـــة والجبليـــة)

وهى الصَّفْقَةُ الغربية عن دمشق . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى عبارة عن بلاد غَزَّةَ وما جاورها سَهْلا ووعرا .

قال فى "التعريف": وهذه الصفقة هى الشام الأعلىٰ، ينتقص منه ماهو من نهر الأُردُن إلىٰ حدّ قاقُونَ . ثم هذه الصفقة لها جهتان .

الجهـــة الأولى

(الساحلية، وهى التى بساحل بحر الروم المتقدّم ذكره، وتشتمل علىٰ أربعة أعمال)

الأول ـ (عمل غَزَّة)ـ بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاى المعجمة أيضا وفى آخرها هاء ـ وهى مدينة من جُنْد فِلَسْطِينَ، فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وعشر دقائق ، وعَرْضها آثنتان وثلاثون درجة . وقال آبن سعيد : طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها آثنتان وثلاثون درجة، وهى علىٰ طَرَف الرمل بين مصر والشأم، آخذةٌ بين البر والبحر بجانبيها ، مبنيةٌ علىٰ نَشْزٍ عالٍ علىٰ نحو ميل من البحر الرومى، متوسطة فى العِظَم، ذات جوامعَ، ومدارسَ، وزوايا، و بيمارستان، وأسواق، صحيحةُ الهواء، وشرب أهلها من الآبار، وبها أمكنة يجتمع بها المطر إلا أنه يُسْتثقَل فى الشرب فيعدل منه إلىٰ الآبار لخفَّة مائها، وبساحلها البساتين الكثيرة . وأجلُّ فاكهتها العِنَبُ والتِّينُ، وبها بعض النخيل، وبَرُّها ممتدّ إلىٰ تِيه بنى إسرائيل من قبليها، وهو موضع زَرْعٍ

وماشية إلا أن أهل برها عُشْرَان(١) بعضهم أعداء بعض . ولولا خوف سطوة السلطنة لما أُغمِدَ سيفُ الفتنة بينهم ولاجتاحوا المدينة ومَنْ فيها .

قلت : والحال فيها مختلف : فأكثر الأحيان هى تقدمة عسكر مضافة إلى دِمَشْق ، يأتمر مقدّم العسكر فيها بأمر نائب السلطنة القائم بِدِمَشْق . ولا يُمْضِى أمرا دون مراجعته وإن كانت ولايته من الأبواب السلطانية ، وتارة تكون نيابةً مستقلّةً وتضاف إليها الصفقة الساحلية بكمالها فيكون لها حكم النيابات .

الثانى — (عمل الرَّمْلَة) . بفتح الراء المهملة وسكون الميم وفتح اللام وفى آخرها هاء — وهى مدينة من جند الأُرْدُنّ ، موقعها فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وعشر دقائق . وقال فى "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها ست وخمسون درجة وست وعشرون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلاث وعشرون دقيقة .

وهى مدينة إسلامية بناها سليمان بنُ عبد الملك فى خلافة أبيه عبد الملك . قال فى "الروض المعطار" : وسميت الرَّمْلَة لغلبة الرمل عليها . وقال فى "مسالك الأبصار" : سميت بامرأة اسمها رَمْلَةُ ، وجدها سليمانُ بن عبد الملك هناك فى بيتِ شَعَرٍ حين نزل مكانها يرتاد بناءها ، فأكرمته وأحسنت نُزُلَه ، فسألها عن اسمها فقالت رَمْلَةُ ، فبنى البلد وسماها باسمها . قال فى "العزيزى" : وهى قَصَبَة فِلَسْطِينَ ، وهى فى سهل من الأرض ، وبينها وبين القُدْس مسيرة يوم . قال فى "الروض المعطار" : وبينها وبين نَابُلُس يوم ، وبينها وبين قَيْسَارِيَّة مرحلة ، وكان عبدُ المَلك قد أجرى إليها قناة

(١) كذا فى الأصل مضبوطا .

ضعيفة للشرب منها ، وأكثر شربهم الآن من الآبار ومن صهاريجَ يجتمع فيها ماء المطر، وهى مَقَرَّةُ الكاشف بتلك الناحية .

ومِينَاها مدينة يَافَا ـ بفتح المثناة من تحت وألف وفاء ثم ألف فى الآخر ـ وهى مدينة صغيرة بالساحل، وهى فى الغرب عن الرملة و بينهما ستة أميال .

الثالث ـ (عمل لُدّ) ـ بضم اللام وتشديد الدال المهملة ـ وهى بلدة من جُنْد فِلَسْطِينَ واقعةٌ فى الإقليم الثالث شرقا بشمال عن الرملة ، و بينهما ثلاثة فراسخ ، ولم يتحرّر لى طولها وعَرْضها ، غير أنها نحو الرَّمْلَة فى ذلك : لقربها منها أو أطولُ وأعرضُ بقليل . وهى مدينة قديمةٌ كانت هى قصبةَ فِلَسْطِينَ فى الزمن الأول إلى أن بنيت الرَّمْلَةُ فتحوّل الناس إليها وتركوا لُدًا ، وقد ثبت فى الصحيح أن المسيح عليه السلام يقتل الدَّجَّال ببابها .

الرابع ـ (عمل قَاقُونَ) ـ بفتح القاف و بعدها ألف ثم قاف ثانية مضمومة ـ وهى مدينة لطيفة غيرُ مُسَوَّرةٍ ، بها جامعٌ وحَمَّام وقلعة لطيفة ، وشربها من ماء الآبار ، ولم يتحرّر لى طولها وعرضها ، إلا أن بينها و بين لُدّ مسيرة يوم فلتعتبر بها بالتقريب .

الجهة الثانية

(الجَبَلِيَّة ، وبها ثلاثة أعمال)

الأوّل ـ (عمل القُدْس) ، والقُدُسُ بضم القاف والدال لفظ غلب على مدينة بيت المَقْدِس ـ بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة ـ وهو المسجد الأقصى ، وأصل التقديس التطهير ، والمراد المُطَهَّر من الأدناس . وهى مدينة من جُنْد فِلَسْطِينَ واقعةٌ فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة .

وهى مبنية على جبل مستدير، وعرةُ المسلك ، وبناؤها بالحجر والكِلْس، وغالب حجرها أسود ، وشُرْبُ أهلها من ماء المطر المجتمع بصهاريج المسجد الأقصى وعينٍ تجرى إليها عن بُعْد، وكذلك عين سُلْوان وليس ماؤها بالكثير، وكان بها آثار قلعة قديمة خَرِبَتْ فجدّدها الناصر "محمد بن قلاوون" فى سنة ستَّ عشرةَ وسبعمائة ، وليس بها حَصَانَةٌ، وكانت المدينة كلُّها قد غلب عليها الخراب من حين آستيلاء الفرنج عليها، ثم تراجع أمرها للعمارة ، وصارت فى نهاية الحُسْن ؛ بها المدارس والرُّبُط والحمّامات والأسواق وغيرها. والمسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال، وهو القبلة الأولى .

قال فى "الروض المعطار" : وأوّل من بنى بيتَ المقدس وأُرِىَ موضعَه يعقوبُ عليه السلام ، وقيل داودُ . والذى ذكره فى "تقويم البُلْدان" أن الذى بناه سليمان آبن داود عليهما السلام و بقى حتّى خَرَّبه بُخْتُنَصَّر ، فبناه بعض ملوك الفُرْس و بقى حتّى خَرَّبه طيطوس ملك الروم، ثم بقى ورُمِّمَ، و بقى حتّى تنصر قُسْطَنْطِينُ ملك الروم وأمُّهُ هيلانة و بنَتْ أُمُّه قُمَامة على القبر الذى يزعمُ النصارى أن المسيح عليه السلام دُفِن فيه، وخَرَّبَت البناء الذى كان على الصخرة وجعلتها مطرحا لقُمامات البلد عِنَادا لليهود؛ و بقى الأمر على ذلك حتّى فتح أميرُالمؤمنين: عمرُ بنُ الخَطَّاب رضى الله عنه القُدُسَ فدُلَّ على الصخرة فنظَّف مكانها و بنى عليها مسجدا ، و بقى حتّى ولِىَ الوليد آبن عبدالملك الخلافةَ فبناه على ماهو عليه الآن، على أن المسجد الأقصى على الحقيقة جميع ماهو داخل السور، وعلى القرب من المسجد الصخرةُ التى ربط النبىّ صلى الله عليه وسلم بها البُراق ليلة الإسراء، وهى حجر مرتفع مثل الدكة آرتفاعها من الأرض نحو قامة ، وتحتها بيت طوله بَسْطة فى مثلها، ينزل إليها بسُلَّم وعليها قبة عالية ، بناها الوليد بن عبد الملك حين بنى المسجد الأقصى .

قال المهلّبي فى كتابه "العزيزى" : ولما بناها الوليد بنىٰ هناك عِدّة قِباب وسمّى كل واحدة منها بآسم : وهى قُبَّة المعراج، وقبة الميزان، وقُبّة السِّلْسِلة، وقبة المَحْشَر.

قال فى "مسالك الأبصار" : وإلىٰ الصخرة المتقدمة الذكر قِبْلَةُ اليهود الآن ، وإليها حَجُّهم. وبه القُمَامة التى تحجها النصارىٰ من أقطار الأرض، وبيتُ لَحْمٍ الذى هو من أجلّ أماكن الزيارة عندهم ، وكان به كنيسة للروم يقال إن بها قبر حَنَّةَ أمّ مريم بنت عمران عليها السلام ثم صارت فى الإسلام دَارَ علم . فلما ملك الفِرِنْجُ القُدُس فى سنة آثنتين وتسعين وأربعمائة أعادوها كنيسة، فلما فتح السلطان صلاحُ الدين القُدُس بنىٰ بها مدرسة . وكان آسمها فى الزمن الأوّل إيليا . والأرض المقدّسة مشتملة علىٰ بيت المَقْدِس وما حوله ، إلىٰ نهر الأُرْدُنّ المسمّى بالشريعة، إلىٰ مدينة الرَّمْلَة طولا ، ومن البحر الشامىّ إلىٰ مدائن لُوط عليه السلام، وغالبها جبال وأودية إلا ماهو فى جنَباتها .

الثانى — (عمل بلد الخليل عليه السلام) . وآسمها بيت حَبْرُونَ بإضافة بيتٍ واحد البيوت إلىٰ حَبْرُونَ (بحاء مفتوحة وباء موحدة ساكنة وراء مهملة مضمومة بعدها واو ساكنة ونون) كذا ضبطه فى "تقويم البلدان" : وفى كلام صاحب "الروض المعطار" : ما يدل علىٰ إبدال الحاء بجيم والباء الموحدة بمثناة تحتُ، فإنه ذكرها فى حرف الجيم فى سياقة الكلام علىٰ تسمية دِمَشْقَ جَيْرُونَ . وهى بلدة من جُنْد فِلَسْطِينَ فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ، طولها فى بعض الأزياج ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة [١] ، وبها قبر إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ عليهم السلام ونسائهم ، وهى إحدىٰ القرىٰ التى أقطعها النبىّ صلّى الله عليه وسلم لتميم الدارىّ كما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ المناشير إن شاء الله تعالىٰ .

(١) لم يذكر عرضها كما هى عادته .

الثالث — (عمل نَابُلُس) — بفتح النون وألف وضم الباء الموحدة واللام وسين مهملة فى آخرها — مدينة من جُنْد الأُرْدُنّ من الإقليم الثالث . قال فى "كتاب الأطوال" : طُولها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها ست وخمسون درجة وأربع وعشرون دقيقة ، وعرضها علىٰ ما تقدّم . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة يُحتاج إليها ولا تحتاج إلىٰ غيرها . قال آبن حوقل : وليس بِفلَسْطِين بلدةٌ فيها ماءٌ جارٍ سواها ، وباقى ذلك شرب أهله من المطر وزرعهم عليه ، وبها البئر التى حفرها يعقوبُ عليه السلام؛ وهى مدينة السامرة ، وكانت السامرةُ فى الزمن المتقدم لا توجد إلا بها؛ وبها الجبل الذى يحج إليه السامرة ، وسيأتى الكلام علىٰ الموجِب لتعظيمه عندهم عند الكلام علىٰ تحليفهم فى باب الأيمان إن شاء الله تعالىٰ .

الصفقة الثانية

(القبلية)

سميت بذلك لأنها قِبْلِىّ دِمَشْق . قال فى "مسالك الأبصار" : وتشتمل علىٰ بلاد حَوْرَانَ والغَوْر وما مع ذلك . قال فى "التعريف" : وحدّها من القبلة جبال الغَوْر القبلية المجاورة لمَرْج بنى عامر ، ومن الشرق البَرِّيَّة ، ومن الشَّمال حدود ولاية بَرّ دِمَشْقَ القِبْلِىّ ؛ ومن الغرب الأغوار إلىٰ بلاد الشَّقِيف . قال : والأغوار كلُّها داخلة فى هذه الصفقة خلا ما يختص بالكَرَك .

وتشتمل هذه الصفقة علىٰ عشرة أعمال .

الأوّل — (عمل بَيْسَان) — بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح السين المهملة وألف ونون — مدينة من جُنْد الأُرْدُنّ من الإقليم الثالث . قال

فى "الأطوال" : طولها ثمـان وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضَها اثنتـان وثلاثون درجة وسبعٌ وعشرون دقيقة . وهى مدينــة صـغيرة بلا سُور، ذاتُ بساتينَ وأشجار وأنهار وأعين، كثيرةُ الخصْبِ واسعة الرزق، ولهـا عين تشقّ المدينة، وهى على الجانب الغربىّ من الغَوْرِ .

قال فى "التعريف" : وهى مدينة الغَوْرِ وبها مقرّ الولاية . قال فى "مسالك الأبصار" : ولهـا قُلَيْعَةٌ من بناء الفِرنج . قال فى "الروض المعطار" : ويقال إن طَالُوتَ قتل جَالُوتَ هنالك .

الثانى — (عمل بانِيَاس) — بباء موحدة وألف ونون وياء مثناة تحت وألف ثم سين مهملة — مدينة من جُنْدِ دِمَشْقَ واقعةٌ فى الإقليم الثالث . قال فى "تقويم البُلْدان": طولها ثمـان وخمسون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة . قال : وهى على مرحلة ونصف من دِمَشْقَ من جهة الغرب بَمْيلة إلى الجنوب . قال فى "العزيزى": وهى فى لِحْف جبل الثلج ، وهو مطلّ عليها والثلج على رأســه كالعمامة لا يُعْدَمُ منه شتاءً ولا صـيفًا . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة الجَوْلان، وبها قلعة الصُّبَيْبَة (بضم الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وهاء فى الآخر) . قال فى "التعريف" : وهى من أجَلّ القلاع وأمنعها .

الثالث — (عمل الشَّعْرَا) — بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وفتح الراء المهملة وبعـدها ألف — وهى عن بَانِيَـاسَ المتقدمة الذكر شرق بجنوب، وطوله مابين بَانِيَاسَ إلى جبل الثلج . قال فى "التعريف" : والولاية بها تكون تارة بقرية حان (بالحـاء المهملة) وتارة بقرية القُنَيْطِرَة تصـغير قنطرة ، ولم يتحرّر لى طولها ، وعرضهما فلتعتبرا بمـا قاربهما من الأعمال .

الرابع — (عمل نَوىٰ) — بفتح النون والواو وألف فى الآخر — وهى بلدة صغيرة، عن دِمَشْق فى جهة الغرب إلىٰ الجنوب علىٰ نحو مرحلة، وهى مدينةٌ قديمةٌ من أعمال دِمَشْق، بها قبر أيوبَ النبىِّ عليه السلام، وإليها ينسب الشيخ مُحيِى الدين النووىّ الشافعىّ رحمه الله، ولم يتحرّر لى طولها وعرضها فلتعتبر بما قاربها أيضا، وهى عن يمين الشَّعْرَا المتقدّم ذكرها شرق بجنوب أيضا .

الخامس — (عمل أَذْرِعَاتَ)[1] — بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وفتح الراء والعين المهملتين وألف ثم تاء مثناة من فوق فى الآخر — قال فى "الروض المعطار": ويجوز فيها الصرف وعدمه . قال : والتاء فى الحالين مكسورة . وقال الخليل بن أحمد : مَنْ كَسَرَ الألفَ لم يصرفْ، وهذا صريح فى حكاية كسر الألف فى أوّلها . ويقال لها يَذْرِعَاتُ بياء مثناة تحتُ بدل الألف — وهى مدينة من أعمال دِمَشْق من الإقليم الثالث . قال فى "كتاب الأطوال" : طولها ستون دَرجة، وعرضها إحدىٰ وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة — وهى مدينة البَثَنِيَّة، وبينها وبين الصَّنَمين ثمانيةَ عشرَ ميلا . قال فى "التعريف" : وبها ولاية الحاكم علىٰ مجموع الصَّفقة، وقد كان قديما بغيرها .

السادس — (عمل عَجْلُونَ) — بفتح العين وسكون الجيم وضم اللام وسكون الواو ونون فى آخره — قلعة من جُنْد الأُرْدُنّ فى الإقليم الثالث، طولها ثمان وخمسون درجة وعشر دقائق، وعرضها ثلاثون درجة وعشر دقائق . مبنيةٌ علىٰ جبل يعرف بجبل عَوْف المتقدّم ذكره فى جبال الشام المشهورة تُشْرِف علىٰ الغَوْرِ . وهى محدثة البناء بناها عزُّ الدين أُسامة بن منقذ : أحد أكابر أمراء السلطان صلاح الدين يوسفَ ابن أيوبَ فى سنة ثمانين وخمسمائة . قال فى "مسالك الأبصار": وكان مكانها [دير به]

(١) كذا فى التقويم أيضا وفى المعجم [وكسر الراء] وفى القاموس [بكسر الراء وتفتح] .

راهب آسمه عَجْلُونُ فسميت به. قال فى "التعريف": وهو حِصْن جليل على صِغَره، وله حَصَانَةٌ ومَنَعَة منيعة . ومدينة هذه القلعة البَاعُونَة (بفتح الباء الموحدة وألف بعدها ثم عين مضمومة وواو ساكنة ونون مفتوحة وفى آخرها هاء) وهى على شوط فرس من عَجْلُونَ . قال فى "المسالك" : وكان مكانها دَيْرٌ أيضا به راهب آسمه بَاعُونَة فسميت المدينة به. وهما شرقىّ بَيْسَانَ المتقدّم ذكرها

السابع - (عمل البَلْقَاء). قال فى "الروض المعطار" : سميت بالبَلْقَاء بن سورية من بنى عَمَّان[1] بن لوط، وهو الذى بناها . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى إحدى كُوَرِ الشَّرَاة، وهى عن أَرِيحا فى جهة الشرق على مرحلة، ومدينة هذا العمل حُسْبَانُ (بضم الحاء وإسكان السين المهملتين وفتح الباء وبعدها ألف ونون) وهى بلدة صغيرة ولها واد وأشجارٌ وأرحيةٌ وبساتين وزروع .

قال فى "مسالك الأبصار" : ومن هـذا العمل (الصَّلْتُ) - وهى بألف ولام لازمين فى أوّله وفتح الصاد المهملة المشدّدة وسكون اللام وبعدها تاء مثناة - بلدة لطيفة من جُنْدِ الأُرْدُنِّ فى جبل الغَوْرِ الشرقىّ فى جنوب عَجْلُونَ على مرحلة منها ، وبها قلعة بناها المعظم عيسى بْنُ العادل أبى بكر بن أيوب، وتحت القلعة عَيْنٌ واسعة يجرى ماؤها حتّى يدخل البلد، وهى بلدة عامرة آهلة ذات بساتين وفواكه . قلت : وكلامه فى "التعريف" قد يخالف كلامه فى "مسالك الأبصار" فى جعل الصَّلْت من عمل حُسْبَانَ، فإنه قال: وأوّلها من جهة القبلة البلقاء ومدينتها حُسْبَانُ، ثم الصَّلْتُ، ثم عَجْلُونُ، وعَجْلُونُ عمل مستقلٌ كما تقدّم، ومقتضاه أن يكون الصَّلْتُ أيضا عملا مستقلا . وكذا رأيته فى "التذكرة الآمدية" نقلا عن شهاب الدين آبن الفارقىّ أحدِ كُتَّاب الإنشاء بِدمشْقَ فى الدولة الناصرية ابن قلاوون، وأخبرنى بعضُ

(١) فى الأصل "عيد" والتصحيح والضبط عن ياقوت فى معجم البلدان .

كُتَّاب الإنشاء أن المستقَرّ الصَّلْت فقط والبَلْقاء مضافة إليها، وعليه يدل كلام القاضى تقىّ الدين بن ناظر الجيش فى "التثقيف" فإنه قال : وممن كُتِبَ إليه من الوُلاة بالممالك الشامية فى قديم الزمان — ولعله فى الأيام الشهيدية — والى الصَّلْت والبَلْقاء فيما نقل عن خط المرحوم نصر الدين بن النشائى كاتب الدست الشريف .

الثامن — (عمل صَرْخَد) — بفتح الصاد و إسكان الراء المهملتين وفتح الخاء المعجمة ودال مهملة فى آخره — بلدة صغيرة ذات بساتينَ وكُرومٍ وليس بها ماء سوىٰ مايجتمع من ماء المطر فى الصهاريج والبِرَك . قال آبن سعيد : وليس وراءَ عملها من جهة الجنوب و إلىٰ الشرق إلا البَرِّيَّةُ، ومنها تسلك طريق تُعْرَف بالرصيف إلىٰ العراق يصل المسافرون منها إلىٰ بغداد فى نحو عشرة أيام . قال فى "التعريف" : وبها قلعة وكان بها ملك من المماليك المعظمية . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى محدَثة البناء بُدِئَتْ قبل نور الدين الشهيد بقليل، ولما وصلت عساكر هُولَاكُو ملِكُ التتار إلىٰ الشأم هدموا شُرُفاتِها و بعض جُدْرانها فجدّدها الظاهر بيبرس ، وهى علىٰ ذلك إلىٰ الآن .

التاسع — (عمل بُصْرىٰ) — بضم الباء الموحدة وسكون الصاد المهملة وألف فى الآخر — هكذا هو مقيد بالشكل فى كتب اللغة والحديث والمسالك والممالك وجارٍ علىٰ الألسنة، ووقع فى "تقويم البُلْدان" ضبطه بفتح[(١)] أوله فلا أدرِى أهو سَبْقُ قلم أو غلط من النسخة أو أخذه من كلام غيره، وهى مدينة بحَوْرَان من أعمال دِمَشْقَ واقعةٌ فى الإقليم الثالث . قال فى "كتاب الأطوال" و"القانون" : طولها تسع وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها إحدىٰ وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة .

(١) الذى فى "تقويم البلدان" طبع باريس سنة ١٨٤٠ م ضبطه بضم الباء الموحدة كما هو المشهور ، فلعل نسخة التقويم كانت كذلك فأصلحها المصحح ولم ينبه .

قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة حَوْرَانَ السفلى ، بل حَوْرَانُ كلها ، بل الصفقة جميعها ؛ وكلامه فى "التعريف" يوافقه ، وهى مدينة أزليّة مبنية بالحجارة السود ، ولها قلعة ذات بناء مَتِين شبيه ببناء قلعة دِمَشْق . قال فى "التعريف" : وكانت دار مُلك لبنى أيوب ، وقد ثبت فى الصحيح من حديث الخَنْدق أنه (صلى الله عليه وسلم) . قال "ثم ضربتُ الضربةَ الثالثةَ فلاحَتْ لى مِنْها قُصُور بُصْرى كأنها أنيابُ الكِلَابِ" وهى التى وجد النبى صلى الله عليه وسلم بها بَحِيرا الراهب وآمن به حين قدم تاجرا لخديجة بنت خُوَيْلِد قبل البِعْثة ، وقبر بَحِيرا هناك مشهور يزار ، وقد تقدّم الكلام عليها فأغنى عن إعادته هنا .

العاشر – (عمل زُرَع) – بضم الزاى المعجمة وفتح الراء المهملة وعين مهملة فى الآخر – وهى بلدة من بلاد حَوْرَانَ لها عمـلٌ مستقلٌّ ، ولم يتحرّر لى طولها وعرضها . قال فى "التعريف" : وقد يتصل عمل بُصْرى بأذرِعَاتٍ لوقوع زُرَع متشاملة .

الصفقة الثالثة

(الشمالية)

سميت بذلك لأنها عن شَمَال دِمَشْق . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى ساحليّة وجبليّة . قال فى "التعريف" : وحدّها من القبلة حدّ ولاية دِمَشْق الشمالىّ وبعضُ الغربىّ ؛ وحدّها من الشرق قرية جُوسِيَةَ التى بين القرية المعروفة بالقَصَب من عمل حمص وبين القرية المعروفة بالفيجة من عمـل بَعْلَبَكّ ؛ وحدّها من الشمال مرج الأسَل المستقل عن قائم الهرمل حيث يمدّ العاصى بطَرَابُلُس ، وكلّما تشامل عن جبل لُبْنَانَ إلى البحر ؛ وحدّها من المغرب ما هو على سمت البحر منحدرا عن صور إلى حدّ ولاية بَرِّ دِمَشْق القبلىّ والغربىّ .

وتشتمل هذه الصفقة على خمسة أعمال .

الأول ـ (عمل بَعْلَبَكَّ) ـ بفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح اللام والباء الموحدة الثانية وفى آخرها كاف ـ هكذا ضبطه فى " تقويم البُلْدان " والجارى على ألسنة الناس فتح العين وإسكان اللام . قال فى " الروض المعطار " : وكان لأهلها صَنَمٌ يدعى بَعْلًا ، فالبعل آسم للصنم ، وبَكّ آسم الموضع فسميت بعلبك لذلك . قال : وإليهم بُعث النبيّ إلْيَاسُ عليه السلام ، وكأنه يشير بذلك إلى ماقصه الله تعالى فى سورة الصافّات بقوله : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ وكان فتحها فى سنة أربعَ عشرةَ من الهجرة ، وهى مدينة من أعمال دِمَشْقَ واقعةٌ فى الإقليم الرابع طولها ستون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهى مدينة شمالىّ دِمَشْقَ ، جليلة البناء ، نبيهة الشان ، قديمة البنيان ، يقال إنها من بناء سليمان عليه السلام . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مختصَرة من دِمَشْقَ فى كمال محاسنها وحسن بنائها وترتيبها ، بها المساجد والمدارس والرُّبُط والخوانق والزوايا والبيمارستان والأسواق الحسنة ، والماء جار فى ديارها وأسواقها ، وفيها يُعمل الدهان الفائق من الماعون وغيره ويحمل منها إلى غالب البُلْدان مع كونها واسعةَ الرزق رخيصة السِّعْر ، وكانت دار مُلْك قديم ، ومن عُشّها درج "نجم الدين أيوبُ" والد الملوك الأيوبية رحمه الله ، وبها قلعةٌ حصينةٌ جليلة المقدار من أجلّ البنيان وأعظمه ، وهى مرجلة على وجه الأرض كقلعة دِمَشْقَ . قال فى " التعريف " : بل إنما بنيت قلعة دِمَشْقَ على مثالها ، وهَيْهَاتَ لا تعدّ من أمثالها ! وأين قلعة دِمَشْقَ منها وحجارتُها تلك الجبال الثوابت ، وعمدها تلك الصخور النوابت .

قَدْ يَبْعُدُ الشَّيْءُ مِنْ شَيْءٍ يُشابِهُهُ ۞ إنَّ السَّماءَ نَظِيرُ المَاءِ فى الزَّرَقِ

وبهذه القلعة من عمـارة مَنْ نزل بهـا من الملوك الأيوبية آثارٌ ملوكية جليلة ، ويستدير بالمدينة والقلعة جميعا سُورٌ عظيم البناء مبنيٌّ بالحجارة العظيمة المقدار الشديدة الصَّلابة ، ويَحُف بذلك غُوطة عظيمة أَنِيقَةٌ ذات بساتين مشتبكة الأشجار بها الثمار الفائقة ، والفواكه المختلفة . وبظاهرها عين ماء متسعة الدائر ماؤها فى غاية الصفاء بين مروج وبساتين ، يمتدّ منها نهر يتكسَّر على الحصباء فى خلال تلك المروج إلى أن يدخل المدينة ، وينقسِمَ فى بيوتها وجهاتها . وعلى البعد منها عَيْنٌ أخرى تُعرَف بعين اللحوج (؟) فى طَرَف بساتينها ، منها فرع إلى الجانب الشمالىّ من المدينة ، ويصب فى قناة هناك ويدخل منه إلى القلعة ، وبخارجها جبل لُبْنَانَ المعروف بعُشِّ الأولياء .

الثـانى ـ (عَمَلُ البِقَاعِ البَعْلَبَكِّىّ) ـ بوصف البِقَاع ـ بكسر البـاء الموحدة وفتح القاف وبعدها ألف ثم عين مهملة ـ بالبعلبكىّ ، نسبة إلى بعلبك لقربه منها . قال فى "التعريف" : وليس له مقر ولاية .

الثـالث ـ (عمل البِقاع العزيزىّ) ـ بوصف البقاع بالعزيزىّ نسبة إلى العزيز عكس الذليل ، وكأنه نسـبة إلى الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله . قال فى "التعريف" : ومَقَرُّ الولاية به كَرَكُ نوح عليه السلام . قال : وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بَعْلَبَـكَّ ، وهمـا مجموعتان لوالٍ جليل مفرد بذاته .

الرابع ـ (عمل بَيْرُوتَ) ـ بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وضم الراء المهملة وواو وتاء مثناة من فوق فى آخرها ـ وهى مدينة من الإقليم الثالث بساحل دِمَشْقَ . قال فى "كتاب الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، وعَرْضها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . وهى مدينة جليـلة على ضَفَّةِ البحر الرومىّ ، عليها سُوران من حجـارة ، وفيه كان ينزل الأوزاعىّ الفقيه

المشهور، وبها جبل فيه مَعْدِن حديد، ولها غيضة من أشجار الصَّنَوْبر سعتها آثنا عشر ميلاً فى التكسير، تتصل إلىٰ تحت لُبْنَانَ المقدم ذكره . قال فى "تقويم البُلْدان" : وشرب أهلها من قناة تجرى إليها . وقال فى "مسالك الأبصار" : شرب أهلها من الآبار . قال آبن سعيد : وهى فُرْضة دِمَشْق ولها مينا جليلة ، وفى شمالها علىٰ الساحل مدينة جُبَيْل تصغير جبل . قال فى "الروض المعطار" : بينهما ثمانية عشر ميلا . قال فى "العزيزى" : وبينها وبين بَعْلَبَكَّ علىٰ عَقَبة المُغِيثة ستة وثلاثون ميلا .

الخامس – (عمل صَيْدَا) – بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة تحت وفتح الدال المهملة وألف مقصورة فى الآخر – وهى مدينة بساحل البحر الرومى، واقعة فى الإقليم الثالث، ذاتُ حِصْنٍ حصين . قال آبن القَطَامى سميت بصَيْدُون بن صدقا بن كَنْعان آبن حام بن نوح عليه السلام ، وهو أوّل من عَمَرها وسكنها . وقال فى "الروض المعطار" : سميت بآمرأة . وشُرْب أهلها من ماء يجرى إليهم من قناة . قال فى "العزيزى" : وبينها وبين دِمَشْق ستة وثلاثون ميلًا . قال فى "مسالك الأبصار" : وكُورتها كثيرة الأشجار، غزيرة الأنهار . قال فى "الروض المعطار" : وبها سَمَك صغار له أيْدٍ وأرجل صغار إذا جُفِّفَ وسُحِق وشرب بالماء، أنعظ إنعاظا شديدا . قال فى "المسالك" : وهى ولاية جليلة واسعة العمل ممتدّة القُرىٰ، تشتمل علىٰ نيف وستمائة ضيعة .

الصفقة الرابعـة

(الشرقية، وهى على ضربين)

الضرب الأوّل

(ماهو داخل فى حدود الشام، وهو غربىّ الفُرَات)

قال فى "التعريف" : وحدّها من القبلة قرية القَصَب المجاورة لقرية جُوسِيَةَ المقدّم ذكرها، آخذا على النَّبْك إلى القَرْيتين ؛ وحدّها من الشرق السَّماوة إلى الفُرات وينتهى إلى مدينة سَلَمْيَة إلى الرَّسْتَن ؛ وحدّها من الغرب نهر الأُرُنْط وهو العاصى، وتشتمل على خمسة أعمال أيضا .

الأوّل — (عمل حِمْص) — بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وصاد مهملة فى الآخر. قال فى "الروض المعطار" : ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز فى هِنْد لأن هـذا آسم أعجمىّ . قال : وسميت برجل من العماليق آسمه حُمْص هو أوّل من بناها . قال الزجاجىّ : هو حمص بن المَهْر بن حاف[1] بن مكنف، وقيل برجل من عاملة هو أوّل مَنْ نزلها، وآسمها القديم سُورِيَا (بسين مهملة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مكسورة وياء مثناة تحت مفتوحة وألف فى الآخر) . وبه كانت تسميها الروم، وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها إحدى وستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة ، وهى مدينة جليلة، وقاعدة من قواعد الشام العظام . قال فى "التعريف": وكانت دارَ مُلْك للبيت الأَسَدِىّ يعنى أسدَ الدين شيركوه عمّ السلطان صلاح الدين يوسف آبن أيوبَ . قال : ولم يزل لِمَلِكها فى الدولة الأيوبية سطوةٌ تُخَاف وبأس يُخشى، وهى فى وَطَاءة من الأرض ممتدّة على القرب من النهر العاصى، ومنه شرب أهلها، ولها منه

(١) كذا فى الضوء أيضا وفى "معجم البلدان" آبن جان .

ماء مرفوعٌ يجرى إلى دار النيابة بها وبعض مواضع بها . قال فى "مسالك الأبصار" : وبها القلعة المصفحة وليست بالمنيعة ، ويحيط بها وبالبلد سُورٌ حصين هو أمنع من القلعة . قال فى "العزيزى" : وهى من أصحّ بلاد الشام هواءً ، وبوسطها بُحَيرةٌ صافية الماء ، ينقل السمك إليها من الفرات حتّى يتولد فيها ، والطير مبثوث فى نواحيها . قال ٱبن حَوْقَل : وليس بها عقارب ولا حَيَّات . وقد تقدّم فى الكلام على خواصّ الشام وعجائبها أن بها قبّةً بالقرب من جامعها إذا ألصق بها طين من طينها وترك حتّى يسقط بنفسه ووضع فى بيت أو ثياب لم يقربها عقربٌ . وإن ذُرّ منه على العقرب شىء أخذه مثل السُّكْر وربما قتله ، ولها من برّ بعلبكّ أنواع الفواكه وغيرها ، وقُمَاشها يقارب قماش الإسْكَنْدَرِيَّة فى الجَوْدَةِ والحُسْن ، وإن لم يبلغ شأوه فى ذلك . قال فى "الروض المعطار" : ويقال إن بقراط الحكيم منها . وإن أهلها أول من ٱبتدع الحساب ، وبها قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه ، ومقامه مشهور بها يزار .

الثانى ـ (عمل مِصْيَاف) بكسر الميم وسكون الصاد ـ وهى بلدة جليلة ، ولها قلعة حصينة فى لِحف جبل اللُّكَامِ الشرقىّ عن حماةَ وطَرَابُلُس ، فى جهة الشّمال عن بَارِينَ على مسافة فرسخ ، وفى جهة الغرب عن حماةَ على مسيرة يوم ، وبها أنهر صغار من أعينٍ ، وبها البساتين والأشجار . وهى قاعدة قلاع الدعوة الآتى ذكرها فى أعمال طرابُلُس ودارُ ملكها ، وكانت أوّلا مضافةً إلى طَرَابُلُس ثم أُفْرِدت عنها وأضيفت إلى دِمَشْقَ .

الثالث ـ (عَمَلُ قَارَا) ـ بقاف مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة وألف ثانية . هكذا هو مكتوب فى "التعريف" وغيره وهو الجارى على الألسنة . ورأيتها مكتوبة فى "تقويم البُلْدان" بهاء فى الآخر بدل الألف الأخيرة . وهى قرية كبيرة قبلىَّ حِمْصَ ، بينها وبين دِمَشْقَ على نحو منتصف الطريق ، تنزلها قوافل السفارة ، وبينها وبين حِمْصَ مرحلةٌ ونصف ، وبينها وبين دِمَشْقَ مرحلتان ، وغالب أهلها نصارى .

الرابع — (عمل سَلَمِيَّة) — بفتح السين المهملة واللام وكسر الميم[(١)] وياء مثناة تحت مشدّدة مفتوحة وهاء فى الآخر — وهى بلدة من عمل حمص من الإقليم الرابع . قال فى "الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن يكون العرض أربعا وثلاثين ونصفا . قال أحمد الكاتب : بناها عبد الله بن صالح بن علىّ بن عبد الله ابن عبّاس بن عبد المطّلب وأسكن بها ولده . وهى بلدة على طرف البادية نَزِهَةٌ خِصْبة كثيرة المياه والشجر، ومياهها من قُنِىّ . قال فى "الروض المعطار" : وبينها وبين حِمْص مرحلةٌ .

الخامس — (عمل تَدْمُر) — بفتح التاء المثناة فوق وسكون الدال المهملة وضم الميم وراء مهملة فى الآخر — كذا ضبطه السمعانىّ فى "الأنساب" : والجارى على ألسنة الناس ضم أوّلها . قال فى "التعريف" : وهى بين القَرْيَتَيْن والرَّحْبة، وهى معدودة من جزيرة العرب واقعةٌ فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : طولها آثنتان وستون درجة ، وعَرْضها أربع وثلاثون درجة . قال صاحب حماة : وهى من أعمال حِمْص من شرقيها، وغالب أرضها سِبَاخ؛ وبها نخيل وزيتون؛ وبها آثار عظيمة أزَلِيَّة من الأعمدة والصخور، ولها سورٌ وقلعة .

قال فى "الروض المعطار" : وهى فى الأصل مدينة قديمة بنتها الجنّ لسليمان عليه السلام، ولها حصون لاتُرام . قال : وسميت تَدْمُر بتدمُرَ بنت حَسَّان ابن أُذَيْنَة ، وفيها قبرها . وإنما سكنها سليمان عليه السلام بعدها . قال فى "العزيزى" : وبينها وبين دِمَشْق تسعة وخمسون ميلا ، وبينها وبين الرَّحْبة مائة مِيلٍ وميلان . قال صاحب حماة : وهى عن حِمْص على ثلاث مراحل .

(١) فى القاموس وياقوت "وسكون الميم" أى وتخفيف الياء

الضرب الثانى

(من هذه الصفقة ماهو من بلاد الجزيرة، بين الفُرات والدجلة على القرب من الفرات)

وهو مدينة الرَّحَبَة . قال فى "اللُّباب"(١) : بفتح الراء والحاء المهملتين والباء الموحدة وهاء فى الآخر ـ وهى مدينة على الفُرَاتِ بين الرَّقة وعَانَة، واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها أربع وستون درجة وثلاثون دقيقة، وعَرْضها ستٌّ وثلاثون درجة، وتعرف برَحْبة مالك بن طَوْق ، وهو قائدٌ من قوّاد هارون الرشيد، قيل إنه أوّل من عَمَرها فنسبت إليه . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وقد خَربت الرَّحْبــة المذكورة وصارت قرية، وبها آثار المدينة من المآذن الشواهق وغيرها، وآستحدث شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادى صاحب حِمْص من جنوبيها الرحبةَ الجديدةَ على نحو فَرْسَخ من الفُرَاتِ ، وهى بلدة صغيرة ولهـا قلعة على تلِّ تراب، وشرب أهها من قناة من نهر سعيد، الخارج من الفرات . قال : وهى اليوم محطُّ القوافل من الفُرَاتِ والشام، وهى أحد الثغور الإسلامية فى زماننا .

قال فى "التعريف" : وبها قلعة نيابةٍ، وفيها بحرية وخَيَّالة وكَشَّافة وطوائفُ من المستخدمين ، ولم تزل إمرتها طبلخاناه، بمرسوم شريف من الأبواب الشريفــة من الأيام الناصرية آبن قلاوون إلى الآن .

تنبيه ـ قال فى "التعريف" : وممـا أُضيف إلى دِمَشْق فى زمن سلطاننا يعنى النـاصرَ بن قلاوون بلادُ جَعْبَر . قال : وحقها أن تكون مع حَلَب ، وهى مستمرّة على ذلك إلى زماننا ، وسيأتى الكلام عليها فى الأعمـال الحلبية إن شاء الله تعالى .

(١) كذا فى التقويم أيضا وضبطها فى المعجم بإسكان الحاء وهو مقتضى اطلاق القاموس .

وقد ذكر القاضي تقيّ الدين بن ناظر الجيش في كتابه "التثقيف" : أنه كان قد آستقرّ بتَدْمُرَ وسَلَمِيَة والسُّخْنَة والقَرْيتيْنِ نوابُ، وآستقرّ الحال على أن مكاتبة كل منهم إن كان مقدَّما نظيرُ النائب بالرَّحْبَة، يعني "صدرت" و"العالى" وإن كان طبلخاناه فالأسم "والسامى" بالياء .

القاعدة الثانيـــة

(من قواعد البلاد الشامية حَلَبُ، وفيها جملتان)

الجمـــلة الأولى

(فى حاضرتها)

قال فى "اللُّبَـابِ" : هى بفتح الحاء المهـملة واللام وباء موحدة فى الآخرـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : وطولهـا آثنتان وستون درجة وعشرُ دقائق، وعَرْضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

وآختلف فى سبب تسميتها حَلَبَ على قولين حكاهما صاحب "الروض المعطار": أحدهما أنه كان مكان قلعتها رَبْوة، وكان إبراهيم الخليل عليه السلام يأْوِى إليها ويَحْلُب غَنَمَه ويتصدّق بلبنها فسميت حَلَبَ بذلك . الثانى أنها سميت برجل من العماليق آسمه حَلَب . قال الزجاجيّ : حَلَبُ بن المَهْر من ولد جان(١) بن مكنّف .

قال فى "مسالك الأبصار": وهى مدينة عظيمة من قواعد الشام القديمة، وهى فى وطاءة حمراء ممتدّة، مبنيةٌ بالحجر الأصفر الذى ليس له نظير فى الآفاق، وبها المساكن الفائقة، والمنازل الأنيقة، والأسواق الواسعة، والقَيَاسر الحَسَنة، والحمامات البهجة . ذات جوامعَ ومساجدَ ومدارسَ وخوانقَ وزوَايا وغير ذلك من سائر وجوه البر،

(١) فى الأصل "خان" وفى الضوء "حاف" والتصحيح من ياقوت .

وبها بيمارستان حَسَنٌ لعلاج المرضى . قال فى "مسالك الأبصار" : ولها نهران : أحدهما يعرف بنهر قُوَيْق ، وهو نهرها القديم . والثانى يعرف بنهر الساجُور ، وهو نهر مستحدَث ، ساقه إليها السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" فى سلطنته وحكمه عليها .

وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة : أن الملك الظاهر غازى بن العادل "أبى بكر بن أيوب" ساق إليها نهرا فى سنة خمس وستمائة ، ولعله نهر قُوَيق المذكور. قال فى "مسالك الأبصار" : ويجرى إلى داخلها فرع ماء يتشعَّب فى دُورها ومساكنها ولكنه لا يَبُلُّ صَدَاها ولا يَشْفى غُلَّتها ، وبها الصهاريج المملوءة من ماء المطر ، ومنها شُرْبُ أهلها ، ويدخل إليها الثلج من بلادها . وليس لأهلها إليه كثير ٱلتفات لبرد هوائهم وقربِ ٱعتدال صيفهم وشتائهم ؛ وبها الفواكه الكثيرة وأكثرها مجلوب إليها من نواحيها لِقلَّة البساتين بها ؛ وبظاهرها المُرُوج الفِيح والبَرّ الممتد حاضرة وبادية ؛ وبها عسكر كثيف وأمم من طوائف العرب والأكراد والتُّرْكُمان .

قال فى "اللباب" : وكان الجُنْدُ فى ٱبتداء الإسلام ينزلون قِنَّسْرِينَ ، وهى المدينة التى تُنْسَب الكورة إليها على ماتقدّم ذكره ولم يكن لحَلَب معها ذكر .

قال ٱبن سعيد : ثم ضعُفَت بقوّة حلب عليها ، وهى الآن قرية صغيرة .

قال فى "مسالك الأبصار" : وكانت حَلَبُ قد عظُمت فى أيام بنى حَمْدَان ، وتاهت بهم شرفًا على كيوان . جاءت الدولة الأتابكية فزادت فَخَارا ، وٱتخذت لها من بروج السماء مِنْطَقَةً وأُسوارا ؛ ولم تزل على هذا يُشَارُ إليها بالتعظيم ، ويأبى أهلها فى الفضل عليها لدِمَشْقَ التسليم ؛ حتى نزل هُولاكُو بحوافر خيله فهُدِمت أسوارها وخربت حواضرها ، ولم تزل خالية من الأسوار ، عَرِيَّةً من الأبواب ، إلى أن كانت فتنة مِنْطاش فى سلطنة الظاهر بَرْقوق والنائب بها من قِبَلِه الأمير كمشبغا ، فجدّد أسوارها ، ورتب أبوابها ، وهى

سبعة أبواب: باب قِنَّسْرِينَ من القبلة، وباب المقام من القِبْلة أيضا، وباب النَّيْرَب من الشرق، وباب الأربعين من الشرق أيضا، وباب النصر من بحريّها، وباب الجِنان من غربيها، وباب أنْطاكِيَةَ من غربيها أيضا؛ وهى الآن فى غاية ما يكون من العمارة وحُسْن الرونق والبهجة، ولعلها قد فاقت أيام بنى حَمْـدان؛ ولم يزل نائبها من أكابر الأمراء المقدّمين من الدولة الناصرية فما قبلها إلى الآن، وقد زادت رتبته عما كان عليه فى الأيام الناصرية؛ وهى ثانية دِمَشْقَ فى الرتبة؛ ومعاملاتها على ما تقدّم فى دِمَشْقَ من الدراهم والدنانير والفُلُوس وصنجة الذهب والفضة. غير أن الفلوس الجُدُد لم تَرُجْ بها بعدُ، ورِطْلُها سبعمائة وعشرون درهما بالصَّنْجة الشامية[1]، كلُّ أوقية ستون درهمـا، ومعاملاتها معتـبرة بالمَكُّوك، ولا تعرف فيها الغِرارة، ولا فى شىء من أعمالهـا؛ وتختلف بلادها فى المَكُّوك آختلافا متباينا فى الزيادة والنقص. قال فى "مسالك الأبصار": والمعدّل فيها أن يكون كل مَكُّوكين ونصف غرارة ومابين ذلك وكل ذلك تقريبا.

قلت: وأخبرنى بعض أهلها أن المَكُّوك بنفس مدينة حَلَبَ معتبر بسبع وَيْبات بالكيل المصرى، والذراع القماش ذراعٌ وسدسٌ بذراع القماش القاهرى، ويزيد على ذراع دمشق بقيراطين، وقياس دُورِ أرضها بذراع العَمَل المعروف بالديار المصرية.

الجملة الثـانية

(فى نواحيهـا وأعمالهـا)

قال فى "مسالك الأبصار": هى أوسع الشام بلادا، متصلةٌ ببلاد سِيسَ والرُّوم وديار بكر وبرِّيَّة العِراق. قال فى " التعريف " : ويحدّها من القبلة المَعَرّة وما وقع

---

(١) وأواقيه آثنتا عشرة أوقية [كما سيأتى له فى حلب فى موضع آخر].

على سمتها إلى الدمنة الخراب والسلسلة الرومية ومجرى القناة القديمة الواقع ذلك بين الحيار (يعنى بكسر الحاء المهملة والياء المثناة تحت وألف وراء مهملة) والقرية المعروفة بقبة ملاعب، ويحدها من الشرق [البر] حيث يحد بردى آخذا على جبل الثلج، ثم الجلاب على أطراف بالس إلى الفرات دائرة بحدها. قال: وبهذا التقسيم تكون بلاد جعبر داخلة فى حدودها، ويحدها من الشمال بلاد الروم مما وراء بهسنى وبلاد الأرمن على البحر الشامى:

ثم أعمالها على ثلاثة أقسام.

القسم الأول

(ما هو داخل فى حدود بلاد الممالك الشامية، ولها بر وأعمال)

فأما برها فهو ضواحيها على ما تقدم فى دمشق، وهو كالعمل المنفرد بنفسه.

وأما أعمالها، فقد ذكر المقر الشهابى بن فضل الله فى كتابيه "التعريف" و"مسالك الأبصار" بها ستة[1] عشر عملا على أكثرها[2]، وربما انفرد أحد الكتابين عن الآخر بالبعض دون البعض.

الأول — (عمل قلعة المسلمين) — المسماة فى القديم بقلعة الروم وهى قلعة من جند قنسرين فى البر الغربى الجنوبى من الفرات، فى جهة الغرب الشمالى عن حلب على نحو خمس مراحل منها، وفى الغرب عن البيرة على نحو مرحلة، والفرات بذيلها. وموقعها فى الإقليم الرابع. قال بعض أصحاب الأزياج: وطولها اثنتان وستون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة. وهى من القلاع الحصينة التى لا ترام ولا تدرك، ولها ربض وبساتين، ويمر بها نهر يعرف بمرزبان يصب فى الفرات. قال فى "التعريف": وكان بها خليفة الأرمن

(١) المعدود ستة وعشرون وفى الضوء "سبعة وعشرون". (٢) لعله اتفقا على أكثرها.

ولا يزال بها طاغوت الكُفْر، فقصدها الملك الأشرف خليـل بن المنصور قلاوون فنزل عليها، ولم يزل بها حتّى فتحها، وسمـاها قلعـةَ المسلمين . قال : وهى من جلائل القِلاع .

الثانى — (عمل الكَخْتَا) — بفتح الكاف وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المثناة فوق ثم ألف فى الآخر، والألف واللام فيه غير لازمتين — وهى قلعة فى أقاصى الشام من جهة الشَّمال بشرق من حَلَب، علىٰ نحو خمس مراحل منها، وموقعها فى الإقليم الرابع. قال بعض أصحاب الأزياج : طولها إحدىٰ وستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهى قلعة عالية البناء لاتُرام حصانةً، ولها بساتين ونهر، ومَلَطْيَـةُ عنها فى جهة الغرب علىٰ مسيرة يومين، وكَرْكَر منها فى جهة الشرق، وكانت أحدَ ثغور الإسلام فى وجوه التتار عند قيامهم . قال فى "التعريف": وهى ذات عمل متسع، وعسكر تطوّع مجتمع .

الثالث — (عمل كَرْكَر) بفتح الكاف وسكون الراء المهملة ثم كاف مفتوحة ثانية بعدها راء مهملة ثانية أيضا — وهى قلعة من أقاصى الشام فى الشَّمال عن حَلَبَ علىٰ نحو خمس مراحل أيضـا، وفى الغرب من الكَخْتَا المتقدّمة الذكر علىٰ نحو يوم منها، وموقِعُها فى الإقليم الرابع . قال فى بعض الأزياج : طولهـا إحدىٰ وستون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى قلعـة حصينة شاهقـة فى الهواء يُرىٰ الفرات منها كالجدول الصغير، وهو منها فى جهة الشرق، وكانت من أعظم الثغور فى زمان التَّتار .

الرابع — (عمل بَهَسْنىٰ) — بفتح الباء الموحدة والهاء وسكون السين المهملة ثم نون وألف — وهى قلعة فى شمالىّ حَلَبَ علىٰ نحو أربع مراحلَ منها ، وموقعها فى الإقليم

الرابع . قال فى بعض الأزياج : طولها إحدىٰ وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعَرْضها ثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى قلعة حصينة مرتفعة لا تُرام حصانةً ، بها بساتينُ ونهر صغير وأسواق ورُسْتاق متسع ، وبها مسجد جامع . ثم قال : وهى بلدة واسعة ، كثيرة الخير والخِصْب ، وهى فى الغرب والشَّمال عن عَيْنتاب ، وبينهما نحو مسيرة يومين ، وبينها وبين سِيسَ نحو ستة أيام . قال فى "التعريف" : وهى الثغر المُتاخم لبلاد الدُّرُوب ، والمشتعل فى جمرة الحروب ؛ وبها عسكر من التُّرْكُمَان والأكراد . ولا يزال لهم آثار فى الجهاد . قال : ولنائبها مكانة جليلة ، وإن كان لا يلتحق بنائب البِيرَة .

الخامس — (عمل عَيْنتاب) — بفتح العين وسكون الياء المثناة تحت والنون وفتح التاء المثناة فوق ثم ألف وباء موحدة — وهى مدينة من جُنْد قِنَّسرِينَ شمالىَّ حَلَب علىٰ نحو مرحلتين منها ، وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى بعض الأزياج : طولها آثنتان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعَرْضها ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهى مدينة حسنة ، واسعة الأرجاء ، كثيرة المياه والبساتين ، ذات أسواق جليلة مقصودة للتجار والمسافرين ؛ وبها قلعة حصينة منقوبة فى الصخر . وهى عن حَلَب فى الشَّمال علىٰ نحو ثلاث مراحل منها ، وعن قلعة الرُّوم فى الجَنُوب علىٰ نحو ثلاث مراحل أيضا ، وعن بَهَسْنىٰ فى جهة الشرق والجنوب علىٰ نحو ثلاث مراحل .

السادس — (عمل الرَّاوَنْدَانِ) — بألف ولام لازمتين وراء مهملة بعدها ألف ثم واو مفتوحة ونون ساكنة ودال مهملة ثم ألف ونون — وهى قلعة من جُنْد قِنَّسرِينَ واقعة فى الإقليم الرابع طولها آثنتان وستون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة . وهى قلعة حصينة علىٰ جبل مرتفع أبيض ، ذاتُ أعينٍ وبساتين وفواكه ، وواد

حسن ؛ ونهرها من تحتها نهر عِفْرِين المتقـدم ذكره آخذا من الشّمال إلىٰ الجنوب، وهى فى الغرب والشّمال عن حلب، وبينهما نحو مرحلتين، وفى الشمال عن حارِم .

السابع – (عمل الدَّرْبَسَاك) – بفتح الدال المهملة وسكون الراء المهملة وفتح الباء الموحدة والسين المهملة ثم ألف وكاف، والألف واللام فيه غير لازمتين – وهى قلعة من جُنْد قِنَّسْرِينَ واقعةٌ فى الإقليم الرابع شمالىّ حلبَ علىٰ نحو ثلاث مراحل أو أربع منها . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن يكون طولها إحدىٰ وستين درجة، وعرضها ست وثلاثون درجة . وهى قلعة حصينة ذات أعين و بساتين، و بها مسجد جامع، ولهـا من شرقيها مُرُوج متسعة، حسنة المَنْظَر، كثيرة العُشْب، يمرّ بها النهر الأسود المتقدّم ذكره .

الثامن – (عمل بَغْرَاس) – بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وراء مهملة وألف ثم سين مهملة – كذا ضبطه السمعانىّ فى "الأنساب" ووقع فى "التعريف" و"مسالك الأبصار" بالصاد المهملة بدل السين . والجارى علىٰ أَلْسِنَة الناس ضم أوّله ؛ وهى قلعةٌ من جُنْد قِنَّسْرِينَ، واقعةٌ فى الإقليم الرابع شمالىّ حَلَبَ علىٰ نحو أربع مراحل منها . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولهـا ستون درجة وخمس وخمسون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاث وخمسون دقيقة، وهى فى الجبل المطلّ علىٰ عَمْقِ حارِم . قال ابن حوقل : وكان بها دار ضيافة لزُبَيْـدَةَ . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى ذات أعيُن و بساتين وأشجار، و بينهـا و بين الدَّرْبَسَاك نحو بعض مرحلة، وهى فى جهـة الجنوب عن الدَّرْبَسَاك . قال فى "العزيزىّ" : و بينها و بين أَنْطَاكِيَة اثنا عشر ميلا، و بينها و بين إِسْكَنْدَرُونَة كذلك، و بينها و بين حارِم نحو مرحلتين . و بَغْرَاس فى الجنوب عن دَرْبَسَاك و بينهما بعض مرحلة، وحارمٌ فى جهة الشرق عنها . قال فى "التعريف" : وكانت

هى الثَّغْرَ فى بحر الأَرْمَنِ حتّى ٱستضيفت الفتوحات الجاهانية . قال : وبها رُصَصُ وهى عضو من أعضائها وجزء من أجزائها . ورُصَصُ المذكورة براء مهملة مضمومة وصادين مهملتين الصاد الأولى مفتوحة ، وهى بلدة على الساحل ، وقد مر ذكرها فى الكلام على بحر الروم على سواحل الأرمن .

التاسع — (عمل القُصَيْرِ) تصغير قصر . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى قلعة غربىّ حَلَبَ على نحو أربع مراحل منها . قال فى "التعريف" : وهى لأَنْطاكِيَةَ ولم يتحرّر لى طُولها وعَرْضها .

العاشر — (عمل الشُّغْرِ وبَكَاسَ) — ٱسمان لقلعتين بينهما رَمْيَةُ سَهْمٍ . فالشُّغْرُ — بضم الشين وسكون الغين المعجمتين ثم راء مهملة .

وبَكَاسُ — بفتح الباء الموحدة والكاف ثم ألف وسين مهملة فى الآخر . وهما من جُنْد قِنَّسْرِينَ ، وموقعهما فى الإقليم الرابع . قال فى بعض الأزياج : طولهما إحدى وستون درجة ، وعرضهما خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وهما مبنيان على جبلٍ مستطيل ، وتحتهما نهر يجرى ، وبهما بساتين وأشجار وفواكه كثيرة ، ولهما رُسْتاق ومسجد جامع . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهما فى الجنوب عن أَنْطاكِيَةَ وبينهما الجبال .

الحادى عشر — (عمل شَيْزَر) — بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الزاى المعجمة وفى آخرها راء مهملة . وهى مدينة من جُنْد حِمْص غربىّ حَلَبَ على نحو ثلاث مراحل منها ، واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها إحدى وستون درجةً وعشر دقائق ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهى مدينة ذات أشجار وبساتينَ وفواكهَ كثيرة وأكثرها الرمّان ، ولها ذكر فى شعر ٱمرئ القيس مع حَماةَ . قال "فى العزيزى" : وبينها وبين حماة

تسعة أميال، و بينها وبين حِمْص ثلاثة وثلاثون ميلا، و بينها و بين أَنْطَاكِيَة ستة وثلاثون ميلا .

الثانى عشر – (عمل حجر شُغْلَانَ) بلفظ حَجَر واحد الحجارة و إضافته إلى شُغْلَانَ (بضم الشين وسكون الغين المعجمتين ثم لام ألف ونون).وهى قلعة شمالىّ حَلَب على نحو ثلاث مراحل منها. قال فى "مسالك الأبصار": وهى بالقُرْب من بَغْرَاس فى جهة الشَّمال على مسافة قريبة جدّا ، ولم يتحرر لى طُولها وعَرْضها ولكنها تعتبر ببَغْرَاس المتقدّمة الذكر لقربها منها – وهى الآن خراب .

الثالث عشر – (عمل قلعة أَبِى قُبَيْس) – بهمزة مفتوحة و باء موحدة مكسورة بعدهما ياء ساكنة ثم قاف مضمومة و باء موحدة مفتوحة وياء مثناة تحتُ ساكنة ثم سين مهملة فى الآخر – وهى قلعة حصينة غربىّ حَلَب مما يلى الساحل ، على نحو ثلاث مراحل قصيرة من حَلَب، كذا أخبرنى به بعض أهل البلاد ، ولم يتحرر لى طولها وعرضها، وسيأتى فى الكلام على ترتيب المملكة أنها استقرت ولايةً، وربما أُضيفت إلى غيرها .

الرابع عشر – (عمل قلعة حَارِم) – بحاء مهملة مفتوحة وألف ثم راء مهملة مكسورة وميم فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان": والقياس أن طولها ستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة.وهى قلعة حصينة فى جهة الغَرْب من حَلَب على نحو مرحلتين منها، ذاتُ بساتين وأشجار، وبها نهر صغير وبينها وبين أَنْطَاكِيَة مرحلة ، ورَبَضها بلد صغير . قال ابن سعيد : وقد خُصَّتْ بالرُّمّان الذى يُرَى باطنه من ظاهره مع عدم العَجَم وكثرة الماء .

الخامس عشر – (عمل كَفَرطَابَ) – بفتح الكاف وسكون الفاء وراء مهملة ثم طاء مهملة بعدها ألف و باء موحدة – على إضافة كَفْرٍ إلى طَابَ. هذا هو الجارى على

الألسنة وهو الصواب ، وأصله من الكَفْر بمعنى التغطية ، والمراد مكان الزرع والحَرْث لتغطية الحَبّ بالزراعة كما فى قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ يريد الزُّرَّاع ، ووقع فى كلام صاحب حماة[(١)] بفتح الفاء وهو وَهَمٌ .

وظاهر كلام صاحب "الروض المعطار" أن طَابَ فى معنى الصفة لكَفْر فإنه قال : وسمى بذلك لأن حوله أرض كريمة . قال : وأرضه صحيحة الهواء ومَنْ سكنها لايكاد يَمْرَضُ، وقيل إنه منسوب إلى رجل آسمه طاب – وهى بلدة صغيرة من جُنْد حِمْص غربىّ حَلَب ، على نحو ثلاث مراحل منها، واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى "كتاب الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها إحدى وستون درجة وخمسَ عشرةَ دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة – وهى على الطريق بين المَعَرَّة وشَيْزَر . قال فى "العزيزى" : وبينها وبين المَعَرَّة وشَيْزَرَ آثنا عشر ميلا .

السادس عشر – (عمل فامِيَة) – بفتح الفاء وألف بعدها ثم ميم مكسورة وياء مثناة تحتُ وهاء فى الآخر . قال فى "المشترك" : ويقال لها أَفَامِيَة بهمزة فى أوّلها يعنى مفتوحة . وهى مدينة من أعمال شَيْزَرَ، غربىّ حَلَب ، على نحو أربع مراحل منها واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها إحدى وستون درجة وثلاث دقائق ،وعرضها خمس وثلاثون درجة . قال فى "العزيزى" : وكُورَةُ فَامِيَةَ لها مدينة كانت عظيمة قديمة، على نشز من الأرض، ولها بُحَيرة حلوة يشقُّها النهر المقلوب .

---

(١) وكذا فى "معجم البلدان" بضبط القلم .

السابع عشر — (عمل سَرْمِينَ) — بفتح السين وسكون الراء المهملتين وكسر الميم ثم ياء مثناة تحتُ ساكنة ونون بعدها . وهى مدينة فى الغرب من حَلَبَ على نحو مرحلتين صغيرتين منها، واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى "كتاب الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . وهى مدينة غير مسوّرة، وبها أسواق ومسجد جامع، وشرب أهلها من الماء المجتمع فى الصهاريج من الأمطار، وهى كثيرة الخِصْب، وبها الكثير من شجر التين والزيتون، وهى فى جهة الجنوب عن حَلَبَ على مسيرة يوم منها وعملها متسع .

ومن مضافاتها مدينة الفُوعَة (بضم الفاء وفتح العين المهملة) . وهى مدينة على القرب من سَرْمِينَ فى الغرب منها، وتسمّى هذه الولاية الغَرْبِيَّات (بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة وفتح الياء المثناة تحت المشدّدة وألف ثم تاء مثناة فوق فى الآخر) . قال فى "التعريف" : وهى أجلُّ ولايات حَلَبَ .

الثامن عشر — (عمل الجَبُّولِ) — بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشدّدة ثم واو ساكنة ولام فى الآخر — وهى بلدة شرقىّ حَلَبَ على نحو مرحلة كبيرة منها، وهى بالقرب من الفُرَات، ولم يتحرّر لى طولها وعرضها . قال فى "تقويم البُلْدان" : ومنها ينقل المِلْحُ إلى سائر أعمال حَلَبَ، وقد أخبرنى بعض أهلها أن أصل هذا المِلح نهرٌ يصل إليها يعرف بنهر الذَّهَب فيبقى ماء فيما يمرّ عليه من البُلْدان حتّى ينتهى إليها فينعقد ملحا لوقته .

التاسع عشر — عمل (جَبَلِ سَمْعَانَ) — وضبطه معروف . وهى فى جهة الشَّمال من حَلَبَ على [يوم][1] منها، ولم يتحرّر لى طولها وعرضها .

---

(١) فى الأصل ساعة وأبدل فى الهامش بالخط "يوم" .

العشرون — (عمل عَزَاز) — بفتح العين المهملة والزاى المعجمة وألف ثم زاى ثانية مكسورة — كذا ضبطه فى "اللباب" والجارى على الألسنة أَعْزَازْ بهمزة مفتوحة فى أولها وسكون العين والزاى الأخيرة فى الوقف؛ وهى بلدة شمالىّ حلب بشرق على نحو مرحلة منها. قال فى "كتاب الأطوال": وطولها إحدى وستون درجة وخمس وخمسون دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة . وهى فى شمالىّ حلب بمَيْلة إلى الغرب . قال ابن سعيد : ولأعزاز جهات فى نهاية الحسن والطِّيبة والخِصْب ، وهى من أنزه الأماكن .

الحادى والعشرون — (عمل تَلّ باشِر) — بفتح التاء المثناة فوق وتشديد اللام ثم فتح الباء الموحدة وألف بعدها شين معجمة مكسورة وراء مهملة فى الآخر — وهى حصن شمالىّ حَلَب على مرحلتين منها بالقُرْب من عَيْنتاب المتقدم ذكرها. قال ابن سعيد : وهى ذات مياه وبساتين .

الثانى والعشرون — (عمل مَنْبَج)[1] — بفتح الميم وسكون النون وفتح الباء الموحدة وفى آخرها جيم — كذا ضبطه ابن الأثير فى "اللباب" : وهى بلدة من جُنْد قِنَّسْرِينَ شرقىّ حَلَب على نحو مرحلتين منها واقعةٌ فى الإقليم الرابع. قال فى "تقويم البلدان": والقياس أن طولها اثنتان وستون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة. قال ابن سعيد : بناها بعض الأكاسرة الذين غلبوا على الشأم وسمَّاها مَنْبَه فعرّبت مَنْبَج ، وكان بها بيت نارٍ للفُرْس ، وهى كثيرة الفُنِىّ السارحة والبساتين، وغالب شجرها التوت، وأكثرها خراب .

---

(١) ضبطه فى القاموس كمجلس [أى بكسر اللام] وكذلك ضبطه صاحب "تقويم البلدان" عن اللباب فلعل ماهنا سبق قلم .

الثالث والعشرون ـ (عمل تِيزِينَ) ـ بكسر التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت وكسر الزاى المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ونون فى الآخر ـ وهى بلدة صغيرة من أعمال حلب فى جهة الغرب على نحو مرحلة منها .

الرابع والعشرون ـ (عمل البَابِ وبُزَاعَا) . وضبط الباب معروف، و بزاعا بضم الباء الموحدة وفتح الزاى المعجمة وألف بعدها عين مهملة وألف مقصورة فى الآخر . كذا ضبطه فى "تقويم البُلْدان" : والجارى على الألسنة إبدال الألف فى آخره بهاء . وهما بلدتان متقاربتان ، من جُنْدِ قِنَّسْرِينَ على مرحلة من حَلَبَ فى الجهة الشمالية الشرقية فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها آثنتان وستون درجة وعشر دقائق ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

أما الباب : فُبُلَيْدة صغيرة . قال فى "تقويم البُلْدان" : بها مشهد به قبر عَقِيل آبن أبى طالب رضى الله عنه ، وبها أسواق وحمام ومسجد جامع ، وبها البساتين الكثيرة والنزه .

وأما بُزَاعَا ـ فضيعة من أعمال الباب .

الخامس والعشرون ـ (عمل دَرْكُوشَ) ـ بفتح الدال وسكون الراء المهملتين وضم الكاف وسكون الواو وشين معجمة فى الآخر ـ وهى بلدة على النهر العاصى غربىَّ حَلَبَ على نحو ثلاث مراحل منها ، وأكثر زرع أرضها العنب . أخبرنى بعض أهل تلك البلاد أن حَبَّةَ العِنَب بها ربما بلغت فى الوزن عشرةَ دراهم ، وبها قلعة عاصية آستولى هُولَاكو على قلاع الشام ماعداها فإنه لم يصل إليها .

السادس والعشرون ـ (عمل أَنْطَاكِيَة) . قال فى "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء المهملة . قال فى "تقويم البُلْدان" : ثم ألف وكاف

مكسورة ثم ياء مثناة تحت وهاء في الآخر . قال ابن الجواليقي في "المُعرّب" : وياؤها مشددة . وخالف في "الروض المعطار" : فذكر أنها مخففة الياء — وهي مدينة عظيمة غربيّ حلب بشمال يسير على نحو مرحلتين منها . قال في "تقويم البلدان" : وهي قاعدة بلاد العواصم . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي مدينة عظيمة قديمة، على ساحل بحر الروم، بناها بَطْلَمُوس الثاني من ملوك اليونان، وقيل بناها مَلِكٌ يقال له أنطاكين فعرفت به ، ولها سُورٌ عظيم من صَخْر ليس له نظير في الدنيا . قال في "العزيزي" : مساحة دَوْره اثنا عشر ميلاً . قال في "الروض المعطار" : عدد شُرُفاته أربع وعشرون ألفا، وعدد أبراجه مائة وستة وثلاثون بُرْجا . قال ابن حوقل : وهي أنزهُ بلاد الشام بعد دِمَشْق ، ويمر بظاهرها العاصي والنهر الأسودُ مجموعين ، وتجرى مياههما في دُورِها ومساكنها ومسجدها الجامع ، وماؤها يستحجر في مجاريه حتى لا يؤثر فيه الحديد، وشربه يحدث رياح القُولَنْج، والسلاحُ بها يُسْرِع إليه الصَّدَأ ويذهب ريحُ الطِّيب بالمكث فيها، وهي أحد كراسيّ بطاركة النصارى، ولها عندهم قدر عظيم . وقد قيل في قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ إنها أنطاكيةُ وان ذلك الرجل "حبيب النَّجَّار" وقبره بها مشهور يزار . قلت : وحينئذ فتصير ولايتها[(١)] المذكورة في "التعريف" و"مسالك الأبصار" : اثنتى عشرة ولاية .

ومِينَا أنطاكيَة المذكورة (السُّوَيْدِيَّة) بضم السين المشددة وفتح الواو وسكون الياء المثناة تحت وكسر الدال المهملة وفتح الياء المثناة تحت المشددة وهاء في الآخر . قال في "تقويم البُلْدان" : وموضعُها حيث الطولُ ستون درجة وخمس وأربعون

(١) لعله ولاياتها . على أن هذه الفذلكة تحتاج إلى تأمل .

دقيقـة . وعندها مصبُّ النهر العاصى ، وهناك ينعطف البحر الرومىّ ويأخذ غربا بشمال على سواحل بلاد الأرمَن .

القسم الثـانى

(من الأعمال الحَلَبيـة البلاد المتصلة بذيل البلاد المتقـدّم ذكرها فى الأعمال الحلبية من الشَّمال ، وهى المعروفة ببلاد الأرمَن)

قال فى "التعريف" فى مكاتبة متملك سِيس : وهـذه البلاد منها بلادٌ تسمّى العواصمَ ، ومنها بلادٌ كانت تسمّى قديما بالثُّغُور ، سميت بذلك لمناغرتها الروم ، وإلى مثل ذلك أشار فى "تقويم البُلْدان" أيضا .

فالعَوَاصِمُ (بفتح العين المهملة والواو وكسر الصاد المهملة وميم فى الآخر) . قال ابن حوقل : وهى اسم للناحية وليست موضعا بعينه يسمّى العواصم . قال : وقصبتها أنْطَاكِيَـةُ . قال : وعدّ ابن خرداذبه العواصم فكثَّرها وجعل منها كورة مَنْبِجَ ، وكورة تِيزِينَ وبالس ورُصَافة هشام ، وكُورَة جُومَةَ وكذا شَيْزَر وأَفَامِية ، وإقليم مَعَرّة النُّعمان ، وإقليم صُوران ، وإقليم تلّ باشر وكَفَرطابَ ، وإقليم سَلَمِيَّةَ ، وإقليم جُوسِيَةَ ، وإقليم لُبْنَانَ إلى أن بلغ إقليم قَسْطَل بين حِمْص ودِمَشْقَ .

قلت : وأوّل من سماها بذلك الرشيد هارون حين بنى بها مدينة طَرَسُوسَ الآتى ذكرها فى سـنة سبعين ومائة ، والذى يظهر أنها سميت بذلك لعصمتها ما دُونَها من بلاد الإسلام من العدوّ ، إذ كانت متاخمة لبلاد الكفر ، واقعةً فى نَحْرِ العدوّ ، وعساكرُ المسلمين حافظة لها .

والثُّغُور جمع ثَغْرٍ (بفتح الثاء المثلثة وسكون الغين المعجمة وفى آخره راء مهملة) . قال فى "المشترك" وهو اسم لكل موضع يكون فى وجه العدوّ ، قال : وثغور الشام كانت أَذَنَةَ وطَرَسُوسَ وما معهما فاستولى عليها الأرمن .

وذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة فى تاريخه : أن الرشيد فى سنة سبعين ومائة عزل الثغور كلّها من الجزيرة وقِنَّسْرِينَ وجعلها حَيِّزًا واحدا وسماها العواصم .

قلت : ومقتضى ذلك أن تكون الثغور والعواصم آسما على مسمًّى واحد ، وعليه ينطبق كلام المقر الشهابى بن فضل الله فى "التعريف". وقد حدّد فى "التعريف" هذه البلاد بجملتها فقال : وحدُّها من القبلة وآنحراف للجنوب بلاد بَغْرَاس وما يليها ؛ وحدّها من الشرق جبال الدَّرَبَنْدَات ؛ وحدّها من الشمال بلاد آبن قرمان ؛ وحدّها من الغرب سواحل الروم المفضيةُ إلى العَلَايا وأنْطاليَا . وسيأتى الكلام على أصل آستيلاء الأرمن على هـذه البلاد وآنتزاعها منهم وعودها إلى الإسلام فى الكلام على مكاتبة متملك سِيسَ ، على ما كان عليه الأمر قبل عودتها إلى الإسلام فى مكاتبات ملوك الكفر إن شاء الله تعالى .

ويشتمل على عدّة نِيَـابات ، بعضها ذكره فى "التعريف" وبعضها آستجدّ بعد ذلك ، وهى على ضربين أيضا .

الضرب الأوّل

(الأعمال الكِبار ، وهى صفقتان : ساحلية وجَبَلية)

فأما الجبلية ، فثلاثة أعمال .

الأوّل – (عمل مَلَطْيَةَ)[1] – بفتح الميم واللام وكسر الطاء المهملة وبعدها ياء مثناة تحت مشدّدة مفتوحة وهاء فى الآخر . وهى مدينة شمالىّ حلب بمَيْلَة إلى الشرق على نحو سبع مراحل منها . قال آبن سعيد : وهى قاعدة بلاد الثُّغور ، وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : وطولها إحدى وستون درجة ،

(١) ضبطها ياقوت والمجد بفتحتين ثم سكون وقال ياقوت : كسر الطاء وتشديد الياء من قول العامة .

وعرضها سبع وثلاثون درجة ، ووافقه فى " القانون " على الطول وجعل العَرْض ثمانيا وثلاثين درجة ، وقد عدّها ابن حوقل من جملة بلاد الشام وقال إنها من قرى بلاد الروم على مرحلة . قال صاحب حماة : والأليق عدّها من بلاد الروم . ثم قال : وعدّها بعضهم من الثُّغور الجزرية . قال فى " الروض المعطار " : وكانت قديمة نخربتها الروم ، فبناها أبو جعفر المنصور يعنى ثانىَ خلفاء بنى العَبَّاس فى سنة تسع وثمانين ومائة[1] ، وجعل عليها سورا محكما — وهى بلدة ذات أشجار وفواكه وأنهار ، وهى مسوّرة ، فى بسيط من الأرض والجبالُ محتفة بها من بُعْد ، ولها نهر صغير يمرّ بسورها ، ولها قُنِيّ تدخلها وتجرى فى دُورها إلا أنها شديدة البرد — وهى فى شمالىّ الجبل الدائر الذى بسِيس فى غربيّه ، فى الجنوب عن سِيوَاس ، وبينهما نحو ثلاث مراحل ، وفى الغرب عن نَكْدَا وبينهما نحو مرحلتين . وقد ذكر فى "تقويم البُلْدان" : أنها فتحت فى سنة خمس عشرة وسبعمائة .

الثانى — (عمل دَرَنْدَة) — بفتح الدال والراء المهملتين وسكون النون وفتح الدال الثانية وهاء فى الآخر — وهى مدينة فى جهة الغرب عن مَلَطيَةَ على نحو مرحلة ، ذاتُ بساتين وأنهار وعيون ماء تجرى ، وبينها وبين حَلَبَ نحو عشرة ايام .

الثالث — (عمل دَبْرَكِى) — بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح الراء المهملة وكسر الكاف وياء مثناة تحت فى الآخر . وقد يقال دَوْرَكِى بإبدال الباء واوا . وهى مدينة فى جهة الشمال والغرب من حَلَبَ ، على نحو عشر مراحل منها ، بها بساتينُ وأشجار ، وبينها وبين حَلَبَ نحو اثنى عشر يوما .

---

(١) لعله مصحف عن ثلاثين فان المنصور تولى الخلافة سنة ست وثلاثين ومائة وتوفى سنة ثمان وخمسين ومائة ، ونقل ياقوت أنه أرسل من يبنى ملطية سنة أربعين ومائة .

وأما الساحلية، فإن بها خمسة أعمال .

الأول — (آياس) ـ بفتح الهمزة الممدودة والياء المثناة تحتُ ثم ألف وسين مهملة فى الآخر . وهى مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر، وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى "الزيج" : طولها تسع وخمسون درجة ، وعَرْضها ست وثلاثون درجة ، وهى فُرْضة تلك البلاد، و بينها و بين بَغْرَاس المتقدّم ذكرها مرحلتان . قال فى "التعريف": وقد جعلت نيابةً جليلة نحو حِمْص، وجُعِل أمرها إلى نائب الشام، ثم جعلت إلى نائب حَلَب، وهى المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية إضافة إلى نهر جاهان المجاور لها، وهو جيحان المتقدّم ذكره، وكانت آستعادتُها من الأرمن فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، ولذلك قال فى "التعريف" : والعهد بفتحها قريب .

الثانى — (عمل طَرَسُوس) ـ بفتح الطاء والراء المهملتين جميعا وضمّ السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية ـ هكذا ضبطه فى "اللباب" والجارى على الألسنة سكون رائها ، وهى مدينة من بلاد الأرمن على ساحل بحر الروم شَمَالا بغرب عن حَلَب، وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها ثمان وخمسون درجة وأربعون دقيقة، وعرضها ستّ وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال فى "الروض المعطار" : وهى مدينة مسوّرة، بناها الرشيدُ فى سنة سبعين ومائة وأكملها فى سنة آثنتين وسبعين، ولها خمسة أبواب: باب الجهاد، و باب الصَّفْصاف، و باب الشام، و باب البحر، والباب المسدود . والنهر يشق فى وسطها وعليه قنطرتان داخل البلد . قال آبن حوقل : وهى فى غاية الخِصْب، و بينها و بين حدّ الروم جبال هى الحاجز بين الروم والمسلمين ، و بها دُفِن المأمون بن الرشيد ، وكانت آستعادتها من الأرمن فى الدولة الناصرية حسن بن محمد بن قلاوون .

الثالث — (عمل أدنة)[(١)] — بهمزة ودال مهملة ونون مفتوحات وهاء فى الآخر . وهى مدينة من بلاد الأرمن واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى بعض الأزياج : طولها تسع وخمسون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال أحمد آبن يعقوب الكاتب فى كتابه "المسالك والممالك" : وهى من بناء الرشيد . قال آبن حوقل : وهى مدينة حصينة عامرة ، و بينها وبين طَرَسُوس ثمانية عشر ميلا .

الرابع — (عمل سِرْفَنْدَكَار) — بكسر السين وسكون الراء المهملتين وفتح الفاء وسكون النون وفتح الدال المهملة والكاف ثم ألف وراء مهملة — هكذا ضبطه صاحب حماة ، ثم قال : وقد يجعل موضع الفاء واوا فيقال سِرْوَنْدَكَار والموجود فى الدساتير إسْفَنْدَكَارُ بهمزة فى الأول وسقوط الراء الأولة ؛ وهى قلعة من بلاد الأرمن واقعة فى الإقليم الرابع . قال فى "الزيج" : طولها ستون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى قلعة حصينة فى واد على صخر ، و بعض جوانبها ليس له سور للاستغناء عنه بالصخر ، وهى على القرب من نهر جَيْحان من البر الجنوبى ، فى الشرق عن تل حَمْدون على نحو أربعة أميال .

الخامس — (عمل سِيس) — بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت ثم سين مهملة ثانية — هذا هو المعروف فى زماننا ، ووقع فى كلام الصاحب كمال الدين آبن العديم أن آسمها سِيسَة باثبات هاء فى آخرها ، وكلامه فى "العزيزى" يوافقه . وهى قاعدة بلاد الأرمن ومَوْقِعها فى الإقليم الرابع . قال فى "الزيج" : طولها ستون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة . وهى بلدة كبيرة ذات بساتين وأشجار ، ولها قلعة حصينة عليها ثلاثة أسوار على جبل مستطيل ، بناها بعض خدام الرشيد وهو الذى سماها . قال آبن سعيد : وكانت قاعدة الثغور الشمالية . قال فى "العزيزى" : و بينها

(١) الذى فى "تقويم البلدان" و"معجم البلدان" و"القاموس" أنها بالذال المعجمة .

وبين المَصِّيصة أربعة وعشرون ميلا. وكانت آستعادتها من الأرمن فى الدولة الأشرفية شعبان بن حسين. قلت : وقد كانت سِيسُ فى أعقاب الفتح نيابة مستقلة، ثم صارت تقدمةَ عسكر مضافة إلىٰ حَلَبَ كما يقع فى غَزّة فى كونها تارة تكون نيابة مستقلة، وتارة تقدمةَ عسكر مضافة إلىٰ دمشق علىٰ ما تقدّم ذكره.

الضرب الثانى

(من[١] الأعمال الصِّغار بلاد الأرْمَن)

وهى ثلاثة عشر عملا لثلاث عشرة قلعة، لم تجر العادة بمكاتبة أحد من نوابها عن الأبواب السلطانية، ذكر بعضها فى "التعريف" وبعضها فى "التثقيف" وبعضها فى غيرهما من الدساتير.

الأول — (عمل قلعة بَارِى كَرُوكَ) بفتح الباء الموحدة وألف بعدها راء مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة ثم كاف مفتوحة وراء مهملة وواو ساكنة ثم كاف فى الآخر. وهى قلعة علىٰ رأس جبل بالقرب من طَرَسُوسَ فى الشَّمال، علىٰ نحو نصف مرحلة قال فى "التثقيف" : آستجدّت فى سنة ستين وسبعمائة. قلت : آفتتحها بيدمر الخوارزمىّ نائب سِيسَ فى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون.

الثانى — (عمل كَاوَرًّا) بفتح الكاف وبعدها ألف وواو وراء مفتوحة مشدّدة وألف فى الآخر. وهى قلعة فى الشمال عن آياس علىٰ جبل مطلّ علىٰ البحر الرومىّ علىٰ نحو ساعة. قال فى "التثقيف" : آستجدّت سنة تسع وستين وسبعمائة.

الثالث — (عمل كُولَاكَ) بفتح الكاف وسكون الواو ولام ألف بعدها كاف ثانية. وهى قلعة مدوّرة علىٰ رأس جبل فى الشمال عن طَرَسُوسَ علىٰ نحو مرحلة، يسكنها طائفة من التُّرْكُمَان.

(١) لعله الأعمال الصغار من بلاد الخ.

الرابع – (عمل كِرْزَالَ) بكاف مكسورة وراء مهملة ساكنة وزاى معجمة مفتوحة وبعدها ألف ثم لام . وهى قلعة صغيرة علىٰ رأس جبل بالقرب من كَوْلَاكَ المتقدّم ذكرها علىٰ نحو مرحلة . قال فى "التثقيف" : آستجدّت فى سنة نَيِّف وسبعين وسبعمائة .

الخامس – (عمل كُومِى) بضم الكاف وسكون الواو وكسر الميم وياء مثناة تحتُ فى الآخر .

السادس – (عمل تَلّ حَمْدُونَ) بفتح التاء المثناة فوق وتشديد اللام وفتح الحاء المهملة وإسكان الميم وضم الدال المهملة وسكون الواو ونون فى الآخر . وهى قلعة ببلاد الأرمن ، وموقعها فى الإقليم الرابع . قال آبن سعيد : طولها تسع وخمسون درجة وعشرون دقيقة ،وعرضها ست وثلاثون درجة . قال صاحب حماة : كانت قبل أن يخرّبها المسلمون قلعةً حصينة حسنة البناء علىٰ تَلّ عال ، ولها سور مانع ورَبَض وبساتين ونهر يجرى ، وعلىٰ القرب من جَيْحان فى جهة الجنوب علىٰ نصف مرحلة ، وبينها وبين آياس نحو مرحلة ، وبينها وبين سِيس نحو مرحلتين .

السابع – (عمل الهَارُونِيَّتَيْنِ) – بفتح الهاء وألف بعدها ثم راء مهملة مضمومة ونون مكسورة بعدها ياء مثناة تحت مشدّدة مفتوحة ثم تاء مثناة فوق بعدها ألف[(١)] ونون . قال فى "التعريف" : وهما حِصْنان بناهما هارون الرشيد . وقال فى "المشترك" : الهارونيّة مدينة صغيرة آختطها هارون الرشيد بالثُّغور فى طَرَف جبل اللُّكَام . وقال فى "العزيزى" : الهارونية آخر حدود الثغور الشامية مما يتصل بالحدود الجزرية ، وبينها وبين الكنيسة السَّوْداء آثنا عشر ميلًا .

(١) أى أو ياء ونون تبعا لعوامل الاعراب .

قال فى "كتاب الأطوال" : وطولها ستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة .

الثامن — (عمل قلعة نَجْمَة) بفتح النون وسكون الجيم وفتح الميم وهاء فى الآخر.(١) وهى قلعة على القرب من الفُرات بينها و بين جَسْر مَنْبِج خمسة وعشرون ميلا . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهذه القلعة فى السحاب . قال : وكان يقال لذلك المكان حصن مَنْبِج فصارت تعرف بقلعة نَجْمَة . ثم قال : وهى من بناء السلطان محمود بن زنكى . قلت : وفى "التعريف" ما يقتضى أنها من جملة بناء المأمون .

التاسع — (عمل قلعة حميمص). وهى قلعة خراب صغيرة بالقُرْب من نهر جَيْحان .

العاشر — (عمل قلعة لُؤْلُؤة) — وهى قلعة شمالىّ كَوْلَاك آستعادها آبن عثمان .

الحادى عشر — (عمل قلعة تامرون) شمالىّ طَرَسُوس، بيد عيسى بن ألاس البرسق التركمانى .

الثانى عشر — (عمل سنياط كلا) شمالىّ طَرَسُوس. كانت داخل المملكة آستولى عليها آبن قرمان فى أيام المنصور بن الأشرف شعبان .

الثالث عشر — (عمل بلسلوص) غربىّ طَرَسُوس على ساحل البحر، بيد حسن ابن قوسى البرسق التركمانى .

القسم الثالث

(من الأعمال الحلبية البلاد المجاورة للفُرَات من شرقيّه من بلاد الجزيرة الواقعة بين الفرات ودَجْلة؛ وهى ثلاثة أعمال)

الأول — (عمل البِيرَة) بكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الراء المهملة وألف فى الآخر.(٢) وهى قلعة فى البر الشرقىّ فى الشّمال عن الفُرَات، فى الشرق

---

(١) فى المعجم بدون هاء، وقال "بلفظ النجم من الكواكب" (٢) لعله وهاء فى الآخر، وهى غير البيرة التى ببلاد الأندلس فان تلك الهمزة فيها أصلية على وزن إخريطة وكبريتة فليتنبه .

عن قلعة الروم المتقدّم ذكرها على نحو مرحلة والفُرات بينهما . وقد عدّها في "تقويم البُلْدان": من جُنْد قِنَّسْرِين من أعمال الشام، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في بعض الأزياج : طولها آثنتان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهي قلعة ذات آرتفاع وحصينةٌ لاتُرام . قال في "تقويم البُلْدان" : ولها سوق وعمل . قال آبن سعيد : وقلعتها على صخرة . قال في "التعريف" : ولها مَنَعة وعسكر .

الثاني — (عمل قلعة جَعْبَر) — بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الباء الموحدة وراء مهملة في الآخر . وهي قلعة من ديار بكْر في البر الشرقيّ الشماليّ من الفُرات أيضا ، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها آثنتان وستون درجة ، وعَرْضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال القاضي جمال الدين آبن واصل : وكانت هذه القلعة تعرف قديما بالدَّوْسَرِيَّة نسبة إلى دَوْسَر : عبدالنعمان آبن المنذر، وهوالذي بناها أوّلا لما جعله النعمان على أفواه الشام، ثم تملّكها سابقُ الدين جعبر القشيريّ في أيام الملوك السَّلْجُوقية فعرفت به، ثم آنتزعها منه السلطان ملكشاه السلجوقيّ . قال صاحب حماة : وهي في زماننا خراب ليس بها ديار . قلت : وذلك في أثناء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون، ثم عمرت بعد ذلك في آخر الدولة الناصرية أو بعدها بقليل ، وقد أشار إلى ذلك في "التعريف" : حين تعرّض لذكرها في آخر مضافات الشام قبل ذكر حَلَب بقوله : وهي مجدّدة البنيان، مستجدّة الآن، لأنها جُدّدت منذسنوات، بعد أن طال عليها الأمَد ، وأخْنى عليها الذي أخْنى على لُبَد . وكان قد ذكر قبل ذلك في الكلام على تقاسيم الشام أنها مضافة إلى دِمَشْق . ثم قال : وحقُّها أن تكون مع حَلَب ، وقد صارت الآن من مضافات حَلَب .

الثالث — (عمل الرُّهَا) — بضم الراء المهملة وفتح الهاء وألف في الآخر. وهي مدينة من ديار مُضَر في البر الشرقيّ الشماليّ عن الفُرات، وموقعها في الإقليم الرابع بالقرب

من قلعة الروم . قال فى "الأطوال" : طولها آثنتان وستون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة . قال فى "العزيزى" : وهى مدينة عظيمة رومية، فيها آثار عجيبة . قال فى "الروض المعطار" : وهى مدينة ذات عيون كثيرة تجرى منها الأنهار، وبها البساتين والأشجار الكثيرة، وعليها سُور من حجارة، ولها أربعة أبواب باب حَرَّان، والباب الكبير، وباب سبع، وباب الماء . قال : وليس فى بلاد الجزيرة أحسنُ منتزهات منها ولا أكثر فواكه ؛ والفُرَاتُ منها فى ناحية الغرب على مسيرة يومين، وفى ناحية الشَّمال على مسيرة يوم . قال فى "تقويم البُلْدان" : وكان بها كنيسة عظيمة، وفيها أكثر من ثلثمائة دَيْر للنصارى . قال : وهى اليوم خراب يعنى فى أثناء الدولة الناصرية، ثم عمرت بعد ذلك . قلت : وهى اليوم عامرة آهلة، والله سبحانه وتعالى أعلم .

القاعدة الثالثة

(من قواعد المملكة الشامية حماةُ)

وقد ذكرها فى "مسالك الأبصار" بعد دِمَشْقَ ؛ وهو أليق لقربها منها، ولكنه قد ذكرها فى "التعريف" بعد حَلَب فتبعته على ذلك ؛ وفيها جملتان :

الجملة الأولى

(فى حاضرتها)

وهى بفتح الحاء المهملة والميم وألف ثم هاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الرابع بين حِمْص وقِنَّسْرِينَ . قال فى "تقويم البُلْدان" : وطولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة ؛ وهى مدينة قديمة أزَلِيَّة . قال فى "تقويم البُلْدان" : ولها ذكر فى التوراة، وهى على ضَفَّة

العاصى مَكينة البناء، ولها سُورٌ جليل ، وبيوت ملوكها وشُرُفاتها مطلة على النهر العاصى؛ وبها القصور الملوكية، والدور الأنيقة والجوامع والمساجد والمدارس والرُّبُط والزوايا والأسواقُ التى لا تَعْدَم نوعا من الأنواع ؛ وبها قلعة مبنية بالحجارة الملوّنة ؛ وغالبُ مبانيها العلية ، وآثار الخير والبرِّ الباقية فيها من فواضل نِعَم الدولة الأيوبية ؛ وبها نواعيرُ مركَّبة على العاصى ، تدور بجريان المـاء ، وترفع الماء إلى الدُّور السلطانية ودُور الأمراء والأكابر والبساتين ؛ وفى بساتينها الغِرَاسُ الفائق والثمار الغريبة ؛ ولم يكن لها فى القديم نَبَاهة ذِكْرٍ، وكان الصِّيتُ لحِمْص دُونَها، ثم تنبه ذكرها فى الدولة الأتابكية زنكى ؛ فلما آلت إلى ملوك بنى أيوب مَصَّرُوها بالأبنية العظيمة، والقصور الفائقة، والمساكن الفاخرة، وتأميرِ الأمراء، وتجنيدِ الأجناد فيها ؛ وعَظَّموا أسواقها وزادوا فى غِرَاسها، وجلبوا إليها من أرباب الصنائع كلَّ من فاق فى فَنّه إلى أن كملت محاسنها، وصارت معدودةً من أمهات البلاد وأحاسن الممالك ؛ وهى فى غاية رَفَاهة العيش إلا أنها شديدة الحرّ محجوبةُ الهواء ، ويَعْرِضُ لها فى الخريف تغير تنسَب به إلى الوَخَامة ، ولا يبقَى بها الثلج إلى الصيف كما يبقَى فى بقيـة الشام ، وإنما يجلَب إليها مما يجاورها ؛ وحولها مروج فِيحٌ ممتـدّة يكثر فيها مصايد الطير والوحش ؛ وليس بالممـالك الشامية بعد دِمَشْقَ لها نظير، ولا يدانيها فى لُطْف ذاتها من مجاورتها قريب ولا بعيد . قال فى "الروض المِعْطار" : وبينها وبين حِمْص أربعون ميلا ، ولم تزل بأيدى بقايا الملوك الأيوبية من جهة صاحب مصر، يقيم ملوكهم فيها مَلِكا بعد ملك إلى أن كان بها منهم آخر الأيام الناصرية محمد بن قلاوون المتقدّم ذكره، وآستقرّ فيها بالأمير(١) طغيتمر الحموىّ : أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية نائبا، وآستمرت بأيدى النوّاب يليها مقدّم ألف بعد مقدّم ألف إلى الآن .

---

(١) لعل الباء من زيادة الناسخ أى كان بها منهم فى تلك الأيام وآستقر فيها الأمير الخ .

الجملة الثانية

(فى نواحيها وأعمالها)

قال فى "التعريف" : وحدّها من القبلة مدينة الرَّسْتَن وماسامتها آخذا بين سَلَمْية وقبة ملاعب، إلى حيث مَجَرّ النهر والآثار القديمة، وحدّها من الشرق البَرّ آخذا على سَلَمية إلى ما آستفل عن قُبّة ملاعب، وحدّها من الشمال آخر حد المعرّة من العرانا[1]، وحدّها من الغرب مُضَافات مِصْياف وقلاع الدعوة ؛ وليس بها تواب قلاع البتة، ولها ثلاثة أعمال .

الأوّل - (عمل بَرّها) - وهو ظاهرها وما حولها كما تقدّم فى دمشق وحلب .

الثانى - (عمل بَارِينَ) - بفتح الباء الموحدة وألف بعدها وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة تحت ونون فى الآخر - وهى بلدة على مرحلة من حماة فى الغرب عنها بميلة يسيرة إلى الجنوب، وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة[2] .

الثالث - (عمل المَعَرّة) - بفتح الميم والعين المهملة ثم راء مهملة مشدّدة مفتوحة وهاء فى الآخر - وهى مدينة من جُنْد حِمْص واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى "كتاب الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضُها خمس وثلاثون درجة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها إحدى وستون درجة وأربعون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وتعرف بمَعَرّة النُّعْمَان . قال : البلاذرىّ إضافة إلى النُّعمان بن بَشِير الأنصارىّ رضى

(١) كذا فى الأصل بإهمال النقط وفى الضوء "من الغرب" .

(٢) لم يتكلم على العرض كعادته ولعله سقط من قلم الناسخ . ويستفاد من "التقويم" أن عرضها أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة .

الله عنه . قال فى "العزيزى" : وهى مدينة جليلة عامرة كثيرة الفواكه والثمار والخصب، وشربُ أهلها من الآبار . قال فى "الروض المعطار" : ولها سبعة أبواب : باب حَلَبَ، والباب الكبير، وباب شيث، وباب الجنان، وباب حمص، وباب كذا [١] . قال : ويُذْكَر أن قبر شيثِ بن آدم عليه السلام عند الباب المنسوب إليه فيها، وداخلها قبر يُوشَعَ بن نون عليه السلام، وعلى ميلٍ منها دَيْرُ سمْعان الذى به قبر عمر بن عبدالعزيز. قال السمعانى : والنسبة إليها مَعَرّنِىٌّ . قال : وبالشام بلدة أخرى تسمَّى مَعَرَّة نَسْرِين بالنون والسين المهملة ، والنسبة إليها مَعَرّنِسِىّ . قال صاحب حماة : والمشهور فى الثانية أنها مَعَرَّةُ مَصْرِين بميم وصاد مهملة .

القاعدة الرابعـــة

(من قواعد المملكة الشامية أَطْرَابُلُس، وفيها جملتان)

الجمـــلة الأولى

(فى حاضرتها)

وهى بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء المهملتين ثم ألف وباء موحدة ولام مضمومتين وسين مهملة فى الآخر . قال السمعانى : وقد تسقط الألف منها فرقا بينها وبين أطْرَابُلُسَ التى فى الغرب، وأنكر ياقُوتٌ فى "المشترك" : سقوطَها وعاب على المتنبى حذفَها منها فى بعض شِعْره. قال فى "الروض المعطار": ومعنى أطْرَابُلُس فيما قيل ثلاث مدن ، وقيل مدينة الناس . وهى مدينة من سواحل حِمْص واقعةٌ فى الإقليم الرابع . قال فى "كتاب الأطوال" : طولها تسع وخمسون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة ؛ وكانت فى الأصل من بناء الروم فلما فتحها المسلمون فى سنة ثمان وثمانين وستمائة فى الأيام الأشرفية "خليل بن قلاوون" رحمه

(١) هذا هو السادس وكنى عنه ولم يحله ولم يذكر السابع فليعلم .

الله، خرّبوها وعمّروا مدينة على نحو ميل منها وسمّوها باسمها ، وهى الموجودة الآن؛ ولما بنيت هذه المدينة الجديدة كانت وخيمة البقعة ، ذميمة السكن . فلما طالت مدة سكنها وكثر بها الناس والدوابّ وصُرّفت المياه الآسنة التى كانت حولها وعملت بساتين، ونُصبت بها النصوب والغُروس، خفّ ثقلها وقل وخمها .

قال فى "مسالك الأبصار" : ولما وَلِىَ نيابتها أستدمر الكرجى كان لاينفك عن كونه وخما فشكا ذلك إلى سليمان بن داود المتطبب ، فأشار عليه أن يستكثر فيها من الإبل وسائر الدوابّ ففعل فخفّ وخمها . قال: وقد سألت عن علة ذلك الكثير من الأطباء فلم يجيبوا فيه بشىء .

قلت : لا خفاء أن المعنى فى الإبل ما أشار به النبىّ صلى الله عليه وسلم فى أمر العُرَنِيِّين حين آستوخموا المدينة "أنهم يقيمون فى إبل الصَّدَقة ويشربون من ألبانها وأبوالها ففعلوا ذلك فصحُّوا" فكأنّ ذلك من خاصة الإبل . ولعل التأثير فى ذلك للإبل خاصةً دون سائر الدواب . وهى الآن مدينة متمدّنة كثيرة الزحام ، وبها مساجد، ومدارس ، وزوايا ، وبيمارستان، وأسواق جليلة، وحمامات حِسان ؛ وجميع بنائها بالحجر والكلس مبيضا ظاهرا وباطنا ، وغُوطتها محيطة بها، وتحيط بغُوطتها مزدرعاتها ؛ وهى بديعة المشترَف، ولها نهر يحكم على ديارها وطباقها يخترق الماء فى مواضع من أعالى بيوتها التى لا يُرقىَ إليها إلا بالدرج العلية؛ وحولها جبال شاهقة ، صحيحة الهواء ، خفيفة الماء ، ذاتُ أشجار وكروم ومروج ومواش ، ومِيناها مِينا جليلة ، تهوى إليها وُفود البحر الرومىّ وترسو بها مراكبهم ، وتُباع بها بضائعهم . وهى بلدة متجر وزرع، كثيرةُ الفائدة . وقد تقدّم فى الكلام على عجائب الشام أن داخل البحر بالقرب منها على نحو رَمْية حجر عن البر عيناً فوارة عَذْبة الماء تطفو على وجه الماء قدرَ ذراع أو أكثر، يتبين ذلك عند سكون الريح .

الجمـلة الثانية

(فى نواحيها وأعمالها)

قال فى "التعريف" : وحدّها من القبلة جبـل لُبْنَانَ ممتدًا على مايليه من مَرْج الأسد، حيث يمتدّ النهر العاصى؛ وحدّها من الشّمال قِلَاع الدَّعْوة؛ وحدّها من الغرب البحر الرومىّ . وأعمالها على قسمين :

القسـم الأوّل

(الأعمال الكِبَار التى يكاتَبُ نوّابها عن الأبواب السلطانية؛ وهى على ضربين)

الضرب الأوّل

(مضافاتها نفسها ، وهى ست نيابات)

الأوّل — (عمل حِصْن الأَكْرَاد) — بإضافة حِصْن واحد الحُصُون إلى الأكراد الطائفـة المشهورة ؛ وهى قلعـة من جُنْدِ حِمْص ، موقعها فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولهـا ستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال فى "المشترك" : وهى قلعة حصينة مقابلَ حِمْص من غربيها ، على الجبل المتصل بجبل لُبْنَانَ نحو مرحلة من حمص . قال فى "التعريف" : وهى حصن جليل وقلعة شمّـاء ، لاتبعد منها السماء . قال : وكانت محل النيابة ومقرّ العسكر قبل فتح طَرَا بُلُس .

الثانى — (عمل حِصْنِ عكّار) — بإضافة حصن إلى عكّار — بفتح العين المهملة وتشـديد الكاف المفتوحة وبعدها ألف ثم راء مهملة — وهى قلعة على مرحلة من طَرَا بُلُس فى جهة الشرق بوسط جبل لُبْنَانَ فى وادٍ والجبل محيط بها ، وشرب أهلها من عين تجرى إليها من ذيل لُبْنَانَ المذكور ، ولهـا رَبَض ليس بالكبير .

الثالث - (عمل بَلاَطُنُس) - بفتح الباء الموحدة وبعدها لام ألف ثم طاء مهملة ونون مضمومتان وسين مهملة فى الآخر - وهى قلعة بالقرب من مدينة مِصياف فى جهة الغرب منها على نصف مرحلة، وفى جهة الشمال من طَرَابُلُس على نحو مرحلتين.

الرابع - (عمل صَهْيُونَ)[1] - بفتح الصاد المهملة وسكون الهاء وضم الياء المثناة تحتُ وسكون الواو ثم نون فى الآخر - وهى قلعة من جُنْد قِنَّسْرِينَ فى الإقليم الرابع. قال فى "الزيج": طولها ستون درجة وعشر دقائق، وعرضها خمس وثلاثون درجة وعشر دقائق. وهى من القلاع المشهورة، ذاتُ حَصَانة ومَنَعة، مبنيةٌ على صخر أصمَّ، فى ذيل جبل يظهر من اللاذقية وبينهما نحو مرحلة، وهى فى الشرق عن اللاذقية بَمْيلة إلى الجنوب، وبها المياه الكثيرة حاصلةً من الأمطار.

الخامس - (عَمَلُ اللَّاذِقِيَّةِ) - بألف ولام لازمتين وذال معجمة وقاف مكسورتين وياء مثناة تحت مشدّدة مفتوحة وهاء فى آخرها. وهى مدينة من سواحل الشام واقعة فى الإقليم الرابع. قال فى "الأطوال": طولها ستون درجة وأربعون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة. وعدّها فى "العزيزى" من أعمال حِمْص ثم قال: وهى مدينة جليلة بل هى أجلُّ مدينة بالساحل مَنَعةً وعِمارةً، ولها مِينا حسنة، ومنها إلى أَنْطَاكِيَة ثمانية وأربعون ميلا، وقد عدّها فى "التعريف": فى جملة ولايات طَرَابُلُس على ما كانت عليه إذ ذاك، ثم آستقرت بعد ذلك نيابة، وهى الآن أعظم نيابات طَرَابُلُس.

السادس - (عمل المَرْقَبِ) - بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح القاف وباء موحدة فى الآخر. وهى قلعة بالقرب من ساحل البحر الرومى، وموقعها فى الإقليم

(١) ضبطها ياقوت والمجد بكسر الصاد وفتح الياء المثناة من تحت.

الرابع . قال فى "الزيج" : طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وهى قلعة حصينة حسنة البناء مشرفة على البحر وعلى نحو فرسخ منها مدينة (بِلِنْيَاس) (١) بكسر الباء الموحدة واللام وسكون النون وياء مثناة تحت وألف وسين مهملة ــ وفى الغالب تضاف إليها فيقال المَرْقَبُ وبِلِنْيَاس، وهى مدينة حسنة على الساحل، ذاتُ مياه وأعين تجرى وفواكه كثيرة. قال فى "العزيزى" : وبينها وبين أَنْطَرْطُوسَ اثنا عَشَر ميلا، ولم يتعرض لذكر المَرْقَب فى "التعريف": ولا فى "مسالك الأبصار" .

الضرب الثانى

(قِلَاع الدَّعوة، بفتح الدال)

سميت بذلك لأنها كانت بيد الإسماعيلية من الشِّيعة المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهاديَة، وهؤلاء هم المعروفون فى ديوان الإنشاء بالقُصَّاد، وبين العامّة بالفداوية ، وسيأتى الكلام على معتقدهم فى الكلام على القُصَّـاد ، ثم فى الكلام على تحليف أهـل البِدَع فى باب الأيمـان إن شاء الله تعالى ــ وهى سبع قلاع ، عظيمةُ الشأن، رفيعة المقدار، لاتُسامَى مَنَعَةً ولا تُرام حصانةً، وكانت أولا كلها مضافة إلى طَرَابُلُس ثم نقلت مِصْيافُ منها إلى دِمَشْقَ على ما تقـدم ذكره ، والبقية على ما كانت عليه من إضافتها إلى طرابُلُس .

وهى ستة أعمال .

الأول ــ (عمل الرُّصَافَة) ــ بألف ولام لازمتين فى أولها وراء مهملة مضمومة وصاد مفتوحة بعدها ألف ثم فاء وهاء ــ وهى قلعة بالقرب من مِصْياف ؛ وبالشأم

(١) فى المعجم بضم الباء واللام .

بلدة أخرىٰ يقال لهـا الرُّصَافَةُ أيضا وتعرف بِرُصَافَةِ هشام، علىٰ أقلّ من مسافة يوم من الجانب الغربىّ من الفُرَاتِ .

الثـانى ـ عمل (الخَوَابِى) ـ بفتح الخاء المعجمة والواو ثم ألف وباء موحدة مكسورة وياء فى الآخر ـ وهى قلعة فى جهة الشَّمال من طَرَابُلُس علىٰ نحو مرحلتين، وقد تقدّم فى الكلام علىٰ خواصّ الشأم أن بسُورها مكانا لاينظُره ملسوع أو رسوله إلا بَرَأ ذلك الملسوع ولم يضره السم .

الثالث ـ (عمل القَدَمُوسِ) ـ بفتح القاف والدال المهملة وضم الميم وسكون الواو وسين مهملة فى الآخر ـ وهى قلعة بالقرب من الخَوَابِى المقدّمة الذكر، وقد تقدّم فى الكلام علىٰ خواصّ الشأم أن بها حَمَّامًا يظهر منـه أنواع من الحيَّات وتمشى بين الناس ولا تضر أحدا البتة .

الرابع ـ (عمل الكَهْف) ـ بفتح الكاف وسكون الهاء وفاء فى الآخر . وهى قلعة بالقرب من القَدَمُوسِ علىٰ نحو ساعة علىٰ نَشَز جبل مرتفع عال يُرىٰ علىٰ بعد .

الخـامس ـ (عمل المَيْنَقَةِ) ـ بفتح الميم وسكون الياء المثناة تحت وفتح النون والقاف وهاء فى الآخر ـ وهى قلعة بالقرب من الكَهْف علىٰ نحو ساعة علىٰ جبـل مرتفع أيضا .

السادس ـ (عمل العُلَّيْقَةِ) ـ بضم العين المهملة وفتح اللام المشدّدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح القاف وهاء فى الآخر ـ وهى قلعـة علىٰ الجبـل المذكور علىٰ نحو ساعة من المَيْنَقَةِ .

القسم الثـانى

(من أعمال طَرَابُلُس الأعمال الصغار، وهى ستة أعمال)

قال فى "التعريف" : سوىٰ ما نقل فى تلك القلاع ممـا له ولاية .

الأوّل – (عمل أَنْطَرْطُوس) . قال فى "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء وسكون الراء المهملتين وضم الطاء المهملة وسكون الواو وسين مهملة فى الآخر . قال فى "كتاب الأطوال" : وموضعها حيث الطول ستون درجة، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشر دقائق . وهى بلدة بالساحل . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى ثَغْرٌ لأهل حِمص فتحها المسلمون وخرّبوا أسوارها، وهى الآن آهلة . قال : وكان بها مُصْحَفُ عثمان بن عَفّان رضى الله عنه .

الثانى – عمل جُبّـةِ المُنَيْطَرةِ بإضافة جُبّةٍ (بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وتاء التأنيث) إلى المُنَيْطَرَة (بضم الميم وفتح النون وسكون الياء المثناة تحت وفتح الطّاء[1] المعجمة والراء المهملة وهاء فى الآخر) .

الثالث – (عمل الظَّنّيِّينَ) – بألف ولام لازمتين وظاء معجمة مفتوحة مشدّدة ونون مشدّدة مكسورة وياء مثناة تحت مكسورة بعدها ياء ثانية ساكنة ثم نون – وهى كُورة بين مصياف وقَامِيَةَ، وليس بها مقرّ ولاية .

الرابع – (عمل بُشَرَّيْه) – بضم الباء الموحدة وفتح الشين المعجمة وفتح الراء المهملة المشدّدة وسكون الياء المثناة تحت وهاء فى الآخر – هكذا مكتوب فى "التعريف" : والجارى على الألسنة بشراى بإبدال الهاء ياء مثناة تحت .

الخامس – (عمل جَبَلَةَ) – بفتح الجيم والباء الموحدة واللام ثم هاء فى الآخر – وهى بلدة صغيرة بساحل البحر الرومىّ من الإقليم الرابع . قال فى "الأطوال" : طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها ستون درجة، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى "العزيزىّ" : ولها أعمال واسعة ،

---

(١) أوردها فى "معجم البلدان" ونص على اهمال الظاء وأنها بصيغة التصغير .

وبينها وبين اللاذِقيَّة آثنا عشر ميلا ، وبينها وبين أنْطَاكِيَة ثمانية وأربعون ميلا ، وبها مقام إبراهيم بن أدهم رحمه الله .

السادس – (عمل أَنَفَة) – بفتح الهمزة المقصورة والنون والفاء وبهاء في الآخر – وهي بلدة على البحر الرومي تردها المراكب بقِلَّة .

القاعدة الخامسة

(من قواعد المملكة الشامية صَفَدُ ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الصاد المهملة والفاء وتاء مثناة فوقُ في آخرها . هكذا ضبطه في "تقويم البُلْدان" . ثم قال : والمشهور على ألسنة الناس أن مكان التاء دالا مهملة ؛ وهي مدينة من جُنْد الأُرْدُنِّ ، واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الزيج" . طولها سبع وخمسون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، وعرضها آثنان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البُلْدان" : وهي بلدة متوسطة بين الكِبَر والصِّغَر ، وذكر العثمانيّ في "تاريخ صفد" : أنه كان مكانها أوّلا قرية وأصل الصَّفَت في لغتهم العطية ، سميت بذلك لأن الفرنج أعطتْها للطائفة الدموية منهم لا يشاركهم فيها أحد . قال : وقد تكون سميت بذلك أخذا من الصَّفَد ، وهو الغُل لأن صاحب الغل يمتنع من الحركة ويلزم موضعه ، وكذلك هذا البلد لأنها في جبل عال لا يتمكن ساكنه من الحركة في كل وقت ، إن ركب تعب وإن مشى على قدمه آختلط لحمه بدمه لصعود الربوة وهبوط الوهدة ، فيستقرّ في مكانها ويقنع بالنظر . ورَبَضُها منتشر العمارة على ثلاثة أجبل ، وأكثر ما يدخل أهلها حمامات الوادي لقلة

الماء بها وسوء بناء حمّاماتها، وبساتينها تحتها فى الوادى إلى جهة بحيرة طَبَرِيّة، وكل مايوجد فى دِمَشْق يوجد فيها: إما من بلادها، وإما مجلوب إليها من دِمَشْق، ونيابتها نيابة جليلة ونائبها من أكبر الأمراء المقدمين؛ ولها قلعة حصينة ذات بساتين تُشْرِف على بحيرة طَبَرِيّة، يَحُفُّ بها جبال وأودية. قال ابن الواسطى: بنتها الفرنج سنة خمس وتسعين وأربعمائة. ولما فتحها الظاهر بيبرس رحمه الله عظم شأنها ورفع مقدارها. قال فى "مسالك الأبصار": وهى جديرة بالتعظيم فقلّ أن يُوجَد لها شبيه، ولا يعلم لها نظير. ولهذه القلعة نائب مستقلٌّ من قِبَل السلطان يولّى من الأبواب الشريفة بمرسوم شريف؛ وعادته أن يكون من أمراء الطبلخاناه، ولا حكم لنائب السلطنة بالبلد عليه بل هو مستقل بنفسه كما فى نائب قلعتى دِمَشْق وحَلَب.

الجملة الثانية

(فى نواحيها وأعمالها)

قال فى "التعريف": وحدّها من القبلة الغَوْر حيث جِسْر الصِّنَّبْرة من وراء طَبَرِيّة؛ وحدّها من المشرق المَلّاحة الفاصلة بين بلاد الشقيف وبين حُولة بانياس؛ وحدّها من الشمال نهر ليطا، وحدّها من الغرب البحر. وليس فى أعمالها نيابة أصلا. وقد ذكر لها فى "مسالك الأبصار": أحد عشر عملا.

الأوّل — (عمل برّها) — كما فى دِمَشْق وحَلَب وغيرهما من القواعد المتقدّمة.

الثانى — (عمل النّاصِرَة) — بالألف واللام اللازمتين ونون مفتوحة بعدها ألف ثم صاد مهملة مكسورة وراء مهملة مفتوحة وهاء فى الآخر — وهى بليدة صغيرة قال فى "الروض المعطار": على ثلاثة عشر ميلا من طَبَرِيّة. قال: ويقال: إن المسيح عليه السلام ولد بها، وأهل القُدُس ينكرون ذلك ويذكرون أنها ولدته

بالقُدس ، والمعروف أن أمه حين عادت به من مصر إلى الشأم وعمره يومئذ اثنتا عشرة سنة نزلت به القرية المذكورة ، وهى اليوم منبع الطائفة النصيرية . والذى ذكره العثمانىّ فى "تاريخ صَفَد" : أن أهل هذه البلاد منسوبون إلى الدين .

الثالث — (عمل طَبَرِيَّة) — بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وكسر الراء المهملة وفتح الياء المثناة تحت وتشديدها وهاء فى الآخر — وهى مدينة من جُنْد الأُرْدُنّ بناها طبريون[(١)] أحد ملوك اليونان البطالسة فعُرِفت به ثم عربت طبرية ، والنسبة إليها طبرانىّ للفرق بينها وبين طَبَرِسْتَانَ من نواحى بلاد الشرق حيث ينسب إليها طَبَرِىٌّ ، وموقعها فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" : وطولها ثمان وخمسون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، وعَرْضها اثنتان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وقال فى "رسم المعمور" : طولها سبع وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة ، وتبعه ابن سعيد على ذلك . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وهى فى الغَوْرِ فى سفح جبل على بحيرتها المتقدمة الذكر فى بُحَيرات الشام . قال فى "مسالك الأبصار" : ومن عملها قَدَسُ . قال : وكان معها قديما السَّوادُ وبَيْسانُ ثم خرجا عنها . قال العثمانىّ فى "تاريخ صفد" : ومن ولايتها البَطِيحة وكَفْر عاقب .

الرابع — (عمل تِبْنِينَ وهُونِينَ) — بعطف الثانى على الأوّل .

فأما تِبْنِينُ ، فبتاء مثناة فوقُ مكسورة وباء موحدة ساكنة ونون مكسورة وياء مثناة تحتُ ساكنة ونون فى الآخر .

---

(١) فى معجم البلدان "طبارا" .

وأما هُونِينُ ، فبهاء مضمومة وواو ساكنة ونون مكسورة بعـدها ياء مثناة تحتُ ساكنة ونون فى الآخر . قال فى "مسالك الأبصار" : وهما حصنان بُنِيَا بعد الخمسمائة بين صُورَ وبانياسَ بجبل عاملةَ المتقدم ذكره فى جبال الشام المشهورة، وجعل العثمانىّ فى "تاريخ صَفَد" قلمة هُونِينَ من عمل الشَّقِيف، وأهل هذا العمل شِيعةٌ رافضة .

الخامس – (عمل عَثْلِيثَ) – بفتح العين المهملة وإسكان الثاء المثلثة وكسر اللام وسكون الياء المثناة تحت وثاء مثلثة فى الآخر – وهى كورة بين قاقُونَ وعَكّا ، فيها قُرًى متسعة وليس بها مقرّ ولاية معلوم . قال العثمانىّ فى "تاريخ صَفَد" : وفى آخر هذا العمل بلاد قاقُونَ وهو آخر الأعمال الصفَدِيَّة .

السادس – (عمل عَكّا) – بفتح العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة وألف فى الآخر – وهى مدينة من سواحل الشام . قال العثمانىّ فى "تاريخ صَفَد" : بَنَاها عبد الملك بن مَرْوان ، ثم غلبت عليها الفرنج ، ثم آنتزعها منهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم غلبوا عليها ثانيا ، ثم آستُرْجِعت . وهى واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمس وعشرون دقيقة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة ، وقيل غير ذلك ؛ وقد خَرِبت بعد أن آسترجعها المسلمون من الفرنج فى سنة تسعين وستمائة فى الدولة الأشرفية "خليل بن قلاوون" ؛ وبها مسجد ينسب لصالح عليه السلام ، وبينها وبين طَبَرِيَّةَ أربعة وعشرون ميلا ؛ وكانت هى قاعدةَ هذا الساحل قبل صَفَد . فلما خربت أقيمت صَفَدُ مقامها وصارت هى ولاية .

السابع ــ (عمل صُور) ــ بضم الصاد المهملة وسكون الواو وراء مهملة فى الآخر ــ وهى مدينة قديمة بساحل دِمَشْق، واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، وعرضها آثنتان وثلاثون درجة وثنتان وثلاثون دقيقة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وخمس دقائق . وبناؤها من أعظم أبنية الدنيا ؛ وكانت من أحصن الحصون التى على ساحل البحر ؛ فلما فتحها المسلمون فى سنة تسعين وستمائة مع عكّا خَرَّبُوها خوفا أن يتحصن بها العدو، وهى خراب إلى الآن . ويقال إنها أقدم بلد بالساحل ، وإن عامة حكماء اليونان منها . قال الشريف الإدريسىّ : وكان بها مَرْسًى، يدخل إليه من تحت قنطرة عليها سِلْسِلة تمنع المراكب من الدخول . قال فى "التعريف" : وبصُور كَنِيسةٌ يقْصِدها ملوك من البحر عند تمليكهم فيُمَلَّكون ملوكَهم بها ، إذ لا يصح تمليكهم إلا منها . قال : وشرطهم أن يدخلوها عنوة ، ولذلك لا يزال عليها الرَّقَبَةُ، ومع ذلك يأتونها مباغتة فيقضون أرَبَهم منها ثم ينصرفون ؛ وسُكَّان هذا العمل رافضة لا يشهدون جمعةً ولا جماعة .

الثامن ــ (عمل الشَّاغُور) ــ بألف ولام لازمتين وشين معجمة مشدّدة مفتوحة بعدها ألف ثم غين معجمة مضمومة بعدها واو ساكنة وراء مهملة فى الآخر ــ وهى كُورَةٌ بين عكّا وصَفَد والناصرة، بها قرى متسعة ، وليس بها مقرّ ولاية معروف، وعدّها العثمانىّ فى "تاريخ صَفَد" شاغورين[1] .

أحدهما ــ شاغور البعنة[2] . وهو جبل به قُرًى عامرة . قال : وبالبعنة[2] دير به مصطبة إذا بات عليها مَنْ به جنون شُفِى بإذن الله .

(١) فى الضوء "وجعلها" وهى أوضح .

(٢) كذا فى الأصل باهمال حروفها ــ وفى الضوء "النعبة" ولم نجدها بعد البحث .

والثانى – شاغور غرابة، وفيه عدّة قرى، وبه مقام أولاد يعقوب عليه السلام، وهو من المَزارات المشهورة .

التاسع – (عمل الإقْليم) – بكسر الهمزة وسكون القاف وكسر اللام وسكون الياء المثناة تحت وميم فى الآخر – وهى كورة بين دِمَشْق والشُّغْر والخُرْبة، بها قرى متسعة وليس بها مقرّ ولاية .

العاشر – (عمل الشَّقِيف) – بفتح الشين المعجمة وكسر القاف وسكون الياء المثناة تحت ثم فاء – ويُعرف بشَقِيف أَرْنُونَ (بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وضم النون وسكون الواو ثم نون فى الآخر) . قال فى "المشترك" : وهو آسم رجل أضيف الشقيفُ إليه ، ويُعرف أيضا بالشَّقِيف الكبير . وهو حصن بين دِمَشْق والساحل، بعضه مَغَارة منحوتة فى الصخر، وبعضه له سُور . وهو فى غاية الحَصَانة وعلى القرب منه شَقِيف آخرُ يعرف بشقيف تِيرُونَ (بكسر التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحتُ وضم الراء المهملة وسكون الواو ونون فى الآخر) وهى قلعة حصينة من جُنْد الأُرْدُنّ على مَسِيرة يوم من صَفَد فى سَمْت الشمال . قال فى "مسالك الأبصار": وليست من بلاد صَفَد، وأهل هذا العمل رافضة .

الحادى عشر – (عمل جِينِينَ) – بجيم مكسورة وياء مثناة تحتُ ساكنة ونون مكسورة ومثناة تحتُ ثانية ساكنة ونون فى الآخر – وهى بلدة قديمة متسعة، وهى مُرَكَّبة على كتف واد لطيف به نهر ماء يجرى ؛ وهى فى الشمال عن قاقُونَ على نحو مرحلة، فى رأس مَرْج بنى عامر، وبها مقام دِحْيَةَ الكلبىّ: صاحبِ رسول الله صلّى الله عليه وسلم !

ومن أعمالها (اللَّجُّونُ) . قال فى "تقويم البُلْدان": بفتح اللام المشدّدة وضم الجيم المشدّدة . وهى قرية قديمة فى جهة الغرب عن بَيْسَانَ، على نصف مرحلة منها .

قال فى "كتاب الأطوال": موضعها حيث الطول سبع وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرضُ آثنتان وثلاثون درجة، و بالجُون مقام الخليل عليه السلام، وبها ينزل الملوك على مصطبة هناك معدّة لذلك . قال فى "مسالك الأبصار": ومن عملها (قَدَس). وكان معها قديمـا (السَّوادُ وبَيْسانُ) وخرجا عنهـا ، ثم قال : وممـا يذكر فيها (حَيْفَا). وهى خراب على الساحل، و (قلعة كَوْكب). وهى التى يقول فيها العماد الأصفهانى : راسية راسخة ، شَمّاء شامخة . وقلعة (الطور) وهى مفردة على جبل الطُّور، بناها العادل أبو بكر بن أيوب ثم غلبه عليها الفرنج فهدمها .

قلت : وآقتصر فى "التعريف": على ولاية بَرْصَفَد وولاية الشَّقِيف، وولاية جِينِين، وولاية عَكَّا، وولاية النَّاصِرة، وولاية صُورَ، من غير زيادة على ذلك .

القاعدة السادسة

(من قواعد المملكة الشامية الكَرَكُ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(فى حاضرتها)

وهى بفتح الكاف والراء المهملة ثم كاف ثانية، والألف واللام فى أولها غير لازمتين . وتعرف بكَرَك الشَّوْبَكِ لمقاربتها لهـا . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من البَلْقاء وَهْما، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال آبن سعيد : وطولها سبع وخمسون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقال فى "تقويم البُلْدان": القياس أن طولها سبع وخمسون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمس دقائق . وهى مدينة محدَثة البناء كانت دَيْرا يتَدَيَّره رُهْبان، ثم كثُروا فكبَّروا بناءه وأَوَى إليهم من يجاورهم من النصارى، فقامت

لهم به أسواق ودرّت لهم فيه معايشُ، وأوَتْ إليه الفِرنج فأداروا أسواره فصارت مدينة عظيمة، ثم بنَوْا به قلعة حصينة من أجلّ المعاقل وأحصنها، وبقى الفرنج مستولين عليه حتّى فتحه السلطان " صلاح الدين يوسف بن أيوب " رحمه الله على يد أخيه العادل أبى بكر .

قال فى " التعريف " : وكانوا قد عملوا فيه مراكب ونقلوها إلى بحر القُلْزُم لقصد الحجاز الشريف لأمور سوّلتها لهم أنفسهم ، فأوقع الله تعالى بهم العزائم الصلاحية، والهمم العادلية، فَأُخِذُوا، وأَمَرَ بهم السلطانُ صلاح الدين فحملوا إلى منًى ونُحِروا بها على جَمْرة العقبة حيث تُنْحَر البُدْنُ بها، واستمرّت بأيدى المسلمين من يومئذ واتخذها ملوك الإسلام حِرْزا، ولأموالهم كَنْزا، ولم يزل الملوك يستخلفون بها أولادهم ويُعِدّونها لمخاوفهم، وهو بلد خِصْب، بِوَاديه حَمَّام وبساتين كثيرة وفواكه مفضَّلة. قال البلاذرىّ فى "فتوح البُلْدان" : وكانت مدينة هذه الكُورة فى القديم الغُرُنْدُل .

الجملة الثانيـــــة

(فى نواحيها وأعمالها)

قال فى "التعريف" : وحدّها من القِبْلة عقَبة الصَّوّان، وحدّها من الشرق بلاد البلقاء، وحدّها من الشَّمال بحيرة سَدُوم المتقدم ذكرها ، وحدّها من الغرب تِيهُ بنى إسرائيل . ولها أربعة أعمال .

الأوّل – (عمل برّها) المختص ببلادها كما فى غيرها من القواعد المتقدّمة .

الثانى – (عمل الشَّوْبَك) – بألف ولام لازمتين وفتح الشين المعجمة المشدّدة وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وكاف فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من جبل الشَّراة، وموقعها فى الإقليم الثالث . قال ابن سعيد : طولها ست وخمسون

درجة، وعَرْضُها إحدىٰ وثلاثون درجة . وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها ثمانٌ وخمسون درجة ، وعرضها إحدىٰ وثلاثون درجة . وهى بلدة صغيرة أكثر دخولا فى البر من الكَرَك، ذاتُ عيون وجداولَ تجرى ، و بساتينَ وأشجار ، وفواكه مختلفة . قال فى "العزيزى" : ولها قلعة مبنية بالحجر الأبيض علىٰ تَلٍّ مرتفع أبيض مطلٍّ علىٰ الغَوْرِ من شرقيه. قال فى "تقويم البُلْدان": ويَنْبُعُ من تحت قلعتها عينان : إحداهما عن يمينها والأخرىٰ عن يسارها كالعينين للوجه يجريان للبلد ، ومنهما شرب أهلها و بساتينها . قال : وكانت بأيدى الفرنج مع الكَرَك وفتحت بفتحها ، وأقطعها السلطان صلاح الدين مع الكَرَك لأخيه العادل فأعطاهما لابنه المعظَّم عيسىٰ، فاَعتنىٰ بأمرهما وجلب إلىٰ الشَّوْبَكِ غرائبَ الأشجار حتّىٰ تركها تُضاهِى دِمَشْقَ فى بساتينها وتَدَفُّقِ أنهارها وتزيد بطيب مائها .

قلت : وذكر فى " مسالك الأبصار" : لها عملين آخرين .

الثالث ــ (عمل زُغَر) ــ بضم الزاى وفتح الغين المعجمتين وفى آخرها راء مهملة ــ وهى مدينة قديمة متصلة بالبادية سميت بِزُغَرَ بنت لوط عليه السلام . قال فى " تقويم البلدان" : وهى حيث الطول سبع وخمسون درجة وعشر دقائق . والعرض ثلاثون درجة وكسر .

الرابع ــ (عمل مُعَانَ) بضم الميم[1] وفتح العين المهملة وألف ثم نون. قال آبن حوقل : وهى مدينة صغيرة كان يسكنها بنو أُمَيَّـةَ ومواليهم . قال فى " مسالك الأبصار" : وقد خربت هى وعملها ولم يبق بهـا أحد ، وتعرف بمُعَانَ بن لوط عليه السلام . قال فى "كتاب الأطوال" : وهى حيث الطول سبع وخمسون درجة والعرض ثلاثون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : و بينها و بين الشَّوْبَك مرحلة .

(١) ضبطها ياقوت بالفتح ثم قال "والمحدثون يروونه بالضم" .

الطَّـــرَف الثـانى

(من الفصل الثانى، من الباب الثالث، من المقالة الثانية، فيمن ملَكَ البلاد الشامية؛ وملوكُها على قسمين)

القســـم الأوّل

(ملوكها قبل الإسلام)

ولم يزل مجموعا قبل الإسلام لملك واحد: إما بمفرده وإما مع غيره.

وملوكه فى الجاهلية على أربع طَبَقات[1].

الطبقـــة الأولى

(ملوكها من الكَنْعَانِيِّينَ)

وهم بنو كَنْعَان بن مازيع بن حام بن نوح عليه السلام، وقيل هم من ولد سام ابن نوح. وكان كَنْعَانُ قد نزل الشأم بجهة فِلَسْطِينَ عند تبلبل الألسنة بعد الطُّوفان، وتوارثها بَنُوه بعد ذلك، وكان كل مَنْ ملك منهم يلقب بجالُوتَ إلى أن آنتهى المُلْكُ إلى رجل منهم آسمه كلياذ، وهو جالوتُ الذى قتله داود عليه السلام، وبقتله تفرق بنو كَنْعانَ وبادَ مُلْكُهم وزال. وكان فى خلال ذلك بِبَنَاءٍ من أطراف الشام ملوك من العَمَالقة، وهم بنو عِمْلِيق بن لاوَذ[2] بن سام بن نوح عليه السلام، آنتقلوا إليه من الحجاز، وهم الذين قاتلهم موسى عليه السلام؛ وكان آخِرَ من ملك منهم الشامَ والحجازَ الأرقمُ بن الأرقم الذى قتله بنو إسرائيل حين وجَّههم موسى عليه السلام فى آخر عمره إلى الحجاز على ما سيأتى ذكره فى الكلام على ملوك المدينة إن شاء الله تعالى.

---

(١) المعدود خمس.

(٢) فى القاموس "لاوذ بن إرم بن سام".

الطبقة الثانيـــة

(ملوكها من بنى إسرائيـــل)

وأوّلهم (طالوتُ) الذى ذكره الله تعالىٰ فى القرءان بقوله : ﴿إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ وآسمه شاول (١) بن قيس، ولم يكن لهم قبل ذلك مَلِك بل حُكّام وقُضاة يحكمون، وبقِىَ حتّى قتل فى قتال الفِلَسْطِينِيِّين .

وملك بعده (داودُ عليه السلام) وكانت دارُ ملكه بالقُدْس، وفتح فتوحات كثيرة من أرض فِلَسْطِينَ وعُمَـانَ ومآرب وحَلَبَ ونَصِيبِينَ وغير ذلك، فأقام فى الملك أربعين سنة .

وتولّى ذلك بعده آبنه (سُلَيْمانُ عليه السلام) وعمره آثنتا عشرة سـنة، وعَمَر بيت المَقْدس وفرَغ منه فى سبع سنين، وتُوُفِّىَ لأربعين سنة من ملكه .

وملك بعده آبنه (رُحُبْعُم) علىٰ سِبْطَيْنِ من بنى إسرائيل خاصَّةً، وخرج عنه عشرة أسباط فملّكوا عليهم غيره، وبقى فى الملك سبعَ عشرةَ سنة .

[وملك بعده آبنه (أبيا) (٢) وهلك لثلاث سنين] .

وملك بعده آبنه (أُسَا) إحدىٰ وأربعين سنة وتوفى .

فملك بعده آبنه (يَهُوشافاط) خمسا وعشرين سنة وتوفى .

فملك بعده آبنه (يَهُورام) ثمـانَ سنين وتوفى .

فملك بعده آبنه (أَحُزْيَاهُو) ستين سنة، وتُوُفِّىَ فبقى المُلْك شاغِرًا فحكَمَتْ فيه آمرأة ساحرة آسمها غثليا (٣) فأقامت فى الملك سبع سنين .

---

(١) كذا فى حاشية الجمل أيضا وفى "مروج الذهب" "ساود بن بشر" وهو تصحيف .

(٢) الزيادة عن آبن خلدون فى العبر (ج ٢ ص ١٠١) .

(٣) أفاد فى العبر أنها أم أحزياهو .

ثم ملك بعدها (يُوَاش) فأقام فى الملك أربعين سنة ومات .

فملك بعده آبنه (أَمَصْياهُو) تسعا وعشرين سنة وتوفى .

فملك بعده (عُزَيَّاهُو) آثنتين وخمسين سنة وتوفى .

فملك بعده آبنه (يُوثَم)[1] ستَّ عشرةَ سنة ؛ ويقال إن يونس عليه السلام كان فى زمنه .

ثم ملك بعده آبنه (آحَاز) ستَّ عشرةَ سنة أيضا، وكانت الحرب بينه وبين ملك دِمَشْقَ ؛ وفى زمنه كان شُعَيْبٌ عليه السلام، وتوفى .

فملك بعده آبنه (هُو حِزْقِيَا) وآنقاد له بقيةُ الأسباط فملك جميعَهُم، وأقام فى الملك تسعا وعشرين سنة ثم توفى .

فملك بعده آبنه (مِنَشَّا) خمسا وخمسين سنة ثم توفى .

فملك بعده آبنه (أُمُون) سنتين [وقيل ثنتى عشرة][2] سنة وتوفى .

فملك بعده آبنه (يُوشِيَا) إحدىٰ وثلاثين سنة . وجدّد عمارة بيت المقدس، ثم توفى .

فملك بعده آبنه (يهوياجور) ثلاثة أشهر، وغزاه فرعون مصر فأخذه أسيرا .

وملك بعــده أخوه (يهو ياقِيم) إحدىٰ عشرة سنة ودخل تحت طاعة بُخْتَ نَصَّرَ، ثم آستخلف بُخْتَ نَصَّر مكانه آبنَه (يَخْنِيُو) بن يهو ياقيم فأقام مائة يوم .

ثم آستخلف مكانه عَمَّه (صِدْقِيا) إحدىٰ عشرة سـنة، فأقام علىٰ طاعة بختَ نصّر تسع سنين، ثم عصىٰ عليه فجهز إليه جيشا ففتح المَقْدِسَ بالسيف وحَرَّقه وهدَمَ بيت المَقْدِس الذى بناه سليمان عليـه السلام وأخذ صدقيا المذكورَ أسيرا، وهو آخر من ملك منهم . وإلىٰ ذلك الإشارة بقوله تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ الآية .

---

(١) فى العبر "يوثاب" . (٢) الزيادة عن آبن خلدون فى "العبر".

الطبقة الثالثة

(ملوكها من الفُرْس)

قد تقدّم في الكلام على ملوك مصر أن بُخْتَ نَصَّر كان نائبا لبهراسف ملك الفُرْس إلى حين غلبته على الشام فٱستقرّ الشام في مملكة الفُرْس مع مصر من لدن بهراسف المذكور إلى غلبة الإسْكَنْدَر على دَارَا ملكِ الفُرْس على ما تقدّم في الكلام على ملوك مصر، وفي خلال ذلك عُمِر بيت المَقْدِس بعد أن بقي سبعين سنةً خرابا من تخريب بُخْتَ نَصَّر . وٱختلف فيمن عَمَره، فقيل أردشير، وقيل ٱبنه دارا؛ واليهود تسمّى الذى عَمَره من الفُرْس كِيرش و يقال كُورش .

الطبقة الرابعة

(ملوكها من اليونان)

وأوّل من ملك الشَّأْم منهم الإسْكَنْدَرُ بن فيلبس حين ظهر على ملوك الفُرْس مضافا إلى مصر، و بقي على ذلك حتّى مات، فملك بعضَ الشام مع العراق انطياخس، وملك بعضَه مع مصر البَطَالسةُ من ملوك اليونان من ولد بطليموس المنطيق إلى حين ٱنقراضهم بقتل أغشطش ملك الروم قُلُوبطرا آخر ملوكهم بمصر على ما تقدّم ذكره في الكلام على ملوك الديار المصرية .

الطبقة الخامسة

(ملوكها من الروم)

وأوّل من ملكها منهم أغشطش المقدّم ذكره حين غلب على قلوبطرا آخر ملوكهم، و بقي بأيدى الرُّوم إلى حين الفتح الإسلامىّ، يتداولونه مع مصر مَلِكا بعد ملك على ما تقدّم في الكلام على ملوك الديار المصرية .

القسم الثانى

(من ملوك الشام ملوكه[١] فى الإسلام، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(عُمَّال الصحابة رضوان الله عليهم فمَنْ بعدهم من نُوَّاب الخلفاء إلى حين آستيلاء الملوك عليه)

وأول من وليه فى الإسلام (أبو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرّاح) رضى الله عنه، عند فتحه فى خلافة أمير المؤمنين: عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه، ثم صُرِف عنه ووليه (مُعاويةُ بن أبى سفيان) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيضا، فبقِىَ إلى أن سلَّم الحسنُ إليه الأمرَ ونزل له عن الخلافة فى سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وتوالَتْ عليه خلفاء بنى أُمَيَّةَ، وآختاروه دارا لخلافتهم من لدن معاوية وإلى آنقراض دولتهم بقتل (مَرْوَانَ بن محمد) آخر خلفائهم على ما تقدّم ذكره فى الكلام على مَنْ ولى الخلافة .

ثم كانت دولة بنى العباس فوَلِيَها فى خلافة السَّفّاح عَمُّه (عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن عباس) فى سنة آثنتين وثلاثين ومائة، فبقِىَ أيامَ السفّاح وبعضَ أيام المنصور بعده، ثم صرفه المنصور بولاية (أبى مسلم الخراسانى) الشامَ ومصرَ فى سنة سبع وثلاثين ومائة، ثم قتله المنصور بعد ذلك فى السنة المذكورة . وتوالى عليه بعد ذلك عُمَّال خلفاء بنى العباس إلى أن وليها (عبد الصمد) بن علىّ، ثم عزله الرشيد وولّى مكانه (إبراهيمَ بن صالح بن علىّ) ثم توالت عليه العُمَّال إلى أن غلب عليه (أحمد بن طولون) مع مصر على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

---

١) سلك فى التعبير عن الشام سبيلى التأنيث والتذكير، والأمر واضح .

الضرب الثانى

(مَنْ وليها مُلكا)

قد تقدّم أن القواعد العظام بالشأم ستٌّ قواعد : وهى دِمَشْق، وحَلَب، وحَمَاة، وأَطْرَابُلُس، وصَفَد، والكَرَك . وكل قاعدة من القواعد الست تشتمل على مملكة .

فأما (دِمَشْق) فأوّل ملوكها (أحمد بن طُولُون) صاحب مصر بعد موت مُقْطَعها أماجور فى سنة أربع وستين ومائتين؛ وذلك أوّل آجتماع مصر والشأم لملك واحد فى الإسلام؛ ثم ملكها بعده مع مصر آبنه (خُمَارَوَيْه)؛ ثم (هارون بن خمارويه)(١)، وكان طغج بن جف نائبا عنهما بها ، وفى أيام هارون تغلبت القرامطة على دِمَشْق؛ ثم آنتزعها منهم (المكتفى بالله) خليفةُ بَغْدادَ فى سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وأقام عليها (أحمد بن كيغلغ) أميرا، فبقى بها بقية أيام المكتفى ، ثم أيام المقتدر ، ثم أيام الظاهر . فلما وَلِىَ الراضى الخلافةَ، عزله عنها فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، وولّى عليها (الأخشيد) وهو محمد بن طغج بن جف، وذلك قبل أن يلى مصر فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فآستناب على دِمَشْقَ بدرا الأخشيدىّ، فانتزعها منه (محمد بن رائق) فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة، وآستخلف عليها (أبا الحسين أحمد بن علىّ بن مقاتل) فى سنة تسع وعشرين وثلثمائة، ثم آنتزعها منه (الأخشيد) المقدّم ذكره بعد ذلك وبقيت معه حتّى مات فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، فوليها بعده آبنه (أُنُوجُور) وهو صغير، وقام بتدبير دولته كافور الأخشيدىّ الخادم، ثم آنتزعها منه (سيف الدولة بن حَمْدَان) صاحبُ حَلَبَ الآتى ذكره ، ثم آنتزعها منه (كافور الأخشيدىّ) المقدّم ذكره وولّى عليها بدرا الأخشيدىّ الذى كان بها أوّلا ، فأقام بها سنة ؛ ثم وليها (أبو المظفر

(١) لعله سقط قبله "جيش بن خمارويه" فان ابن طغج كان نائبا عن جيش وهارون كما يؤخذ مما سيأتى له فى الكلام على حلب .

ابن طغج)، ثم لما مات أنوجور بن طغج، ملكها مع مصر أخوه (علىّ بن طغج) ثم (كافور) بعده، ثم (أحمد بن علىّ بن الأخشيد) بعده، وهو آخر مَنْ ملك منهم على ما تقدّم فى الكلام على ملوك مصر .

ثم كانت الدولة الفاطمية بمصر: فملكها (جوهرٌ) قائد المُعِزّ الفاطمىّ وخطب بها لمولاه المُعِز وأذّنَ بحىَّ على خير العمل فى سـنة تسع وخمسين وثلثمائة ، وقطعت الخطبة العبّاسية منها، وأقام بها جعفر بن فلاح نائبا، ثم تغلبت القرامطةُ عليها فى سنة ستين وثلثمائة، ثم اقتلعها منهم (المُعِزُّ) وولّى عليها رَيّان الخادم، ثم غلب عليها (افتكين) مولى معز الدولة بن بويه الدّيلمىّ ، وقطع الخطبة منهـا للمُعِزّ الفاطمىّ ، وخطب لخليفة بغداد فى سـنة أربع وستين وثلثمائة، ثم انتزعها (المعز الفاطمىّ) بعد ذلك وقبض عليـه وأحضره معه إلى مصر، ثم بعد موت المعز وولاية ابنه العزيز تغلب عليها شخص اسمه (قسام) إلا أنه كان يخطب فيها للعزيز، ثم انتزعها منه (العزيز) وقرر فيها (بكتكين) فى سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة، ثم انتزعها منه (بكجور) مولى قَرْعويه صاحبُ حَلَبَ بأمر العزيز الفاطمىّ صاحب مصر فى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة، ثم انتزعها منه وقرر فيها (منيرا الخادم) فى سنة سبع وسبعين وثلثمائة، ثم استعمل الحاكم بن العزيز الفاطمىّ عليها (أبا محمد الأسود) فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة، ثم انتزعها منه (أنوش تكين) الدِّزْبِرىّ[1] بأمر المستنصر الفاطمىّ فى سنة تسع وعشرين وأربعمائة، ثم أمر[2] بالخروج عن طاعته فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، فخرج عنها وفسد أمرها بذلك، ثم تغلب عليها (أتسز بن أرتق) الخوارزمىّ أحد أمراء السلطان

(١) الضبط عن أبى الفداء، ونسبه الى دِزْبِر بن رويتم الديلمى .

(٢) أى أمَرَ المستنصر أهل دمشق بالخروج عن طاعة الدزبرى .

ملكشاه السَّلْجُوقىّ فى سنة ثمان وستين وأربعمائة، وقطع الخطبةَ بها للمستنصر الفاطمىّ وخطب للمقتدى العباسىّ ، ومنع من الأذان بحىّ على خير العمل ، ولم يخطب بعد ذلك بالشام لأحد من الفاطميين، ثم غلب عليها (تُتُش بن ألب أرسلان) بن داود بن ميكائيل بن سَلْجُوق، وملكها فى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وتوفى، فملكها بعده آبنه (دقاق) وأشرك معه فى الخطبة أخاه رضوان صاحب حَلَب مقدما لرضوان فى الذكر فى الخطبة بعد حربٍ جرت بينهما، وتوفى دقاق سنة تسع وتسعين وأربعمائة، فخطب طغتكين أتابك دولتــه لآبن دقاق ، وهو طفل عمره سنة واحدة ، ثم قطع الخطبة له وخطب لعمه بلتـاش بن تُتُش ، ثم قطع الخطبـة لبلتاش وأعاد الخطبة للطفل، وهو آخر من خطب له بِدِمَشْقَ من بنى سلجوق؛ ثم آستقر (طغتكين) المقدّم ذكره فى ملك دِمَشْقَ بنفســه ، وبقى حتّى توفى فى سنة آثنتين وعشرين وخمسمائة ؛ وملك بعــده آبنه (تاج الملوك تورى) بعهد من أبيه، وتوفى ســنة ست وعشرين وخمسمائة، وملك بعده آبنه (شمس الملوك إسماعيل) بعهد من أبيه .

ثم ملك بعــده أخوه (شهاب الدين محمود بن تورى) فبقى حتّى قتل فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وملك بعــده آبنه (مجير الدين أرتق) وفى أيامه تغلبت الفرنج على ناحية دِمَشْقَ .

ثم آنتزعها منهم الملك العادل (نورالدين محمود بن زنكى) المعروف بنورالدين الشهيد وملكها فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وآجتمع له ملكُ سائر الشام معها، وهو الذى بنى أسوار مدن الشام حين وقعت بالزلازل كدِمَشْقَ وحَمَاةَ وحِمْصَ وحَلَبَ وشَــيْزَرَ وبَعْلَبَكَّ وغيرها؛ وتوفى فملك بعده آبنه (الملك الصالح إسماعيل) وعمره إحدى عشرة سنة، وبقى بها حتّى آنتزعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) صاحبُ مصر فى سنة سبعين وخمسمائة، وقرر فيها أخاه سيفَ الإسلام طغتكين بن أيوب؛

ثم آستخلف عليها السلطان صلاح الدين بعد ذلك آبن أخيه عزّ الدين (فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب) فى سنة ست وسبعين وخمسمائة ؛ ثم صرفه عنها وقرّر فيها آبنه الملك الأفضـل (نورَ الدين عليا) ؛ وهو الذى وُزِّر له الوزير ضياء الدين بن الأثير صاحب "المثل السائر".

ثم آنتزعها منه أخوه الملك العزيز (عثمان آبن السلطان صلاح الدين) صاحب مصر بعد وفاة أبيه بمعاضدة عمه العادل أبى بكر فى سنة آثنتين وتسعين وخمسمائة، والخليفةُ يومئذ ببغداد الناصرُ لدين الله. وكان يميل إلىٰ التشيُّع، فكتب إليه الأفضل علىّ يستجيشه علىٰ أخيه العزيز عثمانَ وعمه العادل أبى بكر، من شعره :

مَوْلَاىَ ! إنَّ أبا بكْرٍ وصَاحِبَه * عُثْمَانَ قد غَصَبَا بالسَّيْفِ حَقَّ عَلِي !
فانْظُرْ إلىٰ حَظِّ هذا الأسْمِ كَيْفَ لَقِى * من الأوَاخِرِ ما لَاقَىٰ منَ الأُوَلِ !

فكتب إليه الناصر لدين الله فى جوابه :

غَصَبُوا عَلِيًّا حَقَّهُ إذْ لَمْ يَكُنْ * بَعْدَ النبىِّ له بيَـثْرِبَ نَاصِرُ
فاصْبِرْ فإنَّ غَدًا عَلَيْكَ حِسَابُهُمْ * وآبْشِرْ فنَاصِرُكَ الإمَامُ النَّاصِرُ!

ولكنه لم يجاوز القولَ إلىٰ الفعل؛ ثم سلمها العزيز بعد ذلك لعمه (العادل أبى بكر) فقرّر فيها آبنه الملك المعظم عيسىٰ مضافة إلىٰ ما بيده من الكَرَكِ والشَّوْبَك، وكان يخطب فيها لأبيه العادل، ثم لأخيه الكامل محمد صاحبِ مِصْرَ، وبقِىَ حتّىٰ توفى فى سنة أربع وعشرين وستمائة؛ وملك بعده آبنه (الملك الناصر صلاح الدين داود)، وهو صغير.

ثم آنتزعها منه الملك الناصر (محمد بن العادل أبى بكر) صاحب مصر وآستخلف فيها أخاه الملك الأشرف مظفر الدين موسىٰ بن العادل أبى بكر، فبقِى حتّىٰ توفى فى سنة خمس وثلاثين وستمائة.

وملكها بعده أخوه (الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبى بكر) بعهد منه [فانتزعها منه الملك الكامل بن العادل أبى بكر[١]] فى جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة وتوفى[٢] فى السنة المذكورة .

فملك بعده الملك الجواد (يونس بن مودود[٣]) بن العادل أبى بكر .

ثم انتزعها منه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن العادل أبى بكر فى سنة ست وثلاثين وستمائة، ثم أقام فيها الملكَ المغيثَ فتحَ الدين عمر نائبا عنه .

ثم انتزعها منه (الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبى بكر) صاحب بَعْلَبَكَّ فى سنة سبع وثلاثين وستمائة .

ثم انتزعها منه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن الكامل محمد صاحب مصر وتسلمها له (معين الدين بن الشيخ) فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة وتوفى قبل أن يتسلمها فتسلَّمها له حسامُ الدين بن أبى علىّ فى السنة المذكورة، ولم تزل بيد نواب الصالح أيوب حتّى مات فى سنة سبع وأربعين وستمائة .

ثم ملكها بعد وفاته (الملك الناصر يوسف) بن العزيز محمد صاحب حَلَبَ فى سنة ثمان وأربعين وستمائة، فبقى بها إلى أن غلب عليها هُولاكُو فى سنة ثمان وخمسين وستمائة ؛ وكان آخر أمر الناصر المذكور أنه لحق بهُولاكو المذكور فأقام عنده مدّة ثم قتله .

ثم كانت الدولة التركية فملكها منهم (الملك المظفَّر قُطُز) صاحب مصر حين غلبته التتار على عين جالوت، ثم توالى عليها نُوَّاب ملوك الترك من لدن المظفر قُطُز وإلى

(١) الزيادة عن أبى الفداء ليستقيم الكلام .

(٢) أى الملك الكامل .

(٣) أى نائبا عن العادل بن الكامل .

سلطنة (النـاصر فرج) بن الظاهر برقوق فى زماننا على ما تقدّم ذكره فى الكلام على ملوك الديار المصرية ؛ ولم أقف على أسمـاء نُوّابها لطول المدّة وقلة آعتناء المؤرّخين بذكر أسمائهم .

* * *

وأما حَلَبُ فقد تقدّم أن منزلَ الجند فى آبتداء الإسلام كان بقِنَّسْرِينَ ، ثم طرأت عليها حلب بعد ذلك وأضعفتها . ولعل آبتداء أمرها كان فى آبتداء الدولة الطُّولونية ، وقد كان أحمد بن طولون آستولى عليها حين آستيلائه على دِمَشْق وصارت فى ملكه تَبَعا للديار المصرية كدِمَشْقَ . وكان بها نوابه ثم نواب آبنه خُمَارَوَيْه ، ثم نواب جيش آبن خمـارويه ، ثم هارون بن خمارويه فى نيـابة طغج بن جفّ عن هارون وجيش المذكورين ؛ ثم كانت مع دِمَشْقَ فى نيابة أحمد بن كيغلغ ، ثم فى نيابة الأخشيد محمد آبن طغج بن جف قبـل أن يلِىَ مصر ، ثم فى نيابة بدر الأخشيدى على ما تقـدّم فى الكلام على مملكة دِمَشْقَ .

ثم آنتزعها من بدر الأخشيدى (سيفُ الدولة بن حمدون) التغلبىّ الربعىّ ؛ وملكها فى سنة ثلاث وثلثمائة ، وبقى بها حتّى توفى فى سنة ست وخمسين وثلثمائة ؛ وملكها بعده آبنه (سعد الدولة أبو المعالى شريف) .

ثم آنتزعها منه (قرعويه) غلام أبيه فى سنة ثمـان وخمسين وثلثمائة ، ثم غلب عليها (بكجور) غلام قرعويه المذكور بعد ذلك وآقتلعها منه .

ثم آنتزعهامنه (سعد الدولة) المقدّم ذكره ، ثم تقلد بها أبو علىّ بن مروان من الخليفة الفاطمىّ يومئذ بمصر فى سنة ثمـانين وثلثمائة ولم يدخلها ، وبقيت بيد سعد الدولة المذكور حتّى توفى بالفالج فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة .

ثم ملك بعده آبنه (أبو الفضل) مكانه .

ثم آنتزعها منه (أبو نصر بن لؤلؤ) وخطب بها للحاكم الفاطمى، ثم أمره الحاكم بتسليمها إلى نوابه بها فتسلموها منه وآستقرت بأيديهم حتّى آنتهت إلى نائب من نوابه آسمه (عزيز الملك) فبقىَ بها بقية أيام الحاكم وبعض أيام آبنه الظاهر، ثم وليها عن الظاهر رجل يقال له (آبن شعبان) ثم تغلب عليها (صالح بن مرداس) أمير بنى كلاب فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة، ثم قتل فى أيام الظاهر الفاطمى فملكها بعده (شبل الدولة نصر بن صالح) .

ثم آنتزعها منه (أنوش تكين الدِّزْبِرِىُّ) بأمر المستنصر العَلَوى فى شعبان سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وبقى حتى توفى فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وملكها بعده (معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس) ثم ملك قلعتها بعد ذلك فى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، ثم تسلمها منه مكين الدولة (الحسن بن علىّ بن ملهم) فى سنة تسع وأربعين وأربعمائة بصلح وقع بينه وبين الفاطميين على ذلك .

ثم آنتزعها منه (محمود بن شبل الدولة) بن صالح المقدّم ذكره، وملك قلعتها فى سنة آثنتين وخمسين وأربعمائة .

ثم آنتزعها منه (معز الدولة ثمال بن صالح) فى ربيع الأوّل سنة آثنتين وخمسين وأربعمائة، وبقى بها حتّى توفى فى ذى القَعْدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

وملكها بعده أخوه (عطية بن صالح) فى السنة المذكورة .

ثم آنتزعها منه آبن أخيه (محمود بن شبل الدولة) المقدّم ذكره فى رمضان سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وبقى بها حتّى توفى فى ذى الحِجَّة سنة ثمان وستين وأربعمائة .

وملكها بعده آبنه (نصر بن محمود) ثم قتله التُّرْكمان .

وملكها بعده أخوه (سابق بن محمود) .

ثم آنتزعها منه شرف الدولة (مسلم بن قريش) صاحب المَوْصِلِ، وقتل فى صفر سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

وملكها بعده أخوه (إبراهيم بن قريش) .

ثم آنتزعها منه (تُتُش بن ألْب أرسلان) السَّلْجُوقىّ صاحب دِمَشْق فى السنة المذكورة .

ثم آنتزعها منه (السلطان ملكشاه السلجوقىّ) وسلمها إلى قسيم الدولة آقسنقر، ثم آستعادها (تُتُش بن ألْب أرسلان) المقدّم ذكره بعد موت ملكشاه وآستضافها إلى دِمَشْق، وآنبسط ملكُه حتّى ملك بعد ذلك أذْرَبِيجان، وبقى حتّى قتل فى صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وملكها بعده آبنه (رِضْوان) فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وبقى حتّى توفى فى سنة سبع وخمسمائة .

وملكها بعده آبنه (سلطان شاه بن رِضْوان) .

ثم آنتزعها منه (ايلغازى بن أُرْتُق) صاحب مارِدِينَ وسلمها إلى ولده حسام الدين تمرتاش، ثم غلب عليها (سليمان بن أرتق) وعصى بها على أبيه فانتزعها أبوه منه وسلّمها إلى آبن أخيه (سليمان بن عبدالجبّار بن أرتق) فى رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة .

ثم آنتزعها منه عمه (بلك بن بهرام بن أُرْتُق)، وبقى بها حتّى قتل فى سنة سبع عشرة وخمسمائة، وملكها بعده آبن عمه (تمرتاش بن ايلغازى) فى ربيع الأوّل من السنة المذكورة، ثم حاصرها الفرنج، وهى فى يده فخلصها منهم آقْسُنقر البُرْسُقىّ صاحب الموصل، وملَكها مع مارِدِينَ فى السنة المذكورة، وبقى حتّى قتلته الباطنية فى سنة عشرين وخمسمائة .

وملكها بعده آبنه (عز الدين مسعود) وآستخلف بها أميرا من أمرائه آسمه قايماز، ثم آستخلف عليها بعده رجلا آسمه كيغلغ .

ثم آنتزعها منه (سليمان بن عبد الجبار) بن أُرْتُق المقدم ذكره .

ثم آنتزعها منه (عماد الدين زنكى): صاحب المَوْصِلِ فى المحرّم سنة آثنتين وعشرين وخمسمائة ، وملك معها حماةَ وحِمْصَ وبَعْلَبَكَّ، وبقى حتّى قتله غلمانُه فى ربيع الأول سنة إحدىٰ وأربعين وخمسمائة .

ثم ملك بعده آبنه الملك العادل (نور الدين محمود) وبقى إلىٰ أن توفّى .

وملك بعده آبنه (الصالح إسماعيل) فبقى بها بعد ملك السلطان صلاح الدين يوسف آبن أيوب دِمَشْقَ حتّى توفّى بها فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وملكها بعده بوصية منه آبن عمه (عز الدين مسعود) بن مَوْدُود بن زنكى بن مودود فى السنة المذكورة .

ثم آنتزعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وقرّر فيها آبنه الظاهر غياثَ الدين غازى .

ثم آنتزعها منه وسلمها لأخيه (العادل أبى بكر بن أيوب) فى السنة المذكورة، ثم أعاد إليها آبنه الظاهر غازى المقدّم ذكره فى سنة آثنتين وثمانين وخمسمائة، فبقى بها حتّى توفّى فى جمادىٰ الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة .

وملكها بعده آبنه (الملك العزيز محمد) فبقى بها حتّى توفّى فى ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة .

ثم ملكها بعده آبنه الملك (الناصر يوسف) وعمره سبع سنين ولم تزل بيده حتّى آستولت عليها التتار فى سنة ثمان وخمسين وستمائة .

⁂

ثم كانت الدولة التركية . فكان أوّل من ملكها من ملوك الترك (المظفَّر قُطز) حين كسر التتار على عين جالوت على ما تقدّم ذكره فى الكلام على مملكة دِمَشْق ؛ ثم توالى عليها نوّاب ملوك الترك من لدن المظفر قطز وإلى زماننا فى سلطنة النـاصر فرج بن الظاهر برقوق على ماتقدّم ذكره فى الكلام على مملكة الديار المصرية .

⁂

وأما حماة . فقد تقدّم فى الكلام على قواعد الشام أن الذكر فى القديم إنمـا كان لِحمْص، وإنما تنبَّهت حماة فى الذكر فى الدولة الأتابكية: عمادالدين زنكى. وذلك أن حماة كانت تَبَعًا لغيرها من الممـالك ، تارة تضاف إلى دِمَشْـق، وتارة إلى حَلَب .

فكانت مع دِمَشْق بيد (طُغْتِكين) أتابك دولة رضوان بن تُتُش السلجوقىّ فى سنة تسع وخمسمائة .

ثم آنتزعها منه السلطان (محمد بن ملكشاه السلجوقىّ) فى السنة المذكورة، وسلمها للأمير (قيرخان بن قراجا) .

ثم ملكها (تورى بن طُغْتِكين) وقرر بها آبنه سونج فبقيت بيده حتّى آنتزعها منه عماد الدين زنكى فى سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة .

ثم آنتزعها منه بعد ذلك (تاج الملوك إسماعيل بن تورى) بن طُغْتِكين السلجوقىّ فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

ثم ملكها (العادل نور الدين محمود بن زنكى) مع دِمَشْق وحَلَب وغيرهما فى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة؛ ثم صـارت بعده مع غيرها من البلاد الشـامية إلى آبنه (الصالح إسمـاعيل) فبقيت بيده حتى آنتزعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف

آبن أيوب) فى سنة سبعين وخمسمائة، وقرّر فيها خاله شهاب الدين الحارمى، ثم قرّر فيها أخاه تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة ، فبقيت بيده حتّى توفّى فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

فوليها بعده آبنه الملك المنصور (ناصر الدين محمد) فبقى بها حتّى آنتزعها منه أخوه (الملك المظفر محمود) فى سنة ست وعشرين وستمائة ، فبقى بها حتّى توفى فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

ووليها بعده آبنه (الملك المنصور محمد) فبقى حتّى غلب عليها هُولاكُو ملك التتار مع دِمَشْق وحَلَب وغيرهما، فقرّر بها (١) المظفر قطز صاحب مصر بعد هزيمة التتار، فبقى بها حتّى توفى فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

فوليها بعده آبنه (المظفر شادى) عن المنصور قلاوون صاحب مصر بعهد منه ، وبقى بها حتّى توفى فى سنة ثمان وتسعين وستمائة فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون فى سلطنته الثانية .

فولّى الملك الناصر مكانه (قراسنقر) أحد أمرائه نائبا عليها ،وكان العادل كتبغا بعد خلعه من السلطنة قد آستقرّ نائبا بصَرْخَدَ فنقله الملك الناصر محمد بن قلاوون إليها بعد هزيمة غازان ملك التتار، وجعله نائبا بها فى سنة آثنتين وسبعمائة، ومات بعد ذلك .

فولّى الملك الناصر مكانه فى نيابتها (قبجق) أحد أمرائه ثم صرفه عنها .

وولّى مكانه (أستدمر الكرجى) ثم صرفه عنها بعد عوده من الكَرَك .

وولّى فيها الملك المؤيد (عماد الدين إسماعيل) بن الأفضل علىّ، بن المظفر عمر سلطنةً على عادة من تقدّمه فيها من الملوك الأيوبية، وكتب له بذلك عهدا عنه، فبقى بها إلى أن توفّى فى سنة آثنتين وثلاثين وسبعمائة .

(١) الاولى "ثم قرره بها المظفر الخ" .

فولى السلطان الملك النـاصر مكانه آبنه (الملك الأفضل محمد) وكتب له بذلك عهدا أيضا، فبقى بها حتّى أزاله قُوصُون أتابك العساكر فى سلطنة المنصور أبى بكر آبن الناصر محمد بن قلاوون فى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

وولّى مكانه الأمير (طقزدمر) نائبا بها، وآستقرت نيابةً إلى الآن، يتوالى عليها نوّاب ملوك مصر نائبا بعد نائب إلى زماننا كغيرها من الممالك الشامية، وآنقطعت مملكة بنى أيوبَ من الشام بذلك .

✢

وأما أَطْرَابُلُسُ، فكان قد تغلب عليها قاضيها أبو علىّ بن عَمَّـار وملكها وطالت مدّته فيهـا .

ثم آنتزعها منه (المستنصر الفاطمىّ) خليفة مصر مع غيرها من السواحل الشامية، فبقيت بيده حتّى غلب عليهـا القُومص فملكها فى سـنة ثلاث وخمسمائة ، فبقيت فى أيدى الفرنج من حينئذ إلى أن فتحها "الملك المنصور قلاوون" أحد ملوك الديار المصرية فى سنة ثمان وثمـانين وستمائة بعد أن مضى عليها فى يد الفرنج مائة وخمس وثمانون سنة وأعجز فَتْحُها مَنْ مضى من ملوك بنى أيوب فمَنْ بعدهم. ومن حين فتحها جعلت نيابة، وتوالى عليها نوّاب ملوك مصر من لدنه إلى زماننا .

✢

وأما صَفَد، فقد تقدّم فى الكلام على قواعد الممـالك الشامية أنها كانت فى القديم قريةً وأن الفرنج الدَّمَوية بنتها وآستحدثت حِصْنها فى سنة خمس وسبعين وأربعمائة.

ثم فتحها (الظاهر بيبرس) بعد ذلك فى رابع عشر شوّال سنة أربع وستين وستمائة، وقرّر بها الأمير كيغلدى العلائىّ نائبا، وتوالى عليها بعـد ذلك نوّاب ملوك مصر من لدن الظاهر بيبرس و إلى زماننا فى سلطنة الملك النّاصر فرج بن الظاهر برقوق .

وأما الكَرَك، فقد تقدّم أن قلعتها كانت ديرًا لرهبان، وكانت بيد الفرنج، وأن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة فتحها، وقرّر فيها أخاه (الملكَ العادلَ أبا بكر بن أيوب) فبقيت بيده إلى أن مات السلطان صلاح الدين، فقرّر فيها ٱبنه (الملك المعظم عيسى) فبقيت فى يده إلى أن ٱستضاف إليها دِمَشْقَ، وتوفِّىَ فى سنة أربع وعشرين وستمائة .

وملكها بعده ٱبنه (الملك الناصر صلاح الدين داود) فى سنة ست وعشرين وستمائة، وبقى إلى سنة سبع وأربعين وستمائة، فٱستخلف عليها ٱبنه (الملك المعظم عيسى) بعد أن أخذ منه غالب بلاده وفرّ بنفسه .

ثم ٱنتزع (الصالح نجم الدين أيوب) الكَرَك من المعظم عيسى بن الناصر داود فى السنة المذكورة، وأقام بها بدر الدين الصوابى نائبا عنه، وبقى الناصر داود بعد ذلك مُشَرَّدًا فى البلاد إلى أن مات فى سنة خمس وخمسين وستمائة، وكان من أهل العلم والورع، وله شعر رائق، منه :

أَلَا لَيْتَ أُمِّى أَيِّمٌ طُولَ دَهْرِهَا * ولم يَقْضِهَا رَبِّى لِمَوْلًى وَلَا بَعْلِ!
وَيَا لَيْتَهَا لَمَّا قَضَاهَا لِسَيِّدٍ * لَبِيبٍ أَرِيبٍ طَيِّبِ الفَرْعِ والأَصْلِ،
قَضَاهَا مِنَ اللَّاتِى خُلِقْنَ عَوَاقِرًا * ولا بُشِّرَتْ يَوْمًا بِأُنْثَى وَلَا فَحْلِ
ويا لَيْتَهَا لَمَّا غَدَتْ بِى حَامِلًا * أُصِيبَ مَنِ ٱحْتَفَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الحَمْلِ
ويا لَيْتَنِى لَمَّا وُلِدْتُ وأَصْبَحَتْ * تُشَدُّ إِلَىَّ الشَّدْقَمِيَّاتُ بِالرَّحْلِ،
لَحِقْتُ بِأَسْلَافِى فَكُنْتُ ضَجِيعَهُمْ * وَلَمْ أَرَ فى الإِسْلَامِ مَا فِيهِ مِنْ ثُكْلِ

وكان الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب معتقلا بالشَّوْبَك، فأخرجه الصوابى نائب الملك الصالح وملَّكه الكَرَك فبقى بها حتّى قبض عليه الملك الظاهر بيبرس وقتله فى سنة إحدىٰ وسبعين وستمائة، وهو آخر مَنْ ملكها من بنى أيوبَ .

قلت : وأما غير هـذه الممالك كحِمْص وبَعْلَبَكّ فإنما كانت فى الغالب تبعا لغيرها حتّى إن حِمْص وبَعْلَبَكّ حين ٱستولت التتار علىٰ الشام فى آخر الدولة الأيوبية كانتا مضافتين إلىٰ دِمَشْق .

وٱعلم أن غالب أطراف البلاد الشامية ومضافاتها كانت بأيدى ملوك متفرّقة من قديم الزمان وبعضها حدَثَ ٱنفراده ، ثم تنقلت بها الأحوال حتّى ٱستولىٰ علىٰ كثير منها أهلُ الكُفْر، وصارت بأيديهم إلىٰ أن قيَّضَ الله تعالىٰ لها مَنْ فتحها ؛ ثم ٱستعاد أهلُ الكفر منها ما ٱستعادوا، ثم فُتِح ثانيا علىٰ ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالىٰ.

فمن ذلك القُدُس ـ كانت بيد تُتُش بن ألب أرسلان السَّلْجُوقىّ صاحب دِمَشْق المتقدم ذكره . كان قد أقطعها للأمير أُرْتُق جدّ ملوك ماردِينَ الآن . فلما تُوفِّى أرتق المذكور صار القُدُسُ لولديه ايلغازى وسُقْمان ، وبقى بيديهما إلىٰ أن ٱنتزعه منهما (المستنصر الفاطمىّ) فى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، وبقى بيده إلىٰ أن ملكه الفرنج منه فى سنة ٱثنتين وتسعين وأربعمائة ، بعد أن بذلُوا السيف فى المسلمين نحوَ سبعة أيام وقتلوا فى المسجد الأقصىٰ ما يزيد علىٰ تسعين ألفَ نفس ، وبقى بيديهم حتّى فتحه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، ثم ٱستعاده الفرنج من الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بمهادَنة جرتْ بينهم فى سنة ست وعشرين وستمائة .

ثم ٱنتزعه منهم (الملك الناصر داود) صاحب الكَرَك فى سنة سبع وثلاثين وستمائة .

ثم سلمه (الصالح إسماعيل) صاحب دِمَشْق (والناصر داود) صاحب الكَرَك المتقدم ذكره للفرنج بعد ذلك ليكونوا عونا لهما على الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر فى سنة إحدى وأربعين وستمائة .

ثم فتحه الصالح (نجم الدين أيوبُ) صاحب مصر وآقتلعه من أيديهم فى سنة آثنتين وأربعين وستمائة ، فآستمر بأيدى المسلمين إلى الآن .

ومن ذلك بلاد السواحل الشامية كانت بأيدى أُناس متفرقة .

فأما أَطْرَابُلُسُ وصَفَدُ، فقد تقدم الكلام عليهما فى الكلام على ملوك الممالك الشامية . وأما غيرهما من بلاد السواحل وما والاها ، فإن غالبها كان بيد الفاطميين خلفاءِ مصر إلى أن ضَعُفَت دولتهم فى أيام المستنصر أحدِ خلفائهم ، فقصدت الفرنج هذه السواحلَ من كل جهة وآستولَوْا على بلادها شيئا فشيئا .

فآستولوا على عَكَّا وجُبَيْل فى سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، وعلى صَيْدَا فى سنة أربع وخمسمائة ، وآستشرى فسادُهم حتى ملكوا بَيْرُوتَ وعَسْقَلاَنَ وصُورَ وأَنْطَرْسُوسَ والمَرْقَبَ وأَرْسُوفَ واللاذقِيَّةَ ولُدًّا والرملةَ ويَافَا ونَابُلُسَ وغَزَّةَ وبَيْتَ لَحم وبَيْتَ جبريلَ ، وغيرَ ذلك من بلاد السواحل وما جاورها ، فبقيت فى أيديهم حتى فتحها السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" فيما بين الثلاث والثمانين والخمسمائة إلى الثمان والثمانين والخمسمائة .

ثم عقد الهُدْنة بينه وبين الفرنج فى سنة ثمان وثمانين على أن تكون يافا وأَرْسُوف وعكّا وقَيْسَارِيَة وأعمالها بيد الفرنج ، وأن تكون لُدّ والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين .

ثم آستولَوْا على بَيْرُوتَ فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، ثم وقعت الهدنة بعد ذلك بين الفرنج وبين العادل أبى بكر بن أيوب فى سلطنته فى سنة إحدى وستمائة على أن تستقر بيد الفرنج يَافَا وتترك لهم مناصفةً لُدٌّ والرملة .

ثم آستعاد الفرنج عكّا فى سنة أربع عشرة وستمائة فى أيام العادل أبى بكر المذكور .

ثم آستولَوْا على صَـيْدَا وما معها فى أيام آبنه الكامل محمد فى سنة ست وعشرين وستمائة قبل تسليمه القدس لهم .

ثم سلمهم الصالح إسماعيل صاحبُ دمَشْق صَـفَد والشَّقِيف على أن يعاونوه على الصالح أيوب صاحب مصر فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

ثم سلمهم الصالح إسماعيل المذكور والناصر داود صاحب الكَرَك عَسْقَلانَ وطَبَرِيّة حين سلماهم القدسَ فى سنة إحدى وأربعين وستمائة .

ثم فتح "الصالح أيوب" صاحبُ مصر غَزَّة وآستولى عليها فى سنة آثنتين وأربعين وستمـائة .

ثم فتح (الظاهر بيبرس) فى سنة آثنتين وستين وستمائة قَيْسَارِيَّةَ وأُرْسُوفَ، وصَفَد ويافا فى سنة أربع وستين وستمائة . وفتح صَهْيُونَ فى سـنة ست وستين وستمائة ، وأَطْرَابُلُسَ فى سنة ثمان وثمانين .

ثم فتح آبنُه (الأشرفُ خليلُ) عَكّا فى سنة تسعين وستمائة ، وتتابعت فتوحه ففتح صَـيْدَا وبَيْروتَ وعَثْلِيثَ فى الســنة المذكورة . وبفتوحه تكاملت بلاد السواحل بأجمعها . ولمـا فُتِحتْ هُدِمت جميعُها خوفا أن يملكها الفرنج ثانيـا وبقيت بأيدى المسلمين إلى الآن .

ومن ذلك أَنْطَاكِيَةُ ـ التى هى قاعدةالعواصم . فإنها كانت بيد باغى سيان بن محمد آبن ألب أرسلان السلجوقى إلى أن غلب عليهـا الفرنج فى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، وقتلوا باغى سيان المذكور ، وقتـل فيها ما يزيد على مائة ألف نفس بعد حصار تسعة أشهر ، وملكوا معها كَفْر طَابَ ، وصَهْيُونَ ، والشُّغْر وبَكَاس ، وسَرْمِين

والدَّرْبَسَاكَ وغيرها من بلاد حَلَبَ ، و بالغوا حتّى جاوزوا الفرات إلىٰ بلاد الجزيرة ، وملكوا الرُّهَا وسَرُوج وغيرهما من بلادها حتّى فتح السلطان صلاح الدين يوسف آبن أيوب الشُّغْر و بَكَاس وسَرْمِينَ وغيرها فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

ثم آستعادتها الفرنج بعد فتحه ، ثم فتح أَنْطَاكِيَةَ "الظاهرُ بيبرس" فى سنة ست وستين وستمائة، فبقيت فى أيدى المسلمين إلىٰ الآن .

ومن ذلك — باقى بلاد الثُّغُور والعواصم كآياس وأَذَنَة والمَصِّيصة وطَرَسوس وبَغْراس وبَهَسْنىٰ والدَّرْبَسَاك وسِيس وغيرها من بلاد الثغور . فإن الأرمنَ وثَبُوا عليها قبل الأربعمائة وآستولَوْا علىٰ نواحيها ومنعوا ما كانوا يؤدّونه من الإتاوة للمسلمين ، واستضافوا إلىٰ ذلك قلعةَ الروم وما قاربها ، فبقيت فى أيديهم حتّى فتح الظاهر بيبرس بَغْرَاس وبَهَسْنىٰ والدَّرْبَساك وغيرها ، وآنتزعها من الأرمن فى سنة ثمان وستين وستمائة .

وفتح الأشرف "خليل بن المنصور قلاوون" قلعةَ الرُّوم، وآنتزعها من يد خليفتهم فى سنة إحدىٰ وتسعين وستمائة، وسمّاها قلعة المسلمين علىٰ ما تقدّم فى الكلام علىٰ الأعمال الحلبية .

وفتح "الناصر محمد بن قلاوون" فى سلطنته الثالثة آياس(١)، وما والاها فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة .

وفتح "الأشرف شعبان بن حسين" بن الناصر محمد بن قلاوون سِيسَ وسائر بلاد الأرمن علىٰ يد قشتمر المنصورى نائب حَلَبَ .

ومن ذلك — قِلَاع الدعوة، التى هى الآن من أعمال طَرَابُلُس : وهى مِصْياف والعُلَّيقة والمنيقة والكهف والقُدْمُوس والخَوَابِى . فإنها كانت بأيدى الإسماعيلية

(١) ضبطها صاحب "القاموس" كسحاب ونص على مد الهمزة صاحب "التقويم" .

المعروفين الآن بالفِداوية، قبل دخولهم فى طاعة ملوك الديار المصرية، فبقيت بأيديهم حتى آنتزعها منهم الملك "الظاهر بيبرس" فى سنة ثمان وستين وستمائة، وآنتزع منهم العُلَّيقة فى سنة تسع وستين .

ثم آنتُزِعت منهم باقى القلاع فى سنة إحدىٰ وسبعين ودخلوا تحت طاعة ملوك مصر من حينئذ، وصاروا شِيعةً لهم .

وهذا آخر مايحتمله الكِتاب مما يحتاج إلىٰ معرفته .

الطَّـــرَف الثالث

(من الفصل الثانى، من الباب الثالث، من المقالة الثانية فى ذكر أحوال المملكة الشامية ؛ وفيه مقصدان)

المقْصِد الأوّل

(فى ترتيب نياباتها علىٰ ماهى مستقرة عليه)

قد تقدّم أن الممالك المعتبرةَ بالبلاد الشامية ستُّ ممالك فى ست قواعد، وكلُّ مملكة منها قد صارت نيابةَ سلطنة مضاهيةً للملكة المستقلة .

النيابة الأولىٰ

(نيـابة دِمَشْقَ ؛ وفيها جملتان)(١)

الجمـــلة الأولىٰ

(فى ذكر أحوالها فى المعاملات ونحوها)

أما الأثمان المتعامل بها فيها ، فعلىٰ ماتقدّم فى الكلام علىٰ معاملات الديار المصرية من المعاملة بالدنانير المصرية ونحوها وَزْنًا، والدنانير الافرنتية عدًّا، والدراهم النُّقْرة وزنا

---

(١) قد عدّ ثلاث جمل فتنبه .

لاتختلف النقود فى ذلك، إلا أن الصَّنْجةَ فى أوزان الذهب بالديار المصرية تخالف الصنجة الشامية فى ذلك، فتنقُص الصنجة الشاميةُ عن المصرية كل مائة مثقال مثقالاً وربع مثقال؛ وتنقص صنجة الدراهم الشامية عن الصَّنجة المصرية كل مائة درهم درهمًا؛ والمعاملة فيها بفلوس صِغار، وكان يُتَعامل بها فى الديار المصرية فى الزمن الأول قبل ضرب الفلوس الجُدُد، حسابا عن كل درهم أربعة وستون فَلْسًا، وكل أربعة فلوس منها يُعبَّر عنها عندهم بحبة، ثم راجت الفلوس الجُدُد عندهم بعد سنة ثنتين وثمانمائة. إلا أن كلّ [1] بدرهم بخلاف ما تقدّم فى الديار المصرية من أن كل أربعة وعشرين فَلْسا منها بدرهم.

وأما رِطْلها الذى يعتبر به موزوناتها فستمائة درهم بدرهمهم المتقدّم تقديره، وأواقيُّه اثنتا عشرة أوقية، كلُّ أوقية خمسون درهما.

وأما كيلها الذى يعتبر به مَكِيلاتها فبالغِرارة، وهى اثنا عشر كيلا، كلُّ كَيل ستة أمداد، ينقص قليلا عن رُبُع الوَيْبة المصرى، ونسبة الإردب من الغِرارة أن كل غِرارة ومدّ ونصف ثلاثةُ أرادب بالكيل المصرى تحريرا على الدمشقى. ثم قال [2]: لكن كَيل دِمَشْقَ ورطلها هو المعتبر وإليه المَرْجِع.

وأما قياس قُماشها فبذراع يزيد على ذراع القماش بالقاهرة بنصف سدس ذراع وهو قيراطان.

وأما قياس أرض الدُّور بها وما فى معناها، فإنه يعتبر بذراع العمل المتقدم الذكر فى الديار المصرية.

---

(١) بياض فى الأصل بقدر كلمة.

(٢) لم يقدم لنا ما يعود عليه الضمير ولعله صاحب "المسالك".

وأما سعْرها فقال فى "مسالك الأبصار" : سعر اللحم بها أرخص من مصر والدَّجاج والإوَزّ أغلى من مصر، وكذلك السُّكَّرُ، ولم يتعرّض لغير ذلك . ولا خفاء فى أن الفاكهة فيها أرخصُ من مصر بالقدر الكبير، والقمح والشعير والباقلاء نحو من سعر مصر؛ وذلك كله عند آعتدال الأسعار . أما حالة الغلاء فيختلف الحال بحسبه .

الجملة الثانية

(فى ترتيب مملكتها، وهو ضربان)

الضرب الأوّل

(فى ترتيب حاضرتها)

أما جُيُوشها ، فعلى ما تقدّم فى الديار المصرية فى آجتماعها من الترك والجركس والروم والروس والآص ، وغير ذلك من الأجناس المضاهية للترك فى الزّىّ ، ويزيد بها التُّرْكُمان المتميزون عن صفة الترك وزِيّهم، وجندها ينقسمون إلى ما تقدّم فى الديار المصرية : من الأمراء المقدّمين والطبلخانات والعشرات، ومَنْ بين المقدّمين والطبلخانات : كأمراء السبعين والخمسين، وما بين العشرات والطبلخانات كالعِشْرينات ونحوهم ؛ وكذلك مقدّمو الحَلْقة وجندُها ، ولا وجود فيها للمماليك السلطانية لأنهم لا يكونون إلا بحضرة السلطان . وقد أخبرنى من له خِبْرة بحال مملكتها أن الأمراء المقدّمين بها كانوا فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون عشرةً غير النائب بها ، وربما نقصوا الآن عن ذلك، وأن أمراء الطبلخانات بها كانوا إذ ذاك أربعين وأنهم الآن نَيِّف وخمسون ، وأن أمراء العشرات كانوا بها ألفين ومائة وخمسين بما فيهم من البحرية .

وأما إقطاعاتها ــ فقال فى "مسالك الأبصار" : إن إقطاعاتها لاتقارب إقطاعات مصر، بل تكون على الثلثين منها ، إلا فى أكابر الأمراء المقربين بحضرة السلطان، فإن إقطاعاتهم خارجةٌ عن العادة فلا يُعتدّ بها . قال : ولا أعرف بالشأم ما يقارب ذلك إلا ماهو لنائب دِمَشْقَ .

وأما بيوتاتها السلطانية ــ فقال فى "مسالك الأبصار" : بها خِزانة تخرج منها الإنعامات والخِلع، وخزائن سلاح، وزَرَدْخاناه، وبيوت تشتمل على حاشية سلطانية مختَصَرة، حتى لو جهز السلطان إليها جريدةً(١) وجد بها من كل الوظائف القائمة بدولته. قال : وكل أمير أُمِّر فيها أو فى غيرها من الشام أو رُتّبَ وظيفة وُلِّى وظيفةً من عادة متوليها لُبْس خِلْعة أو خدم أحدٌ خدمة فى مهم من المهمات أو أمر من الأمور يستوجب خِلْعة أو إنعاما ولم يُخْلَع عليه من مصر كان من دِمَشْق خِلْعتُه وإنعامه ، ومنها تخرج أعلام الإمرة وطلائعهن وشعار الطبلخاناه . وفى خَزائن السلاح بها تُعْمَل المجانيق والسلاح، ويحمل إلى جميع الشام وتعمر به البلاد والقلاع ، ومن قلعتها تجرّد الرجال وأرباب الصنائع إلى جميع قلاع الشام، وتندب فى التجاريد والمهمات .

قلت : أما باقى البيوت كالفِرَاش خاناه والإصطبلات السلطانية وما شاكلها ، فلا وجود لها فيها مما ينسب إلى السلطان، بل يكون ذلك للنائب قائما مقام السلطان لأنه فى الحقيقة السلطان الحاضر، وكان بها مطابخُ السكَّر السلطانية فأضيفت إلى من يتحدث فى الأغوار من النائب أو غيره من الأمراء الأكابر .

---

(١) لعله منها تجريدة

الضرب الثانى

(فى بيان أرباب الوظائف بِدِمَشْقَ على تباينِ مراتبهم؛ ووظائفُها المعتبرةُ على خمسة أصناف)

الصنف الأوّل

(وظائف أرباب السيوف)

وهى مضاهيـة لوظائف أرباب السُّيُوف بالحضرة السلطانية فى كثير منها؛ وهى عدّة وظائف .

(منها) نيابة السلطنة بها — وهى أجلُّ نيابات المملكة الشامية وأرفعها فى الرتبة، ونائبها يضاهى النائب الكافلَ بالحضرة السلطانية فى الرتبة والألقاب والمكاتبة، ويعبَّر عنه فى المكاتبات السلطانية وغيرها "بكافل السلطنة الشريفـة بالشـام المحروس" ويكتب له من الأبواب السلطانية تقليدٌ شريفٌ من ديوان الإنشاء الشريف؛ وهو قائم بدمشق مَقامَ السلطان فى أكثر الأمور المتعلقة بنيابته، ويُكتب عنه التواقيع الكريمة، ويُكتب عنه المربَّعات بتعيين إقطاعات الجُنْد، وتجهَّز إلى الأبواب الشريفة فيشملها الخطُّ الشريف السلطانىّ. ويترتب حكمُ المربعات المصرية والمناشير على حكمها كما سيأتى فى الكلام على المناشير فى موضعها إن شاء الله تعالى؛ وهو يكتب على كل مايتعلق بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتماد؛ ومعه يكون نظر البيمارستان النُّورى بِدِمَشْقَ كما يكون نظر البيمارستان المنصورى بالقاهرة مع أتابك العساكر؛ وكذلك يكون معه نظر الجامع الأُمَوِىّ بها .

(ومنها) نيابة القلعة بها — وهى نيابة متفردة عن نيابة السلطنة، ليس لنائب السلطنة عليها حديث، وولايتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف يكتب من ديوان

الإنشاء الشريف . قال فى "التثقيف" : وكان عادة نائبها فى الأيام المتقدمة مقدمَ ألف ، ثم ٱستقرّت بعد ذلك طبلخاناه ، وهى على ذلك إلى الآن . ومن شأنه حفظ القلعة وصونُها ، ولا يسلّم مفتاحها لأحد إلا لمن يتولاها مكانَه أولمن يأمره السلطان بتسليمه له . ولنائبها أجناد بحريّة مقيمون فى القلعة لخدمته ، ولا يحضر هو ولا أحدٌ منهم دارَ النيابة بالمدينة ، ولا يركبون فى الغالب . وقد أخبرنى بعض أهل المملكة أن بالقلعة طبلا مرتَّبا لٱستعلام أوقات الليل إذا أُذِّن للعشاء الآخرة ضرب عليه عند مضىّ كل أربع درج ضربة واحدة إلى أن ينقضى ثلثُ الليل الأول . فإذا دخل الثلث الثانى ضُرب عليه عند مضىّ كل أربع درج ضربتين إلى ٱنقضاء الثلث الثانى . فإذا دخل الثلث الثالث ضرب عليه عند مضىّ كل أربع درج ثلاث ضربات إلى أن يؤذَّن للصبح . قال : وهكذا شأن سائر القلاع بالممالك الشامية .

(ومنها) الحجوبية — وكان بها فى الأيام الناصرية ٱبن قلاوون فيما يقال ثلاثةُ حُجّاب ، أحدهم حاجب الحُجّاب ، ويعبر عنه فى ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بأمير حاجب ، وعادته أن يكون مقدمَ ألف من الزمن القديم وهلُمّ جرًّا ، وهو الرتبة الثانية من النائب ، ومن شأنه الجلوسُ بدار العدل ، ولا يقف كما يقف حاجبُ الحُجّاب بين يدى السلطان بالديار المصرية ، وإذا خرج النائب عن دِمَشْق فى مُهِمّ أو غيره ، كان هو نائبَ الغَيْبة عنه . وإذا برز مرسومُ السلطان بالقبض على نائب السلطنة بها ، كان هو الذى يقبِض عليه ويفعل فيه مايؤمَرُ به من سجن أو غيره ، ويقوم بأمر البلد إلى أن يُقام نائب آخر . والحاجبان الآخران طبلخانتان أو طبلخاناه وعشرة ، وربما كانوا أربعة : حاجبُ الحُجّاب وثلاث طبلخانات أو طبلخانتان وعشرون أو عشرة أوغير ذلك ، ورُتَبهم فى المواكب أن يكون حاجب الحُجّاب والذى يليه فى الرتبة ميمنةً والثانى ميسرة . ثم صاروا فى الأيام الظاهرية برقوق خمسة أوستة .

ولم تجر العادة بأن يُكتب لأحد منهم مرسومٌ شريف من الأبواب الشريفة عند ولايته، ولا مَدْخَلَ للنائب بها فى كتابة مايوقع لأحد منهم .

(ومنها) شدّ المُهمَّات — وهى رتبة جليلة ، وموضوعها التحدّث فى أمور الآحتياجات السلطانية، وتارة لنائب السلطنة بدمشق، وتارة لحاجب الحجاب، وتارة لبعض الأمراء من المقدّمين والطبلخانات بحسب مايقتضيه رأى السلطان .

(ومنها) نِقَابة القلعة بها — وهى إمرة عشرة بمرسومٍ شريف ، يكتب له من الأبواب الشريفة .

(ومنها) نِقَابة النُّقَباء — وهما نقيبان : نقيبٌ للميمنة ونقيبٌ للميسرة .

(ومنها) الخِزِنْدارِيَّة — وموضوعها التحدّث على الخِلَع والتشاريف السلطانية بالقلعة وعادتها أربعة طواشيةٌ خِصْيَانٌ بعضهم أعلى رتبةً من بعض ، أحدهم فى رتبة أمير طبلخاناه أو أمير عشرين، والثانى دونَه، والثالث دونَه، والرابع دونَه ، وكل منهم له توقيع كريم من نائب السلطنة بِدِمَشْقَ على قدر رتبته .

(ومنها) نِقَابة الجيش — وفيها ثلاثةُ نَفَر، أكبرهم يعبر عنه بنقيب النقباء ، تارة يكون أمير طبلخاناه، وفى غالب الأوقات أمير عشرة، ودونَه آثنان من جند الحَلْقة. ويكتب لكل منهم توقيع كريم عن النائب على قدر رتبته .

(ومنها) شدّ الدواوين — وموضوعُها التحدّث فى آستخراج الأموال السلطانية رفيقا للوزير كما فى الديار المصرية ، وكانت فى الأيام المتقدّمة إمرة طبلخاناه ، ثم آستقرّت إمرة عشرة . وهى الآن جندىٌ من أجناد الحَلْقة ، ويُكْتب لمتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شدّ الأوقاف — وموضوعُها التحدّث على أوقاف المسلمين بِدِمَشْقَ، وعادتها إمرة عشرة، وربما كانت طبلخاناه، ويكتب لمتوليها توقيع كريم عن النائب.

(ومنها) شدّ الخاصّ — وعادته طبلخاناه أو عشرة أيضا .

(ومنها) شَـدّ الزكاة — وموضوعها التحدّث على مَتْجَر الكارم ونحوه . وكانت فى الزمن المتقدّم إمرةَ عشرة، وهى الآن جندىّ . ويكتب لمتوليها توقيع كريم عن النـائب .

(ومنها) شـدّ العُشْر — وموضوعها التحدّث فى واصـل الفرنج ، وكانت إمرة عشرة، وهى الآن جندىّ، ويكتب لمتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شدّدار الطُّعْم — وهى بمثابة الوَكَالة بالديار المصرية . وولايتها عن النائب بتوقيع كريم، وعادتها إمرة عشرة أو مقدّم حَلْقة أو جندىّ . ويكتب بها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) وِلَاية المدينة — وموضوعها التحدّث فى أمر الشُّرْطة كما فى سائر الولايات، وعادتها إمرة عشرة، وربمـا وليها جندىّ، ويكتب بها توقيع كريمٌ عن النائب .

(ومنهـا) المِهْمِنداريّة — وموضوعها تلقّ الرُّسُـل الواردين ، فى أمور أخرى كما فى الديار المصرية . وقد أخبرنى بعض أهل المملكة أنه كان بهـا فى الأيام الناصرية آبن قلاوون فى نيابة الأمير تنكز مهمندارٌ واحدٌ مقدّمُ ألف ، ثم آستقرّت فى الدولة الأشرفية "شعبان بن حسين" نفرين ، وهى على ذلك إلى زماننا ، وهما الآن أمير عشرة، وجندىّ، ويكتب لكل منهما توقيع كريم عن النائب على قدر رتبته .

(ومنهـا) أميراخورية البريد — وموضوعها التحدّث على خيول البريد بدِمَشْـق ونواحيها . وأخبرنى بعض أهل هذه المملكة أنه لم يزل بها أمير عشرة من الأيام الناصرية آبن قلاوون وإلى الآن .

(ومنها) تَقْـدِمة البريد — وموضوعها التحدّث على جماعة البريدية بدِمَشْـق . وأخبرنى بعض أهـل المملكة أنها كانت فى الأيام النـاصرية آبن قلاوون منحصرةً

فى واحد من جملة البريدية، ثم آستقر فيها الآن آثنان إما إمرة عشرة وإمرة خمسة، أو إمرة خمسة وجندى، أو نحو ذلك؛ ويكتب لكل منهما توقيع كريم عن النائب على قدر مرتبته .

(ومنها) شُدُود صغار متعدّدة، يولّى بها أجناد بتواقيعَ لهم عن النائب: كشدّ دار البِطِّيخ والفاكهة، وشدّ المَسابك من الحديد والنُحاس والزُّجاج وغير ذلك، وشدّ المواريث الحَشْرية ونحو ذلك . وكان لمطابخ السُكَّر شدٌّ مفرد يولّى بتوقيع كريم عن النائب، ثم آستقر ذلك مضافا لمن يتحدّث على الأغوار من النائب أو غيره .

قلت : أما سائر أرباب الوظائف من الأمراء المستقرّ مثلهم بالحضرة السلطانية: كرأس نوبة، وأمير مجلس، وأمير سلاح، وأمير اخور، وأمير جاندار، وأستادار المباشرة، وأستادار الصحبة، وشادّ الشرابخاناه، والجاشنكير، ومقدّم المماليك ونحوهم، فلا وجود لهم هناك . وإنما يكون للنائب مثلهم من أجناده كغيره من سائر الأمراء .

الصـــنف الثـانى

(الوظائف الدّيوانية، وهى عشر وظائف)

(منها) الوِزَارة ــ وهى تارة تعلو رتبةُ صاحبها بأن يكون جليلَ القدر، كما إذا كان قد تقدّمت له ولايةُ وزارة بالديار المصرية أو نحو ذلك فيصرَّح له بالوزارة، وتارة تقصُر رتبته عن ذلك فيطلق عليه ناظر المملكة الشامية، ولا يُسْمح له من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية باسم الوزارة، وإن كان الجارى على ألسنة العامة إطلاقَ لفظ الوزير عليه . وكيفما كان فإنما يوليه السلطان من الأبواب الشريفة . إن كان وزيرا كتب له تقليد، وإن كان ناظرَ المملكة كتب له مرسوم . قلت : وقلّ أن

يليها أرباب السيوف، فإن وقع ذلك آحتاج معه إلىٰ ناظر مملكة كما يكون ناظرُ الدولة مع الوزير ربِّ السيف بالديار المصرية .

(ومنها) كتابة السِّرّ — ويعبر عن متوليها فى ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بصاحب ديوان الإنشاء بالشام المحروس، ولا يقال فيه : صاحب دواوين الإنشاء كما فى الديار المصرية . علىٰ أنها تضاهى كتابة السر بالديار المصرية فى الرياسة ورفْعة القدر . وموضوعها علىٰ نحو ماتقدم فى الديار المصرية . وكيفما كان فإنما يولَّى من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف، ويحترز السلطان فيها علىٰ أن يكون كاتب السر من خاصته الموثوق بهم ليطالعه بخفيات أمور المملكة وما يحدث بها مما لعل النائب قد يُخفيه عن السلطان . وبديوانه كُتّاب الدَّست وكُتّاب الدَّرج كما بالديار المصرية، ويقال إنه كان عِدّةُ كُتّاب الدست فى الأيام الناصرية آبن قلاوون نفرين وكُتّاب الدَّرْج جماعة يسيرة، ثم زاد الأمر كما فى الديار المصرية . وولاياتُ كُتّاب الدَّست وكُتّاب الدَّرج بتواقيع كريمة عن النائب دون الأبواب الشريفة .

وأخبرنى بعض أهل دِمَشْقَ العارفين بأحوال المملكة أن كاتب السرّ فى الزمن المتقدم لم يكن يحضُر دار العدل مع النائب، و إنما كان يحضر كُتّابُ الدست فقط فيوَقِّعون بما يحتاج إليه فى المجلس وينصرفون إلىٰ كاتب السرّ فيخبرونه بما آتفق . وكاتب السرّ يجتمع بالنائب فى أوقات مخصوصة فيما يتعلق بالأمور السلطانية فقط . وكان كاتب السرّ ربما داخلَه الموقِّعون فيما يقع بدار العدل فيلحقه بعض الخَلَل . فلما وَلِىَ كتابة السرّ القاضى ... ...(١) سعىٰ السعى العظيمَ حتّىٰ أُذِن له فى الحضور بدار العدل والتوقيع فيه، وآستمرّ ذلك إلىٰ الآن .

---

(١) بياض فى الأصل .

(ومنها) نظر الجيش ـ وموضوعه التحدّثُ فى الإقطاعات : إما فى كتابة مربّعات تُكتب بما يعينه النائب من الإقطاعات المتوفّرة عن أربابها بالموت ونحوها وتكيلها بخطوط ديوانه، ويجهزها النائب إلى الأبواب الشريفة ليشملها الخطُّ الشريفُ السلطانى، وتحمل إلى ديوان الجيوش بالديار المصرية فتجعل شاهدا مخلّدا فيه، وتكتبُ منه مربّعة، بمقتضاها يخرج المنشور على نظيرها كما تقدمت الإشارة إليه . وإما فى إثبات المناشير الشريفة التى تصدر إليه من الأبواب السلطانية بديوانه حفظا لحسبانات المقطَعين . وليس بالشام كتابة مناشير أصلا، بل ذلك مختص بالأبواب السلطانية ، فإن كان فيه كتابة الدست وَقَّع بدار العدل فى جملة الموقعين وإلا فلا . وإذا كان موقعا جلس مجْلِسَ ناظر الجيش وإن كان متأخرا فى القُدْمَة عن غيره من الموقّعين ، وولاية هذا الناظر من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف . وبديوانه عدّة مباشِرين من صاحب ديوان وكُتّاب وشهود، وِلَايتهم عن النائب بتواقيع كريمة . وناظر الجيش هو الذى يحكم فى المحاكمات الديوانية كما يحكم فيها مستوفِى المرتجَع بالديار المصرية .

(ومنها) نظر المهمّات الشريفة ـ وهى وظيفة جليلة يكون متوليها من أرباب الأقلام رفيقا لشادّ المهمات المتقدّم ذكره من أرباب السيوف : من النائب أو حاجب الحُجّاب أو غيرهما . وهى تارة تضاف إلى الوزارة ، وتارة تفرد عنها بحسب مايراه السلطان . وولايتها من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف . وبهذا الديوان عدّة مباشرين من كُتّاب وشهود، فوليهم النائب بتواقيع كريمة .

(ومنها) نظر الخاص ـ وموضوعه هناك التحدّثُ فيما يتعلق بالمستأجَرات السلطانية وغيرها من الأغوار وما يجرى مجراها، وربما أضيف نظرُها للوزير .

(ومنها) نظر الخِزانة، ويعبر عنها بالخِزانة العالية . ومتوليها يكون رفيقا للخازندارية من الطواشيَّة المتقدّم ذكرهم . فيكون متحدثا فى أمر التشاريف والخِلَع وما معها، وهى وظيفةٌ جليلةٌ يوليها النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيمارستان النُّورِىّ — وقد صار النظر عليه مَعْدُوقاً بالنائب، يُفوِّض التحدّث فيه إلىٰ من يختاره من أرباب الأقلام .

(ومنها) نظر الجامع الأُمَوِىّ — وفى الغالب يكون مع قاضى القضاة الشافعىّ .

(ومنها) نظر خزائن السِّلاح — وموضوعها كما فى الديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيوت — وموضوعها علىٰ ما تقدّم فى الديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وأخبرنى بعض الدِّمَشْقِيِّينَ أن هذه الوظيفة آسم علىٰ غير مسمّى لا حقيقة لها ولا مباشرة، لعدم البيوت السلطانية هناك .

(ومنها) نظر بيت المال — وحكمها كما فى الديار المصرية .

(ومنها) نظر ديوان الأَسرىٰ — وهو التحدّث فى الأوقاف التى تُفدىٰ بها الأسرىٰ .

(ومنها) نظر الأسواق — وموضوعها كما تقدّم فى الديار المصرية من التحدّث علىٰ سوق الرقيق والخيل ونحوها، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر مراكز البَرِيد — ومتوليها يكون رفيقا لأميراخور البريد المتقدّم ذكره، وولايته عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الحوطات — وهو علىٰ نحو من آستيفاء المرتجع بالديار المصرية فى تحصيل الأموال السلطانية .

أما الحكم فى المحاكمات الديوانية، فيختص بناظر الجيش كما تقدّم ذكره .

(ومنها) نظر المَسَابك — ومتوليه يكون رفيقا لشادّ المسابك المتقـدّم ذكره فى أرباب السيوف، وولايته عن النائب بتوقيع كريم . قلت : ويضم إلىٰ كل نظر من هذه الأنظار مباشِرُون : من شهود وغيرهم، يكتب لذوى الصوب منهم تواقيع كريمة عن النائب بوظائفهم ، فى أنظار أخرىٰ لا يسع آستيفاؤها : كنظر المواريث الحَشْرية وغيرها . ومما أهمل من الأنظار بها نظر مطابخ السُّكَّر كما أهمل شدّها لإضافتها إلىٰ المتحدّث فى الأغوار علىٰ ماتقدّم ذكره فى الكلام علىٰ وظائف أرباب السيوف .

الصـــــنف الثـالث

(من الوظائف بدِمَشْق الوظائف الدينية، وهى عدّة وظائف أيضا)

(منها) قضاء القضاة — وبها أربع قُضاة من المذاهب الأربعة علىٰ الترتيب المتقدّم فى الديار المصرية . فأعلاهم الشافعىّ وهو المتحدّث علىٰ الموازع الحكمية والأوقاف وأكثر الوظائف، ويختص بتولية النوّاب فى النواحى والأعمال بجميع أعمال دِمَشْق حتّىٰ فى غَزَّة، ويليه فى الرتبة الحنفىّ، ثم المالكىّ، ثم الحنبلىّ. وكان آستقرار القضاة الأربعة بها بعد حدوث ذلك بالديار المصرية، لكن لم تستقرّ الأربعة دَفْعة واحدة كما وقع فى الديار المصرية فى الدولة الظاهرية بيبرس، بل علىٰ التدريج . وأقدمهم فيها الشافعىّ، وولاية الأربعة من الأبواب الشريفة بتواقيع شريفة .

(ومنها) قضاء العسكر — وموضوعه كما تقدّم فى الديار المصرية ، وبها قاضيا عسكر شافعىّ، وحنفىّ ، وليس بها مالكىّ، ولا حنبلىّ ، وولايتهما من الأبواب الشريفة السلطانية بتواقيع شريفة .

(ومنها) إفتاء دار العدل — وهى علىٰ ماتقدّم فى الديار المصرية أيضا، وبها مفتيان شافعىّ وحنفىّ ، كما فى قضاء العسكر، وولايتهما عن النائب بتواقيع كريمة .

(ومنها) وَكَالة بيت المـال – وموضوعها ماتقـدم فى الديار المصرية ، وولايتها من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف ووكالته مثبوتة(١) على الحكام مُنَفَّذَة . ولكن لاجلوس له بدار العدل كما يجلس وكيل بيت المـال بالديار المصرية، إلا أن يكون كاتبَ دست فيجلس بواسطتها فى جملة الموقّعين لا بالوكالة .

(ومنها) نِقَابة الأشراف – والأمر فيها كما فى الديار المصرية، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وقد تقدّم فى الكلام عليها فى الديار المصرية أنه كان من حقها أن تُورَد فى جملة وظائف أرباب السيوف إذ يكتب فى توقيع متوليها "الأميرى" وإن كان متعمما، وإنما التغليب العرفىّ اقتضى ذكرها فى جملة وظائف أرباب الأقلام .

(ومنها) مَشْيَخة الشيوخ – وموضوعها كما فى الديار المصرية : من التحدّث على جميع الخوانق والفقراء بدِمَشْقَ وأعمالها ؛ والعادة أن يكون متوليها شيخَ الخانقاه الشُّمَيْصاتية بدِمَشْقَ ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) الحِسْبة – وهى كما تقدّم فى الديار المصرية من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . ولا مجلسَ لمتوليها بدار العدل كما يجلس محتسب القاهرة بدار العدل فى الديار المصرية ، وإليه ولاية نوّاب الحِسْبة بجميع أعمـال دِمَشْقَ .

(ومنها) الخَطَابات المعدوقة بنظر النائب – فيولى فيها بتواقيع كريمة حتى إنه ربما كتب عنه التواقيع بخطابة الجامع الأموىّ ، وإن كان الغالب أنها لاتولّى إلا من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف، وقد صارت مضافة لقاضى القضاة الشافعىّ .

(ومنها) التداريس – وتختلف باختلاف حال من يتولاها فى الرِّفْعة وغيرها ، وولاياتها عن النائب بتواقيع كريمة غالبا والله أعلم .

---

(١) الأولى ثابتة ، وقد جارى فى التعبير العرف العامىّ .

الصـــنف الرابع

(من الوظائف بدِمَشْق وظائف أرباب الصِّناعات)

(فمنها) رياسة الطِّبّ، ورياسة الكَحَّالين، ورياسة الجرائحية ـ وكلُّها على نحو ما تقـدّم فى الديار المصرية، وولاية كل منها بتوقيع كريم عن النائب . أما مهتارية البيوت وما فى معناها ، فهناك تختص بالنائب لقيامه مقـام السـلطان وآختصاص البيوت به .

الصـــنف الخامس

(وظائف زعمـاء أهل الذمة بهـا)

وفيهـا بطرك النصارى اليَعَاقِبـة ، وبَطْرَكُ النصارى المَلْكانية ، ورئيس اليهود القرَّايين والربَّانيـين، ورئيس السامرة، ولكنه مقيم بمدينة نَابُلُس التى هى مدينتهم المعظمة عندهم، وإلى طُورها حَجُّهُم ،وله نائب مقيم بِدِمَشْق . قلت : وربما كتب عن السلطان من الأبواب الشريفة بتواقيع ومراسيم بالحَلِّ(١) على ما تصدُر ولايته عن النائب، وربمـا كتب به عنه آبتداء .

الجملة الثـالثة

(فى ترتيب النيابة بهـا)

وتوافق ترتيب السلطنة فى الديار المصرية فى بعض الأمور، وتخالفها فى بعض . وكان عادة النائب بها فى المواكب أن يركب فى العسكر من الأمراء ومقـدّمى الحَلْقة وأجنادها فى كل يوم آثنين وخميس ،ويخرجون إلى سُوق الخيل تحت القلعة فيسَيِّرون

(١) المراد بتثبيت ما يصدر عن النائب كما تفيده البقية .

خيولهم ، وتُعرض عليهم خيول المناداة وغيرها من آلات السلاح ونحوها ، وينادى بينهم على العَقار من الدور والضِّياع وغيرِها ، ولا يتعدّون سوق الخيل إلى غيره . أما الآن فإنهم قد رفضوا التسيير بسوق الخيل ، وصار النائب يخرج بالعسكر إما إلى ميدان ابن أتابك ، وإما إلى قبة يلبغا : قبلىّ دِمَشْق ، وإما إلى المِزّة غربىّ دِمَشْق ، وإما إلى القابُون شمالىّ دِمَشْق على حسب ما يختاره ، فيسيِّرون هناك بدلا من تسييرهم بسوق الخيل ، ولا يسيِّرون بسوق الخيل إلا فى يوم مُهِمّ من حضور رُسُل من بعض الملوك الغرباء ونحو ذلك . فإذا فرغوا من التسيير عند ارتفاع النهار، عاد النائب فى موكبه حتّى يأتى باب الحديد من أبواب القلعة ، ويقف الأمراء على ترتيب منازلهم ، وينادى بينهم على العقار والدُّور وغيرها ،وكذلك الخيول والسلاح . ثم يسير النائب إلى دار النيابة ، فإن كان فى الموكب سِماط تقدم الأمراء فى خدمته ، ويترجل مماليكه من سوق الخيل ، ثم الأمراء على القرب من دار النيابة على ترتيب منازلهم حتّى يكون ترجل المقدّمين على باب دار النيابة ، ويبقى النائب راكبا وحده حتّى ينتهى إلى قاعة عظيمة معدّة للجلوس فى المواكب بمثابة الإيوان الذى يجلس فيه السلطان بقلعة الجبل بالديار المصرية ، ويُصَدّر بها كرسىٌّ من خشب مغشًّى بغشاء من الحرير الأطلس الأصفر، وعليه سيف نمجاه ، مسند إلى صدره ، فيجلس النائب بصدر القاعة على مَقْعَد مختصّ به ، لايشاركه أحد فى الجلوس عليه ، وخلفه بشتميخ منصوب وراء ظهره كعادة الأمراء ، ويكون الكرسىّ المذكور على شماله على نحو ثلاثة أذرع منه ، ويجلس قاضى القضاة الشافعىّ عن يمين النائب على نحو ثلاثة أذرع منه ، مسندا ظهره إلى جدار صدر القاعة ، ويجلس قاضى القضاة الحنفىّ عن يمينه ، وقاضى القضاة المالكىّ عن يمين الحنفىّ ، وقاضى القضاة الحنبلىّ عن يمين المالكىّ ؛ وقاضى العسكر الشافعىّ عن يمين قاضى القضاة الحنبلىّ ، وقاضى العسكر

الحنفيّ عن يمين قاضى العسكر الشافعيّ، صَفًّا مساويا للنائب فى صدر القاعة، ويجلس كاتب السر من جهة يسار النائب ملاصقا لمقْعَده الذى هو جالس عليه، جاعلا يمينه إلىٰ جدار صـدر القاعة وظهره إلىٰ جهة الكرسيّ بانحراف قليـل لمواجهة النائب، وكُتَّاب الدست بالميسرة تحته بالتدريج علىٰ حسب القُدْمَةِ صفًّا ممتدا من كاتب السر إلىٰ جهة باب القاعة، ويجلس الوزير مقابل كاتب السر من الجانب الآخر علىٰ سمت يمين قاضى القضاة الحنبليّ، ويجلس ناظر الجيش تحته، وكُتَّابُ الدست بالميمنة تحت ناظر الجيش علىٰ الترتيب بالقُدْمَةِ أيضا، آخذا من الوزير إلىٰ جهـة باب القـاعة، فيصير كاتب السر والوزيرُ ومَنْ يسامتهما صـفين متقابلين ؛ ويجلس أتابكُ العساكر من الأمراء فى رأس الميمنة خلف الوزير علىٰ بُعْد، وبقيـة الأمراء المقدّمين تحتـه علىٰ الترتيب بحسب القُدْمَةِ ، وأمراء الطبلخاناه بالميمنة تحتهم كذلك حتّىٰ يصيروا صـفًّا آخر كصف الوزير ومَنْ معـه ؛ ويجلس المقدّمون من أمراء الميسرة خلف كاتب السر ومَنْ معـه وتحتهم الطبلخاناه علىٰ الترتيب المتقدّم صـفًّا آخر مقابلا لصف الميمنة ، بحيث يكون أوّله خارجا عن يسـار الكرسيّ . ويكون بين النائب ورأس الميمنة نحو خمسة أذرع ، وبينه وبين رأس الميسرة نحو عشرة أذرع ، وتقف طائفةٌ من أمراء العشرات والخمسات ومقدّمى الحلقة بالميمنة صَـفًّا مستقبِلا خلف الأتابك والأمراء الجلوس فى صـفّه علىٰ ترتيب منـازلهم ، ويقف ممـاليك النائب عن يسار الكرسيّ صفا آخذا من خلف أوّل مقدّمى الميسرة بانحراف فيه إلىٰ خلف ، وطائفةٌ من مقدّمى الحَلْقة خلف الأمراء الجالسين فى الفرجة الواقعة بينهم وبين ممـاليك النائب ؛ ويجلس حاجب الحُجَّاب أمام النائب فى آخر صفى الموقعين الممتدين من كاتب السر والوزير بميلة إلىٰ صف الميمنة ؛ ويقف بقيـة الحجاب خلفه، ونُقَباء الجيش خلفهم . وترفع القِصَص فيتناولها نقباء الجيش ويوصلونها إلىٰ

حاجب الحُجّاب فيتناولها ويقوم فيوصّلها إلىٰ كاتب السر فيفرّقها علىٰ الموقّعين ، ويبتدئ هو بالقراءة فيقرأ ما بيده من القصص ويوقّع عليها بما يرسُمُ به النائب ، ثم يقرأ الذى يليه ، ثم الذى يليه إلىٰ آخر صفه . فإذا فرغ ذلك الصف من القراءة ، قرأ مَنْ هو أوّل الصف الذى فى جانب الوزير ، ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه إلىٰ آخر الصف . فإذا آنتهت القراءة ، قام القضاة ومَنْ فى صفهم وكاتبُ السر والوزيرُ وناظرُ الجيش وسائرُ أرباب الأقلام فينصرفون . فإذا آنقضىٰ المجلسُ وآنصرف القضاةُ ومَنْ معهم ، مُدّ السّماط ، ويجلس النائب علىٰ رأس السماط والأمراء ومقدّمو الحلقة علىٰ ترتيب منازلهم فيأكلون ، ثم يرفع السماط ويتحوّل النائب إلىٰ طَرَف الإيوان فيجلس فيه ، ويجلس قدامه كاتبُ السر وناظرُ الجيش وتأتى المحاكمات فيفصلها ، ويقرأ عليه كاتب السر ما يُرْفَع فى ذلك المجلس من القصص ، ويتكلم مع ناظر الجيش فيما يتعلق بأمر الجيش والإقطاعات ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف كاتبُ السر وناظر الجيش .

قال فى "مسالك الأبصار" : وتزيد عساكر الشام علىٰ غيرها ركوب يوم السبت . قلت : وهو ركوبٌ مجرّدٌ ليس فيه دار عدل ولا سِمَاط . علىٰ أنه ربما أهمل حضور دار العدل ومدُّ السماط فى يومى الآثنين والخميس أيضا كما فى الديار المصرية .

المقصد الثانى

(فى ترتيب ماهو خارج عن حاضرة دِمَشْقَ ، وهو علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(ماهو خارج عن حاضرتها من النِّيابات والولايات)

قد تقدّم أن لدِمَشْقَ أربعَ صفَقَات : غربية (وهى الساحلية) . وقبلية . وشمالية . وشرقية . ففى الصفقة الأولىٰ وهى الغربية نيابتان وخمس ولايات .

فأما النيابتان :

فالأولىٰ ـ (نيابة غَزَّة) أو تقدمة العسكر بها على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالىٰ .

ومعاملاتها بالدنانير و بالدراهم النُّقْرة، وصَنْجتها فى الذهب والفضة كصَنْجة الديار المصرية . وكان بها فلوس كل ثمانين منها بدرهم، ويعبَّر عن كل أربعة منها بحَبَّة، ثم راجت بها الفلوس الجُدُد فى أوائل الدولة الناصرية "فرج بن برقوق" ولكن كل ستة وثلاثين فَلْسا منها بدرهم . ورِطْلها سبعمائة وعشرون درهما بالدرهم المصرىّ، وأواقيه آثنتا عشرة أوقية، كل أوقية ستون درهما . ومكيلاتها معتبرة بالغِرارة . وكل غِرارة من غرائرها ثلاثة أرادبَّ بالمصرىّ، وقياس قُماشها بالذراع المصرىّ، وأرضُها معتبرة بالفدّان الإسلامىّ والفدّان الرومىّ على ما تقدّم فى دِمَشْق ؛ وجيوشها مجتمعة من الترك ومَنْ فى معناهم ومن العرب والتُّرْكُمان، وبها من الوظائف النيابة، ثم تارة يصرح لنائبها بنيابة السلطنة . وبكل حال فنائبها أو مقدّم العسكر بها لا يكون إلا مقدّم ألف ؛ وبها أمراء الطبلخاناه والعشرات والخمسات ومَنْ فى معناهم ؛ وفيها من وظائف أرباب السيوف الحجوبية، وحاجبها أمير طبلخاناه، وولاية المدينة وولَاية البر، وشدّ الدواوين، والمهمندارية، ونقابة النقباء وغير ذلك .

وبها من الوظائف الديوانية كاتب دَرْج، وناظر جيش، وناظر مال، وولايتهم من الأبواب السلطانية ؛

ومن الوظائف الدينية قاض شافعىّ، وولايته من قِبَل قاضى دِمَشْق إذا كانت غزة تَقْدِمة عسكر وإلا فهى من الأبواب السلطانية، وقاض حنفىّ قد آستُحْدث، وولايته من الأبواب السلطانية ؛ وبها المحتسب، ووكيل بيت المال ومَنْ فى معناهم، وكلهم نوّاب لأرباب هذه الوظائف بدِمَشْق كما فى القاضى الشافعىّ، وليس بها قضاء عسكر ولا إفتاء دار عدل .

الثانية ـ (نيابة القُدُس) ـ وقد تقدم أنها كانت فى الزمن المتقدّم ولايةٌ صغيرة وأن النيابة ٱستُحدِثت فيها فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة، ونيابتها إمرة طبلخاناه، وقد جرت العادة أن يضاف إليها نظر القدس ومقام الخليل عليه السلام، ومعاملتها بالذهب والفضة والفلوس علىٰ ماتقدّم فى معاملة دِمَشْقَ؛ ورطلها (١) وكيلها معتبر بالغرارة، وغِرارتها (١) وقياس قماشها بذراع (١)؛ وبها من الوظائف غير النيابة ولايةُ قلعة القُدُس، وواليها جندىّ، وكذلك ولاية المدينة، وكانت توليتها أوّلا من جهة نائب السلطنة بِدِمَشْقَ، ثم أخبرنى بعض أهل المملكة الشامية أن ولاية والى القلعة وولاية البلد صارتا إلىٰ نائب القُدُس من حين ٱستقرّ نيابة. وكذلك ولاية بلد الخليل عليه السلام. وبها قاض شافعىّ ومحتسب نائبان عن قاضى دِمَشْقَ ومحتسبها، وكذلك جميع الوظائف بها نيابات عن أرباب الوظائف بِدِمَشْقَ .

وأما الولايات :

فالأولىٰ ـ (ولاية الرَّمْلة) ـ وكانت فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون من الولايات الصِّغار بها جندىّ، ثم ٱستقرّ بها فى دولة الظاهر برقوق كاشفٌ أمير طبلخاناه، ثم حدثت مكاتبته عن الأبواب السلطانية بعد ذلك .

الثانية ـ (ولاية لُدّ) ـ وقد كانت فى الأيام الناصرية ٱبن قلاوون ولايةً صغيرة بها جُنْدِىّ، ثم أضيفت إلىٰ الرملة حين ٱستقرّ بها الكاشف المقدم ذكره .

الثالثة ـ (ولاية قَاقُونَ) ـ وكان بها فى الأيام الناصرية جُنْدِىّ، ثم أضيفت إلىٰ كاشف الرملة عند ٱستقراره .

الرابعة ـ (ولاية بلد الخليل عليه السلام) ـ وكان فى الأيام الناصرية بها جندىّ، ثم أضيفت إلىٰ القُدُس حين ٱستقرّ النائب به .

(١) بياض بالأصل فى هذه المواضع ولعلها مثل الذى تقدّم فى غزة لتقارب الأمكنة .

الخامسة — (ولاية نابُلُس) — وهى باقية على حالها فى الانفراد بالولاية ، وواليها تارة يكون أمير طبلخاناه، وتارة أمير عشرين، وتارة أمير عشرة .

وأما الصفقة الثانية وهى القبلية، فبها نيابتان وثمانُ(١) ولايات .

فأما النيابتان :

فالأولى منهما (نيابة قلعة صَرْخَد) — قال فى "التعريف" : قد يجعل فيها من يَحُطّ عن رتبة السلطنة أو تكون نيابة معظمة، وذكر نحوه فى "مسالك الأبصار" وكأنه يشير إلى ما كانت عليه فى زمانه، فإنه من جملة مَنْ كان نائبا بها العادل كتبغا بعد خلعه من السلطنة، ثم انتقل منها إلى نيابة حماة . واعلم أن بِصَرْخَد المذكورة قلعةً لها وَالٍ خاصٌّ . قال فى "التثقيف" : وهى من القلاع التى يستقل نائب الشأم بالتولية فيها .

الثانية — (نيابة عَجْلُونَ) — وقد أشار فى "التثقيف" إلى أنها نيابة حيث قال : وعَجْلُونُ إن كانت نيابة فإن نائب الشأم يستقل بالتولية فيها ، ولم تجر له عادة بمكاتبة من الأبواب الشريفة .

وأما الولايات :

فالأولى — (ولاية بَيْسَانَ) — وواليها جُنْدىٌّ .

الثانية — (ولاية بَانِيَاس) — وواليها جُنْدىٌّ تارة، وتارة إمرة عشرة .

الثالثة — (ولاية قلعة الصُّبَيْبَة) — وكانت ولاية صغيرة وبها جندىٌّ ثم أضيفت إلى بَانِيَاس .

الرابعة — (ولاية الشَّعْرا) — وكانت فى الأيام الناصرية مضافة إلى بانياس، وهى الآن ولاية مفردة، وواليها جُنْدىٌّ.

---

(١) أى ان جعلت الصلت ولاية منفردة وإلا فسبعة .

الخامسة ـ (ولاية أَذْرِعَاتَ) ـ قال فى "التعريف" : وبها مقر ولاية الحاكم على جميع الصفقة، ثم الحاكم على جميع الصفقة تارة يكون طبلخاناه وتكون ولايته عن نائب الشام، وتارة يكون مقدم ألف فتكون ولايته من الأبواب السلطانية . أخبرنى بعض كُتَّاب دَسْت دِمَشْق أنه إن كان مقدم ألف، سُمِّى كاشف الكُشَّاف وإن كان طبلخاناه سُمِّى والى الولاة وهو الغالب .

السادسة ـ (ولاية حُسْبانَ والصَّلْتِ) ـ من البلقاء. أخبرنى القاضى ناصر الدين ابن أبى الطيب كاتبُ السر بدِمَشْق أنهما إن جمعا لوال واحد كان أمير طبلخاناه أو أمير عشرة، وإن أفرد كل منهما لوالٍ كان جُنْديا .

السابعة ـ (ولاية بُصْرىٰ) ـ وواليها جُنْدِىّ أيضا .

الصفقة الثالثة الشمالية . وفيها نيابة واحدة وثلاث ولايات .

فأما النيابة (فنيابة بَعْلَبَكَّ) ـ وقد كانت فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون إمرة عشرة، ثم صارت الآن إمرة طبلخاناه، وبكل حال فنائب الشام هو الذى يستقل بولايتها، وربما وليت من الأبواب السلطانية . قال فى "التعريف" : ولها ولاية خاصة يعنى غير ولاية المدينة، وقد كانت فى الدولة الأيوبية مفردة فى الغالب بملك بمفردها .

وأما الولايات :

فالأولى ـ منها (ولاية البِقَاع البَعْلَبَكِّى)[(1)] ـ قال فى "التعريف": وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بَعْلَبَكَّ، وهما مجموعتان لوال واحد جليل مفرد بذاته، وهما على ماذكره من جمعهما لوال واحد إلى الآن، إلا أنه تارة يليهما مقدم حَلْقة وتارة جندىّ .

---

(١) أى ولاية "البقاع البعلبكى" و"البقاع العزيزى" فكان المناسب أن يذكر البقاع العزيزى أيضا كما سبق له ذكرهما فى الأعمال وعقبهما بعبارة التعريف هذه فتنبه .

الثـانية ـ (ولاية بَيْرُوتَ) ـ وولايتها الآن إمرة طبلخاناه .

الثـالثة ـ (ولاية صَيْدَا) ـ قال فى "مسالك الأبصار" : وهى ولاية جليلة ؛ وهى علىٰ ماذكره إلىٰ زماننا، تارة يليها أمير طبلخاناه، وتارة أمير عشرة .

الصفقة الرابعة الشرقية . وبها ثلاث نيابات وأربع ولايات .

فأما النيابات :

فالأولىٰ ـ (نيابة حِمْص) ـ وهى نيابة جليلة، وقد كانت فى الأيام الناصرية فما بعدها تقدمةَ ألف . قال فى "التثقيف" : ثم آستقرت طبلخاناه بعد ذلك . قال : ونائب قلعتها من المماليك السلطانية . وقد تقدّم أن الذِّكْر فى الزمن القديم كان لها دون حَمَاةَ، وقد كانت فى الدولة الأيوبية مملكة منفردة تارة، وتضاف إلىٰ غيرها أخرىٰ.

الثـانية ـ (نيابة مِصْياف) ـ وقد تقدّم أنها كانت أوّلا من مضافات أطْرَابُلُسَ فى جمـلة قِلَاع الدعوة ، ثم أضيفت بعد ذلك إلىٰ دِمَشْقَ ، وآستمرّت علىٰ ذلك إلىٰ الآن . ونيابتهـا تارة تكون إمرة طبلخاناه، وتارة تكون إمرة عشرة ، وبكل حال فتوليتها من الأبواب السلطانيـة . ونائبها لايكتب له إلا فى المهمّات دون خلاص الحقوق أيضا .

الثالثة ـ (ولاية صَيْدَا)(1) ـ والغـالب فى نيابتها أن تكون تقدمة ألف، وأشار فى "التثقيف" إلىٰ أنهـا قد تكون طبلخاناه . قال فى "التعريف" : وبقلعتها بحرية وخَيَّالة وكَشَّافة وطوائف من المستخدمين .

---

(1) تقدمت فى "الصفقة الثالثة الشمالية" . على أنه لم يتكلم على الولايات الأربع التى ذكرها فى ترجمة هذه الصفقة ؛ وقد ذكر فى التعريف الجملة التى نقلها عنه فى الكلام على الرحبة التى عدّها من الصفقة الرابعة وجعل ولاياتها أربعا ولاية حمص ، وولاية سلمية ، وولاية قارا ، وولاية تدمر . وبالجملة فهذا الموضع يحتاج إلى تحرير .

الضرب الثانى

(من الخارج عن حاضرة دمشق العُرْبانُ، والإمرة بها فى بطون من العرب)

البطن الأولى

(آل ربيعة من طَيِّئ من كَهْلاَنَ من القَحْطانية)

وهم بنو ربيعة بن حازم، بن علىّ، بن مفرج، بن دَغْفَل، بن جراح؛ وقد تقدّم نسبه مستوفًى مع ذكر الاختلاف فيه فى الكلام على ما يحتاج إليه الكاتبُ فى المقالة الأولى. قال فى "العبر": وكانت الرياسة عليهم فى زمن الفاطميين: خلفاءِ مصر لبنى جراح، وكان كبيرهم مفرج بن دَغْفَل بن جراح، وكان من إقطاعه الرملةُ. ومن ولده حسَّان وعلىّ ومحمود وحرار، وولى حَسَّان بعده فعظم أمره وعلا صيتُه، وهو الذى مدحه الرِّيَاشىّ الشاعر فى شعره. قال الحمدانىّ: وكان مبدأ ربيعة أنه نشأ فى أيام الأتابك زنكى صاحب المَوْصل، وكان أميرَ عرب الشام أيام طُغْتُكين السَّلْجوقىّ صاحب دِمَشْق ووفد على السلطان نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشأم فأكرمه وشادَ بذكره. قال: وكان له أربعة أولاد، وهم فَضْل، ومرا، وثابت، ودَغْفَلٌ. ووقع فى كلام المسبحىّ أنه كان له ولد آسمه بدر. قال الحمدانىّ: وفى آل ربيعة جماعة كثيرة أعيانٌ لهم مكانة وأُبَّهَةٌ، أوّل من رأيتُ منهم مانع بن حديثة وغنام بن الطاهر، على أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب. قال: ثم حضر بعد ذلك منهم إلى الأبواب السلطانية فى دولة المعز أيبك وإلى أيام المنصور قلاوون زامل آبن علىّ بن حديثة، وأخوه أبو بكر بن علىّ، وأحمد بن حجى وأولاده وإخوته، وعيسى آبن مُهَنَّا وأولاده وأخوه؛ وكلهم رؤساءُ أكابر وسادات العرب ووجوهُها، ولهم عند السلاطين حُرْمة كبيرة وصيتٌ عظيم، إلى رونق فى بيوتهم ومنازلهم.

مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ: لاقَيْتُ سَيِّدَهُم * مثلُ النُّجوم التى يَسْرِى بها السَّارِى

ثم قال : إلا أنهم مع بُعْدِ صِيتِهم قليلٌ عددُهم . قال فى "مسالك الأبصار" : لكنهم كما قيل :

تُعَـيِّرُنَا أنَّا قَلِيــلٌ عَدِيدُنَا * فقلتُ لها : إنّ الكِرام قَلِيلُ

وماضَرَّنَا أنَّا قَلِيــلٌ وجارُنَا * عَزِيزٌ وجَارُ الأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

ولم يزل لهم عنـد الملوك المَكَانَةُ العليـة والدرجة الرفيعة، يُحِلُّونَهُمْ فوق كِيوَانَ، ويُنَوِّعون لهم أجناس الإحسان . قال الحمدانى : وَفَدَ فرج بن حيَّة على المعز أيبك فأنزله بدار الضيافة وأقام أياما، فكان مقدارُ ماوصل إليه من عَيْنٍ وقماش وإقامة ـ له ولمن معه ـ ستةً وثلاثين ألف دينار. قال : وآجتمع أيام "الظاهر بيبرس" جماعةٌ من آل ربيعةَ وغيرهم فحصل لهم من الضيافة خاصةً فى المدّة اليسيرة أكثرُ من هذا المقـدار، وما يَعْلَمُ ما صُرِف على يدى من بيوت الأموال والخزائن والغِلَال للعرب خاصَّةً إلا الله تعالى .

وآعلم أن آل ربيعة قد آنقسموا إلى ثلاثة أفخاذ، هم المشهورون منهم ومَنْ عداهم أتباعٌ لهم وداخلون فى عَدَدهم، ولكل من الثلاثة أمير مختص به .

الفخذ الأوّل ـ (آلُ فَضْل) ـ وهو فضل بن ربيعة المقدّم ذكره ؛ وهم رأس الكل وأعلاهم درجةً وأرفعهم مكانةً . قال فى "مسالك الأبصار" : وديارُهم من حِمْصَ إلى قلعة جَعْبَر، إلى الرَّحْبة ، آخذين على شِقِّ الفرات وأطراف العراق حتّى ينتهىَ حدّهم قِبْلَةً بشرق إلى الوَشْم ، آخذين يسارا إلى البَصْرة ؛ ولهم مياه كثيرة ومناهلُ موردة :

ولَهَـا مَنْهَلٌ على كلّ ماءٍ * وعلى كُلِّ دِمْنَـةٍ آثارُ

وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : نقلا عن محمود بن عرام، من بنى ثابت بن ربيعة: أن آل فَضْل تشعَّبوا شُعَبا كثيرة، منهم آل عيسى، وآل فرج، وآل سميط، وآل مسلم، وآل عليّ . قال : وأما مَنْ ينضاف إليهم ويدخل فيهم، فرعب، والحريث، وبنو كلب، وبعض بنى كِلَاب، وآل بَشَّار، وخالد حمص، وطائفة من سِنْبِس وسعيدة، وطائفة من بربر وخالد الحجاز، وبنو عقيل من كدر، وبنو رميم، وبنو حيّ، وقران، والسراجون . ويأتيهم من البرية من عربه غالب، وآل أجود، والبطنين، وساعدة، ومن بنى خالد آل جناح، والصبيات من مياس، والحبور، والدغم، والقرسة، وآل منيحة، وآل بيوت، والعامرة، والعلجات من خالد، وآل يزيد من عابد، والدوامر، إلى غير هؤلاء ممن يخالفهم فى بعض الأحيان . قال المقر الشهابيّ بن فضل الله : على أنى لا أعلم فى وقتنا من لا يُؤْثِر صحبتهم ويُظْهِر محبّتهم . وسيأتى ذكر قبائلِ أكثرِ هذه العُرْبان التى تنضاف إليهم فى مواضعها إن شاء الله تعالى .

قال فى "مسالك الأبصار": وأسعدُ بيت فى وقتنا آل عيسى، وقد صاروا بيوتا: بيت مُهَنَّا بن عيسى، و بيت فَضْل بن عيسى، و بيت حارث بن عيسى، وأولاد محمد ابن عيسى، وأولاد حديثة بن عيسى، وآل هبة بن عيسى . قال : وهؤلاء آل عيسى فى وقتنا هم ملوك البر فيما بَعُدَ واقترب، وساداتُ الناس ولا تصلُح إلا عليهم العرب .

وأما الإمرة عليهم فقد جرت العادة أن يكون لهم أمير كبير منهم يولَّى من الأبواب السلطانية، ويُكتَب له تقليدٌ شريف بذلك، ويلبس تشريفا أطلسَ أُسْوة النوّاب إن كان حاضرا، أو يُجَهَّزُ إليه إن كان غائبا، ويكون لكل طائفة منهم كبيرٌ قائم مقام أمير عليهم، وتصدر إليه المكاتَبات من الأبواب الشريفة إلا أنه لا يكتب له تقليدٌ ولا مرسوم . قال فى "مسالك الأبصار" : ولم يصَرَّح لأحد منهم بإمرة على العرب

بتقليد من السلطان إلا من أيام العادل أبى بكر : أخى السلطان صلاح الدين يوسف آبن أيوب ، أمّر منهم حديثة يعنى آبن عُقْبة[(١)] بن فضـل بن ربيعة ، والذى ذكره قاضى القضـاة ولىّ الدين بن خلدون فى تاريخه أن الإمرة عليهم فى أيام العادل أبى بكر بن أيوب كانت لعيسىٰ بن محمد بن ربيعة ، ثم كان بعده مانعُ بن حَديثة آبن عقبة[(١)] بن فضل ، وتوفى سنة ثلاثين وستمائة ، ووُلّى عليهم بعده آبنُه مهنا ، وحضر مع المظفر قطز قتـال هُولاكُو ملك التتار وآنتزع سَلَمِيَّة من المنصور بن المظفر صاحبِ حماة وأقطعها له ؛ ثم ولّى الظاهرُ بيبرسُ عنـد مسيره إلى دِمَشْق لتشييع الخليفة المستعصم إلىٰ بغـداد عيسىٰ بن مهنا بن مانع ووفّر له الإقطاعات علىٰ حفظ السابلة وبقى حتّى توفّى سنة أربع وثمانين وستمائة ؛ فولّى المنصورُ قلاوونُ مكانه آبنَه مهنا بن عيسىٰ ، ثم سافر الأشرف "خليل بن قلاوون" إلىٰ الشـام فوفد عليه مهنا آبن عيسىٰ فى جماعة من قومه فقبض عليهم ، وبعث بهم إلىٰ قلعة الجبل بمصر فآعتُقِلوا بهـا وبقوا فى السجن حتّى أفرج عنهم العادل كتبغا عنـد جلوسه علىٰ التخت سنة أربع وتسعين وستمائة ورجع إلىٰ إمارته ؛ ثم كان له فى أيام الناصر بن قلاوون نُصْرَةٌ وآستقامة تارة وتارة ، وميلٌ إلىٰ التتر بالعراق ، ولم يحضر شيئا من وقائع غازان ؛ ووفد أخوه فَضْـلُ بن عيسىٰ علىٰ السلطان الملك الناصر سـنة آثنتى عشرة وسبعمائة فولاه مكانه وبقى مهنا مشرَّدا ، ثم لحق سنة ست عشرة بخدابندا ملك التتار بالعراق فأكرمه وأقطعه بالعراق وهلك خدابندا فى تلك السـنة فرجع مهنا إلىٰ الشأم ، وبعث آبنيه محمدا وموسىٰ وأخاه محمد بن عيسىٰ إلىٰ الملك الناصر ، فأكرمهم وأحسن إليهم ، وردّ مهنا إلىٰ إمارته وإقطاعه ؛ ثم رجع إلىٰ موالاة التتر فطرد السلطانُ الملكُ الناصر آلَ فَضْلٍ بأجمعهم من الشام وجعل مكانهم آلَ علىّ ، وولّى منهم علىٰ أحياء العرب محمد

(١) فى الأصل هنا غضبة ، والذى فى الجزء الأوّل (ص ٣٢٥) عقبة ، فليتنبه .

ٱبن أبى بكر بن علىّ ، وصرف إقطاع مهنا وأولاده إليه وإلىٰ أولاده ، وأقام الحاسب علىٰ ذلك مدّة . ثم وفد مهنا علىٰ السلطان الملك الناصر صحبةَ الأفضل بن المؤيد صاحب حماة فرضى عنه السلطان وأعاد إمرته إليه ورجع إلىٰ أهله ، فتوفى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، وَوَلِىَ مكانه أخوه (١) سليمان فبقى حتّى توفّى سنة أربع وأربعين وسبعمائة عقب موت الملك الناصر ، ووَلِىَ مكانه أخوه سَيْفُ بن فضل فبقى حتّى عزله السلطان الملك الكامل "شعبان بن قلاوون" سنة ست وأربعين ، وولّى مكانه أحمد بن مهنا بن عيسىٰ فبقى حتّى توفّى فى سنة سبع وأربعين وسبعمائة فى سلطنة الناصر "حسن بن محمد بن قلاوون" المرة الأولىٰ ، ووَلِىَ مكانه أخوه فَيَّاض فبقى حتّى مات سنة ستين وسبعمائة ، وولى مكانه أخوه جبار من جهة الناصر حسن فى سلطنته الثانية ، ثم حصلت منه نفرة فى سنة خمس وستين وسبعمائة وأقام علىٰ ذلك سنتين إلىٰ أن تكلم بسببه مع السلطان نائبُ حماةَ يومئذ فأعيد إلىٰ إمارته ، ثم حصل منه نُفْرة ثانية سنة سبعين فى الدولة الأشرفية "شعبان بن حسين" فولّى مكانه ٱبن عمه زامل ٱبن موسىٰ بن عيسىٰ فكانت بينهم حروبٌ ، قتل فى بعضها قشتمر المنصورى نائب حلب فصرفه الأشرف وولّى مكانه ٱبن عمه مُعَيقَل بن فضل بن عيسىٰ ، ثم بعث معيقلٌ فى سنة إحدىٰ وسبعين يستأمن لجبار المتقدم ذكره من السلطان الملك الأشرف فأمّنه ، ووفَد جبار علىٰ السلطان فى سنة خمس وسبعين فرضِىَ عنه وأعاده إلىٰ إمرته فبقى حتّى توفّى سنة سبع وسبعين ، فولّى مكانه أخوه قنارة ، وبقى حتّى مات سنة إحدىٰ وثمانين ، فولّى مكانه معيقلُ بن فضل بن عيسىٰ وزامل بن موسىٰ ٱبن عيسىٰ المتقدم ذكرهما شريكين فى الإمارة ، ثم عُزِلا فى سنتهما وولّى مكانهما

(١) ذكر فى العبر بين هذا والذى قبله مظفر الدين موسى ووفاته فى ٤٢ وذكر أن سليمان توفى فى ٤٣ وبعده شرف الدين عيسى بن فضل ووفاته فى ٤٤ .

محمد بن جبـار بن مُهَنَّا وهو نُعَير ، ثم وقعت منه نُفْرة فى الدولة الظاهرية برقوق ، فولى مكانه بعض آل زامل ، ثم أعيد نعير المذكور إلىٰ إمرته وهو باق علىٰ ذلك إلىٰ الآن[1] ، وهو محمد بن جبار بن مهنا بن عيسىٰ بن مهنا بن ماتع بن حديثة بن عقبة آبن فضل بن ربيعة .

وقد ذكر المقرّ الشهابىّ بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" : أمراء آل فضل فى زمانه ، فذكر أن أميرَ آل عيسىٰ وسائرَ آل فَضْلٍ أحمدُ بن مهنا ، وأميرَ بيت فضل آبن عيسىٰ سيفُ بن فضل ، وأمير بيت حارث بن عيسىٰ قناة بن حارث . ثم قال : أما أولاد محمد بن عيسىٰ ، وأولاد حديثة بن عيسىٰ ، وآل هبة بن عيسىٰ فأتباعٌ .

وذكر القاضى تقىّ الدين بن ناظر الجيش فى "التثقيف" : أنهم صاروا بيتين : وهما بيت مهنا بن عيسىٰ وفضـل بن عيسى . وذكر من أكابرهم عَسَّاف بن مهنا وأخاه عنقا ، وزامل بن موسىٰ بن مهنا ، ومحمد بن جبار وهو نُعَير قبل الإمرة ، وعوّاد آبن سليمان بن مهنا ، وعلىّ بن سليمان بن مهنا ؛ وأما بنو فضـل بن عيسىٰ فذكر منهم فضل بن عيسىٰ ، ومُعَيْقَل بن فضل ، وقال : كان قبلهما سيف وأبو بكر . ثم قال : وممن لم يكاتَبْ أولاد فَيَّاض وبقية أولاد جبار ورقيبة بن عمر بن موسىٰ ونحوهم .

الفخذ الثانى — (من آل ربيعة آلُ مرا) — نسبة إلىٰ مرا بن ربيعة ، وهو أخو فضل المتقدم ذكره . قال فى "العريف" : ومنازلهم حَوْرَانُ . وقال فى "مسالك الأبصار" : ديارهم من بلاد الجَيْدُور والجَوْلان إلىٰ الزرقاء والضليل إلىٰ بُصْرىٰ ، ومُشَرِّقًا إلىٰ الحَرّة المعروفة بحَرَّة كشت قريبـا من مَكّة المعظمة إلىٰ شَعْباء إلىٰ نيران مَزْيَد إلىٰ الهَضْب المعروف بهضب الراقى ، وربما طاب لهم البر وآمتدّ بهم المَرْعىٰ أوانَ خِصْبِ الشتاء فتوسعوا فى الأرض وأطالوا عدد الأيام والليالى حتّىٰ تعودَ مكةُ

(١) فى العربعصية .

المعظمة وراءَ ظهورهم ، ويكاد سهيلٌ يصير شامَهُم ، ويصيرون مستقبلين بوجوههم الشام . وقد تشعب آل مرا أيضا شُعَبا كثيرة ، وهم آل أحمد بن حجى وفيهم الإمرة ، وآل مسخر ، وآل نمىّ ، وآل بقرة ، وآل شمّاء .

وممن ينضاف إليهم ويدخل فى إمرة أمرائهم حارثةُ ، والخاص ، ولامٌ ، وسعيدة ، ومُذْحِجٌ ، وقرير ، وبنو صخر ؛ وزبيد حَوْرَانَ : وهم زبيد صَرْخَدَ ، وبنو غَنِيّ ، وبنو عز قال ؛ ويأتيهم من عرب البرية آل ظفير ، والمَفَارجة ، وآل سلطان ، وآل غزىّ ، وآل برجس ، والحرسان ، وآل المغيرة ، وآل أبى فضيل ، والزَّرَاق ، وبنو حسين الشرفاء ، ومطين ، وخثعم ، وعدوان ، وعنزة . قال : وآل مرا أبطال مَنَاجيد ، ورجال صناديد ، وأقيال قُلْ كُونُوا حجارةً أو حديدًا ، لا يعدّ منهم عَنْتَرَةُ العَبْسِىّ ، ولا عَرَابَةُ الأَوْسِىّ ، إلا أن الحظ يحظ بنى عمهم [بأكثر] ممـا يحظهم ، ولم تزل بينهم نُوَبُ الحَرب ، ولهم فى أكثرها الغَلَب . قال الشيخ شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبىّ رحمه الله : كنت فى نوبة حِمْص فى واقعة التتار جالسا على سَطْح باب الإصطبل السلطانىّ بدمشق إذ أقبل آل مرا زُهاءَ أربعـة آلاف فارس شاكين فى السلاح على الخيل المسوّمة ، والجياد المطهمة ، وعليهم الكزغندات الحمر الأطلس المعدنىّ ، والديباج الرومىّ ، وعلى رءوسهم البِيَضُ ، مقلَّدين بالسيوف ، وبأيديهم الرماح كأنهم صُقُور على صُقُور ، وأمامهم العبيـد تميل على الركائب ، ويرقصون بتراقص المهارىَ ، وبأيديهم الجنائب ، التى إليها عيون الملوك صُوَرًا ؛ ووراءهم الظعائن والحمول ، ومعهم مغنّية لهم تعرف بالحضرمية طائرة الشُّمعة ، سافرة من الهودج وهى تغنى :

وكُنَّا حَسِبْنَا كلَّ بيضاءَ شحمةً * لَيَالِىَ لاقينا جُذَامًا وحِمْيَرَا
ولَمَّـا لَقِينَا عُصْبَـةً تَغْلِبِيَّـةً * يقودون جُرْدًا لِلْمَنِيَّـةِ ضُمَّـرَا
فلمـا قَرَعْنَا النَّبعَ بالنَّبعِ بعضَهُ * ببعض أَبَتْ عِيدَانُه أن تَكَسَّرَا
سَقَيْنَاهُم كأسًا سَقَوْنَا بمثْـلِهِ * ولَكِنَّهم كانوا على الموت أَصْبَرَا

وكان الأمر كذلك ، فإن الكسرة أولا كانت على المسلمين ثم كانت لهم الكَرَّة على التتار، فسبحان منطق الألسنة ومُصَرِّف الأقدار .

الفخذ الثالث – من آل ربيعة (آلُ عليّ) – وهم فِرْقة من آل فضل المقدّم ذكرهم ينتسبون إلى عليّ بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . قال فى "مسالك الأبصار" : وديارهم مرج دِمشق وغُوطتُها، بين إخوتهم آل فضل وبنى عمهم آل مرا ، ومنتهاهم إلى الحوف والجَبَابنة ، إلى السكة ، إلى البرادع . قال فى "التعريف" : وإنما نزلوا غُوطةَ دِمَشْق حيث صارت الإمرة إلى عيسى بن مُهَنَّا وبقى جار الفرات فى تلابيب التتار . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم أهل بيت عظيم الشأن مشهور السادات ، إلى أموال جمة ونعم ضخمة ومكانة فى الدول علية . وأما الإمرة عليهم فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أنه كان أميرهم فى زمانه رَمْلَةَ بن جماز بن محمد بن أبى بكر بن عليّ بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . ثم قال : وقد كان جدّه أميرا ثم أبوه . قلد الملكُ الأشرفُ "خليل بن قلاوون" جدّه محمد بن أبى بكر إمرة آل فضل ، حين أمسك مهنا بن عيسىٰ . ثم تقلدها من الملك الناصر أخيه أيضا حين طرد مهنا وسائر إخوته وأهله . قال : ولما أُمِّر رملةُ كان حَدَثَ السنّ فحسده أعمامه بنو محمد بن أبى بكر ، وقَدِموا على السلطان بتقادِمهم وتراموْا على الأمراء ، وخواصّ السلطان ، وذوى الوظائف فلم يُحضِرهم السلطان إلى عنده ولا أدْنىٰ أحدا منهم ، فرجعوا بعد معاينة الحَيْن ، بخُفَّى حُنَيْن ، ثم لم يزالوا يتربصون به الدوائر وينصِبُون له الحبائل والله تعالىٰ يقيه سيئات ما مكروا حتّى صار سيدَ قومه ، وفَرْقَدَ دهره ، والمُسَوَّدَ فى عشيرته ، المبَيِّض لوجوه الأيام بسيرته . وله إخوة مَيَامِينُ كبرا ، هم أمراء آل فضل وآل مرا . وقد ذكر القاضى تقيّ الدين بن ناظر الجيش فى "التثقيف" : أن الأمير عليهم فى زمانه فى الدولة الظاهرية برقوق كان عيسىٰ بن زيد بن جماز .

البطن الثانيـــة

جَرْم (بفتح الجيم وسكون الراء المهملة) . قال الحمدانىّ : وآسمه ثعلبة وجرم آسم أمه ، وقد تقدّم ذكر نسبه فى الكلام علىٰ ما يحتاج إليه الكاتب فى المقالة الأولىٰ . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم ببلاد غَزَّةَ والدَّارُوم ممـا يلى الساحل إلىٰ الجبل وبلد الخليل عليـه السلام . قال الحمـدانىّ : وجَرْمٌ المذكورة شَمَجان ، وقمران ، وجَيَّان . قال : والمشهور منهم الآن جذيمةُ ، ويقال إن لهم نسبا فى قريش ، وزعم بعضهم أنهـا ترجع إلىٰ مخزوم . وقال آخرون : بل من جَذِيمة بن مالك بن حنبل ابن عامر بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر . ثم قال : وجذيمة هذه هم آل عَوْسَجةَ ، وآل أحمد ، وآل محمود ، وكلهم فى إمارة شاور بن سنان ثم فى بنيه ، وكان لسنان المذكور أخوان فيهما سُودَدٌ : وهما غانم وخضر . ومن جذيمة جابع (؟) الرايديين وبنو أَسْلَمَ ، ويقال إن أَسْلَمَ من جُذَام لا من جذيمة ولكنها آختلطت بها ؛ ومن جذيمةَ أيضا شبل ، ورضيعة جَرْم ونيفور ، والقذرة ، والأحامدة ، والرفئة وكور جرم ، وموقع . وكان كبيرهم مالك الموقعىّ ؛ وكان مقدّما عنـد السلطان صـلاح الدين بن أيوب وأخيه العادل ؛ ومنهم بنو غَوْر ، ويقـال إنهم من جرم بن جرم من سنبس ؛ ومن هؤلاء العاجلة ، والصمان ، والعبادلة ، وبنو تمام ، وبنو جميل ؛ ومن بنى جميل بنو مقدام ؛ ومن بنى غور آل نادر ؛ ومن بنى غوث بنو بها ، وبنو خَوْلة ، وبنو هِرْماس ، وبنو عيسىٰ ، وبنو سُهَيل . وأرضهم الدَّارُوم ، وكانوا سفراء بين الملوك ، وجاورهم قوم من زبيد يعرفون ببنى فهيد ثم آختلطوا بهـم . قال الحمدانىّ : فهـذه جرم الشام وحلفاؤهم ، ومن جاورهم ولاذ بهم .

وأما الإمرة عليهم . فقـد ذكر فى "التعريف" : أن الإمرة علىٰ عرب غَزَّة فى زمانه كانت لفضل بن حجى ، وعرب غزة هم جَرْمٌ المذكورون ، والمعروف أن

جَرْمًا يكون لهم مقـدّم لا أمـير . وعليه جرى القـاضى تقىّ الدين بن ناظر الجيش فى "التثقيف" وذكر أن مقدّمهم فى زمانه فى الدولة الظاهرية برقوق كان علىّ آبن فضل .

البطن الثالثـــــة

ثَعْلَبَة من طيّئ أيضا . قال فى "مسالك الأبصار" : وديارهم مما يلى مصر إلى الخَرُّوبة . وقد تقدّم فى سياقة الكلام على جَرْم أن ثعلبة هذه من بقايا ثَعْلبة المنتقلين إلى مصر، وتقدّم فى الكلام على عرب الديار المصرية أن ثعلبة الذى يُنْسَبون إليه ثَعْلبةُ آبن سَلَامان ، وأن سَـلَامان بطن من بطون طيّئ ، وأن ثعلبة المذكورين بطنان : وهما دَرْمَا وزُرَيْقٌ آبنا عوف بن ثعلبة وقيل آبنا ثعلبة لصُلْبه، وأن آسم دَرْمَا عَمْرو، ودَرْمَا آسم أمه فغلب عليه ، وأن مِن دَرْمَا الجَواهرة والحَنابلة والصُّبَيْحِيين . قال الحمدانىّ : وثعلبة الشام من دَرْمَا آل غياث الجواهرة ومن الحنابلة ومن بنى وَهْم من الصُّبَيْحِيين ، ومن أحلافهم فرقةٌ من الزميميين ومن العار والجمان ؛ وتقـدّم فى الكلام على ثعلبة مصر أيضا أن بكل من ثعلبة مصر والشام قوما من خِنْدِف وقيس ومُراد ويمن .

قلت : ولم يكن فى "التعريف" ولا "التثقيف" لثعلبة المذكورين ذِكْرٌ لعدم مَنْ يكاتَب منهم إذ لم يكونوا فى معنًى من تقدّم .

البطن الرابعـــــة

بنو مَهْدِىّ (بفتح الميم وسكون الهاء والدال المهملة) قد تقـدّم فى الكلام على عرب الديار المصرية أنهم أخو لخم وهو جُذَام بن عدىّ بن عمرو بن سبإ من العرب العاربة ، إما من عمرو بن سبإ من القَحْطانية كما يقتضيه كلام "مسالك الأبصار"

وإما من عُذْرَةَ من قُضاعة من حِمْيَر بن سبإ من القحطانية أيضا كما صرح به فى "التعريف". قال فى "التعريف": ومنازلهم البَلْقاء. وقال فى "مسالك الأبصار": منازلهم البَلْقاء إلى ناس(١) إلى الصوان، إلى عَلَم أعفر. قال الحمدانى: ومن بنى مَهْدِى المَشَابطة الذين منهم أولاد عسكر، والعنانزة، والنترات، واليَعَاقِبة، والمطارنة، والعفير، والرُّويم، والقَطَارِبة، وأولاد الطائية وبنو دوس، وآل يسار، والمحابرة، والسماعة، والعَجَارمة من بنى طريف، وبنو خالد والسلمان والقرانسية والدرالات والجمالات والمساهرة والمعاورة، وبنوعطا، وبنو ميَّاد وآل شبل، وآل رويم، وهم غير الرويم المتقدّم ذكرهم، والمحارقة وبنو عِيَاض، ومنهم طائفة حول الكَرَك يأتى ذكرهم فى الكلام على عرب الكَرَك. قال الحمدانى: ويجاورهم بالبلقاء طائفة من حارثة ولهم نسب بقُرَىٰ بنى عُقْبة.

وأما الإمرة عليهم فقد ذكر فى "التعريف" أن إمرتهم مقسومة فى أربعة منهم، لكل واحد منهم الربع، ولم يسم أمراء زمانه منهم. وذكر فى "التثقيف" مثل ذلك، وسمّى أمراءهم فى زمانه. فقال: وهم بدرو بنُ ذئب بن محفوظ العَنبسى، وسعيدُ بن بحرى بن حسن العنبسى، وزامل بن عبيد بن محفوظ العنبسى، ومحمد بن عباس بن قاسم بن راشد العسرى.

البطن الخامسة

زُبَيْدٌ (بضم الزاى). قال فى "مسالك الأبصار": وهم فِرَقٌ شتَّى. وذكر مَنْ بالشام وغيره ولم يتعرض لنسبهم فى أىِّ أحياء العرب. وذكر الجوهرىُّ أن زُبَيْدًا اسم قبيلة، ولم يزد على ذلك. قلت: والموجود فى كتب التاريخ عدّ زُبَيْد من

---

(١) كذا فى الاصل بالإهمال.

بطون سـعد العَشِيرة من مَذْحِج بن كَهْلان بن سبإ من العرب العاربة، وهم عرب اليمن على ما تقدّم ذكره . وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أن بالشام منهم فِرْقَةً بصَرْخَدَ، وفرقةً بغُوطة دِمَشْق . وذكر فى "التعريف" : منهم زُبَيْد المَرْج وزُبَيْـد حَوْرَانَ وزُبَيْـد الأحلاف . وذكر مثـله فى " التثقيف " : ومقتضىٰ الجمع بين كلامه فى "المسالك" و"التعريف" : أن تكون زُبَيْدٌ خمس فِرَق : زُبيد المرج ، وزُبيد الغوطة ، وزُبيـد صَرْخَد ، وزُبيـد حَوْرانَ ، وزُبيد الأحلاف وليس كذلك ، بل زُبيـد الغوطة وزُبيد المرج واحدة ، فإن المراد غوطةُ دِمَشْق ومَرْجُها ، وهما متصلان والنازلون فيهـما كالفرقة الواحدة ، وزُبيـد صَرْخَدَ هى زُبَيْدُ حَوْرَانَ كما صرح به فى موضع آخر من "مسالك الأبصـار" : إذ صَرْخَدُ من جملة بلاد حَوْرَانَ . أما زُبَيد الأحلاف فديارهم بالقرب من الرَّحْبة بجوار آل فَضْل . قال الحمدانى : والذين بصَرْخَدَ منهم آل مَيَّاس، وآل صيفى، وآل برة ، وآل محسن، وآل جحش، وآل رجاء . والذين بالمَرْج والغوطة آل رجاء، وآل بدال، والدوس، والحريث ، وهم فى عداد آل ربيعة المتقـدّم ذكرهم وذكر معهم المشارقة جيرانهـم . ثم قال : وإمرة زُبَيْد هؤلاء فى نَوْفَل ، وليس للشارقة إمرة، ولكن لهم شيوخ منهم ؛ وأمر الفريقين إلىٰ نوّاب الشام ليس لأحد من أمراء العرب عليهم إمرة ؛ وديارهم متصـلة من المرج والغوطة إلىٰ أُمّ أوْ عال إلىٰ الدريشدان ؛ وعليهم الدَّرك وحفظ الأطراف .

✤

وأما العرب المستعربة، (وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ! علىٰ ما تقدم بيانه فى الكلام علىٰ عرب الديار المصرية) ، فالمشهور بأعمـال دِمَشْق منهـم قبيلة واحدة، وهم بنو خالد عَرَبُ حِمْص . قال الحمدانى : وهم يَدَّعُون النسب إلىٰ خالد

ابن الوليد رضى الله عنه، وقد أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عَقِبه . قال في "مسالك الأبصار" : ولعلهم من ذوى قَرَابته من مخزوم، وكفاهم ذلك فَخَارا أن يكونوا من قريش . وقد تقدّم ذكر نسب مخزوم فى قريش فى الكلام على بنى خالد فى جملة عرب الديار المصرية فأغنى عن إعادته هنا .

قلت : ومن جملة من عدّه فى "التعريف" من عرب الشام غَزِيَّة، ولم يتحرّر لى هل هى من العرب العاربة أو العرب المستعربة فلذلك ذكرتها بمفردها . وقد ذكر الحمدانى أنهم متفرّقون فى الشأم والحجاز وبغداد، وفيما بين العراق والحجاز، ولم يذكر واحد منهما منازلهم من الشأم، بل ذكر الحمدانى منازلهم بالبَرِّيّة والعراق خاصةً . وقال : هم بطون وأفخاذ، ولهم مشايخُ منهم مَنْ وَفَدَ على السلاطين فى زماننا، وأشار فى "التعريف" إلى أن الغالب عليهم عدمُ الطاعة ، ومنهم أحْلاف لآل فضل قد تقدّم ذكرهم وهم غالبٌ وآل أجود والبطنين ، وسأذكرها ببطونها ومنازلها ومياهها من البَرِّيّة فى جملة عرب الحجاز .

النِّيَابة الثانية

(من نيابات السلطنة بالممالك الشامية، نيابةُ حلب؛ وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(فى ذكر أحوالها فى المعاملات ونحوها)

أما الأثمان المتعامَلُ بها من الدنانير والدراهم والصَّنْجة، فعلى ماتقدّم فى دِمَشْق من غير فرق ، ولم تَرُج الفلوس الجُدُد فيها إلى الآن وإنما يُتعامل فيها بالفلوس القديمة، ورِطْلها سبعمائة وعشرون درهما، وأواقيه اثنتا عشرة أوقيّة، كل أوقية ستون درهما ، وفى أعمالها ربما زاد الرطل على ذلك؛ وتعتبر مكيلاتها بالمَكُّوك

فى حاضرتها وسائر أعمالها ، والمكُّوك المعتبر فى حاضرتها سبع ويبات بالكيل المصرىّ ، وأما فى نواحيها وبلادها ، فيختلف آختلافا متباينا فى الزيادة والنقص . قال فى "مسالك الأبصار" : والمعتدل منها أن يكون كل مكُّوكين ونصف غرارةً(1) ، وما بين ذلك كل ذلك تقريبا ، ويقاس القماش بها بذراع يزيد على ذراع القماش المصرىّ سُدُسَ ذراع ، وهو أربعة قراريط ، وتعتبر أرض دورها بذراع العمل كما فى الديار المصرية وأرض زراعتها بالفدّان الإسلامىّ والفدّان الرومىّ كما فى دِمَشْقَ ، وخراج أرض الزراعة بها كما فى دِمَشْق ، وأسعارها على نحو سعر دِمَشْق إلا فى الفواكه فإنها فى دِمَشْق أرخص لكثرتها بها .

الجملة الثانية

(فى ترتيب مملكتها ، وهى على ضربين)

الضرب الاول

(ترتيب حاضرتها)

أما جيوشها فعلى ما تقدّم فى دِمَشْقَ من آشتمال عسكرها على التُّرْك والجركس والروم والروس وغير ذلك من الأجناس المشابهة للترك ، وآنقسامها إلى الأمراء المقدّمين والطبلخانات والعشرات ومَنْ فى معناهم من العشرينات والخمسات ، وكذلك أجناد الحَلْقة ومقدّموها ، وإقطاعاتها على نحو ما تقدّم فى دِمَشْق فى المقدار ، وربما زاد إقطاع الحَلْقة بها على إقطاع الحلقة بالديار المصرية بخلاف إقطاعات الأمراء بها فإنها لا تساوى إقطاعات الأمراء بالديار المصرية .

وأما وظائفها فعلى أربعة أصناف .

(1) تقدم ذلك فى (ص ١١٨) من هذا الجزء فأنظره .

الصنف الأول

(وظائف أرباب السيوف، وهى عدّة وظائف)

(منها) نيابة السلطنة — وهى نيابة جليلة فى الرتبة الثانية من نيابة دِمَشْق، ويعبَّر عنها فى ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بنائب السلطنة الشريفة، ولا يقال فيه كافل السلطنة كما يقال لنائب دمَشْق، ويُكْتَب عن نائبها التواقيع الكريمة بأكثر وظائف حَلَب وأعمالها، وكذلك يُكْتَب عنه المرَبَّعات الجيشية بالديار المصرية، والمناشير الإقطاعية على حكمها كما تقدّم فى دمشق، وكذلك يكتب على كل مايتعلق بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتماد، ويزيد على نائب دِمَشْق بَسْرحتيْن يسرحهما للصيد، الأولى منهما يَسْرَحها فى بلاد حَلَب من جانب الفُرَات الغربىّ يتصيد فيها الغِزلان، يقيم فيها نحو عشرة أيام؛ والثانية وهى العظمى يَعْبُرُ فيها الفُراتَ إلى بر الجزيرة شرقىّ الفرات، ويتنقّل فى نواحيها مما هو داخل فى مملكة الديار المصرية وما حولها، يتصيد فيها الغِزْلان وغيرها من سائر الوحوش، ويقيم فيها نحو شهر.

(ومنها) نيابة القلعة بحَلَب — وهى نيابة منفردة عن نيابة السلطنة بها، وليس لنائب السلطنة على القلعة ولا على نائبها حكم كما تقدّم فى قلعة دِمَشْق، وعادة نائبها أن يكون أمير طبلخاناه، وتوليتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف، وفيها من الأجناد البحرية المُعَدّين لحراستها نحوُ أربعين نفسا، مقيمون بها لايظعَنُون عنها بسفر ولا غيره، يجلس منهم فى كل نوبة عِدّة فى الباب الثانى منها من حين فتح الباب فى أوّل النهار وإلى حين قفله فى آخر النهار، وبها الحَرَس فى الليل، وضرب الطَّبلة على مضىّ كل أربع دَرَج كما تقدم فى قلعة دمشق.

(ومنها) الحُجُوبية ــ والعادة أن يكون بها أربعة حُجَّاب. أحدهم مقدّم ألف: وهو حاجب الحُجّاب، ويعبر عنه فى ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة فى المكاتبات وغيرها بأمير حاجب بحلب كحاجب الحُجّاب بدمَشْق، وهو ثانى نائب السلطنة فى الرتبة ولا يدخل أحد دارَ النيابة راكبا غير النائب وغيْرَه، وهو نائب الغَيْبة إذا خرج نائب السلطنة فى مهمٍّ أو متصيَّد أو غير ذلك، وإليه تَرِدُ المراسيم السلطانية بقبض نائب السلطنة إذا أراد السلطان القبضَ عليه، ويكون هو المتصدّىَ لحال البلد إلىٰ أن يُقام لها نائبٌ، والثلاثة الباقون إما ثلاث طبلخانات، أو طبلخانتان وعشرة، أو ما فى معنىٰ ذلك، وولاية حاجب الحُجّاب والحاجب الثانى من الأبواب الشريفة السلطانية بغير تقليد ولا مرسوم، ومَنْ عداهما ولايته عن نائب حلب، وفيها اثنان واحد بالمَيْمنة وواحد بالمَيْسرة، فالذى فى الميمنة فى الغالب يكون أمير عشرة وربما كان أمير خمسة، والذى بالميسرة جندىّ من أجناد الحَلْقة، وولايتهما عن النائب كل منهما بتوقيع كريم .

(ومنها) شدّ الأوقاف ــ وهى بها رتبةٌ جليلة أعلىٰ من شدّ الأوقاف بِدمَشْق، وعادتها تقدمة ألف أو طبلخاناه، تُوَلَّى من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف . كذا أخبرنى بعض أهلها، ومتوليها يتحدّث علىٰ سائر أوقاف المملكة الحلبية .

(ومنها) المِهْمَنْدَارِيَّة ــ وموضوعها على ماتقدّم فى الديار المصرية ودِمَشْق، وبها اثنان : فأحدهما تارة يكون أمير طبلخاناه وتارة يكون أمير عشرة، والآخر جندىّ حَلْقة، وولاية كل منهما بكل حال عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) شَدّ الدَّوَاوين ــ وموضوعها كما تقدّم فى الديار المصرية ودِمَشْق، وعادته إمرة عشرة، وربما وليها جُنْدىّ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) شد مراكز البريد — وموضوعها كما تقدم فى دِمَشْق، وعادتها إمرة عشرة، وربما كان مقدمَ حَلْقة أو جنديا، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) ولاية المدينة — وموضوعها التحدث فى الشُّرْطَة كما تقدم فى الديار المصرية ودِمَشْق ، وعادتها إمرة عشرة، وربما وليها مقدم حَلْقة ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) شد الأقواد — وموضوعها التحدث على الأموال التى تُسَاق قَوَدًا من المملكة فى كل سنة ، وعادتها إمرة عشرة ، وربما وليها مقدم حَلْقة ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

قلت : وسائر وظائف الأمراء أربابِ السيوف المستقر مثلُهم بالحضرة السلطانية كرأس نَوْبة وأمير مجلس ومَنْ فى معناهما ممن يجرى هذا المَجْرىٰ المختص بالنائب يكون له مثلُها من أجناده لقيامه مقام السلطان هناك كما تقدم فى دِمشق .

وأما الوظائف الديوانية بها لأرباب الأقلام .

(فمنها) الوِزَارة — ويعبَّر عنها فى ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بنظر المملكة ليس إلا ، ولا يصرّح له بآسم الوزارة بحال ، وإن كان الجارى على ألسنة العامة تلقيبَ متوليها بالوزير، ولم تجر العادة بأن يتولاها إلا أرباب الأقلام، وولايتها من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف ،ولديوان هذا النظر عدّة مباشرين أتباعٌ لناظرها كصاحب الديوان والمستوفى والكُتَّاب والشهود وسائر فروع الوزارة ،والنائب يولّى كلًّا من هؤلاء المباشرين بتواقيع كريمة .

(ومنها) كتابة السر — ويعبَّر عن متوليها فى ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بصاحب ديوان المكاتبات بحلب ، ولا يُسْمَح له بصاحب ديوان الإنشاء بحلب

كما فى دِمَشْق؛ وولايتــه من الأبواب الشريفــة بتوقيع شريف ؛ وبديوانه كُتَّاب الدَّست وكُتَّاب الدَّرج كما فى دِمَشْق والديار المصرية .

(ومنها) نظر الجيش - والحكم فيه كما تقدّم فى دِمَشْق من كتابة المرَبَّعات بما يُعيِّنــه النائب من الإقطاعات وتجهيزها للأبواب الشريفة لتُشْمَل بالخط الشريف وتخلّد شاهــدا بديوان الجيوش بالديار المصرية ، وكذلك إثبات مايصــدر إليه من المناشير من الأبواب الشريفة؛ وولايته من الأبواب الشريفة .

(ومنها) نظر المال - وهو بمعنى الوزارة كما فى دِمَشْق إلا أنه لايطلق على متوليه وزير البتة ، وولايته من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف . ولديوانه كُتَّاب أتباعٌ له : كصاحب الديوان والكُتَّاب والشهود وغيرهم؛وولاية كل منهم عن النائب بتواقيع لهم كما فى دِمَشْق .

(ومنها) نظر الأوقاف - وحكمها التحدّث على الأوقاف بمدينة حَلَب وأعمالها كما فى دمَشْق؛ وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الجامع الكبير - ومتوليها يكون رفيقا للنائب فى التحدّث فيه؛ وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البِيمارستان - وقد تقدّم فى الكلام على مدينة حَلَب أن بها بيمارستانين أحدهما يعرف بالعتيق والآخر بالجديد، ولكل منهما ناظر يخُصُّه؛ وولاية كل منهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الأقواد - ومتوليها يكون رفيقا لشادّ الأقواد المتقدّم ذكره فى أرباب السيوف؛ وولايته عن النائب بتوقيع كريم .

الصنف الثانى

(الوظائف الدينيــة)

(فمنها) القضاء ــ وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة كما فى دِمَشْق ، إلا أن آستقرار الأربعة بها كان بعـد آستقرارها بدِمَشْق ، وولاية كل منهم من الأبواب الشريفـة بتوقيع شريف . ويختص الشافعىّ منهم بعموم توليـة النوّاب بالمدينة وجميع أعمالها ، ويقتصر مَنْ عداه على التولية فى المدينـة خاصة كما تقدّم فى دِمَشْق والديار المصرية .

(ومنها) قضاء العسكر ــ وبها قاضيا عسكر: شافعىّ وحنفىّ كما فى دِمَشْق ، وولايتهما من الأبواب الشريفة ، ويُكْتب لكل منهما توقيع شريف .

(ومنها) إفتاء دار العدل ــ وبها آثنان أيضا : شافعىّ وحنفىّ كما فى دِمَشْق ، وولاية كل منهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) وَكَالة بيت المـال ــ وولايتها من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف ، ووكالته عن السلطان بمصر مثبوتة[1] فتنفُذ بالمملكة كما تقدّم فى دمشق .

(ومنها) نِقابة الأشراف ــ والأمر فيها على ماتقدّم فى دِمَشْق والديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) مَشْيخة الشُّيوخ ــ والحكم فيها كما فى دِمَشْق ، وعادتها أن يكون متوليها هو شيخ الخانقاه المعروفة بالقديم ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وربمـا كانت من الباب الشريف .

(ومنها) الحِسْبة ــ وهى على ماتقدّم فى دِمَشْق والديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، ومتوليها يولِّى نوّاب الحِسْبة بسائر الأعمال الحلبية .

(١) لعله "مثبتة" .

(ومنها) الخَطابة بالجامع الكبير ــ وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) التداريس والتَّصادير المعدوقة بنظر النائب ــ وولايتها عنه بتواقيع كريمة على قدر مراتب أصحابها .

الصنف الثالث

(وظائف أرباب الصناعات)

(فمنها) رِياسة الطب ، ورياسة الكَحَّالين ، ورياسة الجرائحية كما فى دِمَشْق والديار المصرية ؛ وولاية كل منهم بتوقيع كريم عن النائب . أما مِهْتارِيَّة البيوت ومَنْ فى معناهم فمفقودون هناك لفقد البيوت السلطانية ، وإنما مِهْتارِيَّة البيوت بها للنائب خاصةً لقيامه مقام السلطان بها كما فى دِمَشْق .

وأما ترتيب النيابة بها فعلى نحو ما تقدّم فى دِمَشْق ؛ وعادة النائب بها أن يركب فى المواكب فى يومى الاثنين والخميس من دار النيابة ، ويخرج من بابٍ يقال له باب القَوْس ، فى وسط البلد على القرب من القلعة ، ويمرّ منه إلى سوق الخيل ، ويخرج من سور البلد من باب النَّيْرَب ، ويتوجه إلى مكان يعرف بالمَيْدان ويعرف بالقُبَّة أيضا على القرب من المدينة بطريق القرية المعروفة بجِبْرِيل ، فى جهة الجنوب عن المدينة ، ثم يعود من حيثُ ذهب ، وقد وقف الأمراء فى انتظاره بسُوق الخيل ، وآخر خيولهم إلى القلعة ورءوس خيولهم إلى الجهة التى يعود منها أمراء الخمسات ، ثم أمراء العشرات ومَن فى معناهم على ترتيب منازلهم ، ثم أمراء الطبلخانات ، ثم الأمراء المقدّمون . فإذا حاذى النائب فى عوده أمراءَ الخمسات والعشرات فى طريقه ، سلم وهو سائر فيسلِّمون عليه ، وهم وقوف فى أمكنتهم لا يتحرّكون ولا يَبْرَحون عنها . فإذا حاذى أمراءَ الطبلخانات ، سلم عليهم فيتقدّمون بخيولهم إليه نحو قصبتى قياس فيسلمون

عليه ثم يعودون إلى أمكنتهم فيقفون فيها . فإذا حاذى الأمراء المقدّمين سلم عليهم فيفعلون كما فعل أمراء الطبلخانات من التقدّم اليه والسلام عليه ثم يعودون إلى أمكنتهم ، و يمرّ النائب حتى ينتهى إلى آخر سوق الخيل فيعطف رأس فرسه و يقف مستقبلا للجهة التى عاد منها فى الجُنوب والعسكر ، واقفون على حالهم ، و ينادى بينهم على العقارات من الأملاك والضياع وكذلك الخيول والسلاح قدر خمس درج ، ثم يمرّ إلى دار النيابة : فإن كان ذلك الموكب فيه سِمَاط ، سار فى خدمته إلى دار النيابة من كان معه فى رُكُوب المَوْكِب من الأمراء الأكابر والأصاغر من الحُجَّاب وغيرهم ؛ و يمرّ بباب القلعة وقد نزل نائب القلعة إلى بابها فوقف فيه مماليكُ فى خدمته من الأجناد البحرية المقيمين بالقاعة ، فاذا مرّ بهم النائب ، سلّم على نائب القلعة فيسلم عليه ، و يطّلع نائب القلعة إلى قاعته ، و يمرّ النائب فى طريقه إلى دار النيابة ، و يكون مماليك النائب قد ترجلوا عن خيولهم ، و يترجل أمراءُ الخمسات والعِشرات بعدهم ، ثم يترجل الطبلخانات على القرب من دار النيابة ، ثم الأمراء المقدّمون على باب دار النيابة ، كلٌّ منهم على قدر منزلته ؛ و يستمرّ النائب راكبا حتى يأتىَ المَقْعَد المذكور[1] ، وهو مَقْعد مربّع مرتفع عن الأرض عليه قبة مرتفعة ودرابزينٌ من خَشَب دائر ، وفيه دكة من خشب صغيرةٌ فى جانبه مرتفعةٌ عن المقعد قدر ذراع ، تَسَعُ جالسا فقط معدّةٌ لجلوس النائب ؛ فينزل النائب على باب من أبواب المقعد الثلاثة مخصوص به ، و يجلس حاجب الحُجّاب على مصطبةٍ لطيفة أعلى السُّلَّم خارجَ الدرابزين معدّةٍ لجلوسه عن يمين النائب ، و يكون القضاة الأربعة وقاضيا العسكر ومفتيا دار العدل وكاتبُ السر وكُتّاب الدَّسْت وناظر الجيش قد حضروا قبل حضور النائب وحاجبِ الحُجّاب وطلعوا من سُلَّم مخصوص بهم وأخذوا مجالسهم وجلسوا فى آنتظار النائب ، فإذا حضر قاموا

(١) أى فى غير هذه النيابة .

وجلسوا بجلوســه ، ويكون جلوسهم بترتيب خاصّ يوافق دِمَشْقَ فى بعض الأمور ويخالف فى بعضها : فيجلس عن يسار النائب قاضى القضاة الشافعىّ ، ويليه قاضى القضاة الحنفىّ ، ويليه قاضى القضاة المالكىّ ، ويليه قاضى القضاة الحنبلىّ ، ويليه قاضى العسكر الشافعىّ ، ويليه قاضى العسكر الحنفىّ ، ويليه مفتى دار العدل الشافعىّ ، ويليه مفتى دار العدل الحنفىّ ، ويليه الوزير ، صفًّا مستقيما ؛ ويجلس كاتب السر أمام النائب على القرب منه ، ويليه عن يمينه ناظر الجيش ، ويليه كُتَّاب الدَّسْت على ترتيب منازلهم حتّى يساوُوا فى المقابلة الصفَّ الذى فيه قُضاة القضاة ومَنْ معهم ، ويجلس باقى الموقِّعين بين الصفين مقابلَ حاجب الحُجّاب حتّى يصلوهما فيصيرون كالحَلْقَة المستديرة ، ويقف الحُجّاب الصغار أسفل السُّلَّم الذى يَصْعَدُ منه ، وحاجب الحجاب ونُقَباء الجيش خلفهم ، والولاةُ خلف نقباء الجيش . فإن كان الأمراء قد حضروا لأجل السّماط ، جلس المقدّمون والطبلخاناه على مصاطبَ معدّة لهم على القرب من المقعد الذى يجلس فيه النائب ومَنْ معه من أرباب الأقلام المتقدّم ذكرهم ، وتُرْفَع القِصَصُ فيتناولها نقباءُ الجيش ويناولونها الحُجّابَ فيناولونها لحاجِبِ الحجاب فيُناولها لكاتب السر فيفرِّقها على الموقِّعين ويُبقى بعضها معه ، فيقرأ ما معه ثم يقرأ مَنْ بعده على الترتيب إلى آخر الموقعين . فإذا انقضت قراءة القصص قام من المجلس القضاة ومَنْ فى معناهم وكُتّاب الدست فانصرفوا . فإذا انقضى المجلس ، فإن كان فى الموكب سماط قام النائب والأمراء من أماكن جلوسهم فدخلوا إلى قاعة عظيمة قد وضع بصدرها كرسىُّ سلطنةٍ مغشَّى بالحرير الأطلس الأصفر وعليه نمجاه مسندة إلى صدره كما تقدّم فى دِمَشْق ، وقد مدّ السماط السلطانىّ فيجلس النائب على رأس السماط والأمراء على ترتيب منازلهم فى الإمرة والقُدْمَة ويأكلون ويرفع السماط ، ثم يقوم الأمراء فينصرفون ؛ ويقوم النائب ومعه كاتب السر وناظر الجيش

فيدخل إلىٰ قاعة صغيرة فيها شُبّاك مطلّ علىٰ دوار بإصطبل النائب ، فيجلس فى ذلك الشباك ، ويجلس كاتب السر وناظر الجيش فينصرفان[1] .

قلت : ويخالف دمشق فى أمور :

أحدها ـ أن كرسيّ السلطنة ليس بدار العدل حيث يجلس النائب والمتعمّمون كما فى دِمَشْق بل فى مكان آخر .

الثانى ـ أن الأمراء لا يجلسون مع النائب بدار العدل كما فى دِمَشْق بل فى مكان منفرد .

الثالث ـ أن النائب يجلس علىٰ دكة مرتفعة عن جلسائه بخلاف دمَشْق ، فإنه يجلس مساويا لهم ، وكأن المعنىٰ فيه عدم جلوس الأمراء فى مجلس النائب بحلب بخلاف دِمَشْق .

الرابع ـ أن الوزير بحلب يجلس فى آخر صف القضاة ومَنْ فى معناهم تحت مفتِيَيْ دارالعدل ، وبدِمَشْق يجلس فى رأس صف يقابل كاتب السر ، وكأن المعنىٰ فيه أن كاتب السر بحَلَب يجلس أمام النائب فلو جلس الوزير فوقه لخالف قاعدة جلوس كاتب السر ، أو جلس تحته لكان نقصا فى رتبته . ولا شك أنه يجلس فوقه القضاة ومن فى معناهم لرفعة رتبة الشرع .

الخامس ـ أن السماط بحَلَب لا يمدّ بدار العدل كما فى دِمَشْق بل فى مكان آخر مخصوص .

السادس ـ أن النائب بحَلَب له موضع مخصوص يجلس فيه للمحاكمات ومدّ السماط ، وفى دمشق يجلس علىٰ طرف الإيوان بدار العدل بعد رفع السماط منه .

---

(١) لعله ثم ينصرفان .

الجمـــلة الثانية

(فى ترتيب ما هو خارج عن حاضرة حلب، وهو ثلاثة أنواع[(١)])

النـــوع الأوّل

(ولاة الأمور من أرباب السيوف، وهو ثلاثة أصناف)

الصـــنف الأوّل

(النـــوّاب، وهم علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(ما هو داخل فى حدود البلاد الشامية، وهى إحدىٰ عشرة نيابة)

الأولىٰ ـ (نيابة قلعة المسلمين المسمّاة فى القديم بقلعة الروم) ـ وعادة نائبها أن يكون مقدّم ألف يولّى من الأبواب السلطانية بمرسومٍ شريف .

الثانيـــة ـ (نيابة الكَخْتا) ـ ونيابتها تارة تكون طبلخاناه وتارة عشرة، وتوليتها من نائب حلب .

الثالثـــة ـ (نيـــابة كَرْكَر) ـ ونيابتها تارة طبلخاناه وتارة عشرة، وتوليتها من نائب حلب .

الرابعـــة ـ (نيابة بَهَسْنىٰ) ـ وقد ذكر فى "التثقيف" ما يقتضى أن نيابتها طبلخاناه، لكن أخبرنى بعض كُتّاب السر بحَلَبَ أنها ربما كانت تقدمة ألف . وقد ذكر فى "التعريف" ما يقتضى ذلك فقال : ولنائبها مكانة جليلةٌ، وإن كان لا يلتحق بنائب البِيرَةِ، وبكل حال فتوليتها من الأبواب السلطانية بمرسومٍ شريف .

الخامسة ـ (نيابة عَيْنتَاب) ـ وقد أوردها فى "التثقيف" فى جملة أمراء العشرات وذكر أنه رأىٰ بخط ابن النشائى مايقتضى أنها كانت طبلخاناه . وقد أخبرنى

(١) لم يذكر الا نوعين فتنبه .

بعض كُتّاب سر حلب أنها آستقرّت تقدمة ألف فى أواخر الدولة الظاهرية برقوق، وآستقرّت توليتها من الأبواب السلطانية .

السادسة — (نيابة الرَّاوَنْدانِ) — وقد أوردها فى "التثقيف" فى جملة نيابات العشرات . وقد أخبرنى بعض كُتّاب السر بحَلَبَ أنها آستقرّ بها آخرا جندىّ، وتوليتها من نائب حلب .

السابعة — (نيابة الدَّرْبَسَاك) — وقد أوردها فى "التثقيف" فى جملة العشرات . وأخبرنى بعض كُتّاب سر حَلَبَ أنها ربما أضيفت لنائب بَغْراس الآتى ذكرها وأنها الآن بيد آبن صاحب البازِ التُّركمانى، وتوليتها من نائب حلب .

الثامنة — (نيابة بَغْرَاسَ) — وقد أوردها فى "التثقيف" فى جملة العشرات، وولايتها من نائب حلب . وهى بيد أولاد داود الشيبانى التركمانى من تقادُمِ السنين، وولايتها من نائب حَلَبَ .

التاسعة — (نيابة القُصَيْر) — وقد أوردها فى "التثقيف" فى جملة العشرات . وأخبرنى بعض كُتّاب سر حلب أن بها الآن جندياً .

العاشرة — (نيابة الشُّغْر وبَكَاس) — وقد أوردها فى "التثقيف" فى جملة العشرات، وقد أخبرت أنها آستقرّ بها آخرا جندىّ، وتوليتها من نائب حلب .

الحادية عشرة — (نيابة شَيْزَر) — كانت فى الزمن المتقدّم إمرةَ عشرة يستقل نائب حَلَبَ بتوليتها فلما تسلطت عليها العُرْبان بعد وقعة مِنْطاش والناصرى آستقرّت تقدمةً بولاية من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الضرب الثانى

(النيابات الخارجة عن حدود البلاد الشامية، وهى قسمان)

القسم الأوّل

(بلاد الثغور والعواصم وما والاها، والمعتبر فيها ثمان نيابات)

الأولى — (نيابة مَلَطْيَة) — ونيابتها طبلخاناه، وتوليتها من الأبواب السلطانية.

الثانيـة — (نيابة دِبْرِكى) — وقد ذكر فى "التثقيف" أنها تارة تكون طبلخاناه وتارة تكون عشرة، وبكل حال فولايتها من نائب حلب .

الثالثة — (دِرَنْدَة) — ونيابتها فى الغالب إمرة عشرة، وربما كانت طبلخاناه، وولايتها فى الحالتين من نائب حلب .

الرابعة — (نيابة الأَبُلُسْتَيْن) — ونيابتها تقدمةُ ألف من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الخامسة — (نيابة آياس) — وهى المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية — ونيابتها تقدمةُ ألف، وتوليتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

السادسة — (نيابة طَرَسُوس) — ونيابتها تقدمة ألف، وتوليتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

السابعة — (نيابة أَذَنَة) — ونيابتها تقدمة ألف، وتوليتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثامنة — (نيابة سِرْفَنْدَكار) — ونيابتها إمرة عشرة، ووقع فى "التثقيف" نقلا عن ابن النشائى ما يقتضى أنها كانت أوّلا طبلخاناه، وبكل حال فولايتها من نائب حَلَب .

التاسعة ـ (نيابة سِيس)[١] ـ وقد تقدم أن فتحها قريب فى الدولة الأشرفية "شعبان ابن حسين" ولم تزل نيابتها منذ فتحت تقدمةَ ألف ، وكانت قد جعلت نيابةً مستقلةً عند الفتح ثم جعلت بعد ذلك تقدمة عسكر كغَزَّة إلا أن مقدّم العسكر بها لا يُكاتَب فى خلاص الحقوق بخلاف مقدّم العسكر بغَزَّة .

قلت : وبعد ذلك نيابات صغار يولّى بها نائب حَلَب أجنادا ، ولا مكاتبةَ لها من الأبواب السلطانية : وهى نيابة قلعة بَارِى كَرُوكَ ، ونيابة كَاوَرَّا ، ونيابة كَوْلَاكَ ، ونيابة كِرْزال ، ونيابة كُومِى ، ونيابة تَل حَمْدُونَ ، ونيابة الهارونِيَّتين ، ونيابة قلعة نَجْمة ، ونيابة حميمص ، ونيابة قلعة لُؤلُؤَةَ .

القســـم الثـانى

(ماهو فى حدود بلاد الجزيرة شرقىّ الفُرَات ، والمعتبر فيها ثلاثُ نيابات)

الأولى ـ (نيابة الْبِيرَة) ـ ونيابتها تقدمة ألف ، وتوليتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثانية ـ (نيابة قلعة جَعْبَر) ـ ونيابتها طبلخاناه ، وتوليتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثالثة ـ (نيابة الرُّهَا) ـ قال فى "التثقيف" : وقد جرت العادة أن تكون نيابتها طبلخاناه ، ثم آستقر بها فى الدولة المنصورية فى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة مقدّم ألف .

(١) زادها على المعتبر فتنبه .

الصـــنف الثانى

(من أرباب السيوف بخارج حَلَب الوُلَاة، وولاية جميعها من نائب حلب بتواقيع كريمة، والمشهور منها اثنتا عشرة ولاية)

الأولىٰ — (ولاية بَرِّحَلَبَ كما فى دِمَشْق) — إلا أن والى بر حلب هو والى الوُلَاة.

الثانية — (ولاية كَفْرِطَابَ) — وواليها جندىٌ.

الثالثة — (ولاية سَرْمِينَ) — وواليها فى الغالب جُنْدىٌّ، وربما كان أمير عشرة.

الرابعة — (ولاية الجَبُّول) — وواليها جندىٌ.

الخامسة — (ولاية جَبَل سِمْعان) — وواليها جندىٌّ، وهومقيم بمدينة حلب، يحضر المواكب مع والى المدينة ووالى البرِّ: لقربه منها.

السادسة — (ولاية عَزَاز) — وواليها جندىٌّ، وربما كان أمير عشرة.

السابعة — (ولاية تَلِّ بَاشِر) — وكان لها والٍ بمفردها جندىٌ، ثم أضيفت آخرا لعَيْنتَابَ.

الثامنة — (ولاية مَنْبِج) — وواليها جندىٌّ.

التاسعة — (ولاية تِيزِين) — وهى تارة تفرد بوالٍ يكون جُنْديا، وتارة تضاف إلىٰ حارِم، ويقال والى حارم وتِيزِينَ.

العاشرة — (ولاية البابِ وبُزَاعَا) — وواليها جندىٌّ.

الحادية عشرة — (ولاية دَرْكُوش) — وواليها جندىٌّ.

الثانية عشرة — (ولاية أَنْطَاكِيَة) — وواليها تارة يكون جنديا وتارة أمير عشرة، وأخبرنى بعض كُتَّاب السر بحَلَب أنها ربما أضيفت إلىٰ نائب القُصَيْر.

قلت : ووراء ذلك ولايات أُخَر ببلاد الروم ونحوها لم يتحرر لى حالها، والظاهر أن ولاية جميعها أجناد .

النـــوع الثانى

(ممـا هو خارج عن حاضرة حلب العُرْبان)

واعلم أنه قد تقدّم فى الكلام علىٰ آل فَضْل من عُرْبان دِمَشْق أن منازلهم ممتدّة بأراضى الشام إلىٰ الرَّحْبـة وجَعْبَر فى جانب الفُرَات ، وتقدّم فى الكلام علىٰ قواعد الشام المستقرة نقلا عن المقرّ الشهابى ابن فضل الله فى "التعريف" أن جَعْبَر كانت فى زمانه من مضافات دِمَشْق ، وأن الواجب أن تكون من مضافات حَلَب ، فإنها أضيفت بعـده إلىٰ حَلَب ، وحينئذ فيكون فى بلاد حلب بعضُ عرب آل فضـل المتقدّم ذكرهم هناك .

والمختصّ بأعمال حلب من العرب المشهورين قبيلتان .

القبيلة الأولىٰ ـ (بَنُو كِلَاب) . قال فى "مسالك الأبصار": وهم عربُ أطراف حَلَبَ والرومِ، ولهم غَزَوات عظيمة معلومة وغاراتٌ لاتعدّ ، ولا تزال تُبَـاع بناتُ الروم وأبناؤهم من سباياهم ، ويتكلمون بالتركيـة ويركبون الأَكَادِيش، وهم عرب غَزْو، ورجالُ حروب، وأبطالُ جيوش، وهم من أشدّ العرب باسا، وأكثرهم ناسا. قال : ولإفراط نِكَايتهم فى الرُّوم صُنِّفت السيرة المعروفة "بدلهمة والبَطَّال"(١) منسوبة اليهم بمـا فيها من مُلَح الحديث ولُمَح الأباطيل ، ولكنهم لا يدينون لأمير منهم يجمع كلمتهم، ولو انقادوا لأمير واحد لم يبق لأحد من العرب بهم طاقةٌ .

---

(١) هى السـيرة المشهورة الآن " بذات الهمة " وقد طبعت أخيرا بالمطبعة " الحسينية " وانتشرت فى أيدى العامة وهى فى بابها لابأس بها .

قال الحمدانى : وكان بنو كلاب قد ظهروا على آل ربيعـة ، وذلك أن الملك الكامل كان طلب من مانِع بن حَدِيثـة وغَنّام بن الطاهر جِمالًا يحمل عليها غلالًا إلى خِلَاط يقوتها بها، فآحتج بغَيْبة جِماله فى البرية، وكان بعض بنى كلاب حاضرا فتكفَّل له بحاجتـه من الجمال ووفى له بذلك، فحقد بهـا الملك الكامل على مانع بن حديثة وغنام بنِ الطاهر وآستوحَشا منه ثم أتياه عنـد أخذه آمِدَ ، فوبّخهما فخرجا خائفين منه إلى أن فتح دِمَشْق فأتياه بأنواع التَّقادم وتقرَّبا إليـه بالخدمة . قال : وكانت بنو كلاب تخدُم الملك الأشرف موسى وتصحبه لمتاخمة بلاد الروم .

قال فى "مسالك الأبصار" : وكان سلطاننا يعنى الناصرَ محمدَ بن قلاوون لا يزال ملتفتا إلى تألُّف بنى كلاب هؤلاء ، وكان أحمد بن نصـير المعروف بالتَّتَرِىّ قد عاث فى البلاد والأطراف وآشـتدّ فى قطع الطريق ، فأمّنه وخلع عليه وأقطعه فآنقادت بنو كلاب للطاعة ، وكان الملك النـاصر قد أمَّر عليهم سليمان بن مُهَنَّا وجعل عليـه حفظ جَعْبَر وما جاورها .

القبيلة الثانيـة ـ (آل بَشّار) ـ قال فى "مسالك الأبصار": وديارهم الجزيرة والأَحَصّ[(1)] ببلاد حلب . قال : والأحلافُ منهم حالهم فى عدم الآنقياد لأمير واحد حالُ بنى كِلَاب . ولو آجتمعوا لمـا أُمِن بأسهم تَقِيمٌ على تفرّق كلمتهم ، وبسبب جماعتهم لا يزال آل فضـل منهم على وَجَل ، وطالما باتُوا وقلوبهم منهـم ملأى من الحَذَر، وعيونهم وَسْنَى من السهر، وبينهم دماء، وهم وبنو ربيعة وبنو عِجْل جيران ، وديارهم من سِنْجار وما يُدانيها إلى البـارَة أو قريب الجزيرة العُمَرية إلى أطراف بغداد .

(١) هو بهذا الضبط موضع . أنظر معجم البلدان (ج ١ ص ١٤٩ ـ ١٥٣) .

النيابة الثالثة
(نيابة أطْرَابُلُس، وفيها جملتان)

الجملة الأولى
(فى ذكر أحوالها ومعاملاتها)

أما معاملاتها فبالدنانير والدراهم النُّقْرة على ماهى فى الديار المصرية ودِمَشْق وحَلَب؛ وصَنْجتها كصَنْجة دِمَشْق فى الذهب والفضة؛ وبها الفلوس العُتْق (١) فلسا بدرهم؛ ورِطْلها ستمائة درهم كما فى دِمَشْق، وأواقيه آثنتا عشرة أوقية كل أوقية خمسون درهما. وتعتبر مكيلاتها بالمَكُّوك كما فى حَلَب؛ ويقاس القُماش بها بذراع كلُّ عشرة أذرع منه إحدى عشرة ذراعا بالمصرىّ؛ وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما فى الديار المصرية وغيرها من البلاد الشامية؛ وتعتبر أرض زراعتها بالفدّان الإسلامىّ والفَدّان الرومىّ كما فى دمشق وغيرها من البلاد الشامية؛ وخراجها على ماتقدّم فى دِمَشْق وغيرها من بلاد الشام.

وأما جيوشها فمن الترك ومَنْ فى معناهم على ماتقدّم فى غيرها من الممالك الشامية، وبها أمير واحد مقدّمُ ألف غير النائب، وباقى أمرائها طبلخاناه وعشرات وخمسات ومَنْ فى معناهم من العشرينات وغيرها؛ وبها من وظائف أرباب السيوف نيابة السلطنة : وهى نيابة جليلة، نائبها من أكبر مقدّمى الألوف، وهو فى الرتبة الثانية من حَلَب كما فى حماة؛ وليس بها قلعة يكون لها نائب بل نائب السلطنة هو المتسلم لجميعها والمتصرف فيما لديها من أمر العسكر وغيره.

ومنها الحجوبية، وبها ثلاثة حُجّاب أكبرهم طبلخاناه وهو حاجب الحُجّاب، والحاجبان الآخران كل منهما أمير عشرة.

(١) بياض فى الأصل.

ومنهـا المِهْمَنْدارية، وشدّ الدواوين، وشدّ الخاص، وشدّ مراكز البريد، وشدّ الميناء، ونقابة النقباء، وأميراخورِيَّة، وشدّ الأوقاف، وتقدمة البريدية، وأميراخورية البريد، ووِلَاية المدينة، وتقدمة التُّرْكمان وغير ذلك، وكلها يوليها النائب بها .

وبهـا من أرباب الوظائف الديوانيـة ناظر المملكة، وناظر الجيش، وصاحب ديوان المكاتَبَات؛ وولاية الثلاثة من الأبواب السلطانية بتواقيعَ شريفة، وكُتّاب دَسْت، وكُتّاب دَرْج، ولايتهم من نائبها .

وبها من الوظائف الدينية قضاء القُضاة من المذاهب الأربعة، وقاضيًا عسكرٍ شافعيّ وحنفيّ، ومفتيًا دارعدل كذلك، ومحتسبٌ، ووكيل بيت المـال . إلىٰ غير أولئك من أرباب الوظائف .

وأما ترتيب النيابة بها فإن النـائب يركب فى يومى الاثنين والخميس من دار النيابة، ويخرج فى مَوْكِبه من الأمراء والأجناد حتّى يأتىَ ساحل البحر، ثم يعود إلىٰ دار النيابة ومعه جميع الأمراء والأجناد، خلا الأمير المقدم فإنه لايحضُر معه إلىٰ دار النيابة . وإذا حضر النـائب إلىٰ دار النيابة جلس فى دار العدل بصدر الإيوان وليس بها كرسىٌّ سلطنةٍ، ويجلس قاضيان: شافعىّ وحنفىّ عن يمينه، ومالكىّ وحنبلىّ عن يساره، ووكيلُ بيت المـال تحت القاضى المـالكىّ، ويجلس كاتب السر أمامه علىٰ القرب من يساره وكُتّاب الدَّسْت خلْفَه، وحاجب الحُجّاب جالس أمام النائب علىٰ القُرْب منـه، ويأخذ الحُجّاب الصِّغار القِصَص ويناولونهـا إلىٰ حاجب الحُجّاب فيدفعها لكاتب السر، ويفصل المحاكمات، ثم ينفض المجلس ويمد السِّماطُ فيأكلون وينصرفون كما فى غيرها .

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(النواب ، وهم على قسمين)

القسم الأول

النيابات بمضافات نفس أَطْرَابُلُس، وبها خمس نيابات كلهم يكاتَبُون عن الأبواب السلطانية فى المهمات ونحوها، دون خَلَاص الحقوق . فإنه يختص بنائب السلطنة بها .

الأولى – (نيابة حِصْن الأكراد) – ونيابته إمرة عشرة .

الثانية – (نيابة حِصْن عَكَّار) – ونيابته إمرة عشرة .

الثالثة – (نيابة بَلَاطُنُس) – ونيابتها إمرة عشرة .

الرابعة – (نيابة صَهْيُون) – ونيابتها إمرة عشرة .

الخامسة – (نيابة اللَّاذِقِيَّة) – ونيابتها إمرة عشرة .

القسم الثانى

(نيابات قِلَاع الدعوة، وهى ستّ نيابات خارجا عن مِصْياف
حيث أضيفت إلى دمَشْق)

الأولى – (نيابة الرُّصَافَة) – وأصل نيابتها إمرة عشرة .

الثانية – (نيابة الخَوَابِى) – وأصل نيابتها إمرة عشرة .

الثالثة – (نيابة القُدْمُوس) – وأصل نيابتها إمرة عشرة .

الرابعة ـ (نيابة الكَهْف) ـ وأصل نيابتها إمرة عشرة .

الخامسة ـ (نيابة المَنيقة) ـ وأصل نيابتها إمرة عشرة .

السادسة ـ (نيابة القَلْعة) ـ وأصل نيابتها إمرة عشرة .

قلت : وقد أخبرنى بعض كُتَّاب المملكة أن هذه النيابات كلَّها آستقر فيها أجناد؛ وبالجملة فإنما يولِّى فيها نائب طَرَابُلُس بكل حال .

الضرب الثانى

(الوُلاة)

وبها ولاياتٌ ست ، ووُلاة جميعها أجناد، عن نائب طَرَابُلُس .

الأولى ـ ولاية أَنْطَرْطُوس .

الثانية ـ ولاية جُبَّة المُنَيْطِرَة .

الثالثة ـ ولاية الظَّنِّيِّين .

الرابعة ـ ولاية بُشَرِّيه .

الخامسة ـ ولاية جَبَلَة .

السادسة ـ ولاية أَنَفَة .

النيابة الرابعة

(نيابة حماة، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(فى ذكر أحوالها ومعاملاتها)

أما معاملاتها فعلى ما تقدّم فى غيرها من الممالك الشامية من المعاملة بالدنانير والدراهم؛ وصَنْجتها كصَنْجة دمَشْق وحَلَب وطَرَابُلُس، تنقص عن الصَّنْجة المصرية

كل مائة مثقال مثقالٌ وربع ، وكل مائة درهم درهم وربع ، و رِطْلُها سبعمائة وعشرون درهما بِصَنْجتها ، ومِكْيلاتها معتبرة بالمَكُّوك كما فى حَلَب و بلادها ، ومَكُّوكها مقدر كل مكوكين و ربع مكوك غِرارة بالدِّمَشْقِىّ ، وقياس قماشها بذراع (١) وقياس أرضها بذراع العمل المعروف .

الجملة الثانية

(فى ترتيب نيابتها ، وهى على ضربين)

الضرب الأوّل

(ما بحاضرتها)

اما جيوشها فمن التُّرْك ومَنْ فى معناهم ، وبها عدّة من أمراء الطبلخاناه والعشرات والخمسات ومقدّمى الحَلْقة وأجنادها ، وليس بها مقدّمُ ألف . وقد تقدّم فى الكلام على قواعد الشأم المستقرة أنها كانت بيد بقايا الملوك الأيوبية إلى آخر الدولة الناصرية " محمد بن قلاوون " فى سلطنته الأخيرة . قال فى " مسالك الأبصار " : إن صاحبها كان يستقل فيها بإعطاء الإمرة والإقطاعات وتولية القضاة والوزراء وكُتّاب السر وسائر الوظائف بها ، وتُكْتب المناشيرُ والتواقيعُ من جهته ولكنه لا يُمْضى أمرا كبيرا فى مثل إعطاء إمرة أو وظيفة كبيرة حتّى يشاور صاحب مصر ، وهو لا يجيبه إلا بأن الرأى ما تراه ومن هذا ومثله ، وربما كتب له مرسومٌ شريفٌ بالتصرف فى مملكته . قال فى " مسالك الأبصار " : ومع ذلك فصاحب مصر متصرف فى ولاية صاحبها وعزله ، من شاء ولّاه ومن شاء عزله ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن خُلِع الأفضلُ محمد بن المؤيد (٢) المتقدّم ذكره من سلطنتها ، بعد موت

---

(١) بياض فى الأصل .

(٢) أى وأسندت نيابتها فى ذلك الحين إلى مملوك أبيه " سيف الدين طقزتمر " كذا فى تاريخ أبى الفداء .

السلطان الملك الناصر وملك ابنه أبى بكر ، ونائبها من أكابر الأمراء المقدّمين ، ولكنه فى الرتبة دون نائب طَرَابُلُس وإن كان مساويا له فى المكاتبة من الأبواب السلطانية ، ويظهر ذلك فى كتابة المطلقات الكبار حيث يذكر نائب طَرَابُلُس قبله .

وبها من وظائف أرباب السيوف الحجوبيةُ ، وبها حاجبان : الكبير منهما طبلخاناه والثانى عشرة ، والمِهْمِندارية ، وبها اثنان وهما جنديّان ؛ وشدّ مراكز البريد ، وبه جندىّ ، وأميراخورية البريد ، ومتوليها جندىّ ، وولايةُ المدينة ، وواليها جندىّ ؛ ونِقابةُ العساكر ، وبها اثنان وهما جنديان أحدهما أكبر من الآخر . وجميع أرباب الوظائف يوليهم النائب بها بتواقيع كريمة ، وليس بها قلعةٌ لها نائب .

وبها من الوظائف الدينية من أرباب الأقلام أربعةُ قضاة من المذاهب الأربعة ، وولايتُهم من الأبواب السلطانية بتواقيعَ شريفة ، وقاضى عسكر حنفىّ ، وليس بها قضاة عسكر من المذاهب الثلاثة الأُخَر ولا مفتو دار عدل ؛ وبها وكيل بيت المال ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ووكالة شرعية ؛ ومحتسب بولايةٍ عن النائب بتوقيع كريم .

وبها من الوظائف الديوانية من أرباب الأقلام كاتبُ سر ، ويعبَّر عنه فى ديوان الإنشاء بصاحب ديوان المكاتبات بحماةَ المحروسة ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ، وله أتباع من كُتَّاب الدست وكُتَّاب الدَّرْج وولايتهم عن النائب بتواقيع كريمة ؛ وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ، وله أتباع من كُتَّاب وشهود ، وولايتُهم عن النائب بتواقيع كريمة . إلى غير ذلك من وظائفَ صغارٍ يوليها النائب بتواقيع كريمة .

وترتيب المَوْكب بها أن النائب بها يركب من دار النيابة فى يومى الخميس والاثنين وصحبته العسكر من الأمراء وأجناد الحَلْقة ، ويخرج إلى خارج المدينة من قبليها

ويسير في المَوْكب إلى ضيعة تسمّى بَقَرين على القرب من حماة ، ثم يعود في مَوْكبه حتّى يقف بسُوق الخيل بمكان خارجَ المدينـة يعرف بالمَوْقف ، وينادى بينهم على الخيول ، وربمـا نودِىَ على بعض العقارات ، ثم تصيح الجاويشية ، وينصرف عن ذلك المكان ويدخل المدينة ، ويأتى دارَ النيابة ويدخل أوّلُ العسكر من داخل باب يعرف بباب العُشْرة[1] ، ثم يترجل الناس على الترتيب على قدر منازلهم حتّى لا يبقى راكب سوى النائب بمفرده ، ولايزال راكبا حتّى يترجل بشُبّاك بدار النيابة معدّ للحكم فيجلس فيه ويجلس عنـده داخل الشُّبّاك القضاةُ الأربعةُ : الشافعىّ والحنفىّ عن يمينه ، والمـالكىّ عن يساره والحنبلىّ يليه ؛ ويجلس الأمراء على قدر منازلهم ، وكاتبُ السر وناظر الجيش أمام النائب خارج الشُّبّاك ؛ ويقف هناك الحاجبان والمهمندار ونقيب النقباء ، وتُرفَع القصص فيقرؤها كاتب السر عليه ويرسُم فيها بما يراه ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف القضاة ويدخل إلى قُبّة معـدّة لجلوسه ومعه كاتب السر وناظر الجيش والأمراءُ فيفصل بقية أموره ممـا يتعلق بالجيش وغيره ، ثم يمد السِّماطُ بعد ذلك فيأكلون وينصرفون .

الضرب الثانى

(ماهو خارج عن حاضرتها)

وليس بخارجها نيابات ، بل يقتصر فيه على ثلاث ولايات ، ولاتُها أجناد يوليهم النائب بها .

الأولى — ولاية بَرِّها كما فى دِمَشْق وحَلَب .

الثـانية — ولاية بارِين .

الثـالثة — ولاية المَعَرَّة . وليس بها عرب ولا تُرْكُمان تنسب إليها .

---

(١) فى الضوء "بباب العزة" .

النيابة الخامسة

(نيابة صَفَد، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(فيما هو بحاضرتها)

أما معاملاتها فكما فى دِمَشْق وغيرها من البلاد الشامية، وصنجتها كصنجتها ورطلها ... ...[1] وأواقيه آثنتا عشرة أوقية كل أوقية ... ...[1] وتعتبر مكيلاتها ... ...[1] وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما فى غيرها، وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلامىّ والفدان الرومىّ كما فى غيرها من البلاد الشامية .

وأما جيوشها ووظائفها الديوانية ووظائفها الدينية، فكما فى طَرَابُلُس . وأما ترتيب النيابة بها ... ...[1]

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها)

وليس بأعمالها نيابة بل كلها ولايات، يليها أجناد من قبل نائب صَفَد، وهى إحدىٰ عشرة ولاية .

الأولىٰ ــ ولاية بَرّها كما فى غيرها من الممالك المتقدّمة .

الثانية ــ ولاية الناصِرة .

الثالثة ــ ولاية طَبَرِيَّة .

الرابعة ــ ولاية تِبْنِين وَهُونِين .

الخامسة ــ ولاية عَثْلِيث .

(١) بياض فى الأصل فى المواضع الأربعة .

السادسة ـ ولاية عكّا .

السابعة ـ ولاية صُور .

الثامنة ـ ولاية الشاغُور .

التاسعة ـ ولاية الإقليم .

العاشرة ـ ولاية الشَّقِيف .

الحادية عشرة ـ ولاية جِينِين .

النيابة السادسة

(نيابة الكَرَك ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(فيما هو بحاضرتها)

أما معاملاتها فكما فى غيرها : من المعاملة بالدنانير والدراهم ، وصنجتها (١) ورطلها (١) وأواقيه اثنتا عشرة أوقية كل أوقية (١) ويقاس قماشها بذراع (١) وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما فى غيرها ، وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلامىّ والفدان الرومىّ كما فى غيرها من بلاد الشام ، وكذلك خراج أرضها .

وأما جيوشها فعلى ما تقدّم فى غيرها من الممالك من اجتماعها من الترك ومَنْ فى معناهم ، وبها من الأمراء الطبلخانات والعشرات والخمسات ومَنْ فى معناهم ، وليس بها مقدّم ألف غير النائب كما تقدّم والجوبية والمهمندارية وتقدمة البريد ، وولاية القلعة ، وبها من الوظائف الديوانية ناظر المال وناظر الجيش وكاتب دَرْج ، وولاية هؤلاء الثلاثة من الأبواب السلطانية .

---

(١) بياض فى الأصل .

وأما ترتيب المَوْكب بها .(١)

الجمـــــلة الثـانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها، وهو على ضربين)

الضرب الأوّل

(الولايات، وفيها أربع ولايات)

الأولى ـ ولاية بَرّها كما فى غيرها .

الثـانية ـ ولاية الشَّوْبَك .

الثـالثة ـ ولاية زُغَر .

الرابعة ـ ولاية مُعَان .

الضرب الثـانى

(العـــرب)

وعرب الكَرَك فيما ذكره فى "مسالك الأبصار" : بنو عُقْبة، وعُقْبة من جُذَام .

قال فى "مسالك الأبصار" : وكان آخر أمرائهم شطى بن عتبة (؟) وكان سلطاننا

(١) بياض بالأصل بقدر ستة أسطر .

الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أقبل عليه إقبالا أحلّه فوق السّما كين وألحقه بأمراء آل فضل وأمراء آل مرا ، وأقطعه الإقطاعات الجليلة ، وألبسه التشريف الكبير، وأجزل له الحِباء، وعمّر له ولأهله البيت والخباء. وكذلك ممن ينسب إلى عرب الكَرَك بنو زُهَير عربُ الشَّوْبك، وآل عجبون، والعطويون، والصونيون وغيرهم .

الفصل الثالث

من الباب الثالث من المقالة الثانية

(فى المملكة الحجازية ، وفيه سبعة أطراف)

الطَّرَف الأوّل

(فى فضل الحجاز وخواصّه وعجائبه)

أما فضله ففى "صحيح مسلم" من حديث جابر بن عبدالله الأنصارى رضى الله عنه أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ! قال : "غِلَظُ القلوبِ والجَفَاءُ فى المَشْرِق، والإيمانُ فى أهْلِ الحِجاز" .

قلت : وفى ذلك دليل صريح لفضل الحجاز نفسه ، وذلك أن هواء كل بلد يؤثّر فى أهله بحسب ما يقتضيه الهواء ، ولذلك تجد لأهل كل بلد صفاتٍ وأحوالا تخصهم ، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن أهل الحجاز بالرِّقّة كما أخبر عن أهل المشرق بالغِلْظة والجَفَاء ، وناهيك بفضل الحجاز وشرفه أن به مَهْبَطَ الوحى ومَنْبَع الرسالة ، وبه مكةَ والمدينةَ اللتين هما أشرف بلاد الله تعالى وأجلُّ بقاع الأرض ، ولكل منهما فضل يخصه يأتى الكلام عليه عند ذكره فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

وأما خواصه فيختص من جهة الشرع بأمرين :

أحدهما — أنه لا يستوطنه مشرك من ذمىّ ولا معاهَد، وإن دخله لم يمكّن من الإقامة فى موضع منه أكثر من ثلاثة أيام ثم يُصْرَف إلىٰ غيره ، فإن أقام بموضع أكثر من ثلاثة أيام ، عُزِّر إن لم يكن له عُذْر . قال أصحابنا الشافعية : ولو عقد الإمام عقدًا لكافر علىٰ الإقامة بالحجاز علىٰ مسمًّى بطل العقد ووجب المسمَّى .

الثانى — أنه لاتُدْفَن فيه موتاهم وإن دفن أحد منهم فيه نقل إلىٰ غيره .

وأما عجائبه فمنها مَقَام إبراهيم عليه السلام، وهو الحَجَر الذى كان يقوم عليه لبناء البيت فأثَّرتْ فيه قدماه وصار أثرهما فيه ظاهرا كما أخبر الله تعالىٰ عن ذلك بقوله : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وهو باق علىٰ ذلك أمام البيت من جهة الباب إلىٰ الآن .

(ومنها) ما ذكره فى "الروض المعطار" من أن أثر قدم إسماعيل عليه السلام بمسجد بمنىٰ فى حَجَر فيه أثر عَقِبه حين رَفَس إبليس برجله عند اعتراضه له فى ذَهَابه مع أبيه للذَّبْح .

(ومنها) حَصَى الجِمَار، وهو أنه فى كل سنة يَرْمِى الحُجَّاج عند الجمرات الثلاث فى أيام مِنىٰ ما تحصَّل منه التلالُ العظيمة علىٰ طول المَدىٰ، ومع ذلك لم يكن موجودا بمنىٰ منها إلا الشيء القليل علىٰ تطاوُل السنين، يقال إن مهما تُقُبِّل منها رفع والباقى منها مالم يتقبل .

الطـــرف الثانى

(فى ذكر حدوده، وٱبتداء عِمارته، وتسميته حجازا)

أما حدوده فٱعلم أن الحجاز عبارة عن مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها علىٰ خلاف فى بعض ذلك، يأتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالىٰ ، وهو بجملته قطعةٌ من جزيرة العرب، وهى مابين بحر القُلْزُم وبحر الهند وبحر فارس والفُرَات وبعض بادية الشام .

قال المدائنى: جزيرة العرب خمسة أقسام : تِهَامَةُ، ونَجْدٌ، والحِجَازُ، والعَرُوضُ، واليَمَنُ . وزاد ٱبن حوقل فى أقسامها باديةَ العراق وباديةَ الجزيرة فيما بين دِجْلَةَ والفُرَاتِ وباديةَ الشام، وفيها خلاف يطول ذكره .

قال النووى فى " تهذيب الأسماء واللُّغات " : وسميت جزيرة العرب جزيرةً لانجزار الماء عنها حيث لم يمدّ عليها وإن كان مُطِيفا بها . والحجاز عندهم عبارة عن جبل السَّراة ـ بالسين والراء المهملتين ـ على ما أورده فى "الروض المعطار"، وضُبِط فى " تقويم البُلْدان " فى الكلام على البَلْقاء من الشام بالشين المعجمة، وهو جبل يُقْبِل من اليمن حتى يتصل ببادية الشام، وهو أعظم جبال العرب. وحدّه من الجنوب تِهَامَةُ: وهى ما بينه وبين بحر الهند فى غربىّ بلاد اليمن، وحدّه من الشرق بلاد اليَمَنِ وهى بينه وبين فارس، وحدّه من الشمال نَجْدٌ، وهو ما بينه وبين العراق، وحدّه من الغرب بحر القُلْزُم وما فى جنوبيه من بادية الشام .

الطرف الثالث

(فى ٱبتداء عمارته وتسميته حجازا)

أما ٱبتداء عمارته فإنه لما ٱنبثّ أولاد سام بن نوح عليه السلام وهم العَرَب فى أقطار هذه الجزيرة حين قَسَم نوح الأرض بين بنيه، نزل الحجازَ منهم من العرب البادية طَسْمٌ وجَدِيسُ [ومنزلهم] اليَمامة ومنزلة جرهم على القرب من مكة فكان ذلك أوّل عمارة الحجاز بعد الطُّوفان، ثم بادت هذه العرب وهلكوا عن آخرهم، ودَرَست أخبارهم وٱنقطعت آثارهم . وعمر الحجازَ بعدهم جُرْهُمُ الثانيـة، وهم بنو جُرْهُم بن قَحْطان بن عَابَر بن شالَخ بن أَرْفَخْشَذَ بن سام بن نوح عليه السلام . ولما أسكن إبراهيم الخليل عليه السلام ولده إسماعيل بمكة كما أخبر تعالى عنه بقوله : ﴿رَبَّنَا إِنِّى

أسكنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ كانت جرهُـمُ الثانيـة نازلين بالقرب من مكة فاتصلوا بإسمـاعيل عليه السلام، وتزوج منهم وكثُر ولده وتناسلوا فعَمَروا الحجاز إلى الآن .

وأما تسميته حجازا، فقال الأصمعىّ : سمى بذلك لأنه حجز بين نَجْدٍ وتِهَامَة ولامتداده بينهمـا على ما تقـدّم . وقال ابن الكلبىّ : سُمّى بذلك لمـا احتجز به من الجبـال . قلت : ووَهِم فى "الروض المعطار" فقـال : سمى حِجَازا لأنه حجز بين الغَوْرِ والشام، وقيـل لأنه حجز بين نَجْدٍ والسَّراة ، وما أعلم ما الذى أوقعه فى ذلك .

الطَّرَف الرابع

(فى ذكر مياهه وعيونه وجباله المشهورة)

أما مياهه وعيونه، فقال المتكلمون فى المسالك والممالك: ليس بالحجاز بل بجزيرة العرب جملةً نهرٌ يجرى فيه مَرْكَب، وإنمـا فيه العِيون الكثيرة المتفجرةُ من الجبال المعتَضِدةُ بالسيول والأمطار، الممتدّة من وَادٍ إلى وادٍ، وعليها قُراهم وحدائقهم وبساتينهم مما لايحصىٰ ذلك كثرةً، كما فى الطائف وبطن مَرٍّ، وبطن نَخْل، وعُسْفان وبَدْرٍ وغير ذلك .

وأما جباله المشهورة، فاعلم أن جميع أرض الحجاز جبال وأوديةٌ ليس فيها بسـيط من الأرض، وجباله أكثر من أن تدخل تحتَ العـدّ أو يأخذها الحصر، وقد ذكر الأزرقىّ فى "تاريخ مكة" أن لمكة(١) اثنى عشر ألف جبل لكل جبل منها اسم يخصه ولكن قد شهرت جبال مكة والمدينة واليَنْبُع .

(١) لعله للحجاز .

فمن جبال مكة المشهورة (جبل أبى قُبَيس) وهو الجبل الذى فى جنوبىّ مكة ممتدّا على شرقيها . قال الأزرقىّ : وهو أوّل جبل وُضِع بالأرض ولذلك كان أقرب الجبال إلى البيت .

(ومنها) جبل قَيْنُقَاع (١) ـ بقاف مفتوحة وياء مثناة تحتُ ساكنة ونون مضمومة وقاف ثانية مفتوحة بعدها ألف وعين مهملة ـ وهو الجبل الذى غربىّ مكة، سمى بذلك لمكان سلاح تُبَّع منه ، والقعقعة صوت السلاح ، كما سمى جِيَاد جيادا لمكان خيله منها .

(ومنها) جبل حِرَاء ـ بحاء مهملة مكسورة وراء مهملة مفتوحة بعدها ألف ـ وهو جبل يُشْرِف على مكة من شرقيها يرى البيت من أعلاه ، وفيه الغار الذى كان يتعبَّد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وفيه جاءه جبريل عليه السلام فى أوّل النبوّة .

(ومنها) جبل ثَوْر ـ بفتح الثاء المثلثة وسكون الواو وراء مهملة فى الآخر ـ وهو جبل مشرف على مكة من جنوبيها ، وفيه الغار الذى اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ومعه أبو بكر الصدّيقُ رضى الله عنه .

(ومنها) جبل تَبِير (٢) ـ بفتح التاء المثناة فوق وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وراء مهملة فى الآخر ـ وهو جبل مشرف يرى من منى والمزدلفة .

الطَّـــرَف الخامس

(فى زُرُوعه وفواكهه ورياحينه ومواشيه ووحوشه وطيوره)

أما زروعه ففيه من الحبوب المزدرعة البُرّ والشعيرُ والذُّرَةُ والسُّلْت ، وجميعها تُزْرَع على المطر ، وربما زُرِع بعضها على ماء العيون ، والشعير والذرة أكثر الحبوب

(١) صوابه قُعَيْقِعَان . أنظر معجم البلدان ومعجم ياقوت . (٢) صوابه ثبير بالثاء المثلثة .

وجودا، ويُزْرَع فيه على العيون البِطِّيخُ : الأخضر والأصفر، والقِثّاء، والبَاذِنجان، والدُّبّاءُ، والملوخيا، والهِندِبَا، والفُجْل، والكُرّاث، والبَصَل، والثُّومُ .

وأما فواكهه ففيــه الرُّطَبُ، والعِنَبُ، والمَوْزُ، والتُّفّاحُ، والسَّفَرْجَلُ، واللَّيْمُونُ وغير ذلك .

وأما رياحينه ففيه التامرحِنّاء، ويسمّى عندهم الفَاغِيَة: بالفاء وغين معجمة وياء مثناة تحتُ وهاء فى الآخر .

وأما مواشيه ففيه الإبِلُ، والضّأْنُ ، والمَعَزُ بكثرة ، والبقر بقِلّة . وبه من الخيل مايفوق الوصف حسْنُه، ويُعجز البرقَ إدراكُه .

وأما وحوشه ففيــه الغِزْلانُ، وحُمُرُ الوحش، والذِّئاب، والضِّباع، والثعالب، والأرانب وغيرها .

وأما طيوره ففيه الحمام، والدجاج، والحِدَأةُ، والرَّخَم .

الطرف السادس

(فى قواعده وأعمــاله؛ وفيه ثلاث قواعِد)

القــاعدة الأولى

(مكة المشرفة، وفيها جملتان)

الجمــلة الأولى

(فى حاضرتها)

وقد ذكر العلماء رحمهم الله لها ستة عشر آسما . " مَكّة " بفتح الميم وتشديد الكاف المفتوحة وهاء فى الآخر. كما نطق به القرءان الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ ؛سميت بذلك لقلة مائها أخذا من

قولهم آمتكّ الفصيلُ ضَرْع أمه إذا آمتصه ، وقيل لأنها تَمُكّ الذنوب بمعنى أنها تَذْهب بها ، ويقال لها أيضا (بَكّة) بإبدال الميم باء موحدة . وبه نطق القرءان أيضا فى قوله تعالى : ﴿ إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ قال الليث : سميت بذلك لأنها تَبُكّ أعناق الجبابرة أى تدقّها والبك الدق ؛ وقيل بالميم الحرم كلّه وبَكّة المسجد خاصة ، حكاه الماوردىّ عن الزهرىّ وزيد بن أسلم ؛ وقيل بالباء آسم لموضع الطواف ، سمى بذلك لآزدحام الناس فيه والبَكّ الآزدحام . ومن أسمائها أيضا (أُمّ القُرىٰ) و (البَلَد الأمين) و (أمّ رُحْم) بضم الراء وإسكان الحاء المهملتين لأن الناس يتراحمون فيها ويتوادَعُون ، و (صَلاحِ) مبنىّ على الكسر كقَطامِ ونحوه ، و (البَاسَّة) لأنها تَبُسّ الظالم أى تحطمه ، و (النَاسَّة) بالنون لأنها تَنُسّ الملحد فيها أى تطرده ، و (النَّسَّاسة) لذلك أيضا ، و (الحاطِمَة) لأنها تحطِم الظالم كما تقدّم ، و (الرأس) و (كُوثَى) بضم الكاف وفتح المثلثة ، و (القُدُس) و (القادس) و (المقدَّسة) . قال النووىّ : وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمّى ، ولذلك كثرت أسماء الله تعالى وأسماء رسوله صلى الله عليه وسلم !

وقد تقدّم انها من جملة الحجاز . وحكى آبن حوقل عن بعض العلماء أنها من تِهامَةَ ورجحه فى "تقويم البُلْدان" . وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة . قال فى "كتاب الأطوال" : طولها سبع وستون درجة وثلاثَ عشرةَ دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة . وقال فى "القانون" : طولها سبع وستون درجة فقط ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وقال فى "رسم المعمور" : طولها سبع وستون درجة ، وعرضها إحدى وعشرون . وقال كوشيا وطولها سبع وستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة . وقال آبن سعيد : طولها سبع وستون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وهى مدينة فى بطن وادٍ والجبال

محتفَّة بها ، فأبو قُبَيْس مشرف عليها من شرقيها وأَجْيادُ بفتح الهمزة مشرفٌ عليها من غربيها . قال الجوهرى : سمى بذلك لموضع خيل تُبَّع منه . قال فى "الروض المعطار" : وسَعَتها من الشمال إلىٰ الجنوب نحو ميلين ، ومن أسفل أَجْيَادٍ إلىٰ ظهر جبل قُعَيْقِعَانَ مثل ذلك . قال الكلبىّ : ولم يكن بها منازل مبنية فى بدء الأمر ، وكانت جُرْهُم والعَمالقة حين وِلَايتهم علىٰ الحرم ينتجِعُون جبالها وأوديتها ينزلون بها ، ثم جاءت قريش بعدهم فمشوا علىٰ ذلك إلىٰ أن صارت الرياسة فى قريش لقُصَىّ بن كلاب فبنىٰ بها دار النَّدْوَة ، يحكم فيها بين قريش ؛ ثم صارت لمشاورتهم وعقد الألوية فى حروبهم ؛ ثم تتابع الناس فى البناء : فبنَوْا دُورا وسكنوها ، وتزايد البناء فيها حتّى صارت إلىٰ ماصارت . وبناؤها بالحجر وعليها سُورٌ قديم قد هُدِم أكثره وبقى أثره والمسجد فى وسْطَها . وقد ذكر الأزرقىّ فى "تاريخ مكة" أن الكعبة كانت قبل أن تُدْحىٰ الأرض رابيةً حمراء مشرفة علىٰ وجه الماء ، ولما أهبط الله آدم عليه السلام وجاء إلىٰ مكة ، ٱستوحش فأنزل الله تعالىٰ إليه قُبَّةً من الجنة من دُرَّة بيضاء لها بابان فوُضعت مكان البيت فكان يتأنَّس بها ، وجعل حولها ملائكة يحفظُونها من أن يقع بصر الشياطين عليها . قال فى "الروض المعطار" : وكان الحجر الأسود كرسياً يجلس عليه . قال : وطوله ذراع . والذى ذكره المَاوَرْدِىُّ وغيره أن الملائكة لما قالوا : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ لاذُوا بالعرش خوفا من غضب الله تعالىٰ فطافوا حوله سبعا فرَضِىَ عنهم وقال : ٱبنُوا فى الأرض بيتا يَعُوذ به من تَسَخَّطْتُ عليه من بنى آدم فبنَوْا هذا البيت ، وهو أوّل بنائه ، ثم بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كما أخبر الله تعالىٰ بقوله : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ قال فى "الروض المعطار" : ولم يجعل لها سَقْفا . قال : ثم ٱنهدمت الكعبة فبنتها العَمالقة ، ثم ٱنهدمت فبنتها جُرْهُم ، ثم ٱنهدمت فبناها قُصَىّ بن كلاب وسَقَفها بخشب

الدَّوْمِ وجريد النخل، وجعل ٱرتفاعها خمسا وعشرين ذراعا، ثم ٱستَهْدمت وكانت فوق القامة فأرادت قُرَيْشٌ تعليتها فهدمَتْها وبنتها، والنبيّ صلى الله عليه وسلم عمره خمس وعشرون سنة، وشهد بناءها معهم، وكان بابُها بالأرض فقال أبو حذيفة ٱبن المغيرة : ياقوم ٱرفعُوا بابَ الكعبة حتى لايدخل إلا مسلم(١) ففعلوا ذلك وسَقَفُوها بخشب سفينة ألقاها البحر إلىٰ جُدَّةَ .

قال فى "الروض المعطار" : وكان طولها ثمانى عشرة ذراعا ، ثم ٱحترق البيت حين حُوصِر ٱبن الزُّبَيْرِ بمكة وتأثرت حجارته بالنار، فهدمه ٱبن الزبير وأدخل فيه ستة أذرع من الحِجْرِ، وقيل سبعة، وجعل له بابين ملصقين بالأرض: شرقيا وغربيا يُدْخَلُ من أحدهما ويُخْرَجُ من الآخر، وجعل علىٰ بابها صفائحَ الذهب، وجعل مفاتيحه من ذهب . قال فى "الروض المعطار" : وبلغ بها فى العلو سبعا وعشرين ذراعا . فلما قتل ٱبن الزبير كتب عبد الملك بن مَرْوَانَ إلىٰ الحَجَّاج يأمره بإعادته علىٰ ما كان عليه فى زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم من بناء قريش فهدم جانب الحِجْر وأعاده إلىٰ ذلك ، وسدّ الباب الغربيّ ورفع الشرقيّ عن الأرض إلىٰ حدّه الذى هو عليه الآن، وكان عبد الملك بن مروان بعد ذلك يقول : "وَدِدت أنى كُنْتُ حَمَّلت ٱبن الزبير من بناء الكعبة ماتحمَّل" .

ثم جدّد المتوكل رُخَام الكعبة فأزّرها بفضة وألبس سائر حيطانها وسقفها الذهب، وهو علىٰ ذلك إلىٰ الآن . وهو مبنىّ بالحجر الأسود مستطيل البناء علىٰ التربيع، فى ٱرتفاع خمسة وعشرين ذراعا.

وله أربعة أركان .

الأول — ركن الحَجَر الأسودِ . وهو مابين الشرق والجنوب، ومنه يبتدأ الطواف.

(١) عبارة ياقوت "ورفعوا بابها مخافة السيل وأن لايدخل فيها إلا من أحبوا".

الثـانى – الشامىّ . وهو ما بين الشرق والشمال، سمى بذلك لمسامتته بعض بلاد الشام، وداخله باب المَطْلَع إلىٰ سطح الكعبة .

الثالث – الغربىّ . وهو ما بين الشَّمال والغرب، سمى بذلك لمسامتته بلاد المغرب، ولو سمى بالمصرىّ لكان جديرا به لمسامتته بلاد مصر .

الرابع – اليمانِىُ . وهو ما بين الغرب والجنوب، سمى بذلك لمسامتته بلاد اليمن ولذلك خففت الياء فى آخره نسبة إلىٰ اليمن . وقال آبن قتيبة : سمى بذلك لأنه بناه رجل من اليمن يقال له آبن أبى سالم، وقد يُطْلَق عليه وعلىٰ ركن الحجر الأسـود اليمـانِيَان، وعلىٰ الشامىّ والغربىّ الشامِيَّان تغليبا .

ثم بين ركن الحجر الأسود وبين الركن الشامىّ أربعة وعشرون ذراعا ، وبالقرب من الركن الأسود فى هـذا الجِدَار باب الكعبة علىٰ أربعة أذرع وشىء من الأرض يُرقَىٰ إليـه بدَرَج من خشب توضع عنـد فتح الباب ؛ والمُلْـتَزَم بين الركن الأسود والباب الشرقىّ ؛ وبالقرب من الركن الشامىّ منه مصلّىٰ آدم عليه السلام .

وهذا الجدار مقسوم ثلاث جهات .

الأولىٰ – من الركن الأسـود إلىٰ باب الكعبة . وهى فى جهة القبلة لأهـل البَصْرة، والأهواز، وفارس، وأصْبَهان، وكِرْمان، وسِجِسْتان، وشمالِ بلاد الصِّين وما علىٰ سمت ذلك .

الثانية – من الباب إلىٰ مصلّىٰ آدم عليه السلام . وهى جهة القبلة لأهل الكوفة، وبغداد، وحُلْوان، والقادسِـيَّة، وهَمَذَان، والرَّىّ، ونَيْسَابُور، ومَرْو، وخُوَارَزْم، وبُخَارا، ونَسَا، وفرغَانة، والشاش، وخُرَاسَان، وما علىٰ سمت ذلك .

الثالثة – من مصلّىٰ آدم عليه السـلام إلىٰ الركن الشامىّ . وهى جهة القبـلة لأهل الرُّهَا، والمَوْصِل، ومَلَطْيَة، وشِمْشاط، والحِيرَة، وسِنْجار، وديار بكْر، وأَرْمِينِيَة إلىٰ باب الأبواب، وما علىٰ سمت ذلك .

وبين الركن الشامىّ والركن الغربىّ أحدٌ وعشرون ذراعا ، وبأعلى هذا الجدار المِيزَابُ فى الوسط منه وخارجه الحِجْرُ (بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم) مستديرا به على سمت الركنين، يفصل بينه وبين البيت فُرْجتان .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات أيضا .

الأولى – من الركن الشامىّ إلى دون الميزاب . وهى جهة القبلة لدِمَشْق، وحَمَاة، وسَلَمِيَّة، وحَلَب، ومَنْبِج، ومَيَّافَارِقِين، وماسامت ذلك .

الثانية – وسط الجدار من الميزاب وما إلى جانبه . وهى جهة القبلة للمدينة النبوية (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام) وجانب الشام الغربىّ، وغَزَّة، والرَّمْلَة، وبَيْت المَقْدِس، وفِلَسْطِين، وعَكَّا، وصَيْدَا .

الثالثة – ما يلى هذه الجهة إلى الركن الغربىّ . وهى جهة القبلة لِمِصْر بأسرها من أُسْوَان إلى دِمْيَاط، والإسْكَنْدَرِيَّة، وبَرْقَة، وكذلك طَرَابُلُس الغرب، وصِقِلِّيَة، وسواحل الغرب، والأَنْدَلُس وما على سمت ذلك . وبين الركن الغربىّ والركن اليمانى فى هذا الجدار الباب المسدود تُجاه الباب المفتوح .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات أيضا.

الأولى – من الركن الغربىّ إلى ثلث الجدار . وهى جهة القبلة لأهل الشَّمال من بلاد البُجَاوة، والنُّوبَة، وأوسط الغرب من جَنُوب الواحات إلى بلاد الجريد إلى البحر المحيط وما على سمت : ذلك من عَيْذَاب، وسواكن، وجنوب أُسْوَان، وجُدَّة، ونحو ذلك .

الثانية – من ثلث الجدار إلى دون الباب المسدود . وهى جهة القبلة لأهل الجنوب من بلاد البُجَاوة ودَهْلَك وسَواكن والنوبة والتَّكْرُور، وما وراء ذلك وعلى سمته .

الثـالثة ـ من دون الباب المسدود إلىٰ الركن اليمانى . وهى جهة القبلة لأهل الحَبَشَـةِ ، والزَّنج ، والزَّيْلَع ، وأكثر بلاد السودان وما والاها من البلاد أو كان علىٰ سمتها .

وبين الركن اليمانى وركن الحجر الأسود عشرون ذراعا ، أنقص من مقابله بذراع ، وبالقرب من ركن الحجر الأسود من هـذا الجدار مصلّىٰ النبىّ صلى الله عليه وسلم ! قبل الهِجْرة .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات .

الأولىٰ ـ الركن اليمانى إلىٰ سبعة أذرع من الجدار . وهى جهة القبلة لتَدْمُرَ ، وحَضْرَمَوْتَ ، وعَدَنَ ، وصَنْعَاءَ ، وعُمَـانَ ، وصَعْدَة ، والشِّحْرِ ، وسَـبَإ ، وزَبِيدَ وما والاها أو كان علىٰ سمتها .

الثـانية ـ من حدّ الجهة المتقدمة إلىٰ دونِ مصلّىٰ النبىّ صلى الله عليه وسـلم ! قبل الهجرة . وهى جهة القبلة لجنوب بلاد الصِّينِ ، والسِّنْد ، والتَّهائم ، والبحرين ، وما سامت ذلك .

الثالثة ـ من مصلّىٰ النبىّ صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة إلىٰ ركن الحجر الأسود . وهى جهة القبلة لأهل واسِطَ ، وبلاد الصِّينِ ، والهِنْدِ ، والمَرجَانِ ، وكَابُل ، والقُنْدُهَار ، والمَعْبَر ، وما والاها من البلاد أو كان علىٰ سمتها .

ويقابل الجدار الشرقىّ من البيت مما يلى ركن الحجر الأسود زَمْزَمُ وسِقَايَةُ العبَّاس ، ويقابله ممـا يلى الركن الشامىّ مَقَامُ إبراهيم عليه السلام . وقد تقدّم الكلام عليه فى عجائب الحجاز فيما مرّ ، ويسمّى ما بين الكعبة وزَمْزَمَ والمقام الحَطِيمَ (بالحاء والطاء المهملتين) . قال فى " الروض المعطار " : سمى بذلك لأنه كان من لم يجد من الأعراب

ثوبا من ثياب أهل مكة يطوف فيه رمىٰ ثيابه هناك وطاف عريانا . وخارج المسجد الصَّفَا والمَرْوة اللذان يقع السعى بينهما .

الجملة الثانية

(فى نواحيها وأعمالها ، وهى علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(الحَرَم ومَشَاعر الحج الخارجةُ عن مكة)

أما الحرم فهو ما يُطيف بمكة مما يَحْرُم صيده وقَطْع شجره وحشيشه ونحو ذلك ، وقد تقدّم أن الله تعالىٰ جعل ملائكة يَحْرُسون القُبَّة التى أنزلها الله تعالىٰ إلىٰ آدم من الجنة ووُضِعت له مكانَ الكعبة وجعلت الملائكة حَرَسا لها كى لايقع عليها بصر الشياطين ، فكانت مواقف الملائكة هى حُدُود الحرم . قال ٱبن حوقل : وليس بمكة والحرم شجر يُثْمِر إلا شجر البادية ، أما خارج الحرم ففيه عيون وثِمَار .

وٱعلم أن مقادير جهات الحرم تتفاوت فى القُرْب والبُعْد عن مكة ، وعلىٰ حدوده أعلام منصوبة فى كل جهة تدُلّ عليه . قال فى "الروض المعطار" : قال الزبير : وأول من وضع علامات الحرم ونَصَبَ العُمُدَ عليه عَدْنَانُ بن أُدٍّ ، خوفا من أن تندرس معالِمُ الحرم أو تتغير . قال : وحدُّه من التنعيم علىٰ طريق سَرِف إلىٰ مَرّ الظَّهْرانِ خمسةُ أميال ، وذكر فى موضع آخر أنها ستة أميال ؛ وحدّه من طريق جُدّة عشرة أميال ؛ ومن طريق اليَمَن ستة أميال ، ودَوْرُه سبعمائة وثلاثة وثلاثون ميلا .

ثم بحدود هذا الحرم أماكنُ مشهورة ، يَخْرُج إليها من مكة مَنْ أراد أن يُهِلّ بعمرة فيُحْرِم منها .

أحدها ـ (التَّنْعِيم) ـ بألف ولام لازمتين وفتح التاء المثناة فوق وسكون النون وكسر العين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وميم فى الآخر ـ وهو موضع على حد الحرم على طريق السالك من بَطْن مَرّ وإلى مكة . قال فى "الروض المعطار" : وسمّى التنعيم لأن الجبل الذى عن يمينه آسمه نُعَيم والذى عن يساره آسمه ناعِمٌ والوادى الذى هو فيه آسمه نَعْمان ، ومنه آعتمرت عائشةُ رضى الله عنها مع عبد الرحمن بن أبى بكر ، وهناك مسجدٌ يعرف بمسجد عائشة إلى الآن .

الثانى ـ (الحُدَيْبِيَةُ) ـ بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وسكون الياء المثناة تحت وكسر الباء الموحدة وفتح الياء المشدّدة وفى آخرها تاء ـ ونقل فى "الروض المعطار" عن الأصمعى تخفيفَ الياء الثانيـة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهو موضع بعضه فى الحِلّ وبعضه فى الحَرَم ، وفيه صَـدَّ المشركون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن البيت ، وهى أبعد أطراف الحرم عن البيت ، وهى على مسيرة يوم ، وهى فى مثل زاوية للحرم . وذكر فى "الروض المعطار" أن الحديبيـة آسم لبئر فى ذلك المكان ، ومذهبُ الشافعى أن العمرة منه أفضل من التنعيم .

الثالث ـ (الجِعِرَّانَة) ـ بكسر الجيم والعين المهملة وفتح الراء المهملة المشـدّدة بعـدها ألف ونون مفتوحة وهاء فى الآخر ـ ونقل فى " الروض المعطار" عن الأصمعى سكون العين وتخفيف الراء . قال : وهو مكان بين مكة والطائف ولكنه إلى مكة أقربُ ، ومنه أحرم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة فى وجهته(1) تلك ، ومذهب الشافعى أن العمرة منه أفضل من الحُدَيْبِيَة .

وأما مَشَاعر الحج الخارجة عن مكة فثلاثة .

(1) أى مرجعه من غزاة حنين وقسم فيها غنائم هوازن . أُنظر "معجم البلدان" .

أحدها — مِنًى بكسر الميم وفتح النون وألف مقصورة — سميت بذلك لما يُمْنىٰ فيها من الدماء أى يراق . قال فى "المشترك" : و بينها و بين مكة ثلاثة أميال — وهى تشبه القَرْية مبنيةٌ علىٰ ضفتى الوادى . و بهامسجد الخَيْف — بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة تحت وفى آخره فاء — وهو مسجد عظيم متَّسِع الأرجاء بغير سقف .

الثانى — (المُزْدَلِفَةُ) — بضم الميم وسكون الزاى المعجمة وفتح الدال المهملة وكسر اللام وفتح الفاء وآخرها هاء — وهى موضع علىٰ يَسْرة الذاهب من منًى إلىٰ عرفة . قال النووى : سميت بذلك من التزلف والازدلاف وهو التقرب ، لأن الحجاج إذا أفاضوا من عَرَفَاتٍ ازْدَلَفُوا إليها أى تقربوا ومضَوْا إليها ، وتسمى جَمْعًا أيضا بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهملة — لأنه يجمع بها بين المغرب والعشاء ، وبها مسجد متسع . قال فى "الروض المعطار" : طوله ثلاثة وستون ذراعا ، وعرضه خمسون ذراعا ، وارتفاع جداره عشرة أذرع .

الثالث — (عَرَفَةُ) — بفتح العين والراء المهملتين والفاء وهاء فى الآخر — و يقال فيه أيضا عَرَفَاتٌ علىٰ الجمع ، وبه جاء القرءان فى قوله تعالىٰ : ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾ وهو موقف الحج ، وسمى عرفات لتعارف آدم عليه السلام وحَوَّاءَ به . قال كعب الأحبار : أُهبط آدم عليه السلام بالهند ، وحواءُ بِعَرَفَةَ ، و إبليسُ بجُدَّةَ ، والحَيَّة بأَصْبَهَانَ ، وأمر الله تعالىٰ آدم بحج البيت فحج ، فكان حيث وضع قدمه تتفجر الأنهار وتبنىٰ المساجد . فلما وصل إلىٰ عرفة ، وجد بها حواءَ فتعارفا بها .

الضرب الثانى
(قُـراها ومَخَاليفها)

واعلم أن أكثر جبال مكة وأوديتها مسكونة معمورة إلا أنه ليس بها قرية مُقرَّاة إلا حيث المياه والعيون الجارية والحدائق المحدَّقة ، والمشهور من ذلك عشرة أماكن .

الأوّل ـ (جُدَّةُ) ـ بضم الجيم وتشديد الدال المهملة ثم هاء ـ وهى فُرْضَةُ مكة على ساحل بحر القُلْزُم ، وموقعها فى أوّل الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة ، وهى فى الغَرْب عن مكة بميلة إلى الشمال . قال فى "الأطوال" : طولها ست وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . ووافقه على ذلك فى "القانون" . وقال فى "رسم المعمور" : طولها خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها على ماتقدّم . وهى مِينا عظيمة محلُّ حَطٍّ وإقلاع ، إليها تنتهى المراكب من مصر واليمن وغيرهما ، وعنها تصدر من مكة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من مكة على مرحلتين . وقال الإدريسى : بينهما أربعون مِيلاً ، وهى ميقات من قطع البحر من جهة عَيْذَابَ إليها .

الثانى ـ (بَطْنُ نَخْلٍ) ـ وضبطه معروف ، ويقال فيه أيضا وادى نَخْلَةَ على التوحيد ونخلة بإسقاط لفظ وادى . قال الجوهرىّ : وبه كانت العُزَّى التى هى أحد طواغيت قُرَيْش ، وبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم إليها خالد بن الوليد فهدمها ، وهى الآن بيد هُذَيْلٍ ، وهى قُرًى مجتمعة ذات عيون وحدائق ومزدَرَع . أخبرنى بعض أهل الحجاز أن بها نحو أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية ، وغالب فواكه مكة وقَطَانيها وبُقُولها منها ، ومنها يصب الماء إلى بطن مَرٍّ الآتى ذكره .

الثالث ـ (الطائِف) ـ بألف ولام لازمتين فطاء مهملة مشدّدة مفتوحة بعدها ألف وياء مثناة تحت مكسورة ثم فاء ـ وهو بلد شرقىّ بطن نخل المتقدّم ذكرها ، وبطن نخل بينه وبين مكة . قيل سميت الطائف لأنها فى طُوفان نوح آنقطعت من الشام وحملها الماء وطافت بالأرض حتّى أرسَتْ فى هذا الموضع . وقال فى "الروض المعطار" : آسمها القديم وَجٌّ يعنى بواو مفتوحة وجيم مشدّدة ـ سميت برجل من العمالقة ، ثم سكنها ثقيف فبنوا عليها حائطا مُطِيفا بها فسميت الطائف .

قال : وهى إحدى القريتين المذكورتين فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من الحجاز تقريبا ، وموقعها فى أوائل الإقليم الثانى . وقال ابن سعيد : طولها ثمان وستون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة ، وهو بلد خَصِيب كثير الفواكه المختلفة مما يشابه فواكه الشام وغيرها ، وهى طَيِّبة الهواء إلا أنها شديدة البرد حتّى إنه ربما جَمَد الماء بها لشدّة بردها .

الرابع ــ (بَطْنُ مَرٍّ) ــ بفتح الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة ونون بعدها ثم ميم مفتوحة وراء مهملة مشدّدة ــ وهو واد من أودية الحجاز فى الشَّمال عن مكة على مرحلة منها على طريق حُجّاج مصر والشام . قال فى "الأطوال" : طولها سبع وستون درجة وعرضها إحدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى بُقْعة بها عدّة عيون ومياه تجرى ونخيل كثير ، والنخل والمزدَرَع متصل من وادى نخلة إليها . وذكر غيره أن بها نحوَ أربعة وعشرين نهرا على كل نهر قرية ، ومنها تُحْمَل الفواكه والبُقُولات إلى مكة كما تحمل من نخلة والطائف ، وهى بيد بنى حَسَن أمراء مكة .

الخامس ــ (الْهَدَهْ) ــ بألف ولام ثم هاء ودال مهملة مفتوحتين وهاء ساكنة فى الآخر ــ وهو واد على القرب من بطن مَرّ ، على مرحلة ونصف من مكة ، به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية ، وهى بيد بنى جابر .

السادس ــ (عُسْفَانُ) ــ بضم العين وسكون السين المهملتين وفتح الفاء ثم ألف ونون ــ وهو وادٍ معروف على طريق حُجّاج مصر ، على ثلاث مراحل من مكة ، كان بها حدائق ومياه تنصب إليها من الهَدَه المذكورة ، وهى الآن خراب ليس بها عمارة .

السابع – (البَرْزَة) – بألف ولام ثم باء موحدة مفتوحة وراء مهـملة ساكنة وزاى معجمة مفتوحة وهاء فى الآخر – وهى واد بالقرب من عُسْفَانَ علىٰ مرحلتين من مكة؛ به أربعة عشر نهرا علىٰ كل نهر قرية؛ وهى الآن بيد بنى سَلُولَ وبنى مُعَبِّد بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة .

الثامن – (خُلَيْص) – بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وإسكان اليـاء المثناة تحت والصاد المهـملة – وهو واد علىٰ طريق حُجَّاج مصر علىٰ أربع مراحل من مكة؛ به نحو تسعة أنهر علىٰ كل نهر قرية .

التاسع – (وادى كُلَيَّة) – بضم الكاف وفتح اللام وتشديد اليـاء المثناة تحت المفتوحة وهاء فى الآخر – وهو واد بالقرب من خُلَيْص به نحو سبعة أنهر علىٰ كل نهر قرية، وكان بيد سُلَيم، وقد خرب من مدة قريبة بعد الثمانين والسبعمائة .

العاشر – (مَرُّ الظَّهْرَان) – بفتح الميم وتشديد الراء المهملة ثم ألف ولام وظاء معجمة مفتوحة وهاء ساكنة وراء مهملة مفتوحة بعدها ألف ونون – وهو موضع بينه وبين مكة نحو ستةَ عشرَ ميلا ، وهو الذى نزل به رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ! عند صُلْحه مع قريش، كان به ضِيَاع كثيرة وهو الآن خراب . قال فى " الروض المعطار " : وبه حصن كبير، كان يسكنه شُكْر بن الحسن بن علىّ بن جعفر الحسنى يعنى أميرَ مكة الآتى ذكره فى جملة أمرائها .

الطرف السابع

(فى ذكر ملوك مكة ، وهم على ضربين)

الضرب الأوّل

(ملوكها قبل الإسلام)

اِعلم أن مكة بعد الطُّوفان كان مُلْكها فى عاد، وكان بها منهم معاويةُ بن بكر بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وكان مع معاوية بن بكر (وهو عادٌ الآخرة فيما يقال) يَعْرُب ثم غلبهم العمالقة عليها. فلما غلب ٱبن قَحْطان بن عابَر بن شالَخ ٱبن أرفَخْشَذَ بن سام بن نوح عادا على اليمن وفرّق مُلْك اليمن فى إخوته، ٱستولى على الحجاز وأخرج العمالقة منه وولّى أخاه جُرْهُمَ بن قحطان على الحجاز، فبقِىَ به حتّى مات. فملك بعده ٱبنه عبدُ ياليل . ثم ملك من بعده ٱبنه جُرْهُم، ثم ملك بعده ٱبنه عبد المَدَان، ثم ملك بعده ٱبنه بُقَيْلَةُ، ثم ملك بعده ٱبنه عبدُ المسيح، ثم ملك بعده ٱبنه مُضَاضٌ، ثم ملك بعده ٱبنه الحرث، ثم ملك بعده ٱبنه عمرو، ثم ملك بعده أخوه بِشْر بن الحرث، ثم ملك بعده مُضَاضُ بن عمرو بن مُضَاض .

قال ٱبن سعيد : وجُرْهُم هذه هم الذين بُعِث إليهم إسماعيل عليه السلام وتزوّج فيهم، وكانت قبلهم جُرْهُم أخرى مع عَادٍ . قال فى "الروض المعطار" : وفى ذلك يقول عمرو بن الحرث بن مُضَاض، وهو التاسع من ملوك جُرْهُم المتقدّم ذكرهم :

وَصَاهَرَنَا مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ وَالِدًا ۞ فَأَبْنَاؤُهُ مِنَّا وَنَحْنُ الْأَصَاهِرُ!

قال صاحب حماةَ فى "تاريخه" : وقد ٱختلف المؤرّخون فى أمر المُلْك على الحجاز بين جُرْهُم وبين إسماعيل، فبعضهم يقول: كان المُلْك فى جرهم، ومفاتيح الكعبة وسِدَانتها فى يد ولد إسماعيل، وبعضهم يقول : إن قَيْدار بن إسماعيل توّجتْه أخواله من جُرْهُم وعقدوا له المُلْك عليهم بالحجاز .

وأما سِدَانَةُ البيت ومفاتيحه فكانت مع بنى إسماعيل بلا خلاف حتّى آنتهىٰ ذلك إلىٰ نَابِتٍ من ولد إسماعيل ، فصارت السِّدَانَةُ بعده لِجُرْهُمَ ، ويدل علىٰ ذلك قول عمرو بن الحرث :

وكُنَّا وُلَاةَ البَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ * نَطُوفُ بِذَاكَ البَيْتِ وَالأَمْرُ ظَاهِرُ !

وذكر فى "الروض المعطار" : أنه كان مع جُرْهُمَ بمكة قَطُورا [1] ، وجُرْهُم وقَطُورا أخوان ، وكان منزل جرهم أعلىٰ مكة بقُعَيْقِعَانَ فما حاز ، ومنزل قَطُورا أسفلَ مكة بأجياد فما حاز ، وآنتهت رياسة قَطُورَا فى زمن مُضَاض بن عبد المسيح المتقدّم ذكره إلى السَّمَيْدَع ، وكان مُضَاض يُعَشِّرُ مَنْ دخل مكة من أعلاها ، والسَّمَيْدَعُ يعشر من دخلها من أسفلها ، ثم بغىٰ بعضهم علىٰ بعض وتنافسوا الملكَ وآقتتلوا فقُتِل السميدع ، وآستقلَّ مضاضٌ بالأمر ، وبقيت جُرْهُمُ ولاةَ البيت نحو ثلثمائة سنة فأكلوا مال الكعبة الذى يهدىٰ إليها وآستحلُّوا حرمها ، وبلغ من أمرهم أن الرجل إذا لم يجد مكانا يزنى فيه (٢) الكعبة فزنىٰ فيها ، ولم يتناهَوْا حتّى يقال إن إسافَ آبن سهيل زنىٰ بنائلة بنت عمرو بن ذؤيب فى جوف الكعبة فمسخا حجرين ، ونضب ماءُ زمزم لكثرة البَغْيِ ودَرَست معالمها ؛ ثم جاء عمرو بن لُحَيٍّ فغيَّرَ دين إبراهيم عليه السلام وبدَّله وبعث العربَ علىٰ عبادة التماثيل ، وعُمِّر ثلثمائة سنة وخمسا وأربعين سنة ، وبلغ من الولد وولد الولد ألفين .

ثم صارت سِدَانة البيت ومفاتيحُه إلىٰ خُزَاعةَ بن الأَزْد من بنى كَهْلَانَ بن سَبَإٍ من العرب العاربة ؛ وكانت منازلهم من حين تفرق عربُ اليمن بسبب سَيْل العَرِمِ ببطن مَرٍّ على القرب من مكة ؛ وصارت لهم الرياسة بسِدَانة البيت ، وبقيت السِّدانة بيدهم

(١) فى "السبائك" و "العبر" بدون ألف .

(٢) بياض بالأصل ، ولعل أصله "دخل" كما هو ظاهر .

إلى أن آنتهت إلى أبى غُبْشَان : سليمان بن عمرو الخُزَاعىّ فى زمن بَهْرام جور بن يَزْدجِرْد من ملوك الفُرْس ، ورئيس قريش يومئذ قُصَىّ بن كِلَاب ، فآجتمع قُصَىٌّ مع أبى غُبْشَان على شراب بالطائف ، فلما سكر أبو غُبْشَان آشترى قُصَىٌّ سِدَانَةَ البيت منه بِزِقِّ خمر وتسلم مفاتيحه وأشهد عليه بذلك ، وأرسل آبنه عبدَ الدار بها إلى البيت فرفع صوته وقال : يامعشرَ قريش ! هذه المفاتيح : مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل ، قد ردّها الله عليكم من غير عارٍ ولا ظُلْمٍ (١) . فلما صَحَا أبو غُبْشَان ندم حيثُ لاينفعه النَّدَمُ . ويقال "أخسرُ من صَفْقة أبى غُبْشَان" وأكثر الشعراءُ القولَ فى ذلك حتّى قال بعضهم :

بَاعَتْ خُزَاعَةُ بَيْتَ اللهِ إذْ سَكِرَتْ * بِزِقِّ خَمْرٍ، فَبِئْسَتْ صَفْقَةُ البَادِى
بَاعَتْ سِدَانَتَهَا بالنَّزْرِ وَآنْصَرَفَتْ * عَنِ المَقَامِ وظِلِّ البَيْتِ وَالنَّادِى

ولما وقع ذلك عَدَتْ خزاعة على قصىّ فظهر عليهم وأجلاهم عن مكة ، وكان بمكة عرب يجيزون الحجيجَ إلى الموقف ، وكان لهم بذلك رياسة فأجلاهم قُصَىٌّ عن مَكَّةَ أيضا وآنفرد بالرياسة . قال العسكرىّ فى "الأوائل" : وكان أوّل من نال المُلْك من ولد النَّضْرِ بن كِنَانَةَ .

ولما تم لقُصَىٍّ ذلك بنى دارَ النَّدْوة بمكة ، فكانت قريش تقضى فيها أمورَها فلا تُنْكِح ولا تشاور فى أمر حرب ولا غيره إلا فيها ، ولم تزل الرياسة فيه وفى بنيه بعد ذلك . فوُلِد له من الولد عَبْدُ مَنَافٍ وعبدُ الدَّارِ وعبدُ العُزّى .

ثم آنتقلت الرياسة العظمى بعد ذلك لبنى عبد مَنَافٍ ، وكان له من الولد هاشمٌ وعبدُ شَمْسٍ والمُطَّلِبُ ونَوْفَلٌ ، وكان هاشم أرفعهم قدرا وأعظمهم شأنا ، وإليه آنتهت سيادةُ قومه ، وكانت إليه الرِّفَادة وسِقَايَة الحجيج بمكة ، وكانت قريش تُجَّارا ، وكانت تجارتهم لا تعدو مكة وما حولها فخرج هاشم إلى الشام حتّى نزل بقَيْصَرَ

(١) لعله غارة أو غدر .

ملك الروم فسأله كتابة أمان لتجار قريش ، فكتب له كتابا لكل من مرّ عليه ، فخرج هاشم فكلما مرّ بحيّ من العرب أخذ من أشرافهم أمانا لقومه حتّى قدم مكة ، فأتاهم بأعظم شيء أتوا به قطّ بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج معهم حتّى أوردهم الشام ، وخرج أخوه المطلب إلى اليمن فأخذ لهم أمانا من ملكه ، وخرج أخوهما عبد شمس إلى ملك الحبشة فأخذ لهم أمانا كذلك ، وخرج أخوهم نوفل إلى كسرى ملك الفرس فأخذ لهم منه أمانا . وكانت قريش يرحلون فى الشتاء للشام وفى الصيف لليمن ، واتسعت معايشهم بسبب ذلك ، وكثرت أموالهم حتّى امتن الله عليهم بذلك بقوله : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ والإيلاف الأمان .

ثم وُلد لهاشم عبد المطلب وبقيت الرياسة فيه ، وكانت بئر زمزم قد انطمّت ونضب ماؤها فحفرها عبد المطلب ، حتّى أكمل الله تعالى بنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ! .

وأما سِدانة البيت ومفاتيحه ، فبقيت بيد بنى عبد الدار بن قُصَيّ المتقدم ذكره من حين تسلّمها عبدُ الدار عند أخذها من أبى غبشان الخزاعىّ حتى صارت لبنى شَيْبَة من بنى عبد الدار ، وانتهت فى زمن النبىّ صلّى الله عليه وسلم إلى عثمان بن طلحة بن عبد الدار . فلما دخل النبىّ صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ، أغلق عثمانُ بابَ الكعبة وصعِد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه ، وقال : لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه ، فلوى علىّ بن أبى طالب يَدَه وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلّى الله عليه وسلم الكعبةَ فصلّى ركعتين ، فلما خرج سأله العبّاس أن يعطيه المفتاحَ ويجمع له السّقاية والسّدانة فنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلم عليا أن يردّ المفتاح إلى

عثمان ويعتذرَ إليه، فقال عثمان : أكْرَهْتَ وآذيت ثم جئت تَرْفُق ؟ فقال له علىّ : لقد أنزل الله تعالىٰ فى شأنك قرءانا وقرأ عليه الآية ، فقال عثمان : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فهبَطَ جبريل عليه السلام علىٰ النبىّ صلىٰ الله عليه وسلم فأخبره أن السِّدانة فى أولاد عثمان أبدًا، فهى باقية فيهم إلىٰ الآن .

الضرب الثانى

(ملوكها فى الإسلام ، وهم علىٰ طبقات)

الطبقة الثالثة[1]

(عمال النبىّ صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين)

هاجر منها النبىّ صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ المدينة قبل وفاته،وحَجّ حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة، وتوفِّى سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة وعلىٰ مكة عثمان بن أُسَيد، وتوالت عليها عُمَّال الخلفاء بعده إلىٰ آخر أيام الحسن بن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه .

الطبقة الرابعة

(عمال بنى أُمَيَّة من لدن معاوية رضى الله عنه إلىٰ انقراضهم)

ثم ولّى عليها معاويةُ بن أبى سُفْيَانَ فى خلافته فى سنة اثنتين وأربعين من الهجرة (خالدَ بن العاص بن هشام) ثم أضيفت إلىٰ عُمَّال المدينة إلىٰ أيام الوليد بن عبد الملك فكان من وليها منهم (الوليدُ بن عتبة) ثم (عمرو بن سعيد الأشْدَق) ثم (الوليد بن عتبة)

---

(١) هكذا فى الأصل بهذا العنوان وصوابه الأولىٰ والذى يظهر أن هـذا من الناسخ فان المقام لا يحتمل السقط . ومن جهة أخرىٰ لم يترك فى الأصل بياض حتى كان يخيل أن المؤلف ترك الكلام عليه للعود إليه لحق ماهنا "الطبقة الأولىٰ" وما بعدها "الطبقة الثانية" وهكذا حتى تتسلسل الطبقات .

ثانيا، ثم (مُصْعَب بن الزبير) من جهة أخيه عبد الله بن الزبير لما بويع له بالخلافة، ثم (جابرُ بنُ الأسود) ثم (طلحة بن عبد الله بن عوف) ثم (طارق بن عمرو بن عثمان) ثم (الحَجّاج بن يوسف الثقفىّ) ثم (أبانُ بن عثمان) ثم (هشام بن إسماعيل المخزومىّ) ثم (عُمَر بن عبد العزيز)(١) .

ثم أفردها الوليد بن عبد الملك عن المدينة وولى عليها (خالدَ بن عبد الله القَسْرى) بعد عمر بن عبد العزيز(١)، ثم وليها (عبد العزيز بن خالد بن أَسِيْد) أيام سليمان آبن عبد الملك، ثم عزله يزيدُ سنة ثلاث ومائة وأضافها مع المدينة إلىٰ (عبد الرحمن آبن الضحّاك)، ثم عزله عن مكة والمدينة لثلاث سنين من ولايته وولّى مكانَهُ (عبدَ الواحد النضرىّ)، ثم عزله هشام بن عبد الملك فى خلافته وولّى مكانه علىٰ مكة والمدينة (إبراهيم بن هشام بن إسماعيل) ثم عزله هشام سنة أربع عشرة ومائة وولّى مكانه علىٰ مكة والطائف دون المدينة (محمدَ بن هشام المخزومىّ)، ثم ولّى الوليدُ بنُ يزيد فى خلافته خالَهُ (يوسفَ بن محمد الثقفىّ) علىٰ مكة مع سائر أعمال الحجاز، ثم ولّى مروانُ علىٰ مكة وبَرّ الحجاز (عبدَ العزيز بن عمر بن عبد العزيز) ثم عزله فى سنة تسع وعشرين ومائة وولّى مكانه علىٰ مكة والحجاز (عبدَ الواحد) ثم توالت عليها عُمّال بنى أمية إلىٰ أن آنقرضت دولتهم .

الطبقة الخامسة
(عُمّال بنى العبّاس)

وأوّلهم أبو العباس السَّفّاح، فولّى عليها وعلىٰ المدينة وسائر الحجاز عمّه (داود) ثم توفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فولّى مكانه فى جميع ذلك (زيادَ بن عبد الله بن عبد الدار الحارثىّ) .

---

(١) فى الأصل عمرو .

ثم ولّى السَّفّاحُ علىٰ ذلك سنة ثلاث وأربعين ومائة (السَّرِىَّ بن عبد الله ٱبن الحارث بن العبّاس) .

ثم عزله أبوجعفر المنصور سنة ست وأربعين ومائة وولّى مكانه عمه (عبدالصمد ٱبن علىّ) ثم عزله عنها سنة تسع وأربعين ومائة وولّى مكانه (محمد بن إبراهيم الإمام) ثم عزله وولّى مكانه (إبراهيم ٱبن أخيه) ثم ولّى علىٰ مكة وسائر الحجاز واليمامة (جعفرَ بن سليمان) ؛ ثم توالت عليها العمال إلىٰ أن ولّى الرشيدُ فى خلافته علىٰ مكة واليمن (حمادا اليزيدى[1]) سنة أربع وثمانين ومائة .

ثم وليها فى زمان الأمين (داودُ بن عيسىٰ) .

ثم وليها (محمد بن عيسىٰ) ثم عزله المتوكل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وولى مكانه ٱبنه (المنتصِر) بن المتوكل .

ثم وليها (علىّ بن عيسىٰ بن جعفر بن المنصور) ثم عزله المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين وولّى مكانه (عبد الله بن محمد بن داود بن عيسىٰ بن موسىٰ) ثم عزله المتوكل سنة ثنتين وأربعين ومائتين وولّى مكانه (عبدَ الصمد بن موسىٰ بن محمد بن إبراهيم الإمام) ثم توالت عليها العمال من قِبَل خلفاء بنى العبّاس إلىٰ أن غلب عليها السُّلَيْمانِيُّون الآتى ذكرهم آنفا .

الطبقة السادسة

(السليمانيون من بنى الحَسَن)

نسبة إلىٰ سليمان بن داود بن الحسن المثنّى بن الحسن السِّبْط .

وكان سليمان هذا فى أيام المأمون بالمدينة وحدثَت الرياسة فيها لبنيه بعد أيام، وكان كبيرهم آخِرَ المائة الثالثة محمد بن سليمان الربذىّ .

---

(١) فى الكامل لابن الأثير "الربرى" .

قال البيهقي : خلع طاعة العبّاسيين وخطب لنفسه بالإمامة فى سنة إحدى وثلثمائة فى خلافة المقتدر، ثم اعترضه أبوطاهر القرمطى فى سنة ثنتى عشرة وثلثمائة، فانقطع حجيج العراق بسبب ذلك .

ثم أنفذ المقتـدر الحجيج من العراق فى سـنة سبع عشرة وثلثمائة فوافاهم القرمطى بمكة فنهبهم، وخطب لعبيد الله المهـدىّ صاحب إفريقية وقلع الحجرَ الأسودَ وبابَ الكعبة وحملهما إلى الأحْسَاء، وتعطل الحج من العراق إلى أن ولى الخـلافةَ القاهرُ فى سنة عشرين وثلثمائة فحجّ بالناس أميرُه فى تلك السنة .

ثم انقطع الحج من العراق بعدها إلى أن صُولحت القرامطة على مال يؤدّيه الحجيج إليهم، فحجوا فى سنة سبع وعشرين وثلثمائة، وخُطب بمكة للراضى بن المقتدر، وفى سنة تسع وعشرين لأخيه المُتّقى من بعده .

ثم انقطع الحج من العراق بسبب القرامطة إلى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة، فخرج ركب العراق بمهادنة القرامطة فى خلافة المسـتكفى، ثم خُطب بمكة لمعز الدولة ابن بُوَيه مع المقتدر فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، ثم تعطل الحج بسبب القرامطة، ثم برز أمر المنصور الفاطمى صاحب إفْرِيقيَّة لأحمد بن أبى سعيد أمير القرامطة بعد موت أبى طاهر بإعادة الحجر الأسود إلى مكانه فأعاده فى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة.

وفى سـنة ثنتين وأربعين وثلثمائة حاول أمير الركب المصرى الخطبـةَ لابن الأخشيد صاحبِ مصر فلم يتأتَّ له ذلك وخُطب لابن بُوَيه، واتصلت وفود الحج من يومئذ .

وفى سنة ثلاث وخمسين خطب للقرمطى بمكة مع المُطيع .

وفى سنة ست وخمسين وثلثمائة خطب بمكة لبختيار بن مُعِزّ الدولة بعد موت أبيه.

ثم فى سنة ستين وثلثمائة جهز المُعِزُّ الفاطمى عسكرا من إفْرِيقِيَّة لإقامة الخطبة له بمكة وعاضدهم بنو الحُسَين أهـلُ المدينة فمنعهم بنو الحسن أهل مكة من ذلك وآستولَوا على مكة .

فلما ملك مصرَ المُعِزُّ كان الحسن بن جعفر بن الحسن بن سليمان بالمدينة فبادر فملك مكة ودعا للْمُعِزّ وكتب له المُعِزُّ بالولاية ؛ ثم مات الحسن فولّى مكانه أخوه عيسى .

ثم وُلِّى بعده أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن أبى هـاشم ؛ ثم الحسن بن محمد بن سليمان بن داود سنة أربع وثمانين وثلثمائة ؛ ثم جاءت عساكر عضد الدولة بن بويه ففرّ الحسن وترك مكة . ولمـا مات المعز ووَلِى آبنه العزيز ، بعث إلى مكة أميرا عَلَوِياً فخطب له بالحرمين وآستمرّت الخطبة بمكة للعلويين إلى سنة سبع وستين وثلثمائة .

وفى سنة ثمان وستين خُطِب لعضد الدولة بن بُوَيه ؛ ثم عادت الخطبة بمكة إلى الخلفاء الفاطميين بمصر ؛ ثم كتب الحاكم سنة ثنتين وأربعين وأربعمائة إلى عُمَّـاله بالبراءة من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فأنكر ذلك أبو الفتوح أمير مكة وحمله ذلك على أن آستبدّ بالأمر فى مكة وخطب لنفسه وتلقب بالراشد بالله ، وقطع الحاكم الميرة عن الحرمين فرجع أبو الفتوح إلى طاعته فأعاده إلى إمارته بمكة .

وفى سنة ثنتى عشرة وأربعمائة خطب بمكة للظاهر بن الحاكم ؛ ثم خطب بمكة سـنة سبع وعشرين وأربعمائة للمستنصر بن الظاهر ؛ ثم توفى أبو الفتوح أمير مكة المتقدم ذكره سنة ثلاثين وأربعمائة لستٍّ وأربعين سنة من إمارته .

وولى بعده إمارة مكة آبنه شُكْر وملك معها المدينة وآستضافها لمكة ، وجمع بين الحرمين كلّه[1] ثلاثا وعشرين سـنة ومات سـنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . قال آبن حزم : وكانت وفاته عن غير ولد وآنقرضت بموته دولة بنى سليمان بمكة .

(١) لعله كليهما .

الطبقـــة السابعة

(الهَوَاشِـــم)

نسـبة إلىٰ أبى هاشم : محمد بن الحسن بن محمد بن موسىٰ بن عبد الله أبى الكرام آبن موسىٰ الجَوْن بن عبد الله بن حسن بن الحسن السِّبْط .

كان رئيسُ الهواشم لما مات شكر آخرُ أمراء السليمانيين (محمدَ بن جعفر) بن أبى هاشم المذكور فآستولىٰ علىٰ إمارة مكة فى سـنة أربع وخمسين وأربعمائة بعـد موت شكر، وخطب للمستنصر الفاطمى صاحبِ مِصْرَ ، ثم خطب لبنى العبّاس فى سـنة ثمان وخمسين وأربعمائة فقُطِعت مِيرة مصر عن مكة فعَذَلَه أهلُه علىٰ ذلك فأعاد الخطبة للمستنصر الفاطمى ، ثم آستماله القائم العباسى وبذل له الأموالَ فخطب له سـنة ثنتين وستين بالموسم فقط ، وكتب للمستنصر بمصر يعتذر إليه ، ثم بعث إليه السلطان ألْب أرسلان السَّلْجُوقى بأموال كثيرة فى سنة ثلاث وستين فخطب له بنفسه .

ثم جمع محمدُ بن جعفر المتقدّم ذكره وزحف إلىٰ المدينة فأخرج منها بنى الحسين وملكها وجمع بين الحرمين .

ثم مات القائم وآنقطع ما كان يصل إلىٰ أمير مكة منه فقطع الخطبةَ للعباسيين .

ثم أرسـل المقتدى بالله العباسى بمـال فأعاد الخطبة للعباسيين فاستمرت الخطبة لهم إلىٰ أن مات السلطان ملكشاه السلجوقى سـنة ست(١) وثمانين وأربعمائة فآنقطعت الخطبة بمكة للعباسيين وبطل الحاجّ من العراق ، ومات المقتدى وبويع آبنه المستظهر ، ومات المستنصر العُبَيْدى بمصر وبويع آبنه المستعلى فخطب له بمكة .

---

(١) لعله خمس كما يؤخذ من تاريخ أبى الفدا .

ثم مات محمد بن جعفر أمير مكة المتقدم ذكره سنة سبع وثمانين وأربعمائة لثلاث وثلاثين سنة من إمارته ، وولى بعده آبنه (قاسم) فكثر آضطرابه ، ثم توفى سنة ثمان عشرة وخمسمائة لثلاثين سنة من إمارته .

وولى بعده آبنه أبو فُلَيتة فآفتتح بالخطبة العباسية وحَسُن الثناء عليه ، ثم مات سنة سبع وعشرين وخمسمائة لعشر سنين من إمارته وولى بعده آبنه قاسم والخطبة مستمرّة للعباسيين .

ثم صنع المقتفى بابا للكعبة وأرسله إليها فى سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة وحمل الباب العتيق إليه فآتخذه تابوتا يدفن فيه ، وآتصلت الخطبة لبنى العبّاس إلى سنة خمس وخمسين ، وبويع المستنجد فخُطِب له كما كان يُخْطَب لأبيه المقتفى .

ثم قتل قاسم بن أبى فليتة سنة ست وخمسين وخمسمائة ، وولى بعده آبنه (عيسى) فى أيام العاضد : آخر خلفاء الفاطميين بمصر ، وتوفى المستنجد وبعث المستضىء بالركب العراقى وآنقضت دولة الفاطميين بمصر ، ووليها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فخُطِب له بالحرمين الشريفين .

والذى ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تاريخه" أن عيسى عَمَّ قاسم سيَّر الحاجَّ فى سنة ست وخمسين وخمسمائة وقام مكان آبن أخيه قاسم المذكور ، ثم عاد قاسم فملك مكة ، ثم هرب وعاد عمه عيسى فملكها وهرب قاسم إلى جبل أبى قُبَيْس فوقع عن فرسه فأمسكه عيسى وقتله .

ثم مات المستضىء وبويع آبنه الناصر وخُطِب له بالحرمين ، وحجت أمه وعادت فأنهت إليه من أحوال عيسى بن قاسم أمير مكة ما عزله به ، وولّى مكانه أخاه (مكثر بن قاسم) وكان جليل القدر ، وهو الذى بنى القلعة على جبل أبى قُبَيْس ، ومات سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، و بموته آنقرضت دولة الهواشم بمكة .

وذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تاريخه" أن أمير حاج العراق فى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة توجه من عنـد الخليفة بعزله ، فجرى بينهما حرب آنتهى الأمر فيها إلى آنهزام مُكْثِر المذكور ؛ وأقيم أخوه داود مكانه . وما زالت الإمرة فيه تارة ، وفى أخيه مكثر تارة حتّى مات داود فى سـنة تسع وثمـانين وخمسمائة . وقال : إنه داود بن عيسى بن محمد بن أبى هاشم .

الطبقـــة الثـامنة

(بنـــو قَتَادَة)

نسـبة إلى قتادة بن إدريس بن مُطَاعن بن عبـد الكريم بن موسى بن عيسى بن عبد الله أبى الكرام بن موسى الجَوْن بن عبـد الله بن حسن بن الحسن السِّبْط بن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وكان السبب فى ولايتـه مكة أنها لما كانت مع الهواشم كان بنو حسن مقيمين بنهر العلقمية من وادى يَنْبُع ، فجمع قتـادة قومه بنى مُطَـاعن وأسالفَ بنى أحمد وبنى إبراهيم وتأمر عليهم وملك يَنْبُع ، ثم ملك الصفراء ، وسار إلى مكة فآنتزعها من الهواشم المتقدّم ذكرهم وملكها ، وخطب للناصر لدين الله العباسىّ : خليفة بَغْدَادَ ، وتعاظم أمره حتّى ملك مع مكة واليَنْبُع أطرافَ اليمن و بعضَ أعمال المدينـة و بلادَ نجد ، ولم يَفِدْ على أحد من الخلفاء ولا من الملوك ، وتوفى سنة سبع عشرة وستمائة ، وولّى مكانه آبنه الحسن فآمتعض لذلك أخوه راجح بن قتادة ؛ ثم قدم الملك المسعود أقسز بن الكامل صاحب اليمن سـنة عشرين وستمائة من اليمن إلى مكة وملك مكة وقتل جماعة من الأشراف ونصب رايتـه وأزال راية أمير الركب الذى من جهـة الخليفة ، فكتب الخليفة من بغداد إلى أبيه الكامل يعاتبه فى ذلك ، فكتب الكامل

إلى ابنه أقسز برئتُ يا أقسز من ظهر العادل إن لم أقطع يمينك ! فقد نبذتَ وراء ظهرك دنياك ودينك ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم ! ؛ وذهب حسن ابن قتادة إلى بغداد صريخا فمات بها سنة ثنتين وعشرين وستمائة ، ومات أقسز بمكة سنة ست وعشرين ودفن بالمَعْلَى ، وبقى على مكة قائده فخر الدين بن الشيخ ، وقصد راجح بن قتادة مكة مع عساكر عمر بن رسول فملكها من يد فخر الدين بن الشيخ سنة تسع وعشرين وستمائة .

ثم جاءت عساكر مصر سنة ثنتين وثلاثين مع الأمير جبريل فملكوا مكةَ وهرب راجح إلى اليمن ؛ ثم عاد ومعه عمر بن رسول صاحب اليمن بنفسه فهربت عساكر مصر ، وملك راجح مكة وخطب لعمر بن رسول بعد الخليفة المستنصر .

ثم غلب على مكة سنة سبع وأربعين وستمائة أبو سعد الحسنُ بن علىّ بن قتادة ولَحِق راجحٌ باليمن ؛ وسار جَمَّاز بن حسن بن قتادة سنة إحدى وخمسين وستمائة إلى الناصر بن العزيز بن الظاهر بن أيوب بدِمَشْق مستجيشا على أبى سعد أن يقطع ذكر صاحب اليمن ، فجهز له عسكرا وسار إلى مكة فقتل أبا سعد فى الحرم وملك مكة ، ثم وصل راجح من اليمن إلى مكة وهو شيخ كبير السن وأخرج منها جمازَ بن حسن فلحق باليَنْبُع .

ثم دار أمر مكة بين أبى نمى محمد بن أبى سعد علىّ بن قتادة وبين غالب بن راجح ابن قتادة ، ثم استبدّ أبو نمى بإمرة مكة ونفى قبيلة أبيه أبى سعد إلى اليَنْبُع ،

ولما هلك أبو نمى قام بأمر مكة من بعده ابناه رميثة وحميضة ونازعهما أخواهما عُطَيفة وأبو الغيث فاعتقلاهما ، ووافق ذلك وصول بيبرس الجاشنكير كافل المملكة المصرية فى الأيام الناصرية فأطلق عُطَيفة وأبا الغيث وولاهما ، وأمسك رميثة وحميضة وبعث بهما إلى مصر ؛ ثم ردّ السلطان رميثة وحميضة إلى إمارتهما بمكة

مع عسكره وبعثا إليـه بعطيفة وأبى الغيث، وبقى التنازع بينهم، وهم يتعاقبون فى إمرة مكة مرة بعد أخرى وهلك أبو الغيث فى بعض حروبهم ببطن مرّ .

ثم تنازع حميضة ورميثة وسار رميثـة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر سنة خمس عشرة وسبعمائة فأمدّه بعساكر وجّه بها إلى مكة وآصطلحوا .

ثم خالفهم عطيفة سنة ثمان عشرة وسبعمائة ووصل إلى السلطان فأمدّه بالعساكر فملك مكة وقبض على رميثة فسجن ثم أطلق سنة عشرين وأقام بمصر، وبقى حميضة مشرّدا إلى أن آستأمن السلطانَ فأمنه ، ثم وثب بحميضة مماليكُ كانوا معه وقتلوه ، وأطلق رميثة من السجن وآستقر شريكا لأخيه عطيفة فى إمارتها .

ثم مات عُطَيفة وأقام أخوه رميثة بعده مستقلا بإمارة مكة إلى أن كبِر وهَرِم . وإلى ذلك أشار فى "التعريف" بقوله : وأوّل[1] إمرة فى رميثة وهو آخر من بقى من بيته . وعليه كان النص من أبيه دون البقية مع تداولهم لها . وكان آبناه بقية وعجلان قد آقتسما معه إمارة مكة برضاه، ثم أراد الرجوع فلم يوافقاه عليه وآستمرا معه فى الولاية .

ولما مات رميثة تنازع ولداه : بقية وعجلان، وخرج بقية وبقى عجلان بمكة، ثم غلبه عليها بقيّـة ، ثم آجتمعا بمصر سـنة ست وخمسين وسـبعمائة فولّى السلطان عجلان ، وفرّ بقية إلى الحجاز فأقام هناك منازعا لعجلان من غير ولاية . وعجلان هو المستبدّ بها مع سلوك سـيرة العدل والإنصاف والتجافى عن أموال الرعية والتعرّض للمجاورين إلى أن توفى سنة سبع وسبعين وسبعمائة .

وولّى بعده آبنه أحمد، وكان قد فوّض إليه الأمر فى حياته وقاسمه فى أمره، فقام أحمد بأمر مكة جاريا على سَنَن أبيه فى العدل وحسن السيرة، ومات فى رمضان سنة ثمـان وثمانين وسبعمائة فى الدولة الظاهرية برقوق .

(١) عبارة التعريف "وهى الآن فى رميثة وهو الخ."

فوُلِّيَ مكانه آبنُه محمد، وكان صغيرا فى كَفَالة عمه كبيش بن عجلان فبقى حتّى وثب عليه فداوىّ عنـد ملاقاة المحمل فقتله ، ودخل أمير الركب إلى مكة فولّى عنـان آبن مُغامس بن رميثة مكانه .

ثم لحق علىّ بن عجلان بالأبواب السلطانية بمصر فولاه الظاهر برقوق سنة تسع وثمانين وسبعمائة شريكا لعِنَان، وسار مع أمير الركب إلى مكة فهرب عِنانٌ ودخل علىّ بن عجلان مكة فآستقل بإمارتها ، ثم وفد علىّ بن عجلان على السلطان بمصر سنة أربع وتسعين فأفرده بالإمارة وأنزل عِنَان بن مغامس عنده وأحسن إليه، ثم آعتقله بعد ذلك وبقِىَ علىّ بن عجلان فى إمارة مكة حتّى قتل ببطن مَرٍّ فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة .

فولّى السلطان آبن أخيه حسنَ بن أحمد مكانه وآستبدّ بإمرة مكة وهو بها إلى هذا العهد . وهو حسن، بن أحمد، بن عجلان، بن رميثة، بن أبى نمىّ محمد، بن أبى سعد علىّ، بن أبى عزيز قتادة، بن إدريس، بن مطاعن، بن عبد الكريم، بن موسى، آبن عيسى، بن سليمان، بن عبد الله، بن أبى الكرام، بن موسى الجَوْن، بن عبد الله، آبن حسن، بن الحسن السِّـبْط، بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

الطـــرف السابع

(فى ترتيب مكة المشرفة، وفيه جملتان)

الجمـــلة الأولى

(فيما هو بحاضرتها)

أما معاملاتها فعلى ما تقدّم فى الديار المصرية والبلاد الشامية من المعاملة بالدنانير والدراهم النُّقْرَة ، وصَنْجتها فى ذلك كصَنْجة الديار المصرية ، ويعبَّر عن الدرهم النُّقرة فيها بالكاملىّ، نسبةً إلى الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب صاحب مصر،

وعندهم درهم آخر من فضة خالصة، مربعُ الشكل، زنته نحو نصف، ثم نقص حتى صار نحو سدس، يعبرون عنه بالمسعودى نسبة إلىٰ الملك المسعود صاحب اليَمَن، وهو فى المعاملة بثلثى درهم كاملى.

ولم يكن بها فى الزمن المتقدّم فلوس يُتعامل بها ثم راجت الفلوس الجُدُد بها فى أيام الموسم فيما قبل الدولة الظاهرية برقوق. ثم راجت فى سائر الأوقات آخرا، إلا أن كل درهم بها ثمانية وأربعون فَلْسًا علىٰ الضِّعف من الديار المصرية، حيث كلُّ درهم فيها أربعة وعشرون فلسا؛ ويعبر عن كل خمسة قراريط من الدرهم الكاملى فيها بجائز وعن الربع والسدس منه بجائزين، وتعتبر أوزانها بالمن: وهو مائتان وستون درهما. وأواقيه عشرة، كل أوقية عشرة دراهم؛ وكيلها بالغِرارة، وكل غِرارة من غرائرها (١) وقياس قماشها بالذراع المصرى؛ وأسعارها فى الغالب مرتفعة عن سعر مصر والشام.

وأما إمرتها فإنها إمرة أعرابيـــة يمشى أميرها فى إمرته علىٰ قاعدة أمراء العرب دون عادة الملوك فى المواكب وغيرها، وأتباعه عَرَب، وأكثرهم من بنى الحسن أشراف مكة. ويعبَّر عن أكابرهم بالقُوَّاد، وهم بمثابة الأمراء للملوك، وربما آستخدم المماليك الترك ومَنْ فى معناهم.

وأكثر متحصِّله مما يؤخذ من التجار الواردين إلىٰ مكة من الهند واليمن وغيرهما.

وأما تجهيز ركب الحجيج إليها ففى كل سنة يجهز إليها المَحْمِلُ من الديار المصرية بكُسْوة البيت مع أمير الركب ويكسىٰ البيتُ بالكُسْوَةِ المجهزة مع المَحْمِلِ، ويأخذ سَدَنةُ البيت الكسوةَ التى كانت علىٰ البيت، فيُهادُون بها الملوكَ وأشرافَ الناس، وداخل البيت كسوة أخرىٰ من حرير منقوش لا تحتـاج إلىٰ التغيير إلا فى السـنين المتطاولة لعدم وصول الشمس ولمس الأيدى إليها.

(١) بياض فى الأصل.

ومن عادة أمير مكة أنه إذا وصل المَحمِلُ إلىٰ ظاهر مكة خرج لملاقاته ، فإذا وافاه ترجل عن فرسه وأتىٰ الجمل الحامل للمَحمِلِ فقلب خُفَّ يده اليمنىٰ وقَبَّله خدمةً لصاحب مصر . وقد روىٰ آبن النجار فى تاريخ المدينة النبوية من طريق الحافظ أبى نعيم إلىٰ حسين بن مُصْعَب أنه أدرك كسوة الكعبة يؤتىٰ بها المدينة قبل أن تصل إلىٰ مكة فتنشر علىٰ الرَّضْراض فى مؤخَّر المسجد، ثم يُخْرَجُ بها إلىٰ مكة . وذلك فى سنة إحدىٰ وثلاثين أو آثنين وثلاثين ومائة .

وآعلم أن كسوة الكعبة لها حالان :

الحال الأولىٰ — ما كان الأمر عليه فى الجاهلية . قد روىٰ الأزرقى فى "أخبار مكة" : بسنده إلىٰ أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ! "نهىٰ عن سَبِّ أسْعَدَ الحِمْيَرِى وهو تُبَّعٌ" وكان أوّل من كَسا الكعبة . وذكر آبن إسحاق عن غير واحد من أهل العلم أن أوّل من كسا الكعبة كُسْوَةً كاملة تُبَّعٌ وهو أسعدُ أُرِىَ فى منامه أن يكسوها فكساها الأنطاع ، ثم أرى أن آكْسُها فكساها الوصائل ثيابٌ حِبَرَة من عَصْبِ اليمن ، وعن آبن جريج نحوه .

وعن آبن أبى مليكة أنه قال : بلغنى أن الكعبة كانت تكسىٰ فى الجاهلية كُسًى شتّٰى . كانت البُدْن تُجَلَّل الحِبَرَ والبرود والأكسية وغير ذلك من عَصْب اليمن ، وكان يُهدىٰ للكعبة هدايًا من كُسًى شتّٰى سوىٰ جِلال البُدْنِ : حِبَرٍ وخَزٍّ وأنماط فتكسىٰ منه الكعبة ، ويجعل ما بقى فى خزانة الكعبة . فإذا بَلِىَ منها شىء أخلف عليها مكانَهُ ثوب آخر ، ولا يُنْزَع مما عليها شىء .

وعن عبد الجبار بن الورد قال : سمعت آبن أبى مليكة يقول : كانت قريش فى الجاهلية تَرَافَدُ فى كسوة الكعبة ، فيضربون ذلك علىٰ القبائل بقدر آحتمالها ، من عهد قُصَىٍّ بن كلاب حتّٰى نشأ أبو ربيعة بْنُ المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكان

يختلف إلى اليمن يتَّجر فيها فأثرىٰ فى المال، فقال لقريش : أنا أكسو الكعبةَ وحدى سنةً وجميع قُريش سنة، فكان يفعل ذلك حتّٰى مات : يأتى بالحِبَرِ الجَنَدية من الجَنَد فيكسو الكعبة ، فسمته قريش العِدْلَ لأنه عدل فعله بفعل قريش .

وروىٰ الواقدىّ عن النَّوَار بنت مالك أم زيد بن ثابت رضى الله عنه أنها قالت : رأيت قبل أن أَلِدَ زيدَ بن ثابت علىٰ الكعبة مَطَارِفَ خَزٍّ أخضر وأصفر، وكِرَارَ وأكسيةَ الأعراب وشِقَاق شعر .

وعن ابن جريج أن الكعبة فيما مضى إنما كانت تكسىٰ يوم عاشوراء إذا ذهب آخِرُ الحاج، حتّٰى كان بنو هاشم فكانوا يعلّقون القميص يوم التروية من الديباج لأن يرىٰ الناس ذلك عليها بهاء وجمالا، فإذا كان يوم عاشوراء علَّقوا عليها الإزار .

وعن عطاء بن يسار عن عُمَر بن الحكم قال : نذرت أُمّى بَدَنَةً تنحرها عند البيت وجللتها شُقَّتين من شعر ووبر فنحرت البدنة وسيَّرتْ للكعبة بالشُّقَّتين، والنبىّ صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر، فنظرتُ إلىٰ البيت يومئذ وعليه كُسًى شتّٰى من وصائل وأنطاع وكِرارٍ وخَزٍّ ونَمارِق عراقية، كل هذا قد رأيته عليه .

قلت : حاصل الأمر أن الذى كُسِيَتْه الكعبة الأنطاعُ وحِبَرَاتُ اليمن والبرودُ والكِرارُ والأنماط والنمارق ومَطَارِفُ الخَزِّ الأخضر والأصفر والأكسية وشِقَاق الشعر والوبر وغير ذلك .

الحال الثانية — ما كان الأمر عليه فى صدر الإسلام وهلم جرا إلىٰ زماننا .

أما فى صدر الإسلام فقد روىٰ الواقدىّ عن إبراهيم بن أبى حبيبة عن أبيه أن البيت كان فى الجاهلية يُكسىٰ الأنطاع فكساه النبىّ صلى الله عليه وسلم الثيابَ اليمانِيَةَ، ثم كساه عمرُ وعثمان رضى الله عنهما القَبَاطىّ . وعن ابن أبى نجيح أن عمر

ابن الخطاب رضى الله عنه كسا الكعبة القَبَاطىّ من بيت المال ، كان يكتب فيها إلى مصر، ثم عثمانُ من بعده . فلما كان معاوية بن أبى سُفْيَانَ كساها كسوتين : كسوة عُمَرَ القَبَاطىّ وكسوةَ دِيباج ، وكانت تكسى الدِّيباج يوم عاشوراء ، وتكسى القباطىّ فى آخر شهر رمضان .

وروى الأزرقىّ عن نافع قال : كان ابن عمر يكسو بُدْنَه إذا أراد أن يحرم القَبَاطِىّ والحِبَرَ ، وفى رواية الأنماط ، فإذا كان يومُ عرفة ألبسها إياها وإذا كان يومُ النحر نزعها عنها ثم أرسل بها إلى شيبة بن عثمان الحَجَبىّ فناطها على الكعبة .

وروى الواقدىّ عن إسحاق بن عبد الله أن الناس كانوا ينذُرُون كُسْوة الكعبة ويُهْدون إليها البُدْنَ عليها الحِبَرَاتُ ، فيبعَثُ بالحِبَرَات إلى البيت كسوة . فلما كان يزيد بن معاوية كساها الديباج الخُسْرُوانىّ ، فلما كان ابن الزبير اتبعه على ذلك ، فكان يبعث إلى أخيه مُصْعَبِ بن الزبير يبعث بالكسوة كل سنة وكانت تكسى يوم عاشوراء .

قال الأزرقىّ : وقد قيل إن ابن الزبير أول مَنْ كساه الديباج . قال أبو هلال العسكرىّ فى كتابه "الأوائل" : وهو الصحيح .

وذكر الواقدىّ عن أشياخه أن عبد الملك بن مَرْوان كان يبعث فى كل سنة بالدِّيباج من الشام فيُمَرّ به على المدينة فيُنْشَر يوما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأساطين هاهنا وهاهنا ، ثم يطوى ويبعث به إلى مكة . وقد قيل إن عبد الملك أوّل من كسا الكعبة الديباجَ . قال الماوردىّ : وكساه بنو أمية فى بعض أيامهم الحُلَل التى كانت على أهل نجران فى جزيتهم ، والديباج من فوقها .

قال الأزرقىّ : ولما حج المهدىّ فى سنة ستين ومائتين(١) ، رُفع إليه أن ثياب الكعبة قد أثقلتها ويخاف على جُدُرانها من ثِقَل الكسوة ، فجرّدها حتى لم يبق عليها شىء من

(١) صوابه ومائة .

الكسوة، ثم أفرغ عليها ثلاث كُسًى : قباطىّ وخز وديباج . ولما غلب حسينُ ابن حسن الطالبىّ على مكة فى سنة مائتين، وجد ثيابها قد ثقلت عليها أيضا فجردها فى أوّل يوم من المحرّم وكساها كسوتين من قزّ رقيق إحداهما صفراء والأخرى بيضاء مكتوب بينهما .

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار." "أمر أبو السَّرايا الأصغر بن الأصغر راعيةُ آل محمد صلوات الله عليه وسلامه بعمل" "هذه الكسوة لبيت الله الحرام" .

وذكر الأزرقىّ عن جده أن الكعبة كانت تكسى فى كل سنة كسوة ديباج يعنى أحمر وكسوة قَبَاطىّ . فأما الديباج فتكساه يوم التروية، فيعلّق القميص ويدلّى ولا يخاط، وإذا صدر الناس من منى خيط القميصُ وترك الإزار حتى يذهب الحاج لئلا يخرقوه . فإذا كان يوم عاشوراء علق عليها الإزارُ يوصل بالقميص، وكأن المراد بالإزار ما تدركه الأيدى فى الطواف وبالقميص ما فوق ذلك إلى أعلى الكعبة، فلا تزال هذه الكسوة الديباجُ عليها حتى يومِ سبع وعشرين من شهر رمضان فتكسى القباطىّ القطن .

فلما كانت خلافة المأمون رفع إليه أن الديباج يبلى ويتخرق قبل أن يبلغ الفطر، فسأل المأمونُ صاحبَ بريد مكة فى أىّ الكسوة الكعبةُ أحسنُ ؟ فقال له : فى البياض، فأمر بكسوة من ديباج أبيض، عملت سنة ست ومائتين وبُعث بها إلى الكعبة، فصارت الكعبة تكسى ثلاث كسى : تكسى الديباجَ الأحمر يوم التَّرْوِيَة، وتكسى القباطىّ يوم هلال رجب، وتكسى الديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من شهر رمضان للفطر .

ثم رفع إلى المأمون أيضا أن إزار الديباج الأبيض يتخرق ويَبْلَى فى أيام الحج من مسّ الحاج قبل أن يُخَاط عليها إزار الديباج الأحمر فى عاشوراء، فزادها إزارَ ديباج أبيضَ تُكْسَاه يوم التَّرْوِيَةِ، فيستر به ما تخرّق من الإزار الذى كسيته .

ثم رفع إلى المتوكل فى سنة أربعين ومائتين أن إزار الديباج الأحمر يَبْلَى قبل هلال رجب من مسّ الناس ومسحهم بالكعبة، فزادها إزارين مع الإزار الأول، فأذال قميصَها الديباجَ الأحمرَ وأسبله حتّى بلغ الأرض، ثم جعل الإزار فوقه، فى كل شهرين إزار، ثم نظر الحَجَبَةُ فإذا الإزار الثانى لايُحتاج إليه، فوضع فى تابوت الكعبة وكتبوا إلى المتوكل أنْ إزارا واحدا مع ماأذيل من قميصها، فصار يبعث بإزار واحد فتكسَى بعد ثلاثة أشهر، فيكون الذيل ثلاثة أشهر .

ثم فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين أمر المتوكل بإذالة القميص القَبَاطِىّ حتّى بلغ الشاذَرْوان الذى تحت الكسوة . قال الماوردىّ : ثم كسا المتوكل أساطينه الديباجَ .

وقد حكى المؤيد صاحب حماة فى "تاريخه" أن الفاطميين خلفاء مصر فى إمارة أبى الحسن جعفر من السليمانيين على مكة فى سنة إحدى وثمانين وثلثمائة كَسَوُا الكعبة البياض .

قلت : ثم رفع الأمر(١) فى خلفاء بنى العبّاس ببغداد إلى شعارهم من السواد، فألبسوا الكعبة الدِّيباج الأسود ؛ ثم جرى ملوك مصر عند آستيلائهم على الحجاز على إلباسها السواد .

والذى جرى عليه الحال فى زماننا إلى آخر الدولة الظاهرية برقوق وأوائل الدولة الناصرية ولده أن الكعبة تُكْسَى الديباجَ الأسودَ كسوة مسبلة من أعلى

(١) لعله ثم رجع الأمر .

الكعبة إلى أسـفلها مرقوما بأعاليها طراز رقم بالبياض من أصـل النسج مكتوب فيه ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ الآيات، وعلى البـاب بُرْقُع من نسبة ذلك مرقوم فيه بالبياض ... ...(١) ثم فى سنة ... ...(١) وثمانمائة فى الدولة الناصرية فرج بن برقوق غير الطِّراز من لون البياض إلى لون الصُّـفْرة، فصار الرقم فى السواد بحرير أصفر مُقَصَّب بالذهب، ولا يخفى أنه أنفسُ من الأوّل والثـانى(٢) أبهج منه لشـدّة مضادّة مابين البياض والسواد، ثم جعـل بعض جوانب الكسوة ديبـاجا أسودَ على العادة، وبعضها كمخا أسود بجامات مرقوم فيها بالبياض " لا إله إلا الله محمد رسول الله " . ثم جعـل بعـد ذلك برقعَ البيت من حرير أسود منشورا عليه المخايش الفضة الملبسة بالذهب فزاد نفاسة وعلا قيمة . ثم فى سنة أربع عشرة وثمـانمائة جعل واجهة الباب من الكسوة كمخا أزرق بجامات مكتوب فيها ... ...(٣) والله العـالم ما كان وما يكون .

قلت : وحاصل ماتقدّم أن الذى آشتملت عليه أصناف الكسوة فى الإسلام الثياب اليمانيَة، والقباطىّ المصرية، والحِبَرُ والأنماط والحُلَلُ النَّجْرَانية، والديباج الأبيض، والديباج الأحمر، والديباج الأخضر، والديباج الأصفر، والديباج الأسود، والديباج الأزرق .

وأما تجريد الكعبة من ثيابها، فقد ذكر الأزرقىّ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان ينزع كسوة البيت فى كل سـنة فيقسمها على الحاج . وعن آبن أبى مليكة أنه قال : كانت على الكعبة كُسًى كثيرةٌ من كسوة أهل الجاهلية : من الأنطاع والأكسـية والكِرار والأنمـاط ، فكانت رُكامًا بعضُها فوق بعض .

(١) فى الأصل بياض بهذا المقدار .
(٢) لعله وان كان أبهج منه لشدّة الخ تأمل .
(٣) فى الأصل بياض بهذا المقدار .

فلما كسيت فى الإسلام من بيت المال، كان يخفف عنها الشىء بعد الشىء إلى أن كانت أيامُ معاوية فكتب إليه شيبةُ بن عثمان الحجبيُّ يرغب إليه فى تخفيفها من كسى الجاهلية حتى لا يكون عليها شىء مما مسته أيديهم لنجاستهم، فكتب إليه معاوية أَنْ جَرِّدْهَا، وبعث إليه بكسوة من ديباج وقباطىّ وحِبَرَة، فجردها شيبةُ حتى لم يبق عليها شىءٌ، وكساها الكسوة التى بعث بها معاوية، وقسم الثياب التى كانت عليها بين أهل مكة؛ وكان ابن عباس حاضرا فى المسجد وهم يجردونها فلم ينكر ذلك ولا كرهه .

وروى أن عائشة رضى الله عنها أنكرت على شيبة ذلك ، وقالت له بِعْها واجعل ثمنها فى سبيل الله، وكذلك ابن عباس .

وروى الواقدىّ عن أم سَلَمَة رضى الله عنها أنها قالت : إذا نزعت عن الكعبة ثيابُها فلا يضرها من لبسها من الناس من حائض أو جنب. وقد تقدم أن المهدىّ جردها حين حج فى سنة ستين ومائتين(١)؛ وحُسَيْنٌ الطالبىّ جرّدها فى سنة مائتين.

قلت: والذى استقر عليه الحال فى زماننا أنها لا تُلْبَس فى كل سنة غير كسوة واحدة على ما تقدم بيانه، وذلك أن الكسوة تعمل بمصر على النَّمَط المتقدم، ثم تُحْمَلُ صحبة الرَّكْبِ إلى مكة فيُقْطَع ذيل الكسوة القديمة على قدر قامة من جدار الكعبة ويظهر من الجدار ما كان تحته، ويبقى أعلاها معلقا حتى يكون يوم (٢) ... ... فتخلع الكسوة العتيقة وتعلّق الجديدة مكانها ، ويُكسى المَقَام من نسبة كسوة الكعبة، ويأخذ بنو شيبة الحَجَبَةُ الكسوةَ العتيقة فيُهْدونها للحُجَّاج ولأهل الآفاق . وقد زاد رِفْدهم فيها من حين حصلت المغالاة فى كسوة الكعبة و بيعها على ماتقدم . " اللهمّ زِدْ هذا البيتَ تشريفا وتعظيما، وتكريما ومهابة " .

(١) صوابه ومائة . أنظر تاريخ خلافة المهدى .

(٢) بياض فى الأصل .

وٱعلم أن جدار الكعبة كان عزيز الرؤية حين كانت الكسوة تتراكم عليها ولا يجرد عنها شىء، حتى إن الأزرقىّ حكى عن جده أنه تبجح برؤية جدارها حين جردت فى سـنة ثلاث وستين ومائتين ، وأنه رأى جدار الباب المسدود الذى كان عمله ٱبن الزبير فى ظهرها وسده الحجاج، وشبه لون جدارها بالعنبر الأشهب .

الجمـــلة الثـانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها)

أكثر من هو ببادیتها وأوديتها القريبة منها بنو الحسن الأشراف . وقد ذكر فى "التعريف" من عرب الحجاز لام، وخالد، والمنتفق، والعايد، و زاد فى "مسالك الأبصار": ذكر زبيد، وبنو عمرو، والمضارجة، والمساعيد، والزراق، وآل عيسى، وآل دعم، وآل جناح، والحبور . ثم قال : وديارهم يتلو بعضها بعضا . قال الحمدانىّ: وشرقىّ مكة حليجة، وبنو هزر ومنازلهم بيشة .

ومنهم من خثعم بنو منبه، وبنو فصـيلة، ومعاوية، وآل مهدىّ، وبنو نصر، وبنو حاتم، والموركة، وآل زياد، وآل الصعافير، والشماو بلوس . ثم قال: ومنازلهم غير متباعدة .

أما العربان بالدرب المصرىّ إلى مكة ، فمن بركة الحجاج إلى عقبة أيلة للعائد من عرب الشرقيـة ، ومن العقبة إلى الدأماء دون عيون القصب لبنى عقبة ، ومن الدأماء إلى أكدى لبلىّ ، ومن أكدى إلى آخر الوعرات لجهينة ، ومن آخر الوعرات إلى نهاية بدر و إلى نهاية الصفراء، ونقب علىّ لبنى حسن أصحاب الينبع، ويليهم من أقاربهم من بنى حسن أصحاب بدر إلى رملة عالج فى طرف قاع البزوة (١) ، ومن

(١) لعلها البزواء .

الصفراء إلى الجحفة و رابغ لزُبَيْد، ومن الجحفة على قُدَيد وما حولها إلى الثَّنِيَّة المعروفة بعقبة السَّوِيق لِسُلَيْم، ومن الثَّنِيَّة على خُلَيص إلى الثَّنِيَّة المشرفة على عُسْفان إلى القَجّ المسمّى بالمحاطب لبنى جابر، وهم فى طاعة صاحب مكة، ومن المحاطب إلى مكة المعظمة لصاحب مكة و بنى الحسن .

القاعدة الثانية

(المدينة الشريفة النبوية، على ساكنها أشرف الخلق محمد أفضلُ الصلاة والسلام والتحية والإكرام، وفيها ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(فى حاضرتها)

المدينة ضبطُها معروف، وهو آسم غلب عليها، و به نطق القرءان الكريم فى قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ . وقوله : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ . وآسمها القديم يَثْرِبُ و به نطق القرءان فى قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ .

قال الزجاجىّ : وهو يثربُ، بن قانيةَ، بن مهلائيل، بن إرمَ، بن عَبِيل، بن عَوْص، آبن إرم، بن سام، بن نوح، هو الذى بناها، وورد ذكره فى الحديث أيضا . قال الشيخ عماد الدين بن كثير فى " تفسيره " وحديث النهى عن تسميتها بذلك ضعيف، وسمّاها الله تعالى الدار بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ . وسماها النبىّ صلى الله عليه وسلم طَيْبَةَ (بفتح الطاء المهملة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة بعدها هاء) وطَابَةَ بإبدال الياء بعد الطاء بألف . قال النووىّ : وهما من الطيب وهو الرائحة الحسنة، وقيل من الطيبِ خلاف الردىء، وقيل من الطيبِ بمعنى

الطاهر ، وقيل من طِيب العَيْش . وزاد السهيلى فى أسمائها الجَابِرَة بالجيم والباء الموحدة ، والمُحَبَّة ، والمحبُوبة ، والقاصمة ، والمَجْبورة ، والعَذراء ، والمَرْحُومة ، وكانت تدعى فى الجاهلية غَلَبة لأن اليهود غَلَبوا عليها العماليق ، والأوس والخزرج غلبوا عليها اليهود . قال صاحب حماة : وهى من الحجاز ، وقيل من نَجْد ، وموقعها قريب من وسط الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة . قال فى كتاب "الأطوال" : وطولها خمس وستون درجة وثلث ، وعرضها إحدى وعشرون درجة . وقال فى "القانون" : طولها سبع وستون درجة ونصف ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وثلث . وقال ابن سعيد : طولها خمس وستون درجة وثلث ، وعرضها خمس وعشرون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة . وقال فى "رسم المعمور" : طولها خمس وستون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها خمس وعشرون درجة .

وقد ذكر صاحب "الهَناء الدائم ، بمولد أبى القاسم" أن أول من بناها تُبَّعٌ الأول ، وذكر أنه مرّ بمكانها وهى يومئذ منزلة بها أعين ماء ، فأخبره أربعمائة عالم من علماء أهل الكتاب لهم عالم يرجعون إليه أن هذا موضع مُهَاجَرِ نبىٍّ يخرج فى آخر الزمان من مكة اسمه محمد ! وهو إمامُ الحق ، فآمن بالنبى صلّى الله عليه وسلم ! وبنى المدينة ، وأنزلهم بها وأعطى كلا منهم مالًا يكفيه وكتب كتابا فيه :

"أما بعد يا محمدُ فإنّى آمنتُ بك وبربّك ، وبكل ما جاء من ربك "
"من شرائع الإسلام والإيمان ، وإنى قلتُ ذلك فإن أدركتُك فبها "
"ونِعْمَتْ ، وإن لم أُدرِكْك فاشفعْ لى يوم القيامة ، ولا تنْسَنِى فإنى من "
"أمتك الأولين ، وتابعتُك قبل مجيئك ، وقبل أن يرسلَك اللهُ ، وأنا على "
"ملة أبيك إبراهيم ! "

وختم الكتاب ونقش عليه : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ .

وكتب عنوانه .

"إلى محمد بن عبدالله خاتم المرسلين، ورسول رب العالمين، صلى الله"
"عليه وسلم! من تُبّع الأول حِمْيَر، أمانةُ الله فى يد من وقع إليه أن يدفعه"
"إلى صاحبه"

ودفع الكتاب إلى رئيس العلماء المذكورين، وتداوله بَنُوه بعده إلى أن هاجر النبيّ صلى الله عليه وسلم ! إلى المدينة فتلقاه به بعض أولاد ذلك العالم بين مكّةَ والمدينة، وتاريخ الكتاب يومئذ ألف سنة بغير زيادة ولانقص . وقيل فى بنائها غير ذلك ، وهى مدينة متوسطة فى مستو من الأرض ، والغالب على أرضها السباخ، وفى شمالِيِّها جبل أُحُد ، وفى جنوبها جبل عَيْر، وكان عليها سور قديم وبخارجها خَنْدَقٌ محفور، وهو الذى حفره النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب .

وفى سنة ست وثلاثين ومائتين بنى عليها إسحاق بن محمد الجَعْدىّ سورا منيعا، وجدّده عضدُ الدولة بن بُوَيه الديلمىّ فى سنة آثنتين وسبعين وثلثمائة، وهو باق عليها إلى الآن، ولها أربعة أبواب: بابٌ فى الشرق يُخْرَج منه إلى البَقِيع، وباب فى الغرب يُخْرَج منه إلى العَقِيق وقُبَاء ، وبين يدىْ هذا الباب جداولُ ماء جارية ، وبوسطها مسجدُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ! وهو مسجد متسع إلا أنه لم يبلغ فى القَدْر مبلغَ مسجد مكة .

قال آبن قتيبة فى "كتاب المعارف" : وكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم! مبنيا باللَّبِن وسقفُه الجريد وعَمَدُهُ النخل، ولم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عُمَر،

ثم غَيَّره عثمان وزاد فيه عثمان زيادة كبيرة، وبنىٰ جدارَه بالحجارة المنقوشة وبالقَصَّة، وجعل عَمَدَهُ من حجارة منقوشة؛ ووسعه المهدى سنة ستين ومائة؛ وزاد فيه المأمون زيادة كبيرة فى سنة آثنتين ومائتين؛ ولم تزل الملوك تتداوله بالعمارة إلىٰ زماننا .

وبه الحُجْرة الشريفة التى بها قَبْر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما . بحجرته الشريفة دائرٌ عليه مقصورةٌ مرتفعة إلىٰ نحو السقف، عليه ستر من حرير أسود؛ وخارجَ المقصورة بين القبر والمنبر الروضةُ التى أخبر صلى الله عليه وسلم ! أنها روضةٌ من رِياض الجنة .

وقد ذكر أهل الأثر : أن المِنْبر كان فى زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم ! ثلاثَ درجات بالمَقْعَد، وآرتفاعه ذراعان وثلاث أصابع، وعرضُه ذراع راجح، وآرتفاع صدره وهو الذى يستند إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ذراع، وآرتفاع رُمّانتيه اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم ! بيديه الكريمتين إذا جلس شبرٌ وأصبعان، وفيه خمسة أعواد من جوانبه الثلاثة ؛ وبقِىَ علىٰ ذلك إلىٰ أيام معاوية فكتب إلىٰ مَرْوَانَ : عامله علىٰ المدينة أن آرفَعْه عن الأرض فزاد من أسفله ست درجات ورفعه عليها فصار له تسعُ درجات بالمجلِس . قيل : وصار طوله أربعة أذرع وشبرا .

ولما حج المهدىّ بن المنصور العباسىّ سنة إحدىٰ وستين ومائة، أراد أن يعيده إلىٰ ما كان عليه فأشار عليه الإمام مالك بتركه خشيةَ التهافُتِ فتركه ؛ ويقال : إن المنبر الذى صنعه معاويةُ ورَفَع منبر النبيّ صلى الله عليه وسلم عليه، تهافت علىٰ طول الزمان، وجدّده بعض خلفاء بنى العباس وآتخذ من بقايا أعواد منبر النبيّ صلى الله عليه وسلم أمشاطا للتبرك ، ثم آحترق هذا المنبر لما آحترق المسجد فى مستَهَلّ رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة أيام المستعصم بالله، وشُغل المستعصم عن عمارته بقتال

التتار ، فعمل المُظَفَّرُ صاحب اليمن المِنبَر ، وبعث به إلى المدينة سنة ست وخمسين وستمائة ، فنصب فى موضع مِنْبَر النبيّ صلى الله عليه وسلم ! فبقى إلى سنة ست وستين وستمائة ، فأرسل الملك الظاهر بيبرس صاحبُ مصر المنبرَ الموجود الآن فأُزيل ذاك ووضع هذا وطوله أربعة أذرع ، ومن رأسه إلى عتبته سبعةُ أذرع تزيد قليلا ، ودرجاته سبع بالمقعد والأمر على ذلك إلى الآن .

الجملة الثانية

(فى نواحيها وأعمالها ، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(حِمَاهَا ومرافقُها)

وآعلم أن للمدينة الشريفة حِمًى ، حماه النبيّ صلى الله عليه وسلم وحرّمه كما حرّم إبراهيم عليه السلام مكةَ . قال فى "الروض المعطار" : حِمَاها آثنا عشر ميلا ؛ وخارجَ بابها الشرقيّ البَقِيعُ المتقدّم ذكره ، وهو مَدْفَن أكثر أمواتها ، وهو بالباء الموحدة فى أوّله ، ويسمى بَقِيعَ الغَرْقَد ـ بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح القاف ودال مهملة فى الآخر . قال "الأصمعى" : سمى بذلك لأنه قُطع مابه من شجر الغَرْقَد يوم مات عثمان رضى الله عنه . وبه قبر إبراهيم بن النبيّ صلى الله عليه وسلم ! من مارية القِبْطية ، وقَبْر الحسن بن علىّ بن أبى طالب ، وإلى جانبه قبر العبّاس : عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقبر عثمان بن عَفَّان رضى الله عنه فى قبة دونهما ، وقبر مالك بن أنس إمام المذهب المعروف ؛ وحول المدينة حدائق النخل الأنيقةُ ؛ وثمرها من أطيب الثمر وأحسنه ، وغالب قوت أهلها منه .

الضرب الثـانى

(فى مخاليفها وقُرَاها ، والمشهور منها ثمـانية أماكِنَ)

الأول ـ (قُبَاء) ـ بضم القاف وفتح الباء الموحدة وألف فى الآخر ـ ويروىٰ بالمدّ والقصر والمدّ أشهر . قال فى "الروض المعطار" : ومن العرب من يذكّره فيصرفه، ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه . قال : وسميت قُبَـاءَ ببئر كانت بدار توبة بن الحسن آبن السائب بن أبى لبابة يقال لها قُبَاء، وهى قرية غربىّ المدينة علىٰ مِيلَيْن منها، وبها مسجد التَّقْوىٰ الذى أخبر الله تعالىٰ عنه بقوله : ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾. وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم كان يأتى قُبَاء كل يوم سبت راكبا وماشيا، ومُصَلّاه بها مشهور .

الثـانى ـ (خيبر) ـ بفتح الخاء المعجمة وسكون اليـاء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وراء مهملة فى الآخر ـ قال الزجاجىّ : سميت بخَيْبَر بن قانية وهو أوّل من نزلها، وهى بلدة بالقرب من المدينة الشريفة . قال آبن سعيد: طولها أربع وستون درجة وست وخمسون دقيقة ، وعرضها سـبع وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وهى بلدة عامرة آهلة ذاتُ نخيل وحدائقَ ومياهٍ تجرى . قال فى "تقويم البُلْدان": وهى بلدة بنى عنزة من اليهود ، والخَيْبَرُ فى لغـة اليهود الحِصْن ، وهى فى جهة الشَّمال والشرق عن المدينة علىٰ نحو ست مراحل وقيل أربع مراحل . قال الإدريسىّ : وهى ذات نخيـل وزرع ، وكانت فى صـدر الإسلام دارا لبنى قُرَيْظَةَ والنَّضِـيرِ، وبها كان السَّمَوْءَل بن عادِيَا الشاعر المشهور .

الثالث ـ (فَدَك) ـ بفتح الفاء والدال المهملة وكاف فى الآخر ـ قال الزجاجىّ : سميت بفَدَك بن حام ، وقيل : سميت بفَيْد بن حام، وهو أوّل من نزلها . قال

فى "الروض المعطار" : و بينها و بين المدينة يومان، وحِصْنها يقال له الشمروخ على القرب من خيبر، وكان أهلها قد صالحوا النبيّ صلى الله عليه وسلم! على النصف من ثمارها فى سنة أربع من الهجرة، ولم يُوجِف عليها المسلمون بخيل ولا رِكاب فكانت له صلى الله عليه وسلم خالصةً؛ وكان معاوية بن أبى سفيان قد وهبها لمَرْوان بن الحكم، ثم آرتجعها منه لمَوْجِدة وجدها عليه . فلما ولى عمرُ بن عبد العزيز الخلافة، ردّها إلى ما كانت عليه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت تُغِلُّ فى أيام إمرته عشرةَ آلاف دينار، يتجافى عنها .

الرابع ـ (الصَّفْراء) ـ مؤنث أصفر ـ وهو واد على ستّ مراحل من المدينة كثيرُ المزارع والمياه والحدائق . أخبرنى بعض أهل الحجاز أن به أربعة وعشرين نهرا على كل نهر قرية، وعيونُه تصب فضلها إلى يَنْبُعَ؛ وهو بيد بنى حَسن الشرفاء .

الخامس ـ (وَدَّانُ) ـ بفتح الواو وتشديد الدال المفتوحة وألف ثم نون ـ وهو واد به قرًى خراب لا تحصى كثرة .

السادس ـ (الفُرْعُ) ـ بضم الفاء وسكون الراء المهملة وبالعين المهملة ـ وهو واد فى جنوبىّ المدينة على أربعة أيام منها يشتمل على عدة قُرًى آهلة، أخبرنى بعض أهل الحجاز أن به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية، وماؤها يصب فى رابغ حيث يُحْرِم حُجّاج مصر، وعليها طريق المُشَاة من مكة إلى المدينة . قال فى "الروض المعطار" : ويقال إنها أوّل قرية مارَتْ إسماعيل عليه السلام التمر بمكة، وهى الآن بيد بنى حَرْب .

السابع ـ (الجارُ) ـ قال فى "اللباب" : بفتح الجيم وألف وراء مهملة ـ وهى فُرْضة المدينة الشريفة على ثلاث مراحل منها . قال آبن حوقل : وبينها وبين ساحل الجُحْفَة نحو ثلاث مراحل، منه عن أَيْلَةَ على نحو عشرين مرحلة .

الثامن – (وَادِى القُرى) – بضم القاف وفتح الراء المهملة وألف فى الآخر جمع قرية . قال فى "الروض المعطار" : وهى مدينة كثيرة النخيل والبساتين والعيون، وبها ناس من وَلَد جَعْفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهم الغالبون عليها، وتُعْرف بالوَادِيَيْن؛ والذى أخبرنى به بعض أهـل الحجاز أنه كان بهـا عيون كثيرة عليها عدّة قُرًى نخربت لاختلاف العرب ، وهى الآن خراب لا عامر بهـا ولو عمرت أغنت أهلَ الحجاز عن الميرة من غيرها .

قلت : و بالغ الإدريسى فى "نزهة المشتاق" فعدّ من مخاليفها تَيْمَاءَ ودُومَةَ الجندل، ومَدْيَنَ، والتحقيق خلاف ذلك .

فأما تَيْمَـاء – بفتح التاء المثناة من فوق وسكون الياء المثناة من تحت وميم ثم ألف فى الآخر – فقد عدّها فى "تقويم البُلْدان": من بادية الشأم تقريبا . قال فى "العزيزى": وهى حاضرة طيّئ، وبها الحصن المعروف بالأبلق المنسوبُ إلى السَّمَوْءَل بن عَادِيَا . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى الآن أعمر من تَبُوكَ، وبها نخيل قائمة .

وأما دُومة الجندل فقال فى "تقويم البُلْدان": هو موضع فاصل بين الشأم والعراق على سبع مراحل من دِمَشْقَ، و بينه و بين المدينة الشريفة ثلاث عشرة مرحلة .

وأما مَدْيَنُ فقد تقـدّم ذكرها فى الكلام على كُوَرِ مصر القديمة ، ووقع الكلام عليها هناك وإن كان الحق أنها من ساحل الحجاز .

الجملة الثالثة

(فى ذكر ملوك المدينة وأمرائها، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(مَنْ قبل الإسلام، وهم ثلاث طَبَقات)

الطبقة الأولى

(التَّبَابِعة)

قد تقدّم فى الكلام على بنائها نقلا عن صاحب "الهناء الدائم": أن تُبَّعا الأوّل هو الذى بناها وأسكنها جماعةً من علماء أهل الكتاب، وكتب كتابا وأودعه عندهم ليوصِّله مَنْ أدركه من أبنائهم إليه(١)، وبقِىَ الكتاب عندهم يتوارثونه حتّى هاجر النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فتلقاه من صار إليه الكتابُ منهم وأوصل الكتابَ إليه . وحينئذ فيكون أوّل من ملكها التبابعة .

الطبقة الثانية

(العمالقة من ملوك الشام)

قال السهيلىّ: وأوّل من نزلها منهم يَثْرِب، بن عَبِيل، بن مهلائيل، بن عَوْص، ٱبن عِمْلاق، بن لاوَذ، بن إرَمَ، بن سام، بن نوح عليه السلام فسميت به . قال فى "الروض المعطار": وكانت هذه الأمة من العماليق يقال لها جاسِم، وكانوا قد ٱستولَوْا على مكة وسائر الحجاز، وكانت قاعدة ملكهم تَيْمَاء، وكان آخرُ ملوكهم الأرقَمَ بن أبى الأرقم .

---

(١) أى الى النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم قريبا .

الطبقة الثـالثة

(ملوكها من بنى إسرائيل ومَنْ انضم إليهم من الأوْسِ والخَزْرَج)

قال فى "الروض المعطار": لما ظهر موسى عليه السلام على فِرْعون، بعث بَعْثًا من بنى إسرائيل إلى الحجاز وأمرهم أن لايستَبْقُوا منها(١) أحدا بلغ الحُلُمُ، فقتلوهم حتى انتهوْا إلى ملكهم الأرقم بتَيْماءَ فقتلوه وأبقَوْا له ٱبنا صغيرا(٢) ليرى موسى عليه السلام فيه رأيه . فلما رجعوا به إلى الشأم وجدوا موسى عليه السلام قد تُوُفِّىَ ، فقال لهم الناس : عصَيتم وخالفتم أمر نبيكم، وحالُوا بينهم و بين الشام، فقال بعضهم لبعض : خَيْرٌ من بلدكم البلَدُ الذى خرجتم منه، فعادوا إلى الحجاز فنزلوه، فكان ذلك أول سُكْنَى اليهود الحجاز ، فنزل جمهورهم بمكان يقال له يَثْرِبُ بمجتمع السيول واتخذوا الآطام والمنازل، ونزل معهم جماعةٌ من أحياء العرب من بَلِىّ وجُهَيْنة .

وكانت يثرب أم قرى المدينة وهى ما بين طرف قُبَاءَ إلى الجُرُف، ثم لما كان من سيل العَرِم باليمن ما كان ، تفرّق أهل مأرِبَ ، فأتى الأوْسُ والخزرجُ يثرب لليهود فحاربوهم ، وكان آخر الأمر أن عقدوا بينهم و بينهم جِوَارا واشتركوا وتحالفوا ، فلم يزالوا على ذلك زمانا طويلا ، فصارت للأوس والخزرج ثروةٌ ومال وعز جانبهم فخافهم اليهود، فقطعوا الحِلف، وخافهم الأوس والخزرج فبعثوا إلى مَنْ لهم بالشام فأعانوهم حتى أذلوا اليهودَ وغلبوهم عليها ، وبقيت بأيديهم حتى جاء الإسلام وهاجر النبىّ صلى الله عليه وسلم إليها وهم رؤساؤها وحُكّامها .

---

(١) أى من العماليق والأوضح منهم .

(٢) فى المعجم "ابنا شابا جميلا" وهو الأنسب .

الضرب الثانى

(من فى زمن الإسلام، وهم أربع طبقات)

الطبقة الأولىٰ

(من كان بها فى صدر الإسلام)

كان بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ أن توفِّى فى سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة. ثم أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه إلىٰ أن توفِّى سنة اثنتى عشرة من الهجرة. ثم عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلىٰ أن قتل فى سنة ثلاث وعشرين. ثم عثمان بن عَفّانَ رضى الله عنه إلىٰ أن قتل فى سنة خمس وثلاثين . ثم علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه إلىٰ أن قتل سنة أربعين . ثم الحسن بن علىّ بن أبى طالب إلىٰ أن سلَّمَ الأمر لمعاوية سنة إحدىٰ وأربعين من الهجرة النبوية .

الطبقة الثانية

(عُمّال الخلفاء من بنى أُمَيَّةَ)

ولِّى عليها معاوية سنة آثنتين وأربعين من الهجرة (مروانَ بن الحكم) . ثم عزله سنة تسع وأربعين وولّى مكانه (سعيدَ بن العاص) . ثم عزله سنة أربع وخمسين ورَدَّ إليها (مروان بن الحكم). ثم عزله سنة تسع وخمسين وولّى مكانه (الوليدَ بن عُتْبَةَ آبن أبى سفيان) .

ثم عزله يزيد بن معاوية عن المدينة والحجاز وولّى مكانه (عمرَو بن سعيد الأشدق ثم عزله سنة إحدىٰ وستين وأعاد (الوليدَ بن عتبة) .

ثم آستعمل آبن الزبير عند غَلَبته على المدينة أخاه (مُصْعَبًا) سنة خمس وستين، ثم نقله إلى البصرة وولّى مكانه (جابرَ بن الأسود) بن عوف الزهرى، ثم ولّى مكانه (طلحةَ بن عبد الله) بن عوف .

ثم غَلَب عبد الملك بنُ مروان على الخلافة فبعث على المدينة (طارقَ بن عَمْرو) فغلب عليها طلحةَ بن عبد الله وآنتزعها منه . ثم آنفرد عبد الملك بالخلافة وولّى على المدينة والحجاز واليَمَن واليمامة (الحَجَّاجَ بن يوسف) وعزل طارقا عن المدينة وجعله من جُنْده . ثم ولّى عليها سنة سبع وسبعين (أَبَانَ بن عثمانَ) . ثم عزله فى سنة آثنتين وثمانين وولّى مكانه (هشامَ بن إسماعيل المخزومىّ) .

ثم كانت خلافة الوليد بن عبد الملك فعزل هشام بن إسماعيل وولّى مكانه (عثمان آبن حَيَّانَ) .

ثم تولّى عليها (أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم) أيام سليمان بن عبد الملك .

ثم آستعمل عليها عمرُ بن عبد العزيز فى خلافته (عبدَ العزيز بنَ أرطاة) . ثم عزله يزيدُ بن عبد الملك سنة ثلاث ومائة وولّى مكانه (عبدَ الرحمن بنَ الضحَّاك) وأضاف إليه مكة، ثم عزله لثلاث سنين من ولايته وولّى مكانه على مكة والمدينة (عبدَ الواحد النَّضْرىّ) .

ثم عزله هشامُ بن عبد الملك وولّى عليها وعلى مكة (إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومىّ) . ثم عزله هشام سنة أربعَ عشرةَ ومائة وولّى مكانه بالمدينة خاصةً (خالدَ آبن عبد الملك بن الحرث بن الحكم) . ثم عزله سنة ثمان عشرة ومائة وولّى مكانه (محمد بن هشام بن إسماعيل) .

ثم ولّى الوليدُ بن يزيدَ فى خلافته خالَه (يوسفَ بن محمد بن يوسف الثقفىّ) على المدينة وسائر الحجاز فى سنة أربع وعشرين ومائة . ثم عزله يزيدُ فى خلافته فى سنة

ست وعشرين ومائة وولى مكانه (عبد العزيز بن عمرو بن عثمان). ثم ولى مروانُ[(١)] على المدينة وسائر الحجاز. ثم عزله فى سنة سبع وعشرين ومائة وولى مكانه (عبدَ العزيز ابن عمر بن عبد العزيز). ثم عزله فى سنة تسع وعشرين ومائة وولى مكانه على المدينة وسائر الحجاز (عبدَ الواحد).

الطبقة الثالثة

(عُمَّالها فى زمن خلفاء بنى العبّاس)

لما وَلِىَ السفّاح الخلافةَ ولّى على المدينة والحجاز واليمن واليمامة عمّه (داودَ). ثم توفى داود سنة ثلاث وثلاثين ومائة فولّى مكانَه فى جميع ذلك (زيادَ بن عبد الله ابن عبد المَدَان الحارثىّ). ثم ولّى سنة ثلاث وأربعين ومائة على المدينة (محمدَ بنَ خالد ابن عبد الله القَسْرِىّ). ثم آتهمه فى أمر فعزله وولّى مكانه (رِيَاح بن عثمان المُرّىّ) فقتله أصحاب محمد المهدىّ، فولى مكانه (عبيدَ الله بن الربيع الحارثىّ).

ثم عزله المنصور سنة ست وأربعين ومائة وولّى مكانه على المدينة (جعفرَ بن سليمان). ثم عزله فى سنة خمسين ومائة وولّى مكانه (الحسنَ بن زيد بن الحسن). ثم عزله المنصور فى سنة خمس وخمسين ومائة وولّى مكانه عمَّه (عبدالصمد بن علىّ).

ثم عزله المهدى فى خلافته سنة تسع وخمسين ومائة وولّى مكانه (محمدَ بن عبدالله الكثيرىّ). ثم عزله وولّى مكانه (عبد الله بن محمد[(٢)] بن عبد الرحمن بن صفوان). ثم عزله وولّى مكانه (زفر بن عاصم). ثم تولّى على المدينة والحجاز (جعفرُ ابن سليمان). ثم كان بها (محمد بن عيسى) بعد مدّة،

---

(١) لم يذكر من ولاه ولعل الصواب ثم ولاه مروان [أى أقره] على المدينة الخ وآنظر الكلام على مكة فيما سبق. (٢) فى الكامل "محمد بن عبيد الله الخ".

وعزله المتوكل وولّى مكانه (المستنصر بن المتوكل) . وتوالى عليها عُمَّال بنى العباس إلىٰ عشر الستين والمائة .

الطبقة الرابعـــة
(أمراء الأشراف من بنى حُسَين الذين منهم الأمراء المستقرّون فى إمارتها إلى الآن)

كانت الرياسة بالمدينة آخرا لبنى الحسن بن علىّ .

وكان منهم أبو جعفر عبد الله، بن الحسين الأصغر، بن علىّ زين العابدين، ٱبن الحسين السِّبْط ، بن علىّ، بن أبى طالب رضى الله عنه .

وكان من جملة ولده جعفرٌ حجة الله ، ومن ولده الحسن، ومن ولد الحسن يحيىٰ الفقيــه النَّسَّابة، كانت له وَجَاهة عظيمة وفخر ظاهر ، وتوفى سنة ست وسـبعين ومائتين؛ ومن ولده أبو القاسم طاهر بن يحيىٰ، ساد أهلَ عصره وبنىٰ دارا بالعقيق ونزلها، وتوفِّى سنة ثلاث عشرة وثلثمائة .

وكان من ولده الحسن بن طاهر رحل إلىٰ الأخشيد بمصر، وهو يومئذ مَلِكُها، فأقام عنده وأقطعه الأخشيد ما يُغِلُّ فى كل سنة مائة ألف دينار وٱستقرّ بمصر،وكان له من الولد طاهر بن الحسن، وتوفى سنة تسع وعشرين وثلثمائة، وخلف ٱبنه محمدا الملقب بمسلم ،وكان صديقا لكافور الأخشيدى صاحب مصر،ولم يكن فى زمنه بمصر أوجهُ منه . ولما ٱختل أمر الأخشيدية دعا مسلم هذا للمعزصاحب إفريقية يومئذ . ولمـا قدم المعز إلىٰ الديار المصرية بعد فتح جوهر القائد لهـا ، تلقاه مسـلم بالجمال بأطراف بَرْقَةَ من جهة الديار المصرية، فأكرمه وأركبه معدلا له وٱختص به، ثم توفى سنة ست وستين وثلثمائة فصلى عليه المعز، وكانت له جنازة عظيمة .

وكان من ولد مسلم هـذا طاهر أبو الحسين فلحق طاهرٌ بالمدينة الشريفة فقدّمه بنو الحسين على أنفسهم وآستقلّ بإمارتها سنين، وكان يلقب بالمَليح ، وتوفى سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ؛ وولى بعده آبنه (الحسين بن طاهر) وكنيته أبو محمد . قال العُتبى : وكان موجودا فى سنة سبع وتسعين وثلثمائة وغلبه على إمارتها بنوعم أبيه أبى أحمد القاسم بن عبيدالله بن طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر حجة الله وآستقلوا بها.

وكان لأبى أحمد القـاسم من الولد داودُ ويكنى أبا هاشم . وقال العتبى : الذى وَلِى بعد طاهر بن مسـلم صهرُه وآبن عمه داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر، وكناه أبا علىّ .

وقال آبن سـعيد : ملك أبو الفتوح الحسنُ بن جعفر من بنى سليمان إمرة مكة والمدينة سـنة تسعين وثلثمائة بأمر الحاكم العبيدى وأزال إمرة بنى الحسين منها ، وحاول الحاكمُ نقل الجسد الشريف النبوىّ إلى مصر ليلا فهاجت بهم ريحٌ عظيمة أظلم منها الجو، وكادت تقتلع المبانىَ من أصـلها ، فردّهم أبو الفتوح عن ذلك وعاد إلى مكة ورجع أمراء المدينة إليها .

وكان لداود بن القاسم من الولد مُهَنَّا وهانئ والحسن . قال العتبى : ولى هانئ ومهنا وكان الحسن زاهدا .

وذكر الشريف الحرّانى النسابة هنا أميرا آخر منهم وهو أبو عمارة مدّةَ كان بالمدينة سنة ثمان وأربعمائة . قال : وخلّف الحسن بن داود آبنه هاشما وولى المدينة سنة ثمـان وعشرين وأربعمائة من قِبَل المستنصر .

قال : وخلف مهنا بن داود عبيد الله والحسين وعمارة فولى بعـده آبنه عبيد الله وكان بالمدينة سنة ثمان وأربعمائة وقتله موالى الهاشميين بالبصرة، ثم ولى الحسين وبعده آبنه مهنا بن الحسين .

قال الشريف الحرّانى : وكان لمهنا بن الحسين من الولد الحسين وعبد الله وقاسم فولى الحسين المدينة وقتل عبد الله فى وقعة نخلة . وذكر صاحب حماة من أمرائها منصور بن عمارة الحسينى وأنه مات فى سنة خمس وتسعين وأربعمائة وقام ولده مقامه ولم يسمه ، ثم قال وهم من ولد مهنا . [وذكر منهم أيضا القاسم بن مهنّا[1]] حضر مع صلاح الدين بن أيوب فتح أَنْطَاكِيَةَ سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

وذكر ٱبن سعيد عن بعض مؤرّخى الحجاز أنه عدّ من جملة ملوكها قاسم بن مهنا وأنه ولاه المستضىء فأقام خمسا وعشرين سنة ومات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وولى ٱبنه سالم بن قاسم .

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تاريخه" : وكان[2] مع السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى فتوحاته يتبرك به ويتيمن بصحبته ويرجع إلى قوله . وبقى[3] إلى أن حضر إلى مصر للشكوى من قتادة فمات فى الطريق قبل وصوله إلى المدينة . وولى بعده ٱبنه شيحة وقتل سنة سبع وأربعين وستمائة ، وولى ٱبنه عيسى مكانه . ثم قبض عليه أخوه جَمَّاز سنة تسع وأربعين وستمائة وملك مكانه ، وهو الذى ذكر المقر الشهابى بن فضل الله فى "التعريف" : أن الإمرة فى بيته إلى زمانه . قال ٱبن سعيد : وفى سنة إحدى وخمسين وستمائة ، كان بالمدينة أبو الحسين بن شيحة بن سالم . وقال : غيره كان بالمدينة سنة ثلاث وخمسين وستمائة .

وولى أخوه جَمَّاز فطال عمره وعمى ومات سنة أربع أو خمس بعد السبعمائة .

وولى بعده ٱبنه منصور بن جَمَّاز ، ثم وفد أخوه مقبل بن جماز على الظاهر بيبرس بمصر ، فأشرك بينهما فى الإمرة والإقطاع ، ثم غاب منصور عن المدينة وٱستخلف ٱبنه

(١) أى المكنى بأبى فليتة ، والزيادة عن ٱبن خلدون ليستقيم الكلام . (٢) أى قاسم المكنى أبا فليتة .
(٣) أى سالم بن قاسم .

كبيشة فهجم عليه مقبل وملكها من يده ولحق كُبَيْشَةُ بأحياء العرب فآستجاشهم وهجم المدينة على عمه مقبل فقتله سنة تسع وسبعمائة ، ورجع منصور إلى إمارته ، وبقى ماجدُ آبن مقبل يستجيشُ العرب على عمه منصور بالمدينة ويخالفه إلى المدينة كلما خرج منها ، ثم زحف ماجدٌ سنة سبع عشرة وسبعمائة ، وملكها من يد عمه منصور ، فآستصرخ منصور بالملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر ، فأنجده بالعساكر وحاصروا ماجدا بالمدينة ففرّ عنها وملكها منصور ، ثم سخط عليه السلطان الملك الناصر فعزله ، وولّى أخاه ودِىَّ بن جَمّاز أياما ، ثم أعاد منصورا إلى ولايته ، ثم هلك منصور سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، فولّى آبنه كبيشة مكانه فقتله عسكر آبن عمه وَدِىّ وعاد ودىّ إلى الإمرة ، ثم توفى ودىّ ، فولّى طُفَيل بن منصور بن جماز وآنفرد بإمرتها ، وهو الذى ذكر المقر الشهابى فى "التعريف" : أنه كان أميرها فى زمانه ، وبقى إلى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة فوقع النهب فى الركب ، فقبض عليه الأمير طاز أمير الركب ، وولّى مكانه سيفا من عقب جَمّاز ، ثم وَلِىَ بعده فضل من عقب جماز أيضا ، ثم ولى بعد فضل مانع من عقب جماز ، ثم ولى جماز بن منصور ، ثم قتل بيد الفِداوية أيام الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، وآتفق أمراء الركب على تولية آبنه هِبة إلى حين يرد عليهم من السلطان مايعتمدونه ، ثم ورد أمر السلطان بتولية هِبةَ من عقب ودىّ فعزل ودِى(١) وولى مكانه ، ثم ولى بعده عطية بن منصور بن جماز ، فأقام سنين ، ثم عزل وولى هبة بن جماز ، ثم عزل وأعيد عطية ، ثم توفى عطية وهبة وولى جماز بن هبة بن جماز ، ثم عزل وولى نُعَيْر بن منصور بن جماز ، ثم قتل ، فوثب جماز بن هبة على إمارة المدينة وآستولى عليها ، فعزله السلطان ، وولّى ثابت بن نُعَيَر ، وهو بها إلى الآن فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة . وهو ثابت ،

(١) لعله زائد من قلم الناسخ .

آبن جماز، بن هبة، بن جماز، بن منصور، بن جماز، بن شيحة، بن سالم، بن قاسم، آبن جماز، بن قاسم، بن مهنا، بن الحسين، بن مهنا، بن داود، بن القاسم، آبن عبيد الله، بن طاهر، بن يحيى، بن الحسن، بن جعفر حجة الله، بن عبد الله، آبن الحسين الأصغر، بن علىّ زين العابدين، بن الحسين السِّبْط، بن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وإمرتها الآن متداولة بين بنى عطية وبين بنى جَمَّاز، وهم جميعا على مذهب الإمامية الرافضة يقولون بإمامة الآثنى عشر إماما وغير ذلك من معتقدات الإمامية، وأمراء مكة الزيدية أخف فى هذا الباب شأنا منهم .

الجمـــلة الثالثة

(فى ترتيب المـــدينة النبوية)

أما معاملاتها فعلى ماتقدم فى الديار المصرية من المعاملة بالدنانير والدراهم، والأمر فى الفلوس على ماتقدم فى مكة، ويعتبر وزنها فى المبيعات بالمَنّ وهومائتان وستون درهما على ماتقدم فى مكة، ويعتبر كيلها بالمد، وقياس قماشها بالذراع الشامى، وأسعارها نحو أسعار مكة، بل ربما كانت مكة أرخى سعرا منها لقربها من ساحل البحر بجُدَّةَ .

وأما إمارتها فإمارة أعرابية كما فى مكة من غير فرق .

وأما وفود الحجيج عليها، فقد جرت العادة أن كل من قصد السبق فى العَوْد إلى الديار المصرية من الجند وغيرهم يزور النبىّ صلى الله عليه وسلم عند ذَهاب الركب إلى مكة ثم يعود بعد الحج إلى مصر من غير تعريج على المدينة، وباقى الحجيج وأميرُ الركب لايأتونها للزيارة إلا بعد آنقضاء الحج .

وآعلم أن كسوة الحُجْرة الشريفة ليست مما يجدّد فى كل سنة كما فى كسوة الكعبة، بل كلّما بَلِيتْ كسوة جدّدت أخرىٰ، ويقع ذلك فى كل نحو سبع سنين أو ماقاربها، وذلك أنها مَصُونة عن الشمس، بخلاف كسوة الكعبة فإنها بارزة للشمس فيسرع بَلَاؤها .

وقد حكىٰ آبن النجار فى " تاريخ المدينة " أن أوّل من كسا الحُجرة الشريفة الثيابَ الحسينُ بنُ أبى الهيجاء صهر الصالح طلائع بن رزيك وزير العاضد، والعاضدُ آخر الخلفاء الفاطميين، عمل لها ستارة من الدبيقىّ الأبيض عليها الطرز والجامات المرقومة بالإبريسم الأصفر والأحمر، مكتوب عليها سورة يٓس بأسرها، والخليفة العباسىّ يومئذ المستضىء بأمر الله .

ولما جهزها إلىٰ المدينة، آمتنع قاسم بن مهنا أمير المدينة يومئذ من تعليقها حتّى يأذن فيه المستضىءُ فنفَّذ الحسينُ بنُ أبى الهيجاء قاصدا إلىٰ بغداد فى آستئذانه فى ذلك فأذن فيه، فعلقت الستارة علىٰ الحُجْرة الشريفة نحو سنتين. ثم بعث المستضىء ستارةً من الإبريسم البَنَفْسجىّ عليها الطرز والجامات البيضُ المرقومة، وعلىٰ دَوْر جاماتها مرقومٌ " أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلىّ " وعلىٰ طرازها آسم الإمام المستضىء بالله، فقلعت الأولىٰ ونفذت إلىٰ مشهد أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه بالكُوفة، وعلقت ستارة المستضىء مكانَهَا . ثم عَمِل الناصرُ لدين الله فى خلافته ستارةً أخرىٰ من الإبريسم الأسود فعُلِّقت فوق تلك. ثم عملت أمّ الخليفة الناصر بعد حجها ستارةً علىٰ شكل ستارةِ آبنها المتقدّمة الذكر فعلقت فوق الستارتين السابق ذكرهما .

قال آبن النجار : ولم يزل الخلفاء فى كل سنة يُرْسِلون ثوبا من الحرير الأسود عليه عَلَم ذهب يكسىٰ به المِنْبر . قال : ولما كثرت الكسوة عندهم أخذوها فجعلوها ستورا

على أبواب الحَرَم ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى حين آنقراض الخلافة من بغداد، فتولى ملوكُ الديار المصرية ذلك كما تولَّوْا كسوةَ الكعبة على ما تقدّم ذكره .

قلت : والستارة الآن من حرير أسود عليها طرز مرقوم بحرير أبيض . وآخِرُ مَنْ عملها فى العشر الأوّل من الثمانمائة السلطانُ الملك الظاهر برقوق .

وقد ذكر آبن النجار فى "تاريخ المدينة" أيضا أن الناصر لدين الله العباسيّ كان يُرْسِل فى كل سنة أربعة آلاف دينار للصدقة وألفا وخمسمائة ذراع قطن لتكفين من يموت من الفقراء، خارجا عما يجهزه للعمارة، وما يُعِدّه من القناديل والشيرج والشَّمَع والندّ والغالية المركَّبة والعود : لأجل تبخير المسجد .

وذكر عن يوسف بن مسلم أن زيت قناديل مسجد النبيّ صلى الله عليه وسلم ! كان يُحمل من الشام حتّى آنقطع فى ولاية جعفر بن سليمان الأخيرة على المدينة فجعله على سوق المدينة . ثم لما ولى داود بن عيسى فى سنة ثمان وسبعين ومائة، أخرجه من بيت المال، ثم ذكر أنه كان فى زمانه فى خلافة الناصر لدين الله يصل الزيت من مصر من أوقاف بها سبعة وعشرين قنطارا ، كل قنطار مائة وثلاثون رِطْلا بالمصريّ ، ومائة وستون شمعة ما بين كبيرة وصغيرة ، وعُلْبَةٌ فيها مائة مثقال ندّ .

الباب الرابع

من المقالة الثانيـــة

(فى الممالك والبُلْدان المحيطة بمملكة الديار المصرية ؛ وفيه أربعة فصول)

الفصـــل الأول

(فى الممـالك والبُلْدان الشرقية عنها . وما ينخرط فى سلكها من شمـال أو جنوب ؛ وفيـــه أربعة مقاصد)

المقصــــد الأول

(فى الممـالك الصائرة إلى بيت جنكزخان ؛ وفيه جملتان)

الجمــــلة الأولى

(فى التعريف باسم جنكزخان ومصير الملك إليه ،وما كان له من الأولاد، وتقسيمه الملك فيهم)

أما آسمه فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : عن الشيخ شمس الدين الأصفهانى أن آسمه فى الأصـل تمرجين ، وأنه لمـا عظم شأنه سمى جنكزخان . وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن بعضهم : أن الصواب فى النطق به جنكصخان بالصاد بدل الزاى .

وأما نسبه فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أيضا أنه جنكزخان، بن يسوكى، بن بهادر، بن تومان، بن برتيل خان، بن تومنيه، بن بادسنقر، بن تيدوان ديوم، بن بغا، آبن بودنجه، بن ألانقوا ، وألانقوا هذه آمرأة من قبيلة من الترتسمّى قبات من أعظم قبائلهم شهرة، كانت متزوّجة بزوج أولدها ولدين آسم أحدهما بكتوت، والآخر

بلكتوت ؛ ومن عقبهما الطائفة المعروفة فى قبائل التتر بالدلوكة إلى الآن ؛ ثم مات زوج ألانقوا أبو هـذين الآثنين وبقيت ألانقوا أيِّمًا فحملت فأُنكِر عليها الحمل، وحُمِلَتْ إلى ولىّ أمرهم حينئذ فسألها ممن حملت؟ فقالت: إنى كنت جالسة وفرجى مكشوف، فنزل نور ودخل فى فرجى ثلاث مرات فحملت منه هـذا الحمل، وأنا حامل بثلاثة ذكور، كل مرة من دخول ذلك النور بذَكَر، فأمْهِلونى حتّى أضع . فإن وضعت ثلاثة ذكور فاعلموا صدق، وإلا فدونكم وما تَرَوْنَ؛ فأمْهَلُوها حتّى ولدت فأتت بثلاثة ذكور، فسَمَّتْ أحدَهم بوقن قوتاغى[(١)]، والثانى بوسن ساغى، والثالث بودنجر، وهو جدّ جنكزخان . وأولاد هذه الثلاثة يعرفون بين التتر بالنورانيين نسبة إلى النور الذى زعمت أنه دخل فرجها فحملت منه . قال فى "مسالك الأبصار": "وهذه أكذوبة قبيحة، وأحدوثة غير صحيحة؛ وإن صحت عن المرأة فلعلها كانت قد سمعت بقصة مريم البتول عليها السلام، فاحتالت لسلامة نفسها بالتشبه بشأنها".

وأما مصير الملك إليه فقد اختلف فيه على مذهبين .

أحدهما ــ ماحكاه فى "مسالك الأبصار" عن الصاحب علاء الدين بن عطاء ملك الجوينى : أنه كان يملك الترك ملِك من عظماء الملوك يدعى أزبك خان، فتردّد إليه جنكزخان فى حال صغره وخَدَمَه، فتوسم فيه النجابة فقرّبه وأدناه وزاده فى الارتقاء على أقاربه، فحسدوه فوشَوْا به إلى الملك حتّى غيروه عليه فأضمر له المكايد؛ وكان بالقرب من أزبك خان ملكهم صغيران يخدُمانه فاطلعا على ما أضمره الملك لجنكزخان وعَرَّفاه ما أضمره الملك له وحَذَّراه؛ وكان جنكزخان قد لَفّ لفيفا عظيما يجمع لفيفه من قبائل التتر وقصد ذلك الملك فى جيوشه، وكان من أعظم القبائل المجيبة لدعوته قبيلتان : إحداهما تدعى إديرات والأخرى فيقورات مع قبيلته قبات المقدم ذكرها،

(١) وجد فى العبر (ج ٥ ص ٥٢٥) فرق فى الأسماء ولم نعلم الصواب لعجمتها فليتنبه .

فجرّد العساكر لأزبك خان وجرت الحرب بينهما فقتل أزبك خان وملك جنكزخان وقرب كلًّا من الصغيرين وجعل كلًّا منهما ترخانا ، وكتب لهما بفراغهما من جميع المُؤَن والكُلَف إلى سبعة أبطن من أولادهما .

والثانى — ماحكاه السلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تاريخه" : عن محمد بن أحمد بن علىّ المنشئ : كاتب إنشاء السلطان جلال الدين محمد بن خوارزم شاه : أن مملكة الصِّين كانت منقسمةً من قديم الزمان إلى ستة أجزاء كل جزء منها مسيرةُ شهر، يتولّى أمر كل جزء منها خان نيابةً عن خانهم الأعظم بطمغاج (١) قاعدة الصين . إلى أن كان خانُهم الأكبرُ فى زمان السلطان خوارزم شاه يسمّى الطرخان، وكان من جملة الخانات الستة الذين ينوبون عنه شخصٌ يسمّى دوشى خان ، وكان متزوجا بعمة جنكزخان فمات دوشى خان زوج عمة جنكزخان ، فحضر جنكزخان إلى عمته مُعَزِّيًا ، وكان يجاور دوشى خان خانٌ من الخانات الستة يسمّى أحدهما كشلوخان والآخر قلان ، فأرسلت زوجة دوشى خان إليهما بنعى زوجها إليهما وتلاطفانهما فى آستقرار جنكزخان آبن أخيها مكانه فى الخانية على أن يكونا معاضدين له ، فأجاباها إلى ذلك . فآستقرّ جنكزخان فى الخانية مكان دوشى خان زوج عمته ، فبلغ ذلك الخانَ الأعظم الطرخان فأنكر ذلك على كشلوخان وقلان المذكورين ، فاتصل ذلك بهما فآجتمعا هما وجنكزخان وخلعوا طاعة الطرخان ، ثم مات أحد الخانين وخلف آبنا آسمه كشلوخان فغلب جنكزخان على ملكه ، ثم مات الخان الآخر وآستقل جنكزخان بالملك ، ثم غلب على خوارزم شاه ، ثم على آبنه جلال الدين وآستقل بما وراء النهر .

---

(١) فى تاريخ أبى الفدا "بطوغاغ وهى واسطة الصين" .

وأما أولاد جنكزخان فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : عن الصاحب علاء الدين الجُوَيْنى المقدّم ذكره أنه كان له عدّة أولاد ذكور وإناث من الخواتين والسرارى ، وكان أعظم نسائه أو بولى، من تيكى، ومن رسم المغل تعظيم الولد بنسب والدته، وكان له من هذه أربعة أولاد معدّين للأولاد[١] الخطيرة، هم لتخت ملكه بمنزلة أربع قوائم، وهم توشى وجفطاى، وهو أصغرهم .وأوكداى، وأوتكين نويان، وأنه جعل موضعه نقطةَ دائرة ملكه، وبنيه حوله كمحيط الدائرة، فجعل آبنه أوكداى ولىّ عهده ورتّبه لما يتعلق بالعقل والرأى والتدبير والولاية والعزل وآختيار الرجال والأعمال وعرض الجيوش وتجهيزها ، وكان موضعه فى حياة أبيه حدود ايمك وقراباق . فلما جلس بعد أبيه على تخت الملك ، آنتقل إلى الموضع الأصلى بين الخطا وبلاد الايغور، وأعطى ذلك الموضع لولده كيوك .وجعل لآبنه أوتكين حدود بلاد الخطا، وعين لآبنه الكبير توشى حدود قيالق (؟) إلى أقصى سفسفين (؟) وبلغار، ورتبه على الصيد والقنص، وجعل لآبنه جفطاى حدود بلاد الأيغور إلى سَمَرْقَنْد وبُخَارَا، ورتبه لتنفيذ النائبات والأمور والمقابلات وما أشبه ذلك . قال آبن عطاء ملك : وكانت أولاده وأحفاده تزيد على عشرة آلاف .

وذُكِر عن الشيخ شمس الدين الأصفهانى أن جنكزخان أولد أربعة أولاد، وهم جوجى: وهو أكبرهم، وكداى، وطولى، وأوكداى، فقتل جوجى فى حياة أبيه وخلف أولادا .قال آبن الحكيم الطيارى: وهم باتو ويقال : باطو، وأورده، وبركه، وتولى، وحمتى .قال الشيخ شمس الدين المذكور: والمشهور باتو وبركه ،وأوصى بأن يكون تختُه لولده الصغير أوكداى وأن تكون مملكة ما وراء النهر وما معه لولده الآخر كداى ؛ وجعل لآبنه جوجى دشت القبجاق وما معه وأضاف إليه إيران وتبريز وهَمَذان

(١) لعله معدّون للأحوال .

ومراغة، ولم يحصل لطولى شيء . فلما مات جنكزخان آستقل أوكداى بتخت أبيه، وآستقل جوجى بدشت القبجاق وما معه ، وآستقل باتو بن جوجى فيما جعله جدّه جنكزخان لأبيه جوجى من إيران وتبريز وما مع ذلك ، ولم يتمكن كداى من مملكة ماوراء النهر، ثم مات أوكداى مالك التخت وملك بعده ولده كيوك، وكان جبارا قوىّ النفس فحكم على بنى أبيه فقهرهم وآنتزع ما بيد باتو بن جوجى من إيران وسائر ما معها، وأقام بها أميرا آسمه الجكراى . ثم جرى بينهم آختلاف كان آخر الأمر فيه أن أُمسك الجكراى وقتل وحمل إلى باتو بن جوجى وطبخه وأكله، فبلغ ذلك كيوك صاحب التخت فشق عليه وجمع ستمائة ألف فارس، وجمع باتو للقائه وسار كل منهما لمحاربة الآخر حتّى كان بينهما عشرة أيام مات كيوك فكتب خواتينه إلى باتو يعلمونه بموته ويسألونه فى أن يكون عوضه على تخت جنكزخان، فلم يرض ذلك وميز له منكوتان بن تولى بن جوجى بن جنكزخان، وجهز معه إخوته قبلاى خان وهولاكو : ولدا تولى، ووجّه معهم باتو أخاه بركة بن جوجى فى مائة ألف فارس لمجلسه على التخت ثم يعود ، فتوجه بركة بمنكوتان فأجلسه على التخت ، ثم عاد فمرّ فى طريقه ببخارا ، فآجتمع فيها بالشيخ شمس الدين الباخرزىّ من أصحاب شيخ الطريقة نجم الدين كبرى وحادثه فحَسُنَ موقع كلامه منه فأسلم على يده ، وهو أوّل من أسلم من بيت جنكزخان، وأشار الباخرزى على بركة بموالاة المستعصم خليفة بنى العباس ببغداد يومئذ، فكاتبه وهاداه وتردّدت الرسل والمكاتبات بينهما. ثم إن منكوتان بعد آستقلاله بتخت جدّه جنكزخان ملّك أولاد جغطاى مملكة ماوراء النهر تنفيذا لما كان جنكزخان أوصىٰ به لأبيهم جغطاى كما تقدّم ومات دونه، وعلت كلمة منكوتان صاحب التخت ووصلت إليه كتب أهل قزوين وبلاد الجبال يشكون من سوء مجاورة الملاحدة : وهم الإسماعيلية فجهز إليهم منكوتان أخاه مكوقان(1) لقتال

(1) لعله هولاكو كما يؤخذ من بقية الكلام .

الملاحدة وأخذ قلاعهم ، وأن يضم إلىٰ ذلك بلاد الخليفة المستعصم فبلغ ذلك بركة ابن جوجى فشق عليه لصداقته مع الخليفة ، وكلم أخاه باتو فى ذلك فكتب باتو إلىٰ هولاكو يمنعه من التعرّض لممالك الخليفة، فوافاه الكتاب قبل أن يعبُر نهر جيحون، فأقام هناك سنتين حتّى مات باتو وتسلطن أخوه بركة بعده فكتب هولاكو إلىٰ أخيه منكوتان يستأذنه فى إنفاذ ما كان عزم عليه من أخذ ممالك الخليفة وحَسَّنَ له ذلك فلم يأذن له فيه فأصرّ هولاكو علىٰ عزمه فأوقع بالملاحدة وقتل جماعة اتهمهم بممالأة بركة ، واشتدّ فى البلاد وقصد دشت القبجاق بلاد بركة فدهمه بركة بعساكره فكانت الدائرة علىٰ هولاكو فكر راجعا ودخل بلاد الخليفة وقبض عليه وقتله وملك بلاده . وكان أمر الله قدرا مقدورا !

الجملة الثانية

(فى عقيدة جنكزخان وأتباعه فى الديانة إلىٰ أن أسلم مَن أسلم منهم وما جرت عليه عادتهم فى الآداب وحالهم فى طاعة ملوكهم)

أما عقيدتهم فقد قال الصاحب علاء الدين بن عطاء ملك الجُوَيْنى : إن الظاهر من عموم مذاهبهم الإدانة بوحدانية الله تعالىٰ ، وأنه خلق السموات والأرض، وأنه يُحْيِي ويُمِيت ، ويغنى ويفقر ، ويعطِى ويمنع ، وأنه علىٰ كل شىء قدير، وأن منهم من دان باليهودية ، ومنهم من دان بالنصرانية ، ومنهم من اطّرح الجميع ، ومنهم من تقرّب بالأصنام . قال : ومن عادة بنى جنكزخان أن كل من انتحل منهم مذهبا لم ينكره الآخَر عليه ، ثم الذى كان عليه جنكزخان فى التديّن وجرىٰ عليه أعقابه بعده الجرىُ علىٰ منهاج ياسة التى قررها ، وهى قوانين خمنها من عقله وقرّرها من ذهنه ، رتب فيها أحكاما وحدّد فيها حدودا ربما وافق القليل منها الشريعة المحمدية ، وأكثرها مخالف

لذلك سماها الياسة الكبرىٰ، وقد ٱكتتبها وأمر أن تجعل فى خزانته تُتَوارث عنه فى أعقابه وأن يتعلمها صغارُ أهل بيته .

منها أن من زنىٰ قتل ، ومن أعان أحد خصمين علىٰ الآخر قتل ، ومن بال فى الماء قتل، ومن أُعطِى بضاعة فخسر ثم أعطى ثانيا فخسر ثم أعطى ثالثا فخسر قتل، ومن وقع حملُه أوقوسه فمرّ عليه غيره ولم ينزل لمساعدته قُتِل، ومن وجد أسيرا أوهاربا أوعبدا ولم يردّه قُتِل، ومن أطعم أسير قوم أو سقاه أو كساه بغير إذنهم قتل، إلىٰ غير ذلك من الأمور التى رتبها مماهم دائنون به إلىٰ الآن، وربما دان به من تحلّىٰ بحلية الإسلام من ملوكهم . ومن معتقدهم فى ذبح الحيوان أن تُلَفّ قوائمه ويشق جوفه ويدخل أحدهم يده إلىٰ قلبه فيمرسه بيده حتّىٰ يموت أو يخرج قلبه . ومن ذبح ذبيحة المسلمين ذبح .

وأما عاداتهم فى الأدب فكان من طريق جنكزخان أن يعظم رؤساء كلّ ملة و يتخذ تعظيمهم وسيلة إلىٰ الله تعالىٰ، ومن حال التتر فى الجملة إسقاط المؤن والكُلَف عن العَلَوِيين وعن الفقهاء والفقراء والزهاد والمؤذنين والأطباء وأرباب العلوم علىٰ ٱختلافهم ومن جرىٰ هذا المجرىٰ .

ومن آدابهم المستعملة أن لا يأكل أحد من يد أحد طعاما حتّىٰ يأكل المُطْعِمُ منه ولو كان المُطْعِمُ أميرا والآكل أسيرا، ولا يختص أحد بالأكل وحده بل يطعم كل من وقع بصره عليه، ولا يمتاز أمير بالشّبَع من الزاد دون أصحابه بل يقسمونه بالسوية، ولا يخطو أحدٌ مَوْقِدَ نار ولا طبقا (١) رآه، ومن ٱجتاز بقوم يأكلون فله أن يجلس إليهم ويأكل معهم من غير إذن. وأن لا يُدْخِل أحدٌ يده فى الماء بل يأخذ منه ملء فيه

(١) فى الخطط للمقريزى (ص ٢٢٠ ج ٢) ما نصه "ولا يتخطى أحد نارا ولا مائدة ولا الطبق الذى يؤكل عليه" .

ويغسل يديه ووجهه، ولايبول أحدٌ على الرَّمَادِ[(١)] . ويقـال إنهم كانوا لايرون غسل ثيابهم البتة، ولا يميزون بين طاهر ونجس .

ومن طرائقهم أنهم لايتعصبون لمذهب ، وأن لايتعرّضوا لمـالِ ميت أصـلا، ولو ترك مِلْءَ الأرض، ولا يدخلونه خزَانة السلطان .

ومن عاداتهم أنهم لايُفَخِّمون الألفاظ، ولا يعظِّمون فى الألقاب حتّى يقال فى مراسيم السلطان "القان بكذا" من غير مزيد ألقاب .

وأما حالهم فى طاعة ملكهم فإنهم من أعظم الأمم طاعة لسلاطينهم، لالمـال ولا لجاه بل ذلك دأب لهم حتّى إنه إذا كان أمير فى غاية من القوّة والعظمة وبينـه وبين السلطان كما بين المشرق والمغرب متى أذنب ذنبا يوجب عقوبة وبعث السلطان إليه من أخس أصحابه مَنْ يأخذه بمـا يجب عليه ألقىٰ نفسـه بين يدى الرسول ذليلا ليأخذه بموجب ذنبه، ولو كان فيه القتل .

ومن طريق أمرائهم أنه لا يتردّد أمير إلىٰ باب أمير آخر، ولا يتغير عن موضعه المعين له . فإن فعل ذلك عوقب أو قتل، وإذا عرضوا آلات الحرب علىٰ أمرائهم وَفَّوْا فى العرض حتّى بالخيط والإبرة، ورعاياهم قائمون بمـا يُلْزَمون به من جهة السلطان طَيِّبَةً به نفوسهم، وإن غاب أحد من الرجال قام النساء بمـا عليهم .

---

(١) عبارة الخطط "وألزمهم أن لايدخل أحدمنهم يده فى المـاء، ولكنه يتناول المـاء بشيء يغترفه به".

المهيع الثانى [١]

(فى ذكر ممالك بنى جنكزخان على التفصيل، وهى مملكتان)

المملكة الأولى

(مملكة أيران)

بفتح الهمزة [٢] وسكون الياء المثناة تحت والراء المهملة وألف ثم نون . وهى مملكة الفرس، وتعرف بأيران بن أشور بن سام بن نوح عليه السلام، وهو أول من ملكها وأضيفت إليـه وعرفت به . قال فى "التعريف" : وهى مملكة الأكاسرة . ثم قال : وهى من الفرات إلى نهر جيحون حيث بَلْخ، ومن البحر الفارسىّ وما صاقبه من البحر الهندىّ إلى البحر المسمّى بالقُلْزُم بحر طَبَرِسْتَان، وهى المملكة الصائرة إلى بيت هُولاكُو . قال : وقد دخل فيها مملكة الهَيَاطلة، وهى مملكة مازَنْدران وما يليها إلى آخر كِيلان، وطَبَرِسْتَانُ واقعة بين مازَنْدران وكِيلان، ومازَنْدَران الآخذة شرقا، وكِيلان الآخذة غربا .

وقال فى "مسالك الأبصار" : هـذه المملكة طولا من نهر جَيْحُون المحيط بآخر خُرَاسَانَ إلى الفُرَاتِ القاطع بينها وبين الشام، وعرضهـا من كَرْمَانَ المتصل بالبحر الفارسىّ المنقسم من البحر الهندىّ، إلى نهاية ما كان بيد بقايا الملوك السَّلْجُوقية بالروم على نهاية حدود العَلَايا وأنطاليا من البحر الرومىّ . قال : ويَفْصِلُ فى الجانب الشَّمالىّ بين هذه المملكة وبين بلاد القَبْجَاقِ النهرُ المجاور لبـاب الحديد المسمّى باللغة التركية دقرقبو، وبحر طَبَرِسْتَانَ المسمّى بحر الخَزَر. ثم قال : وأخبرنى الفاضل نظام الدين أبو الفضل يحيى بن الحكيم الطيارىّ أن هذه المملكة تكاد تكون مُرَبَّعة، فيكون

(١) لعله المقصد الثانى فإن التقسيم كان بالمقاصد .

(٢) ضبطه ياقوت بالكسر .

طولها بالسير المعتاد أربعة أشهر ، وعرضها أربعة أشهر . وهى من أجلّ ممالك الأرض، وأوسطها فى الطول والعرض، متوسطة فى الطول والعرض. و إذا أُنْصِفت كانت هى قلب الدنيا علىٰ الحقيقة ، ذاتُ أقاليم كثيرة ومدن كبيرة ، مشتملة علىٰ رساتيقَ وأعمال وخِطَط وجهات، وهى ممتدّة من بلاد الشأم وماعلىٰ سمتها إلىٰ بلاد السِّنْدِ والهِنْدِ وما والاهما .

ولها جانبان : جنوبىّ وشمالىّ .

الجانب الأوّل

(الجنوبىّ)

ويشتمل علىٰ ستة أقاليم :

الإقليم الأوّل

(الجزيرة الفراتية)

وهى أقرب أقطار هذه المملكة لمملكة الديار المصرية والشامية لمجاورتها بلاد الشام . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويحيط بها الفُرَات من حدود بلاد الروم، وهو طَرَف الحدّ الغربىّ الجنوبىّ للجزيرة. فيمتدّ الحدّ الجنوبىّ الغربىّ مع الفرات إلىٰ مَلَطْيَة، إلىٰ شِمْشَاط ، إلىٰ قلعة الروم، إلىٰ البِيرَةِ، إلىٰ قُبَالَة مَنْبِج، إلىٰ السِّنّ ، إلىٰ الرَّقّة، إلىٰ قَرْقِيسْيَا، إلىٰ الرَّحْبة، إلىٰ هِيتَ، إلىٰ الأنبار . ثم يخرج الفرات عن تحديد الجزيرة و يعطف الحدّ من الأنبار إلىٰ تَكْرِيت، وهى علىٰ نهر دِجْلَةَ، إلىٰ بَالِس، إلىٰ الحَدِيثَةِ علىٰ دجلة إلىٰ المَوْصِلِ . ثم يعطف من الموصل إلىٰ جزيرة آبن عُمَر، إلىٰ آمِد . ثم يصير الحد غربيا ممتدّا بعد أن يتجاوز آمدَ علىٰ حدود إرْمِينِيَة، إلىٰ حدود بلاد الروم، إلىٰ الفُرَاتِ عند مَلَطْيَة من حيث وقع الآبتداء . قال : فعلىٰ هـذا يكون بعض إرْمِينِيَة و بعض الروم غربىّ الجزيرة، و بعض الشام و بعض البادية جنوبيًّا، والعراق شرقيًّا، و بعض

إرْمِينِيَة شماليها . قال فى "تقويم البُلْدان" : وتشتمل الجزيرة على ديار ربيعة وديار مُضَر (يعنى بالضاد المعجمة) وبعض ديار بكر ، وهم القبائل الذين كانوا ينزلونها فى القديم على ما تقدّم ذكره فى الكلام على أحوال العرب فى المقالة الأولى .

قال فى "مسالك الأبصار" : وقد كانت هذه الجزيرة مجموعها مملكة جليلة باقية بذاتها فى الدولة الأتابكية يعنى دولة الأتابك زنكى صاحب المَوْصِل والد نُور الدين الشهيد صاحب دِمَشْق ، وقاعدتها (المَوْصِلُ) . قال فى "اللباب" : بفتح الميم وسكون الواو وكسر الصاد المهملة ولام فى الآخر — وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول سبعٌ وثلاثون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهى على دِجْلَة من الجانب الغربىّ ، ويقابلها من الجانب الشرقىّ مدينة نِيْنَوَى التى بُعث يونس عليه السلام إلى أهلها . وهى الآن خراب . وفى جنوبىّ الموصل مَصَبُّ الزَّابِ الأصغر فى دِجْلَة ، وهى فى مستوٍ من الأرض ، ولها سوران قد خرب بعضهما ، وسورها أكبر من سور دِمَشْق . قال المؤيد صاحب حماة : والعامر منها فى زماننا نحو ثلثيها ، ولها قلعة قد صارت فى جملة الخراب . قال قاضى القضاة ولىّ الدين بن خلدون : وهى قاعدة ملك قديم يُعْرف قديما بمملكة الجَرَامقة ، وكانت قد صارت إلى عماد الدين زنكى : والد نور الدين الشهيد ، ثم آتفق بها الحال إلى أن دخلت فى مملكة التتر من بنى هُولاكُو . قال آبن خرداذبه فى كتابه فى المسالك والممالك : ومن أقام بها سنة ثم ....(١) عقله وجده قد نقص ، وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وذكرها فى "التثقيف" وذكر أنه كان بها الأمير أردبغا قبل أن يحصل عليها من بيرم خواجا ثم أبو القان أويس .

(١) بياض فى الأصل . وآنظر معجم البلدان فانه يؤخذ منه أن من أقام بها سنة تبين فى بدنه فضل قوة .

ثم بها عدّة مُدُن وقلاع مشهورة .

(منها) مَارِدِين . قال فى "اللباب" : بفتح الميم وسكون الألف وكسر الراء والدال المهملتين ثم ياء مثناة من تحتها ونون — وهى قلعة بديار ربيعة من هذه الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال فى "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى على جبل عال، من الأرض إلى ذِرْوَته نحو فرسخين . قال ابن حوقل : وهى قلعة منيعة لايستطاع فتحها عنوة، ويجبلها جواهر الزجاج، وبه حَيَّات تفوق غيرها بسرعة القتل .

واعلم أن ماردين هذه بيد ملوكها من بنى أُرْتُق، لها بيدهم الأَمَدُ الطويل، لم تَزَل أيديهم عنها مذ ملكوها . قال القاضى ولىّ الدين بن خلدون فى "تاريخه" : وأوّل من ملكها منهم ياقوتى بن أُرْتُق بعد السبع والأربعمائة، تملكها من يد مَعْنٍ كان ملكشاه ابن ألب أرسلان السلجوقى أقطعها له ، ثم ملكها بعد ياقوتى المذكور أخوه علىّ، ثم عمه سُقْمان، ثم أخوه إيلغازى، ثم آبنه حُسَام الدين تمرتاش، ثم آبنه قطب الدين ألبى ، ثم آبنه نظام الدين إيلغازى، ثم آبنه حسام الدين بولق أرسلان ، ثم أخوه ناصر الدين أُرْتُق أرسلان بن إيلغازى ، ثم آبنه نجم الدين غازى ، ثم أخوه قرا أرسلان، ثم آبنه شمس الدين داود، ثم أخوه نجم الدين غازى، وتلقب بالمنصور . وهو أوّل من تلقب بألقاب السلطنة منهم ، ثم آبنه شمس الدين صالح وتلقب بالصالح ، ثم آبنه أحمد وتلقب بالمنصور، ثم آبنه محمود وتلقب بالصالح، ثم آبنه فخر الدين داود، وتلقب بالمظفر، ثم آبنه نور الدين عيسى، وتلقب بالظاهر، وهو القائم بملكها إلى الآن، وهو الظاهر عيسى، بن المظفَّر داود، بن الصالح [محمود، بن المنصور أحمد، بن الصالح][1] صالح، بن المنصور غازى، بن المظفر قرا أرسلان، بن المنصور أرتق أرسلان [ابن بولق أرسلان][1] بن إيلغازى، بن ألبى، بن تمرتاش، بن إيلغازى، بن أرتق .

(١) الزيادة عن تاريخ آبن خلدون (ص ٢٢٠ ج ٥) .

ولما ملك هولاكو بغداد وأعمالها كان القائم بملك ماردين يومئذ المُظَفَّر قرا أرسلان فأعطاه الطاعة وخطب له فى جميع أعماله ، وتبعه على ذلك مَنْ بعده من ملوكها إلى حين موت القان أبى سعيد من بقايا الملوك الهولاكوية ، فقطع الخطبة لصاحب بغداد وما معها وخطب لنفسه ، والأمر على ذلك إلى الآن ، وملوكها مُوَادّون لملوك الديار المصرية والمكاتبات بينهم متواصلة .

(ومنها) حِصْنُ كَيْفا . قال فى "تقويم البُلْدان" : بحاء وصاد مهملتين ثم نون ثم كاف وياء مثناة من تحت وفاء وألف — وهى مدينة من الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال فى "الأطوال" : حيث الطولُ أربع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعَرْض سبع وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهى من ديار بكر . قال فى "المشترك" : وهى على دجلة بين جزيرة ابن عمر وبين مَيَّا فَارِقِينَ . قال فى "اللباب" : والنسبة إليها حَصْكَفِىٌّ — بفتح الحاء وسكون الصاد وفتح الكاف وفاء ثم ياء النسب . قال فى "التعريف" : وملكها من بقايا الملوك الأيوبية وممن يَنْظُر إليه ملوك مصر بعين الإجلال ، لمكان ولائهم القديم لهم ، واستمرار الوداد الآن . قال فى "التثقيف" : وأخبرنى المقرّ السيفى منجك كافل الممالك الشريفة أن الملك الناصر محمد بن قلاوون كان يعظم سَلَفَه فإنه كان أستاذ قلاوون والده . قال فى "التعريف" : وكان آخروقت منهم الملك الصالح قصد الأبواب السلطانية . فلما أتى دِمَشْقَ عقبته الأخبارُ بأن أخاه قد ساوَرَ سريرَه ، وقصد بسلطته سلطانه . فكرّ راجعا ولم يُعَقِّبْ ، فما لبثت الأخبار أن جاءت بأنه حين صعد قلعته ، وكَرّ نحوَ سريره رَجْعَتَه ، وثب عليه أخوه المتوثب فقتله وسفكَ دمَه ، ثم أظهر عليه ندمه . وكتب إلى السلطان فأجيب بأجوبة دالة على عدم القبول لأعذاره والسرائر مُكَدَّرَة ، والخواطر بعضها من بعض منفّرة . وذكر فى "التثقيف" أن الذى اتّضح له

آخرا فى رمضان سنة ست وسبعين وسبعمائة أن صاحبها الملكُ الصالح سيف الدين أبو بكر، ٱبن الملك العادل شهاب الدين غازى، ٱبن الملك العادل مجد الدين محمد، ٱبن الملك الكامل سيف الدين أبى بكر، ٱبن الملك الموحد تقىّ الدين عبد الله، ٱبن الملك المعظم سيف الدين توران شاه، ٱبن الملك الصالح نجم الدين أيوب، ٱبن الملك الكامل ناصر الدين محمد، بن العادل أبى بكر بن أيوب . ثم قال : وما يبعد أن الصالح المذكور هو ٱبن عم العادل مجد الدين محمد، وأن العادل غازى لاحقيقة له . ثم قال : وهو غلط لأن المستقر إلى آخر سنة ثنتين وستين وسبعمائة وما بعدها بمدّة هو العادل مجد الدين، وكتبتُ إليه فى هذه المدّة بهذا الآسم واللقب، ولم يبلغنا أنه ٱستقر بعده سوى ولده، ثم نقل أنه الصالح ونقل الناقل أنه ٱبن العادل وهو صحيح لكنه قال : إن ٱسمه شهاب الدين غازى بن العادل مجد الدين وفيه بُعْدٌ: كون الولد يلقب بلقب والده الملوكى . ٱنتهى كلامه .

قلت : والذى أخبرنى به بعض قُصَّاد صاحبها فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة أن الملك القائمَ بها يومئذ ٱسمه سليمان بن داود، وذكر لى لقبه الملوكىّ فنسيته، وذكر أنه يقول الشعر، وأحضر معه بيتا مفردا من نظمه وهو :

وجَارِيَةٍ تُعِـيرُ البَدْرَ نُوراً * وَلَوْلَا نُورُهَا عَادَ الظَّلَامُ !

فنظمت له أبياتا وبعثت بها إليه صحبة قاصده أولها :

سُـلَيْمَانُ الزَّمَانِ بِحِصْنِ كَيْفَا * لَهُ فى المُلْكِ آثَارٌ كِـرَامُ
زَكَا أَصْلاً فَطَابَ الفَرْعُ مِنْهُ * وطَابَ الغُصْنُ إذ طَابَ الكِمَامُ
بَنُو أَيُّوبَ أَبْقَوْا منـه ذُخْرًا * ونِعْمَ الذُّخْرُ والقَيْـلُ الهُمَامُ

وأثبت البيت الذى قاله فى آخر هذه .

(ومنها) حَرّانُ . قال فى "المشترك" : بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وفى آخرها نون بعد الألف ــ وهى مدينة من ديار مُضَرَ من الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أنها حيث الطول ثلاث وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وكانت حَرّانُ مدينةً عظيمة أما اليوم فخراب . قال آبن حوقل : وهى مدينة الصابئين ، وبها سَدَنتهم السبعة عشر ، وبها تلٌّ عليه مصلًّى للصابئين يعظّمونه وينسبونه إلى إبراهيم عليه السلام ، وهى قليلة الماء والشجر . قال فى "العزيزى" : والجبل منها فى سَمْت الجنوب والشرق على فرسخين ، وتربتها حمراء ، وشرب أهلها من قناة تجرى من العيون خارجَ المدينة ومن الآبار ، وحاكمها يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتى فى المكاتبات إن شاء الله تعالى .

(ومنها) شِمْشَاط . قال فى "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وسكون الميم وفتح الشين الثانية ثم ألف فطاء مهملة ــ وهى بلدة من ديار مُضَر ، وقيل من ديار بكر من بلاد الجزيرة من الإقليم الرابع . قال فى "رسم المعمور" حيث الطول آثنتان وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهى بلدة الثُّغور الجزرية بين آمد و بين خَرْتَ بِرْتَ . وقال آبن حوقل : هى بنحر[1] الجزيرة ، وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) حِيزَانُ . قال فى "اللباب" : بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الزاى المعجمة وألف ونون ــ وهى مدينة من ديار بكر من الجزيرة من الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها خمس وستون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهى كثيرة

(١) فى التقويم : هى ثغر .

الأشجار خصوصا شجر البُنْدُق . قال : وهى بين جبال ،ولها مياه سارحة ،وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وذكر فى "التثقيف" أنه كان آسمه فى زمانه عز الدين، ثم آستقر بعده آبنه أسد الدين .

(ومنها) رَأْسُ عَيْن . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الراء المهملة ثم سين وعين مفتوحة مهملتان ومثناة تحت ونون فى الآخر — وتسمّى عين وَرْدة أيضا ، وهى مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة فى مستوٍ من الأرض . قال آبن حوقل : يخرج منها فوق ثلثمائة عين كلُّها صافية ، ويصير من هذه الأعين نهر الخابُور ، ووَهِم السمعانى فجعلها منبع دجلة . قال فى "العزيزى" : وهى أول مُدُن ديار ربيعة من جهة ديار مُضَر ، وذكر السمعانى أنها من ديار بكر،وأنكره آبن الأثير وقال :ليست من ديار بكر[بل هى]من الجزيرة. قال فى "اللباب" : وهى على يومين من حَرَّان والنسبة إليها رَسْعَنِىٌّ ، وإليها ينسب الرَّسْعَنِىُّ المُفَسِّر .

(ومنها) مَيَّافَارِقِينَ . قال فى "اللباب" : بفتح الميم وتشديد المثناة من تحتها وسكون الألفين بينهما فاء مفتوحة وبعدهما راء مهملة ثم قاف وياء آخر الحروف ونون . وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعمور" : حيث الطول خمس وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال آبن سعيد : وهى قاعدة ديار بكر . وقال آبن حوقل : هى بين الجزيرة وبين إرْمِينِيَة . قال فى "اللباب" : وعليها سورُ حَجَرٍ دائرٌ ، وهى دون حماةَ فى القدر ، وهى فى ذيل جبل ، فى شمالِيّها وهى فى ذيله . قال فى "اللباب" : والمياه والبساتين محدقة بها ، ولها نهر صغير على شوط فرس منها ، من عين تسمّى عين حَنْبُوصَ بين الغرب والشمال ، تخرق دُورَها

وتسق بساتينها ، و بينها و بين المَوْصِل علىٰ حِصْن كَيْفا نحو ستة أيام وعلىٰ مارِدِينَ نحو ثمانية أيام، والنسبة إليها فَارِقِيٌّ . قال فى "اللباب" : أسقطوا بعضها لكثرة حروفها، وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قَرْقِيسِيَا . قال فى "تقويم البُلْدان" : المشهور بفتح القاف الأولىٰ وكسر الثانية و بينهما راء مهملة ساكنة ثم ياء آخر الحروف ساكنة ثم سين مهملة ثم ياء ثانية وألف ــ وهى مدينة من ديار مُضَرَ من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول أربع وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة . قال فى "اللباب" : وهى علىٰ الفُرَات والخابور، علىٰ القرب من الرَّقَّة . قال فى "العزيزى" : وهى شرقىَّ الفرات والخابورُ الخارجُ من رأس عين فيصب فى الفرات علىٰ القرب منها . قال : وهى مدينة الزَّبَّاء صاحبة جَذِيمَةَ الأبرش، يعنى التى قتلته . قال فى "اللباب" : وبها مات جَرِيرُ بن عبد الله البَجَلِىّ الصحابىّ رضى الله عنه . قال : والنسبة إليها قَرْقِيسَانِىّ وقد تحذف النون وتجعل الياء عوضها .

(ومنها) مَا كِسِينُ . قال فى "اللباب" : بفتح الميم وسكون الألف وكسر الكاف والسين المهملة وسكون المثناة من تحت ونون فى الآخر ــ وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "اللباب" : وهى علىٰ الخابور . قال فى "العزيزى" : و بينها و بين قَرْقِيسِيَا سبعةُ فراسخ ، و بينها و بين سِنْجار آثنان وعشرون فرسخا .

(ومنها) نَصِيبِينُ . قال فى "اللباب" : بفتح النون وكسر الصاد المهملة وسكون المثناة من تحتها ثم باء موحدة و ياء ثانية ونون ــ وهى مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة من الإقليم الرابع . قال آبن سعيد : وهى قاعدة ديار ربيعة . قال :

وهى مخصوصة بالوَرْد الأبيض لايوجَد فيها وردةٌ حمراء ، وفى شمـاليها جبل عظيم يقال إنه الجُودِىّ الذى آستقرّت عليه سفينةُ نوح عليه السلام، منه ينزل نَهْرُها حتّى يمرّ علىٰ سُورها وعليه بساتينها، ونهرها يسمّى الهِرْماس، وبها عقاربُ قتّالة .

(ومنها) جزيرة آبن عُمَر – وضبطها معروف – وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" : حيث الطولُ ست وستون درجة وعشر دقائق ، والعرضُ سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقـة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مدينة صـغيرة علىٰ دجلة من غربيها ذاتُ بساتين كثيرة . وقال فى "المشترك" : هى فى شمالىّ الموصل ودجلة محيطة بها مثل الهلال ، وبها حاكم يكاتَب عن الأبوابِ السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) سِنْجَارُ . قال فى "اللبـاب" : بكسر السين المهـملة وسكون النون وفتح الجيم وألف وراء مهملة – وهى مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أنها حيث الطول ست وستون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال آبن سـعيد : وهى فى جَنُوبىّ نَصِيبِينَ – وهى من أحسن المُدُن وجَبَلُهـا من أخصب الجبـال . قال آبن حوقل : وهى فى وسط بَرِّيَّة ديار ربيعـة بالقرب من الجبـل والجبلُ فى عاليها، وليس بالجزيرة بلد فيـه نخيل سواها . وهى فى جهة الغرب عن المَوْصِـلِ علىٰ ثلاث مراحل عنها ؛ وهى علىٰ قدر المَعَرَّة من البلاد الشامية ؛ ولهـا قلعة و بساتين كثيرة؛ وشربها من القُنِىّ؛ وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) تَلُّ أَعْفَرَ – وضبط التل معروف، وأَعْفَر بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وفتح الفاء وراء مهـملة فى الآخر – وهى من الجزيرة من الإقليم الرابع من

الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "المشترك" : وتَلُّ أَعْفَر قلعةٌ بين سِنْجَار وبين المَوْصِل . وذكر فى "تقويم البُلْدان" عن بعض أهلها أنها غربىّ المَوْصِل فيما بينها وبين سِنْجَار ، وربما تكون إلى سِنْجَار أقربَ . وذكر فى "العزيزى" أن بينها وبين سِنْجَارَ خمسةَ فراسخ ، ولها أشجار كثيرة ؛ وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) الحَدِيثَةُ . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين ثم مثناة من تحت وثاء مثلثة وهاء فى الآخر وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى فى وَسَط الفُرَات والماء محيطٌ بها ، وتعرف بحديثة النُّورة . وهى غير حديثة المَوْصِل : بليدة صغيرة إلا أن لها ذكرا فى القديم . قال فى "المشترك" : وهى على فراسخَ من الأنبار ، وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) عَانَة . قال فى "اللباب" : بفتح العين المهملة وألف ونون وهاء فى الآخر — وهى بلدة من بلاد الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ست وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعَرْض أربع وثلاثون درجة . وهى بلدة صغيرة على جزيرة فى وَسَط الفرات . قال فى "اللباب" : وهى تقارب الحَدِيثَة . وقال آبن حوقل : يطوف بها خليج من الفرات . قال آبن سعيد : وخَمْرها مذكور فى الأشعار ، وآستشهد بقول بعض الشعراء :

* وَمِنْ عَانَةٍ أَمْ مِنْ مَرَاشِفِكِ الْخَمْرُ؟ *

وكثيرا ما تُقرن فى الذكر مع الحديثة لقربها فيقال عانةُ والحَدِيثة ، وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) آمِدُ . قال فى "اللباب" : بمدّ الألف وكسر الميم وفى آخرها دال مهملة . وهى مدينة من ديار بكر، من الجزيرة، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال فى "الأطوال" حيث الطولُ سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرضُ سبع وثلاثون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مدينة أَزَلِيَّة على الدجلة . قال ابن حوقل : وعليها سُورٌ فى غاية الحَصَانة . قال فى "العزيزى" : وسُورها من الحجارة السُود التى لا يَعْمل فيها الحديد، ولا تضرُّبها النار، وهو مشتمل عليها وعلى عيون ماء، ولها بساتين ومزارع كثيرة . قال ابن حوقل : وهى كثيرة الخصْب .

(ومنها) سِعِرْتُ . قال فى "تقويم البُلْدان" نقلا عن صالح : بكسر السين والعين وسكون الراء المهملات وفى آخرها مثناة من فوقُ ، وقيل إِسْعِرْد بكسر الهمزة وسكون السين وكسر العين وسكون الراء المهملات ودال مهملة فى الآخر ـ وهى مدينة من ديار ربيعة، من الجزيرة، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مبنية على جبل تحيط بها الوَطَاة، على القرب من شَطّ دجلة من جهة الشَّمال والشرق ، وهى فى المقدار أكبر من المَعَرّة ، وبها الأشجار الكثيرة من التين والرمّان والكروم، جميع ذلك عِذْىٌ لا يُسقَى ، وشرب أهلها من بئار قريبةٍ من وجه الأرض ، وهى عن مَيَّافَارِقِين على مسيرة يوم ونصف فى جهة الجنوب ، وعن آمِدَ على مسيرة أربعة أيام فى جهة الشَّمال منها ، وعن المَوْصل على خمسة أيام فى جهة الشرق والشمال عنها .

(ومنها) تِكْرِيتُ . قال فى "اللباب" : بكسر[1] المثناة من فوق وسكون الكاف وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة من تحت فى آخرها تاء مثناة من فوقُ ـ وهى مدينة

(١) ضبطها المجد بالفتح وكذا ياقوت وقال : وكسرها العامة .

من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" : حيث الطول تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وآثنتا عشرة دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى آخر مُدُن الجزيرة مما يلى العراق علىٰ غربىّ دِجْلَةَ فى برّ المَوْصِلِ . قال فى "اللباب" : وسميت تِكْرِيتُ بِتَكْرِيتَ بنت وائل أخت بكر بن وائل .

أما قلعتها فبناها سابور بن أردشير بن بَابَك ،وهى الآن خراب . قال آبن سعيد : وفى جنوبيها وشرقيها النهر الإسحاقىّ ، حفره إسحاق بن إبراهيم صاحب شُرْطَةِ المتوكل ، وهو أوّل حدود سَوَاد العراق ، وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) بَرْقَعِيدُ ـ بفتح الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح القاف وكسر العين المهملة وسكون المثناة من تحتها ودال مهملة فى الآخر . قال فى "العزيزىّ" : وهى [مدينة] لها سور وأسواق كثيرة .

(ومنها) العِمَادِيَّة ـ بكسر العين المهملة وفتح الميم وبعدها ألف ثم دال مهملة مكسورة وياء مثناة تحت مشدّدة مفتوحة وهاء فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى قلعة عامرة علىٰ ثلاث مراحل من المَوْصِلِ فى الشرق والشمال ، وهى علىٰ جبل من الصخر ، وتحتها مياهٌ جارية وبساتينُ ،وهى فى جهة الشَّمال عن إرْبِل ، بناها عماد الدين زنكى صاحب المَوْصِلِ فنسبت إليه ؛ وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قلعة كُشَاف . قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم الكاف وبالشين المعجمة ثم ألف وفاء فى الآخر ـ وهى قلعة عامرة بين الزَّاب والشَّطِّ ، قريبة من مصبه فى الشط [وهى فى الشرق] والجنوب عن الموصل . قلت : وقد ذكرها فى "تقويم البلدان" أوّلا

فى جملة بلاد الجزيرة ووصفها بهذا الوصف ولم يضبطها ، ثم ذكرها فى بلاد الجبل المعروفة بعراق العجم بهذا الوصـف أيضا وضَبَطها على ما تقدّم ، والظاهر أنها من بلاد الجزيرة ، وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قلعة فَنَك . قال فى "تقويم البُلْدان" : نقلا عن أبى المجد فى "كتاب التمييز" : بفتح الفاء والنون ـ وهى قلعة حصينة فُوَيق جزيرة ٱبن عمر .

(ومنها) الشُّوش . قال فى "المشـترك" : بضم الشـين المعجمة وسكون الواو ثم شين ثانية . قال : وهى قلعة مشهورة من أعمـال المَوْصِل فى الجبال شرقىّ دجلة ، وإليها ينسب حب الرمّان الشُّوشِىّ .

(ومنها) عَقْرُ الحُمَيْدية . قال فى "المشـترك" : بفتح العين المهملة وسكون القاف ثم راء مهملة ـ وهى قلعـة حصينة مشهورة ، والحُمَيْدِيَّة قبيـلة من الأكراد بتلك البلاد .

(ومنها) الهَتَّاخُ . قال فى "مُزِيل الٱرتياب" : بفتح الهـاء وتشديد التاء المثناة من فوقهـا وفتحها وبعـد الألف خاء معجمة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى قلعة حصينة .

(ومنها) حَانِى . قال فى "اللباب" : على وزن داعى ، يعنى بفتح الحاء المهملة وبعـدها ألف ثم نون مكسورة وياء مثناة تحت فى الآخر . قال : هذا ما تُعْرَف به الآن ، ولكن السـمعانىّ قد قال فيها حَنَا ، بفتح الحاء المهملة والنون ؛ وهى مدينة من ديار بكر من الجزيرة [من الإقليم الرابع] من الأقاليم السبعة ، وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية معدود فى الأكراد .

وٱعلم أن هـذه الجزيرة مجاورة لمملكة الديار المصرية من حيث ٱتصالُهـا بالبلاد الشاميـة من الجهة الشرقية ، وقد تقـدّم أن بعض بلادها داخلة فى أعمـال حَلَب

من ممالك الديار المصرية كالرُّهَا وقلعة جَعْبَر وما والاهما، والمسافة ما بين حلب والرُّهَا معلومة ؛ ومن الرُّهَا إلى حَرّان يوم واحد؛ ومن حَرّان إلى رأس عين ثلاثة أيام ، ومن رأس عين إلى نَصِيبِين ثلاث مراحل؛ ومن نَصِيبِينَ الى المَوْصِلِ أربع مراحل . وقد تقدّم أن المَوْصِلَ هى قاعدة الجزيرة فى القديم، ومن الموصل إلى تَكْرِيتَ سبعة أيام، وقد تقدّم أن تكريت هى آخر مُدُن الجزيرة مما يلى العراق ، ومن الموصل أيضا إلى آمِدَ أربعة أيام؛ ومن آمِدَ إلى شِمْشَاط ثلاثة أيام .

الإقليم الثانى
(العِـرَاقُ)

قال فى " اللباب " : بكسر العين وفتح الراء المهملتين ثم ألف وقاف . قال الجوهرى : وهو يذكَّر ويؤنَّث . قال أبو المجد إسماعيل الموصلى فى كتابه المسمّى " بالتمييز والفصل " : وإنما سمى عراقا لأنه سَفَل عن نَجْد ودَنَا من البحر، أخذا من عِراق القِرْبة، وهو الخَرْز الذى فى أسفلها؛ ويعرف بعراق العرب لأن العرب كانت تنزله لقربه من بلادهم . قال فى " تقويم البُلْدان " : ويحيط به من جهة الغرب الجزيرة والبادية، ومن الجنوب البادية وبحر فارس وحدود خُوزِستان؛ ومن الشرق حدود بلاد الجبال إلى حُلْوان؛ ومن الشَّمال من حلوان إلى الجزيرة من حيث وقع الابتداء .

قال : والعراق على ضَفَّتى دجلة مثل مابلاد مصر على ضَفَّتى النيل ، ويجرى دجلة من الشمال بميلة إلى الغرب، إلى الجنوب بميلة إلى الشرق، وامتداد العراق طولا وشمالا وجنوبا من الحَدِيثَةِ على دجلة إلى عَبَّادَانَ على مصبّ دجلة فى بحر فارس، وامتداده غربا وشرقا من القادسيَّة إلى حُلْوان . فالحَدِيثة فى وسط الحد الشمالىّ

بميـلة إلى الغَرْب، والقادسِـيَّة فى وسط الحدّ الغربىّ بمِيْلة إلى الجنوب، وعَبَّادَانُ فى وسط الحدّ الجنوبىّ بميـلة إلى الشرق، وحُلْوَانُ فى وسط الحدّ الشرقىّ بميلة إلى الشَّمال، ووســط العراق الذى من القادسية إلى حلوان هو أعرض ما فى العراق. وأمّا رأس العراق الذى عنـد عَبَّادَانَ، فيَدِق عن ذلك. ثم قال: والذى يستدير على العراق – يعنى والعراق على شمـاله – إذا ٱبتدأ من تَكْرِيت من بلاد الجزيرة المتقدّمة، يمر منها إلى حدود شَهْرَزُورَ، وهى بين الشرق والشمال عن العراق، ثم إلى السِّــيْرَوَان، وهى فى الشرق، إلى حدود جُبًّا، وهى فى الشرق والجنوب، ثم إلى البحر يعنى بحر فارس، وهو فى الجنوب عن العراق. وفى هـذا الحدّ من تكريت إلى البحر تقويسٌ، ثم من البحر إلى البَصْرَة، وهى فى الجنوب عن العراق، ثم من البصرة إلى البـادية على سَوَاد البصرة، ثم إلى بَطَائح البصرة، ثم إلى واسط، ثم إلى سَوَاد الكُوفة وبطائحها، ثم على ظهر الفرات إلى الأنبار، ثم من الأنبار إلى تَكْرِيتَ حيث وقع الابتداء.

ثم للمدن(١) قواعد ومدن.

القـاعدة الأولى

(بابِـــل)

بفتح الباء الموحدة ثم ألف وباء موحدة ثانيـة مكسورة ولام فى الآخر – وهى مدينة واقعـة فى الإقليم الثالث. قال فى "الأطوال" حيث الطول سبعون درجة، والعرض ٱثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة. قال ٱبن حوقل: وهى أقدم أبنية العِراق، وإليها ينسب إقليم بابل لقِدَمها، وكانت ملوك الكَنْعَانِيِّين

(١) لعل الصواب "ثم للعراق قواعد ومدن".

وغيرهم يقيمون بها . قال فى "تقويم البُلْدان" : وبها آثار أبنية أحْسَبها أن تكون فى قديم الأيام مصرا عظيما، ويقال إنها من بناء الضحَّاك : أحد ملوك الفرس الذى ملك الأقاليم السبعة . قال : وفيها أُلْقِىَ إبراهيم الخليل عليه السلام فى النار، وقد أخبر الله تعالىٰ فى كتابه العزيز أن بها هَارُوتَ ومَارُوتَ الملَكَيْن اللذين يعلمان الناسَ السِّحر، ويقال إنهما بها فى بِئْر وإن البئر ظاهرة بها إلى الآن . قال صاحب حماة : وهى اليوم مدينة خراب، وقد صار فى موضعها قرية صغيرة .

القاعدة الثانية

(المَدَائن)

جمع مدينة وضبطُها معروف . قال فى "تقويم البُلْدان" : وآسمها بالفارسية طَيْسَفُونُ ـ بفتح الطاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح السين المهملة وضم الفاء وبعدها واو ونون ـ ثم قال : وكل ذلك سماعا وقد تبدل الفاء باء . وهى واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبعون درجة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وعشر دقائق . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى علىٰ دجلة من شرقيها تحت بغداد علىٰ مرحلة منها . قال فى "العزيزى" : والمدائن فى جنوبىّ بغداد، وكان بالمدينة الكبرىٰ منها إيوانُ كِسْرىٰ فى شرقىّ دجلة آرتفاعه ثمانون ذراعا . ونقل فى "تقويم البُلْدان" عن بعض الثقات فى سَعَته من ركنه إلىٰ ركنه خمسة وتسعون ذراعا . وكانت هى قاعدة ملوك الفرس ، فلما وُلِد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، آنشق هذا الإيوان ثم خرب هو وسائر المدائن فى الإسلام .

القـاعدة الثـالثة
(بَغْـدَاذ)

قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وفتح الدال المهملة وفى آخرها ذال معجمة . وموقعها فى آخر الإقليم الثـالث . قال فى "القانون" : حيث الطول سبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وسميت بغداذ بهـذا الأسم لأن كسرىٰ أُهْدِى إليـه خَصِىٌّ من المشرق فأقطعه بغداذ ، وكان له صنم يعبده بالمشرق يقال له البَغْ فقال ذلك الخصى بغ داذ يعنى أعطانى الصنمُ ، وكان عبد الله بن المبـارك يكره أن يقال لهـا بغداذ بالذال المعجمة فى آخرها ، فإن بغ شيطان وداذ عطية فمعناه عطية الشيطان وهو شرك . قال : وإنما يقال بغداد بالدالين المهملتين . وقد قال بعضهم : إن بغ بالفارسية البُستان وداذ بإهمال الأولىٰ وإعجام الثانية آسم رجل ومعناه بستان داذ، ويقال فيها أيضا بَغْدان بإبدال الدال الأخيرة نونا ، ومَغْدان بابدال الباء الأولىٰ ميما . وكان المنصور يسميها مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادى السَّلام . وبغداذ علىٰ جانبى دجلة من الشرق والغرب ، والجانب الغربىّ منها يسمّى الكَرْخ ، وبه كان سكنىٰ أبى جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العبـاس ، والجانب الشرقىّ منها بناه المهدىّ بن المنصور المقدّم ذكره وسكنه بعسكره فسمى عَسْكر المهدى ، ثم بنىٰ فيه الرشيدُ بن المهدى قصرا سماه الرُّصَافَة فأطلق علىٰ الجانب كله الرُّصَافة ، ويسمّى جانب الطاق أيضا نسبة إلىٰ رأس الطاق ، وهو موضـع السوق الأعظم منهـا . وبهـذا الجانب مَحَلّةٌ تسمّى (الحَرِيمَ) يعنى حريم دار الخلافة . قال فى "المشترك" : بفتح الحـاء وكسر الراء المهملتين ثم مثناة من تحتها ساكنة وفى آخره ميم . قال : وهى قريب من ثلث الجانب الشرقىّ ، وعليه سور آبتداؤه من دجلة وآنتهاؤه إليها أيضا

كهيئة الهلال أو كنصف دائرة، وله أبواب أولها باب الغَرْبة، وهو علىٰ دجلة، ثم يليه باب سوق التمر، وهو باب شاهق ولكنه أُغْلِق فى خلافة الناصر لدين الله، ثم آستمرّ غَلْقه، ثم باب البَدْرِيّة، ثم باب النُّوبى . وفيه العَتَبة التى كانت تقبلها الملوك والرُّسُل، ثم باب العامّة، ويقال له أيضا باب عَمُّورِيّة . ثم يمتد السور نحو ميل لا باب فيه إلا باب بستان تحت المنظرة التى تنحر تحتها الضحايا، ثم باب المراتب بينه وبين دجلة نحو رميتَىْ سهم .

وبهذا الحريم محالٌّ وأسواق ودُور كثيرة للرعيَّة وهو كأكبر مدينة تكون. قال : وبين دُور الرعيَّة التى داخلَ هذا السُّور وبين دجلة سورٌ آخر، وداخل السور الثانى دُورُ الخلافة لا يدخلها شىء من دور العامّة . قال فى "مسالك الأبصار" : وبين الجانبين جِسْران منصوبان علىٰ دجلة شرقا بغرب علىٰ سُفُن وزوارقَ أوقفت فى الماء ومدّت بينها السلاسل الحديد المكعبة بالمكعبات الثقال، وفوقها الخشب الممدود، وعليها التراب يمُرُّ عليها أهل كل جانب إلىٰ الآخر بالحمر والجمال والحمول ؛ وعلىٰ ضَفَّتَىْ دجلة قُصور الخلافة والمدارسُ والأبنيةُ العلية بالشبابيك والطاقات المطلة علىٰ دجلة، وبناؤها بالآجُرّ .

ومن بيوتها ماهو مفروش بالآجُرّ أيضا ملصق بالقِير وهو الزِّفْتُ، ولهم الصنائع العجيبة فى التزويق بالآجُرّ، وبها وجوه الخير من الجوامع والمساجد والمدارس والخَوانق والرُّبُط والبيمارستانات والصدقاتِ الجارية ووجوه المَعُونة، وناهيك أنها كانت دار الخلافة ومقرّ ملوك الأرض . ومنها قلائد الأعناق، وترابها لَمَى القُبَل وإثمدُ الأحداق .

قال فى "مسالك الأبصار" : قال الحكيم نظام الدين بن الطيارى : وأوقافها جارية فى مجاريها، لم تعترضها أيدى العُدْوان فى دولة هُولاكُو ولا فيما بعدها، بل

كل وقف مستمرٌ بيد متوليه، ومَن له الولاية عليه، وإنما نقصت الأوقاف من سوء وُلاة أمورها لا من سواها. وبها البساتين الموقّه، والحدائق المحدقه، وبها ثمر النخل المفضلة على ما سواها من الرطب والتّمر، وبها أنواع الرّياحين والخَضْراوات والغِلال، وسعرها متوسط فى الغالب لا يكاد يَرْخُص. قال المقر الشهابى بن فضل الله: سألت الصدر مجدَ الدين بن الدورى عن السبب فى قلة الغِلال ببلاد العراق مع امتداد سَوَادها، فقال: قلة الزرع مع ما استهلكه القتل زمن هولاكو وحيزه[1] للعراق وما جاوره من البلاد.

قلت: وبغداد وإن كانت أمَّ الممالك ودار الخلافة، فقد أغفل ملوك التتر الالتفات إليها، وصرفوا عنايتهم إلى تِبْرِيز والسُّلطانية وصيروهما قاعدتين لهذه المملكة على ما سيأتى ذكره فى الكلام على إقليم أَذْرَبِيجَانَ فيما بعد إن شاء الله تعالى.

القـاعدة الرابعــة

(سُرَّ مَنْ رأى)

من السرور والرؤية، ثم خففها الناس فقالوا سَامَرًّا. قال فى "اللباب": بفتح السين المهملة وسكون الألف وفتح الميم وفى آخرها راء مهملة مشدّدة — وهى مدينة واقعة فى الإقليم الرابع. قال فى "القانون" حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة. قال فى "العزيزى": وهى على شاطئ الدجلة من الشرق. قال ابن سعيد: بناها المُعْتَصِمُ، وأضاف إليها الواثقُ المدينةَ الهارونيَّة، والمتوكلُ المدينة الجعفريَّةَ فعظم قدرها. قال فى "اللباب": ثم خربت عن قريب من عمارتها. قال فى "العزيزى": ولم يبق فيها عامر سوى مقدار يسير كالقَرْية.

---

(١) بمعنى حوزه وامتلاكه، لغة نقلها الفيومى فى مصباحه.

وأما المُدُن التى بالعراق :

(فمنها) هِيتُ . قال فى "المشترك" : بكسر الهاء وسكون المثناة تحتُ وتاء مثناة من فوق فى الآخر – وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وستون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى "العزيزى" : وهى من حدود العِراق . قال ابن سعيد : وإليها ينتهى حد الجزيرة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى على شمالىّ الفرات ، ووَهِم فى "العزيزى" بجعلها غربىّ الفرات . قال فى "المشترك" : وهى من أعمال بغداذ . قال فى "اللباب" : وهى فوق الأنبار. قال صاحب "التهذيب" : وسُمِّيت هيت لكونها فى هُوَّة من الأرض . قال فى "اللباب" : وبها قبر عبد الله بن المبارك رحمه الله ؛ وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) حِيرَةُ . قال فى "اللباب" : بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت وراء مهملة وهاء فى الآخر – وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . [والحيرة مدينة جاهلية كثيرة الأنهار، وهى عن الكُوفة على نحو فرسخ . وقال فى "العزيزى" : مدينة قديمة على ثلاثة أميال من الكوفة ؛ وكانت منازلَ آل النُّعمان بن المنذر، وبها تنصر المنذر بن امرئ القيس و بنى بها الكنائس العظيمة . والحِيرة على موضع يقال له النَّجَف ، زعم الأوائل أن بحر فارس كان يتصلُ به ؛ و بينهما اليوم مسافة بعيدة . قال فى "اللباب" : والحيرة مدينة قديمة عند الكوفة، وبها الخَوَرْنق . قال فى "الترتيب" : إن تُبَّعا لما سار من اليمن إلى خُراسان وانتهى إلى موضعها ليلا فتحير ونزل وأمر ببنائها فسميت الحيرة .

(ومنها) الأنبار . قال فى "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون النون ثم باء موحدة مفتوحة وراء مهملة بعد الألف — وهى من آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . طولها تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثمان وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال فى "المشترك" : والأنبار عن بغداد[1]] على عشر فراسخ منها . قال فى "المشترك" : وهى من نواحى بغداد على شاطئ الفُرات . قال ابن حوقل : وهى أوّل بلاد العراق ، وبها كان مُقَام السَّفَّاح : أوّل خلفاء بنى العباس حتّى مات ، ويقال إن أوّل ما نقلت الكتابة العربية إلى مكة من الأنبار على ما تقدّم فى المقالة الأولى فى الكلام على الخط .

(ومنها) الكُوفَة . قال فى "اللباب" : بضم الكاف وسكون الواو ثم فاء وهاء — وهى مدينة إسلامية بُنِيت فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، واقعةٌ فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعمور" حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهى على ذِرَاع[2] من الفرات خارج منه جهة الجنوب والمغرب . قال فى "الترتيب" : وسميت كُوفة لاستدارتها ، أخذا من قول العرب رأيت كُوفانا إذا رأوا رملة مستديرة ، وقيل لاجتماع الناس ، أخذا من قولهم تكوّف الرملُ إذا ركب بعضه بعضا . وهى واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعمور" حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال فى "العزيزى" : وهى قدرُ نصف بَغْدَاذ ، وعلى القرب منها مشهد أمير المؤمنين على كرم الله وجهه حيث دُفِن ، يقصده الناس من أقطار الأرض .

(١) وقع فى الأصل سقط من الناسخ فى أثناء الكلام على الحيرة والأنبار . وقد استوفيناه من كتاب تقويم البلدان ، وأثبتناه بين دائرتين مربعتين هكذا [ ] .

(٢) فى معجم البلدان "شعبة" وهى المراد بالذراع .

(ومنها) البَصْرَةُ . قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد وفتح الراء المهملتين ـ وهى مدينة إسلامية بنيت فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيضا ، واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطول أربع وستون[(١)] درجة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة ، وسميت بالبَصْرة أخذا من البَصْرَة ، وهى الحجارة السود ، وفى جنوبيها وغربيها البَرِّيَّةُ ، وليس فى بَرِّيَّتها ماء ، يزرع على المطر . قال فى "المشترك" : و بالبصرة مَحَلَّةٌ يقال لها المِرْبَدُ ـ بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الباء الموحدة ثم دال مهملة ـ وهى محلة عظيمة من جهة البرِّيَّة كانت العرب تجتمع فيها من الأقطار و يتناشدون الأشعار و يبيعون و يشترون .

(ومنها) وَاسِطُ . قال السمعانىّ فى "الأنساب" : بفتح الواو وسكون الألف وكسر السين المهملة وطاء فى الآخر ـ وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض آثنتان وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : سميت واسط لتوسطها بين مُدُن العراق إذ منها إلى البَصْرَة خمسون فرسخا ، ومنها إلى الكُوفة خمسون فرسخا ، ومنها إلى الأهواز خمسون فرسخا ، ومنها إلى بغداذ خمسون فرسخا . وهى نصفان على جانبى دجلة بينهما جِسْرٌ من السُّفُن كما تقدّم فى بغداذ . قال فى "المشترك" : وهى من بناء الحَجّاج آختطها بين الكوفة والبصرة فى سنة أربع وسبعين من الهجرة ، وفرغ منها فى سنة ست وسبعين .

(ومنها) حُلْوانَ . قال فى "المشترك" : بضم الحاء المهملة وسكون اللام . قال فى "اللباب" ثم ألف وواو ونون ـ وهى مدينة من أوّل الإقليم الرابع . قال فى "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة ، والعرض أربع وثلاثون

(١) فى تقويم البلدان ومعجم البلدان : أربع وسبعون .

درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى آخر مُدُن العراق، ومنها يُصْعَد إلى الجبال، وقيل هى من الجبـال، وليس بالعراق مدينة بالقرب من الجبـل غيرها . قال آبن حوقل : وبها شجر النخل والتين الموصوف، وأكثر ثمارها التين، والثلج يسقط على جبلها دائمـا، وهو منها على مرحلة، وبينها وبين بغداذ خمس مراحل .

(ومنها) الحِلَّة . قال فى "المشترك" : بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام ـ وهى واقعة فى الإقليم الثـالث . قال فى "تقويم البُلْدان" حيث الطول ثمـان وسـتون درجة، والعرض آثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ياقوت الحموى : وتعرف بحلَّة بنى مَزْيَد . وأوّل من آختط بها المنازل وعَمَرَها سيفُ الدولة صدقةُ بن دُبَيْس بن علىّ بن مَزْيَد الأسدىّ فى سنة خمس وتسعين وأربعمائة، وكان موضعها قبل ذلك يسمَّى بالجامعين .

(ومنها) النَّهْرَوَانُ . قال فى "اللبـاب" : بفتح النون وسكون الهـاء وضم الراء المهملة وفتح الواو وبعد الألف نون . وهى مدينة فى آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة على صَفَّتَىْ نهر . قال فى "الأطوال" حيث الطول سـبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال آبن حوقل : النَّهْرَوان آسم للمدينة والنهرِ الذى يشقها، وهى مدينة صـغيرة على أربعـة فراسخ من بغداذ . قال فى "اللبـاب" : ولهـا عدّة [نوَاحٍ] خرب أكثرها . وقال السمعانىّ فى "الأنساب" : هى على أربعة فراسخ من دجلة، والنَّهْرَوان هـذه هى التى آنحاز إليها الخوارج عند فراقهم لعلىّ بعـد وقعة صِفِّينَ على ما تقدّم ذكره فى الكلام على النِّحَلِ والمِلَلِ فى المقالة الأولى .

(ومنها) الأُبُلَّة . قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم الهمزة والبـاء الموحدة وتشديد اللام وهاء فى الآخر ـ وهى مدينة فى فُوَّهَتها نهر طوله اربعة فراسخ بينها وبين البصرة

علىٰ جانبيه قصور و بساتين ومُدُن علىٰ خط واحد كأنها بُستان واحد ، وهو أحد متنزَّهات الدنيا .

(ومنها) القادِسيَّة — بفتح القاف ثم ألف ودال مهملة مكسورة و ياء مثناة من تحت ثم هاء . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمانٍ وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة، والعرض إحدىٰ وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وهى مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه ، وهى علىٰ حَافَةِ البادية وحَافَةِ سَوَاد العراق ، البادية من جهة الغرب والسواد من جهة الشرق . قال فى "المشترك" : وبينها و بين الكُوفة خمسة عشر فرسخا فى طريق الحاج . قال فى "تقويم البُلْدان" : وسميت القادسية لنزول أهل قادس بها، وقادِسُ قرية بمَرْو الرُّوذ، وعليها كانت الوقعة المعروفة بوقعة القادِسيَّة .

(ومنها) عَبَّادَانُ — بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة ثم دال مهملة بين ألفين وفى آخرها نون — وهى بلدة من آخر العراق من الإقليم الثالث . قال فى "الزيج" : حيث الطولُ خمس وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة، والعرض إحدىٰ وثلاثون درجة . قال ابن سعيد : وعَبَّادَانُ علىٰ بحر فارس، وهو محيط بها لا يبقىٰ منها فى البر إلا القليل، وعندها مَصَبُّ دِجْلَةَ فى جنوبىِّ عَبَّادَانَ وشرقيها ، وهى عن البصرة علىٰ مرحلة ونصف ، وفى جنوبيها وشرقيها علاماتٌ للمراكب بحر فارس لا تتجاوزها المراكب ، وهى خُشُبٌ منصوبة حيث يكون البَحْر عند الجَزْر فى بعض البحر . قال فى "العزيزىّ" : فى طريق العراق من الغرب القادسيةُ وهِيتُ ، ومن الشرق حُلْوَانُ، ومن الشَّمال سُرَّ مَنْ رَأىٰ، ومن الجنوب الأُبُلَّةُ .

الإقليم الثالث
(خُوزُسْتَانُ والأَهْوَاز)

بضم الخاء وسكون الواو وضم الزاى المعجمة وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة فوقُ وألف ثم نون . قال فى "المشترك" : ويقال لها أيضا الخُوزُ بضم الخاء المعجمة ثم واو وزاى معجمة . قال : وخُوزُسْتانُ إقليم واسع بين البصرة وفارس يشتمل على مُدُن كثيرة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والذى يُحيط به من الغرب رُسْتاقُ واسطَ ودُور الراسبىّ ، ومن جهة الجَنوب من عَبَّادان على البحر إلى مَهْرُوبانَ ، إلى الدَّوْرَق ، إلى حدود فارس ؛ ومن الجهة الشرقية التى إلى جهة الجنوب حدودُ فارس ؛ ومن الجهة الشرقيـة التى إلى جهة الشَّمال حدود أصفَهان وبلاد الجبل ؛ ومن جهة الشَّمال حدودُ الصَّيْمَر ، والكرجة ، وجبال اللُّور ، وبلاد الجَبَل إلى أصفَهان . قال : وخُوزُستان فى مستوٍ من الأرض ليس بها جبال ، وهى كثيرة المياه الجارية ، وتجتمع مياهه وتعرُض وتتصل ببحر فارس عند حصن مَهْدِىّ .

وقاعدتها على ماذكره صاحب حماة فى "تاريخه" (تُسْتَر) . قال فى "اللباب" : بضم المثناة من فوق وسكون السين المهملة وفتح التاء الثانية وفى آخرها راء مهملة ، والعامة تسميها شُشْتر بإبدال التاء الأولى شينا — وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث. قال فى "القانون" حيث الطولُ خمس وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعَرْض إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وجعلها فى "تقويم البُلْدان" من الأهواز ، ولها نهر معروف بها ؛ بنى فيه سابور : أحد ملوك الفرس بناء عظيما حتّى ارتفع الماء إلى المدينة ، على مرتفع من الأرض ؛ ويقال إنه ليس على وجه الأرض مدينة أقدمُ منها . قال فى "اللباب" : وبها قبر البَرَاء بن مالك الصحابىّ رضى الله عنه .

وقد ذكر فى "تقويم البُلْدان" : بخوزستان عدّة مُدُن .

(منها) السُّوسُ . قال فى "المشترك" : بضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية . قال أبو الرَّيْحان : وهى بالفارسية معجمة . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" حيث الطولُ ثلاث وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرض آثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى بلدة قديمة ، قال : وبها قبر دانِيَالَ النبىّ عليه السلام . قال فى "تقويم البُلْدان" : ولها بساتين وفيها تُرُنْجٌ كالأصابع .

(ومنها) الطِّيبُ . قال فى "المشترك" : بكسر الطاء المهملة وسكون المثناة من تحتها وفى آخرها باء موحدة، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى بلدة بين واسِطَ و بين الأَهْواز . ثم قال : وفيها عجائبُ ولم يذكر ما هى ؛ وإلى الطِّيبِ هذه ينسبُ الطِّيبِىُّ صاحبُ الحواشى على "كَشَّاف الزمخشرىّ" .

(ومنها) جُبَّى[1] . قال فى "المشترك" : بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وياء آخر الحروف فى الآخر ـ وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم العُرْفية . قال فى "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى كثيرة النخل . قال : وإليها ينسب أبو علىّ الجُبَّائى[2] المعتزلىّ .

(ومنها) مَهْرُوبَانُ . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الميم وسكون الهاء وضم الراء المهملة وسكون الواو ثم باء موحدة وألف ونون . وعدّها آبن حوقل وآبن

(١) فى معجم البلدان "بالضم ثم التشديد والقصر" .

(٢) أى على غير قياس والقياس جُبّوِىّ .

سعيد من فارس؛ وهى مدينة من فَارِسَ صغيرة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة . وهى فرضة أَرْجَانَ وما والاها . قال فى "العزيزى" : وهى على البحر .

(ومنها) أَرْجانُ . قال فى "اللباب" : بفتح الألف وسكون الراء المهملة وفتح الجيم وفى آخرها نون بعد الألف . وقال آبن الجواليقى فى المُعَرَّب من العجمية للعربية : إنها بتشديد الراء . وقال آبن حوقل : هى من آخر فارس من جهة خُوزُستان . وقال فى "العزيزى" : هى أوّل مُدُن فارس – وهى مدينة كبيرة كثيرة الخير، وبها النخل والزيتون بكثرة، بَرِّيَّةٌ بحرية، سُهْلِيَّة جَبَلِيَّة، على مرحلة من البحر. قال فى "العزيزى" : وهى مدينة جليلة لها كورة وأعمال نفيسة؛ وإليها ينسب القاضى الأَرَّجانِىّ الأديب الشاعر .

⁂

وأما الأهواز . فقال فى "اللباب" : هى بفتح الألف وسكون الهاء وفى آخرها زاى معجمة . وهى كورة من كُوَر خُوزُستان المقدّم ذكرها كما ذكره فى "تقويم البُلْدان" وإن كان قد ذكر فى أوّل الكلام على إقليم فارس أن خُوزُستان هى الأهواز إلا أنها غلب ذكرها فصارت كالإقليم المنفرد بذاته .

ولها عدّة مُدُن تعرف بها .

(منها) سُوق الأهواز – وهى مدينتها، فقد قال فى "المشترك" : وسوق الأهواز هى مدينة الأهواز، وذكر مثله فى "العزيزى" . قال فى "المشترك" : وقد خَرِب أكثرها . قال فى "العزيزى" : ومنها إلى أصفهان ثمانون فرسخا .

(ومنها) قُرْقُوبُ . قال فى " اللباب " : بضم القافين و بينهما راء مهملة ثم واو وفى الآخر باء - وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث ، قال فى " القانون " حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعَرْض ثلاث وثلاثون درجة . وهى مدينة مشهورة . قال فى " اللباب " قريبة من الطِّيبِ قال فى " العزيزى " و بينهما سبعة فراسخ ومنها إلى مدينة السُّوس عشرة فراسخ .

(ومنها) جُنْدَىْ سَابُورَ . قال فى "اللباب" : بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة بعدها مثناة من تحتها وفتح السين المهملة وألف و باء موحدة وواو وراء مهملة . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس دقائق ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى مدينة خِصْبَةٌ كثيرة الخير . قال آبن حوقل : وبها نخيل وزروع كثيرة ومياه . قال فى " العزيزى " : منها إلى تُسْتَر ثمانية فراسخ ، ومنها إلى السُّوس ستة فراسخ .

(ومنها) عَسْكَرُ مُكْرَم . قال فى "اللباب" : بفتح العين وسكون السين المهملتين وفتح الكاف وفى آخرها راء مهملة . قال فى " تقويم البلدان " : عن الثقات أن مكرم بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء المهملة ثم ميم - وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول ست وسبعون درجة وثمان دقائق ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال فى " العزيزى " : وهى مدينة مُحْدَثة ، وكانت قرية ينزلها مكرم بن الفُزر أحد بنى جَعْوَنَةَ بعسكر كان قد أنفذه به الحجاج لمحاربة خُرْداذ بن بارس ، فأقام بها مدة وآبتنى بها البنايات فسميت عَسْكَرَ مُكْرَم . قال : وليس بالأهواز مدينة محدثة سواها ، وبها عقارب صغار مشهورة بالقتل .

(ومنها) رَامَهُرْمُز . قال فى "اللباب" : بفتح الراء المهملة والميم وضم الهاء وسكون الراء المهملة وضم الميم الثانية وفى آخرها زاى معجمة - وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ست وسبعون درجة والعرض ثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهى كُورة من كُوَر الأهواز . قال ويقال إن سَلْمان الفارسىّ رضى الله عنه منها . قال المهلَّبىّ : وبينها وبين سُوق الأهواز تسعة عشر فرسخا .

(ومنها) الدَّوْرَقُ . قال فى "المشترك" : بفتح الدال المهملة وسكون الواو وفتح الراء المهملة وفى آخرها قاف - وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطولُ خمس وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة. قال ابن حوقل : وهى مدينة كبيرة . قال فى "العزيزى" : ومنها إلى أَرَّجَانَ ثمانيةَ عشرَ فرسخا .

(ومنها) حِصْنُ مَهْدِىٍّ . وضبطه معروف ، وموقعه فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة.وهو حِصْن تجتمع فيه مياه خُوزُستان ثم تصير نهرا وتصب فى بحر فارس، وبينه وبين البصرة خمسةَ عشرَ فرسخا .

(ومنها) جُرْخَانُ.قال فى"اللباب" : بضم الجيم وسكون الراء المهملة وخاء معجمة ثم ألف ونون . قال : وهى بلدة بقرب السُّوس .

(ومنها) جِبَال اللُّوْر . قال فى "اللبـاب" : بضم اللام وسكون الواو وفى آخرها راء مهملة . قال : وبها جبال يقال لهـا لُورُستان من بلاد خُوزُستان . وقال ابن حوقل : غالبُ بلاد اللُّور جبال وكانت قديمـا من خُوزُستان . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى بلاد خِصْبَةٌ والغالب عليها الجبال ، وهى متصلة بخوزستان ولكن

أفردت عنها . قال فى "الأطوال" : وهى بين تُسْتَر وأَصْبَهَان ، وآمتدادها طولا نحو ستة أيام ، وفيها خَلْق عظيم من الأكراد . قال : وهى حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض آثنتان وثلاثون درجة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم طائفة كثيرة العدد ومنهم فِرَق مفرَّقة فى البلاد ، وفيهم مُلْك وإمارة ، ولهم خِفَّة فى الحركات يقف الرجل منهم إلى جانب البناء المرتفع ويُلْصِق بطنه باحدى زواياه القائمة ثم يصعد فيه إلى أن يرتقى صَهْوته العُلْيا .

ومما يحكى أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حضره رجل منهم وصَعِد فى جدار كذلك ، فأنعم عليه الإنعامَ الجزيلَ وأمره أن يُحْضِر كل من قدر عليه من أصحابه فأحضر منهم جماعة ، وهو يُحْسِن إليهم إلى أن لم يبقَ منهم أحدٌ فقتلهم عن آخرهم خشيةً مما لهم من قوة التسوّر ؛ ومن هؤلاء طوائف بمصر والشأم يُعْرَفون بالنَّوَرة ، يجالس أحدهم الرجل فيَسْرِق ماله وهو لا يدرى ، ويمشون على الحبال المرتفعة ولنسائهم فى ركوب الخيل الفُرُوسيةُ العظيمة .

الإقليم الرابع

(فارس)

بفاء مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة مكسورة وسين مهملة فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويحيط ببلاد فارس من جهة الغرب حدودُ خُوزُسْتَانَ ، وتمام الحدّ الغربى إلى جهة الشَّمال حدودُ أَصْفَهَان والجبال ؛ ويحيط بها من جهة الجنوب بحر فارس ، ومن جهة الشرق حدود كَرْمَانَ ، ومن جهة الشَّمال المَفَازة التى بين فارس وخُرَاسان ، وتمام الحدّ الشَّمالىّ حدود أَصْفَهَان وبلاد الجبال ؛ قال فى "العزيزى" : وعلى نهاية فارس الشرقية ناحية يَزْد ، وعلى نهايتها من الجنوب سِيرَاف والبحر ، وحدُّها

من الشمال الرىّ . قال آبن حوقل : وقاعدتها فيما ذكره صاحب حماة فى تاريخه : (شيراز) . قال فى "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وسكون المثناة من تحت وفتح الراء المهملة وفى آخرها زاى معجمة بعد الألف — وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة، والعَرْض ثمان وعشرون درجة وست وثلاثون دقيقة . قال آبن حوقل : وهى مدينةٌ إسلامية مُحْدَثة، بناها محمد بن القاسم بن أبى عَقيل[1] الثَّقَفىّ، وهو آبن عم الحجاج بن يوسف . قال : وسميت بشيراز تشبيها بجوف الأسد لأن عامّة المِيرة بتلك النواحى تُحْمَل إلىٰ شِيراز ولا يحمل منها شىء إلىٰ غيرها . قال المهلّبى : وهى مدينة واسعة سرية كثيرة المياه، وشربهم من عيون تخترق البلد وتجرى فى دُورهم، وليس تكاد تخلو دار بها من بُستان حسن ومياه تجرى، وأسواقها عامرة جليلة، وإليها ينسب الشيخ أبو إسحاق الشيرازىّ صاحب "التنبيه" رحمه الله، وبها قبر سيبويه النحوىّ، وبينها وبين أصبهان آثنان وسبعون فرسخا، وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) جُورُ . قال فى "اللباب" : بضم الجيم ثم واو وراء مهملة — وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال آبن سعيد حيث الطول ثمان وسبعون درجة، والعَرْض إحدىٰ وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان": وهى من قواعد فارس . قال آبن حوقل : وعليها سور من طين وخندقٌ، ولها أربعة أبواب وفيها المياه جارية — وهى مدينة نَزِهَة كثيرة البساتين جدّا ويرتفع منها ماء ورد يعُمّ البلاد، وهى فى ذلك كدمَشْق . قال "العزيزى" : ومنها إلىٰ شيرازَ أربعة وعشرون فرسخا، وقال فى موضع آخر عشرون فرسخا .

(١) كذا فى التقويم أيضا وفى معجم البلدان آبن عقيل .

(ومنها) كَازَرُونُ . قال فى "اللباب" : بفتح الكاف وسكون الألف وفتح الزاى المعجمة وضم الراء المهملة وواو ساكنة وفى آخرها نون — وهى مدينة من كُورة سابورَ واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطول سبع وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى أعظم مدينة فى كُورة سابورَ . وقال المهلّبى : هى مدينة لطيفة صالحة العمارة . قال ابن حوقل : وهى صحيحة التُّربة والهواء وماؤها من الآبار . قال فى "اللباب" : وخرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) فَيْرُوزَاباذ . قال فى "المشترك" : بفتح الفاء وكسرها وسكون المثناة من تحت وضم الراء المهملة ثم واو ساكنة وزاى معجمة ثم ألف وباء موحدة وألف ثانية وذال[1] — وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وعشر دقائق . قال فى "المشترك" : وكانت تسمّى فى القديم جُور ثم غُيِّرَ اسمها ، وهى بلدة مشهورة على القرب من شيرازَ ، وهى أصل بلد الشيخ أبى إسحاق الشيرازىّ المقدم ذكره فى شيراز .

(ومنها) سِيرَافُ . قال فى "اللباب" : بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحت وفتح الراء المهملة وفاء فى الآخر — وهى بلدة على البحر واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض ست وعشرون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى أعظم فُرْضَةٍ لفارس ، وليس لها زرع ولاضرع بل هى مدينة حَطّ وإقلاع للمراكب ؛ وهى مدينة آهلة ، ولهم عناية بالبُنْيان حتّى إن الرجل من التجار ينفق فى عمارة داره ثلاثين ألف

(١) أى معجمة كما فى التقويم والمعجم .

دينار، وليس حولها بساتين ولا أشجار، وبناؤهم بالساج والخشب، يحمل اليهم من بلاد الزَّنج، وهى شديدة الحرّ.

(ومنها) البَيْضَاء - بفتح الموحدة وسكون الياء المثناة من تحت وفتح الضاد المعجمة وألف فى الآخر. وهى مدينة من عمل إصْطَخْر واقعةٌ فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال فى "القانون": حيث الطول ثمان وسبعون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة. قال ابن حوقل: وهى من أكبر مُدُن كورة إصْطَخْر. قال: وسميت البيضاء لأن لها قلعة بيضاء ترىٰ من بُعْد، واسمها بالفارسية نشانك، ويقال إن الحسين الحَلّاج منها، وإليها ينسب القاضى ناصر الدين البيضاوى صاحب "المنهاج" فى أصول الفقه، و"الطوالع" فى علم الكلام وغير ذلك. قال المهلبى: وبينها وبين شِيرَازَ ثمانية فراسخ.

(ومنها) إصْطَخْرُ. قال فى "اللباب": بكسر الألف وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين وفى آخرها راء مهملة قبلها خاء معجمة - وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال ابن سعيد حيث الطول تسع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة واثنتان وثلاثون دقيقة. قال فى "تقويم البُلْدان": وهى من أقدم مُدُن فارس، وبها كان سرير المُلْك فى القديم؛ وبها آثار عظيمة من الأبنية حتّى يقال إنها من عمل الجنّ كما يقال عن تَدْمُرَ وبَعْلَبَكَّ من بلاد الشام. قال فى "العزيزى": وبينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخا. قال [وينسب اليها](١) أبو سعيد الإصطخرى أحد أصحابنا الشافعية.

(ومنها) بَسَا. قال فى "اللباب": بفتح الباء الموحدة والسين المهملة ثم ألف - وهى مدينة من كورة دَارا بجِرْد واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال

(١) الزائد مأخوذ بالمعنىٰ من "معجم البلدان".

فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض تسع وعشرون درجة . قال ابن حوقل : وهى تقارب شيراز فى الكبر وأكثر خشب أبنيتها السَّرْوُ، ويجتمع فيها الثَّلْجُ (؟) والرُّطَبُ والجوز والأُتْرُجُّ، وإليها ينسب البَسَاسيرى الذى خطب لخلفاء مصر فى بغداد .

البلح

(ومنها) يَزْد . قال السمعانى فى "الأنساب" : بفتح المثناة التحتية وسكون الزاى المعجمة وفى آخرها دال مهملة ــ وهى مدينة من كورة إصْطَخْرَ . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة، والعرض آثنتان وثلاثون درجة . خرج منها جماعة من العلماء وإليها ينسب القُمَاش اليَزْدِى .

ومنها ــ (دَارَا بْجِرْدُ) . قال فى "اللباب" : بفتح الدال المهملة وسكون الألفين بينهما راء ثم باء موحدة وجيم مكسورة وراء مهملة ساكنة وفى آخرها دال مهملة ــ وهى مدينة من فارس واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطول ثمان وسبعون درجة، والعرض آثنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : ومعنى دارابجرد عَمَل دارا، وهى مدينة لها سور وخَنْدَقٌ تتولد المياه فيه، وفيه حشيش يلتف على السابح فيه حتى لا يكاد يسلم من الغَرَقِ، وفى وسط المدينة جبلٌ كالقُبَّة ليس له آتصال بشىء من الجبال، وبنواحيها جبال من المِلْح الأبيض والأسود والأصفر والأحمر والأخضر، ينحت منه ويحمل منها إلى البلاد . قال فى "المشترك" : وعملها من أجلّ كُوَر فارس . قال فى "العزيزى" : وبأعمالها معدن مُومِيَا ومعدن زئبق .

الإقليم الخامس

(كَرْمان)

كما قاله فى "مسالك الأبصار" : قال فى "المشترك" : بفتح الكاف، ومنهم من يكسرها . قال : وهو صُقْع كبير بين فارس وسِجِسْتَانَ ومَكْرَانَ من بلاد الهند . ويحيط به من جهة الغرب حدود فارس، ومن جهة الجنوب بحر فارس، ومن جهة الشرق أرض مَكْران من وراء البَلُوص إلى البحر، ومن الشمال المَفَازة التى هى فيما بين فارس وكَرْمانَ و بين خُرَاسان . قال فى "تقويم البُلْدان" : وأرض كَرْمانَ داخلة فى البحر ، وللبحر ساعدان قد آعتنقا أرض كرمان ، فالبحر على ساحل كَرْمَانَ قطعة قوس من دائرة . وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة فى "تاريخه" السِّيرجَان . قال فى "اللباب" : بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها والراء المهملة وفتح الجيم و بعد الألف نون — وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعمور" حيث الطول ثلاث وثمانون درجة، والعَرْض آثنتان وثلاثون درجة . قال آبن حوقل : وهى أكبر مدينة بكَرْمَانَ، وأبنيتها أقباءٌ لقلة الخشب بها وداخلها قُنِيّ الماء . قال فى "اللباب" : وهى مما يلى فارس .

وتشتمل كرمان على عدّة مُدُن .

(منها) جِيْرُفْتُ[1] . قال فى "اللباب" : بكسر الجيم وسكون المثناة تحتُ وضم الراء المهملة وسكون الفاء وفى آخرها تاء مثناة من فوق — وموقعها فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وثمانون درجة، والعرض آثنتان وثلاثون درجة . قال آبن حوقل : وهى مدينة مجمع للتجار الواصلين من خُرَاسَانَ وسِجِسْتَانَ،

(١) ضبطها ياقوت بفتح الراء .

وهى حَصِينة للغاية . قال المهلبى : وهى من أعظم مدينة بكَرْمان كثيرةُ النخل والأُتْرُجّ وبينها وبين السِّيرجان مرحلتان .

(ومنها) زَرَنْدُ . قال فى "المشترك" : بفتح الزاى المعجمة والراء المهملة وسكون النون وفى آخرها دال مهملة — وموقعها فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطول ثلاث وثمانون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال فى "المشترك" : وهى مدينة مشهورة . قال "المهلَّبى" : وبينها وبين مدينة السيرجان تسعة وعشرون فرسخا .

(ومنها) بَمٌّ . قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وتشديد الميم — وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "العزيزى" : وهى من كبار مُدُن كَرْمَانَ ، وهى مصر من الأمصار . قال ابن حوقل : وهى أكبر من جيرُفْتَ ، وبها ثلاثة جوامع .

(ومنها) هُرْمُزُ . قال فى "المشترك" : بضم الهاء وسكون الراء المهملة وضم الميم وفى آخرها زاى معجمة — وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى فُرضة كَرْمَانَ . قال فى "المشترك" : تدخل إليها المراكب من بحر الهند فى خليج . قال صاحب حماة : وهى مدينة كثيرة النخل شديدة الحرّ . ثم قال : أخبرنى من رآها فى زماننا يعنى فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون أن هُرْمُزَ العتيقة خربت من غارات التتر وأن أهلها انتقلوا عنها إلى جزيرة فى البحر تسمّى زَرُونَ — بفتح الزاى المعجمة وضم الراء المهملة ثم واو وفى الآخر نون — وهى جزيرة قريبة من البر غربىّ هُرْمُزَ العتيقة ،

ولم يبق بهرمز العتيقة إلا قليل من أطراف الناس ؛ ومنها إلى أوّل حدود فارس نحو سبع مراحل .

قلت : وفي سنة ثلاث عشرة وثمانمائة كُتِب إلى صاحبها عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية في الدولة الناصرية أبي السعادات فرج بن السلطان الشهيد الظاهر برقوق، وسيأتي الكلام على صورة المكاتبة إليه في المكاتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

الإقليم السادس

(سِجِسْتان والرُّخَّج)

أما سِجِسْتَانُ فقال في " المشترك " : بكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون السين الثانية ثم مثناة من فوقها وألف ونون . قال : وسِجِسْتَانُ إقليم عظيم بين خُرَاسَانَ وبين مُكْرَانَ والسند وبين كَرْمَانَ . قال ابن حوقل : ويحيط بسِجِسْتَانَ من جهة الغرب خُرَاسَان، ومن جهة الجنوب المفازة التي بين سجستان وفارس وكَرْمَانَ، ومن جهة الشرق مَفَازة بين سجستان وبين مُكْرَان، وهي المفازة الواصلة بين مُكْرَان والهند (١)، وتمام الحدّ الشرقيّ في شيء من عمل المُلْتان من الهند، ومن جهة الشَّمال أرض الهند، وفيما يلي خراسان والغُور والهند تقويس . وقال في " العزيزي " : سجستان شرقيّ كَرْمَانَ إلى الشمال . قال ابن حوقل : وأراضي سِجِستان بها الرمال والنخيل، وهي أرض سَهْلة لا يُرى فيها جبل، وتشتدّ بها الريح وتدوم، وبها أرحية تطحن بالريح ، والرياحُ تنقل رمالهم من مكان إلى مكان ، وإذا أرادوا نقل الرمل عن مكانٍ، عملوا هناك حائطا من خشب أو غيره وجعلوا في أسفله طوقا وأبوابا

---

(١) في "تقويم البلدان" والسند وهو الصواب بدليل ماسيأتي .

فتدخل فيها الريح من تلك الأبواب وتطيّر الرمل وترميه بعيدا ، وسجستان خِصْبَةٌ كثيرة الطعام والتمر والأعناب وأهلها ظاهرو اليسار . وقال فى "اللباب" : والنسبة إلى سجستان سِجْزِىّ بكسر السين المهملة وسكون الجيم ثم زاى معجمة على غير قياس. قال : و ينسب إليها سِجِسْتَانِىّ أيضا يعنى على الأصل .

وقاعدتها (زَرَنْجُ) . قال فى "اللباب" : بفتح الزاى المعجمة والراء المهملة وسكون النون وجيم فى الآخر ــ وهى مدينة كبيرة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول سبع وثمانون درجة ، والعرض آثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال آبن حوقل : وقد يطلق على زَرَنْجَ نفسها سِجِسْتَانُ . قال فى " المشترك " : بل أُنْسِىَ آسم زرنج وأطلق آسم الإقليم وهو سجستان على المدينة . وجعل فى "اللباب" : زَرَنْج ناحية بسجستان . قال آبن حوقل : ولها سُورٌ وخَنْدَقٌ يَنْبُعُ فيه الماء ، وأبنيتها عقود لأن الخشب فيها يَسَوَّس ولا يثْبُت . وفيها مياه تجرى فى البيوت والأزِقَّة وأرضها سبخة . قال فى "اللباب" : وخرج منها جماعة من العلماء منهم محمد بن كَرَّام الزَّرَنْجِىّ صاحب المذهب المشهور .

ولها مُدُن .

(منها) حِصْن الطاق ــ وضبطه معروف . قال آبن سعيد : وهو حصن واقع فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول ثمان وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة ، على جبل عند آلتواء النهر فى غاية المَنَعَة لا يرام بحصار . قال و به يعتصم ملوك هذه البلاد و يجعلون فيه خزائنهم . أما الطاقُ المضاف إليها فمدينة صغيرة لها رُسْتاق ، وبها أعناب كثيرة يتسع بها أهل سجستان .

(ومنها) سَرْوَانُ . قال فى "تقويم البُلْدان" : قال بعض الثِّقات ـ بفتح السين وسكون الراء المهملتين وفتح الواو ثم ألف ونون ـ وهى مدينة من آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة صغيرة بها فواكه كثيرة ونخيل وأعناب .

(ومنها) بُسْتُ . قال فى "اللباب" : بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفى آخرها تاء مثناة من فوقها ـ وهى مدينة على شط نهر الهِنْدَمَنْد . قال فى "القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة وثمان وثلاثون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة كبيرة خِصْبَة كثيرة النخل والأعناب . وقال فى "اللباب" : هى مدينة حَسَنة كثيرة المياه والخُضْرة . وقال فى "العزيزى" : مدينة جليلة بها عدة منابر ورِبَاطات كثيرة عظيمة . وذكر فى "اللباب" : أنها من بلاد كابُل بين هراة وغَزْنة . قال ابن حوقل : وبينها وبين غَزْنة نحو أربعَ عشرةَ مرحلة .

وأما (الرُّخَّج) فقال فى "اللباب" : بضم الراء المهملة وفتح الخاء المعجمة المشددة وفى آخرها جيم . قال ابن حوقل : وهو إقليم عظيم متصل بسِجِسْتان فيه عدة مُدُن وهى على غاية الخِصْب والسَّعَة . قال : ومن مدنها بنجوان (؟) ولم يزد على ذلك .

الجانب الثانى

(من مملكة إيران الشَّمالىّ)

ويشتمل على عدة أقاليم من الأقاليم العرفية .

الإقليم الأوّل

(إرْمِينِيَةُ)

قال ياقوت : بكسر الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الميم وسكون الياء آخر الحروف وكسر النون ثم ياء ثانية مخففة وقد تشدّد ـ وضبطها فى "اللباب" : بفتح الهمزة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وقد جمع أرباب المسالك والممالك إرمينية وأرّان وأَذْرَبيجَانَ لعُسْر إفراد إحداها عن الأخرىٰ . قال : ويحيط بها علىٰ سبيل الإجمال من الغرب حدودُ بلاد الروم وشيء من حدود الجزيرة، ومن جهة الجَنُوب بعض حدود الجزيرة وحدود العِراق، ومن جهة الشرق بلاد الجِيل والدَّيلم، إلىٰ بحر الخَزَر، ومن جهة الشمال بلاد القَبْتق، ثم أفرد أذْرَبيجان بحدود تخصها فقال : يحدّها من جهة الشرق بلاد الجيل وتمام الحدّ الشرقىّ بلاد الدَّيْلَم، ويحدّها من جهة الجنوب العراقُ عند ظهر حُلْوان وشيء من حدود الجزيرة . وذكر فى "مسالك الأبصار" نحوه إلا أنه ذكر أن حدّها الغربىّ إلىٰ بلاد الأرمن . قال ٱبن حوقل : والغالب علىٰ إرمينية الجبال .

وقاعدتها (الدَّبِيل) فيما ذكره ٱبن حوقل والمهلَّبى . قال فى "المشترك" : وهى بفتح الدال المهملة وكسر الباء الموحدة ثم مثناة من تحتها ساكنة وفى آخرها لام ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ٱثنتان وسبعون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال ٱبن حوقل : وهى مدينة كبيرة والنصارىٰ فيها كثيرة، وبها جامع للسلمين إلىٰ جانب كنيسة النصارىٰ . قال فى "العزيزى" : وهى من أجلّ البلاد وأنفسها وهى مستقرّ سلطانها .

وبها عدّة مدن .

(منها) أَرْزَنْجَانُ . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاى المعجمة وسكون النون وفتح الجيم ثم ألف ونون، ويقال بالكاف أيضا عوضا عن الجيم ــ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة. قال فى "الأطوال" حيث الطول ثلاث وستون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة. قال ٱبن سعيد : وهى بين سِيواسَ وبين أَرْزَنِ الروم، وبينها وبين كل واحدة منهما أربعون فرسخا ، وما بينها وبين أرْزَن كلُّه مروج ومرعًى، وبها حاكم يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) أَرْزَنُ . قال فى "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاى المعجمة ثم نون فى الآخر . قال فى "تقويم البُـلْدان" : وهى من أطراف إرمينية ــ وموقعها فى الإقليم الخـامس(١) من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى "تقويم البُـلْدان" : وهى غير أَرْزَنِ الروم، وهى عن خِلاَطَ علىٰ ثلاثة أيام . قال : ووَهِم فى "اللباب" فجعلها من ديار بكر من الجزيرة ، والصحيح ماتقدّم . وصـاحبها يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ المكاتَبات فى المقالة الثانية فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

(ومنها) بِدْلِيسُ . قال فى "تقويم البُلْدان" : بكسر الباء الموحدة ثم دال مهملة ساكنة ولام وياء مثناة من تحت ساكنة وسين مهملة . قال : وعن بعضهم أنها بفتح الباء الموحدة ــ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثمـان وثلاثون درجة

(١) الذى فى "تقويم البلدان" أنها من آخر الرابع .

وخمس وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البُلْدان" : وعن بعض أهل تلك البلاد أنها بين ميَّا فَارِقِينَ وبين خِلَاطَ . قال : وهي مدينة مسوّرة ، وقد خرب نصف سورها ، والمياه تخترق المدينة من عيون في ظاهرها ، ولها بساتين في وادٍ وهي بين جبال تَحُفُّ بها . قال وهي دون حماة في القدر . وقال ابن حوقل : بلد صغير عامر خِصْبٌ كثير الخير ، وهي شديدة البرد كثيرة الثُّلوج ، وصاحبها يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتي ذكره في الكلام على المكاتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

(ومنها) أَخْلَاطُ . قال في "تقويم البُلْدان" : بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح اللام ثم ألف وطاء مهملة ، ويقال فيها خَلَاطُ(١) بفتح الخاء من غير همز ـ وموقعها في الإقليم الخامس . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وستون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض تسع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البُلْدان" : عن بعض أهلها إنها في مستوٍ من الأرض ، ولها بساتين كثيرة ، وبها عِدّة أنهار على شِبْه أنهار دِمَشْق ، وليس يدخل المدينة منها إلا الشيء اليسير ، ولها سور خراب ، وهي قدرُ دِمَشْق ، والجبال عنها على أكثر من مسيرة يوم ، وبردها شديد . قال ابن سعيد : وهي أجل مدينة بإرمينية ، وذكرها جليل الشهرة . وقال ابن حوقل : وهي بلدة صغيرة عامرة كثيرة الخير . قال في "العزيزي" : وبينها وبين بِدْلِيس سبعة فراسخ .

(ومنها) خِرْت بِرْت ـ بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء وتاء مثناة فوق ثم باء موحدة مكسورة بعدها راء مهملة ساكنة وتاء مثناة فوق في الآخر ، وتعرف

(١) ضبطها ياقوت بالكسر .

بحِصْن زِيَاد . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى بلدة بإرمينية على القرب من خِلَاط ، وحاكمها يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الإقلـــيم الثـانى

(أَذْرِبيجان)

قال ابن الجواليقىّ فى "المعرّب من العُجْمة إلى العربية" بقصر الألف و إسكان الذال المعجمة . قال ابن حوقل : الغالب عليها الجبال أيضا . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى أجلّ الأقاليم الثلاثة ، وهى كانت قرارَ ملوك بنى جنكزخان . وبها ثلاث قواعد .

القـاعدة الأولى

(أَرْدُبِيـــل)

قال فى "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون الراء وضمّ(١) الدال المهملتين وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحت ولام فى الآخر ــ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال فى "اللباب" : لعله بناها أردبيل بن أردمينى بن لمطى بن يونان فنسبت إليه . قال فى "العزيزى" : وهى فى الجهة الشمالية من أذْرَبيجان . قال : وهى مدينة كثيرة الخِصْب ، وعلى فرسخين منها جبل عظيم الارتفاع لايفارقه الثلج . قال المهلّبى : وأهلها غليظو الطبع شَرِسُو الأخلاق . قال : وبينها وبين تبريز خمسة وعشرون فرسخا . قال فى "مسالك الأبصار" : وأعمالها تكون ثلاثين فرسخا . قال : وبها كانت دار الإمارة فى صدر الإسلام .

(١) كذا فى التقويم أيضا وضبطه ياقوت بفتح الدال وهو المشهور .

القاعدة الثانيـــة

(تِــبْرِيزُ)

قال فى "اللباب": بكسر المثناة من فوقُ وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة ثم مثناة من تحتُ وفى آخرها زاى معجمة ، والجارى على ألسنة العامة توريز بالواو بدل الموحدة — وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى قاعدة أذربيجان فى عصرنا . قال فى "اللباب" : وهى أشهر بلدة بأذربيجانَ ؛ وبها كان كرسىّ بيت هُولَاكو من التتر ، ثم انتقل بعد ذلك إلى السُّلْطانية الآتى ذكرها . ومبانيها بالقاشانىّ والجِصّ والكِلْس ، وبها مدارس حسنة ولها غُوطة رائقة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة أعْرقت فى السعادة أنسابُها، وثبتت فى النِّعْمة قواعدها . قال : وهى مدينة غير كبيرة المقدار، والماء منساق إليها ؛ وبها أنواع الفواكه لكن ليست بغاية الكثرة، وأهلها من أكبر النـاس حِشْمه، وأكثرهم تظاهرا بنِعْمه؛ ولهم الأموال المَديدة، والنعم الوافرة، والنفوس الأبِيَّة؛ ولهم التجمل فى زِيّهم : من المأكول والمشروب، والملبوس والمركوب؛ وما منهم إلا من يأنَفُ أن يذكُر الدرهمَ فى معاملته، بل لا معاملة بينهم إلا بالدينار . وسيأتى ذكر مقدار دينارهم فى الكلام على معاملة هذه المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى — وهى اليوم أمّ إيران جميعا لتوجُّه المقاصد من كل جهة إليها، وبها مَحَطّ رحال التُّجّار والسُّفّار، وبها دور أكثر الأمراء الكبراء المصاحبين لسلطانها لقربها من أَرْجان محلّ مَشْتاهم . قال : ويشتدّ البرد بتوريز كثيرا ، وتتوالى الثلوج بها حتّى إن سَرَوَات أهلها يحتدون فى آدُرِهم ، ليس فيها فرجة ولا يدخلها ضوء إلا ما يَرَوْنه من طاقات حيطانها من وراء الزجاج المركب عليها .

القاعدة الثالثـــة
(السُّـلْطانِيَّة)

نسبة إلى السلطان ، وآسمها قُنْغُرْلان . قال فى " تقويم البُلْدان " : بضم القاف وسكون النون وضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ولام ألف ونون ـ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أنها حيث الطولُ ست وسبعون درجة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال : وهى عن توريز فى سمت المشرق بمَيْلة يسيرة إلى الجنوب على مسيرة ثمانية أيام منها ـ وهى مدينة مُحْدَثة ، بناها خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ، على القرب من جبال كِيلان ، على مسيرة يوم منها ، وجعلها كرسىّ مملكته ، وهى فى مستو من الأرض ، ومياهها قُنِىّ ، قليلة البساتين والفواكه ، وإنما تجلب إليها الفواكه من البلاد المُصاقِبة لها . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة قد رُفِع بناؤها ، وآتسع فِناؤها ، وأُتْقنت قسمتها فى الخطط والأسواق ، وجَلَبَ إليها بانيها الناسَ من أقطار مملكته ، وآستجلبهم إليها بما بسط لسُكَّانها من العدل والإحسان . قال : وهى الآن عامرة آهلة كأنما مر عليها مئون سنين لكثرة من آستوطنها وتأهَّل بها وأولد من الولد فيها ، وقد مضتْ عليها مدّة بنوها مَبَالغ الرجال(١) ، وفيهم من جاز إلى الآكتهال .

وبها عدّةُ مدُن غير هذه القواعد .

(منها) سَلَمَاس . قال فى "اللباب" : بفتح السين المهملة واللام والميم وفى آخرها سين مهملة ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال المهلّبىّ : وهى على آخر حدود أذربيجان من الغرب ، وهى مصرٌ من الأمصار جليل والمتاجر بها وإليها متصلة .

(١) لعله "حتى بلغ بنوها" أو نحو ذلك .

(ومنها) خُوَىّ . قال فى "اللباب" : بضم الخاء وفتح الواو وتشديد المثناة من تحت — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول تسع وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهى آخر مُدُن أذْرَبيجان، وبينها وبين سَلَمَاس أحد وعشرون ميلا .

(ومنها) أُرْمِيَة . قال فى "اللباب" : بضم الألف وسكون الراء المهملة والميم فى آخرها هاء بعد ياء مثناة من تحتها . قال ابن الجواليقىّ فى "المعرّب" : ويجوز فى قياس العربية تخفيف الياء منها وتشديدها — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال المهلّبىّ : وهى آخر حدود أذربيجان، وهى مدينة جليلة . قال : ويقال إن زَرَادشت نبىّ المجوس منها . قال فى "تقويم البُلْدان" : وعن بعض أهلها أنها مدينة وُسْطىٰ عامرة، وهى فى أوّل الجبال وآخر الوطاة (١)، فى الغرب عن سَلَمَاس علىٰ ستة عشر فرسخا منها، وبينها وبين الموصل قاعدةِ الجزيرة أربعون فرسخا، والموصل فى سمت الغَرْب عنها، ولأُرْمِيَة قلعة علىٰ جبل تسمّى قلعة تلا فى غاية الحَصَانة، كان هولاكو قد جعل أمواله فيها لحصانتها والنسبة إلىٰ أُرْمِيَة أُرْمَوِىّ .

(ومنها) مَرَاغَة . قال فى "المشترك" : بفتح الميم والراء المهملة وألف وغين معجمة وهاء — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشر دقائق ، والعرض سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال المهلّبىّ : وهى مدينة مُحْدَثة كانت قرية، فنزل بها مَرْوَان بن محمد وكان

(١) الذى فى "تقويم البلدان" وهى فى آخر الجبال وأوّل الوطاة التى خلف جبال العجم .

هنالك بِسِرْجِينٍ فمرّغ الناسُ فيه دوابهم فبناها مدينة فسميت مراغة. قال ابن حوقل: وهى من قواعد أذربيجان، وهى حصينة (١)، نزهة كثيرة البساتين والرساتيق.

(ومنها) مَيانِجُ. قال فى "المشترك": بفتح الميم والمثناة من تحتها وسكون الألف وكسر النون وفى آخرها جيم — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال فى "القانون" حيث الطولُ ثلاث وسبعون درجة، والعرض سبع وثلاثون درجة. قال فى "المشترك": وهى مدينة كبيرة على مسيرة يومين من مَراغةَ. وسماها فى "اللباب": مِيَانَه بفتح الميم والمثناة من تحتها وألف ونون وهاء. وقال: خرج منها جماعةٌ من العلماء.

(ومنها) مَرَنْدُ. قال فى "اللباب": بفتح الميم والراء المهملة وسكون النون وفى آخرها دال مهملة — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال فى "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض سبع وثلاثون درجة. قال فى "اللباب": وهى قرية من تبريزَ فى جهة الشرق عنها بميلة يسيرة إلى الشَّمال. وقال المهلبىّ: هى عن تَدْمر على أربعة عشر فرسخا. قال فى "تقويم البُلْدان": وذكر مَنْ رءاها أنها بلدة صغيرة ذاتُ أنهار وأشجار.

الإقليم الثالث

(أرّان)

قال فى "المشترك": بفتح الهمزة وتشديد الراء المهملة ثم ألف ونون.

ولها قاعدتان.

(١) فى "تقويم البلدان" عن ابن حوقل "خصبة".

القاعدة الأولىٰ

(بَرْدَعَة)

قال فى " اللباب " : بفتح البـاء الموحدة وسكون الراء وفتح الدال المهملتين ثم عين مهملة وهاء فى الآخر — وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى قاعدة مَمْلَكة أرّان . وقال فى " اللباب " : هى من أقاصى أذْرَبيجان . قال ابن حوقل : وهى مدينة كبيرة كثيرة الخِصْب نَزِهة . قال : وعلىٰ أقل من فرسخ منها موضع [يسمَّى الأندراب يكون](١) مسيرة يوم فى يوم بساتينُ مشتبكة كلها فواكه . قال المؤيد صاحب حماة : هذا ما كانت عليه فى زمان ابن حوقل ، أما فى زماننا فأخبرنى من رءاها أنها خَرِبت ولم يبق منها معمور إلا دون المَعَرَّة فى القدر ، وهى فى مستوٍ من الأرض ، ذاتُ بساتين ومياه ، وهى علىٰ القرب من نهر الكُرِّ .

القـاعدة الثانيـة

(تَفْلِيس)

قال فى " اللبـاب " : بفتح المثناة فوق وسكون الفاء وكسر اللام وسكون المثناة التحتية وفى آخرها سين مهملة — وموقعها فى آخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " : وهى قَصَبة كرجستان . وقال فى " اللباب " : هى آخر بلدة من أذْرَبيجـان . قال ابن حوقل : وهى مدينـة مسوّرة عليها سُورَان ، ولهـا ثلاثة أبواب ، وبها حَمَّـامات مثـل حَمَّامات طَبَرِيَّة ماؤها ينبُعُ سخنا بغير نار ، وهى كثيرة

---

(١) الزيادة عن " تقويم البلدان " .

الخِصْبِ . قال ابن سعيد : وكان المسلمون قد فتحوها وسكنوها مدّة طويلة، وخرج منها جماعة من العلماء، ثم استرجعها الكُرْج وهم نصارى، وهى بأيدى الكُرْج إلى الآن، وملك الكُرْج صاحبها يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتى ذكره فى الكلام على المكاتبات فى المقالة الرابعة فيما بعدُ إن شاء الله تعالى.

وبها عِدّة مدن .

(منها) نَشَوىٰ[1] . قال السمعانىّ فى "الأنساب" : بفتح النون والشين المعجمة وفى آخرها واو ثم ياء آخر الحروف . وسماها ابن سعيد نَقْجَوَان ـ بفتح النون وسكون القاف وفتح الجيم والواو وبعد الألف نون ـ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطولُ إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال ابن سعيد : وهى من المدن المذكورة فى شرقىّ أرّان . "قال السمعانىّ" : وهى بلدة متصلة بإرمينية وأذْرَبيجان . قال ابن سعيد : وهى فى شمالىّ نهر الكُرّ . قال فى "الأنساب" : وبينها وبين تِبْريز ستة فراسخ . قال ابن سعيد : وقد خرَّبها التتر وقتلوا جميع أهلها .

(ومنها) مُوقَان . قال فى "اللباب" : بضم الميم وسكون الواو وفتح القاف وسكون الألف وفى آخرها نون، والعامّة تُبْدِل القاف غينا معجمة فيقولون مُوغان . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال السمعانىّ : وهى بدَرْبَنْد فيما أظن ،وقال المهلّبىّ : هى من عمل أرْدُبيل . وقال المهلّبىّ : مُوقَانُ فى نهاية بلاد كِيلاَنَ فى جهة الغرب . قال ابن حوقل : وبينها وبين باب الأبواب يومان . قال فى "تقويم البُلْدان" : لم يبق لمدينة مُوقَان فى هذا الزمان شهرة بل المشهور أراضى مُوقَان، وهى أراضٍ كثيرةُ المياه والأقصاب والمَرَاعى

(١) أى فى الرسم وإلا فهى مقصورة .

فى ساحل بحر طَبَرِسْتَانَ على القرب من البحر، وهى فى سَمْت الشَّمال والغرب، عن تِبْرِيز على نحو عشر مراحل منها، وبها يشتى أُرْدو التتر فى غالب السنين .

(ومنها) شَمْكُورُ . قال فى "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الميم وضم الكاف وسكون الواو وفى آخرها راء مهملة ــ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطولُ ثلاث وسبعون درجة، والعرض إحدى وأربعون درجة وخمسون دقيقة . قال فى "اللباب" : وهو حصن من أعمال أرّان . قال فى "تقويم البُلْدان" : وشَمْكُورُ بقُرْب بَرْذَعة، وبها منارة فى غاية الارتفاع والشُّهوق .

(ومنها) البَيْلَقَان . قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون المثناة من تحت وفتح اللام والقاف ثم ألف ونون . قال فى "القانون" حيث الطول أربع وستون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهى عند شَرْوان . قال : ولعلها بناها بَيْلَقَان بن أرمينى بن لمطى بن يونان فنسبت إليه . قال فى "اللباب" : وهى مدينة من دَرْبَنْدِ خَزْران . قال فى "المشترك" : وهى من مشاهير البُلْدان . قال ابن حوقل : وهى كثيرة الخَيْر .

(ومنها) كَنْجَة . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الكاف وسكون النون وفتح الجيم ثم هاء ساكنة ــ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطولُ أربع وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وعشر دقائق . قال فى "المشترك" : وهى من مشاهير بلاد أرّان . قال المؤيد صاحب حماة : وأخبرنى مَنْ أقام هناك أنها على مرحلتين من بَرْذَعَة، وبردعة عنها فى جهة الغرب بميلة يسيرة إلى الشمال، وهى قصبة تلك الناحية، وهى فى مستو من الأرض وفيها بساتين كثيرة، وبها التين الكثير . وقد شهر أن من أكل من ذلك التين حُمّ .

(ومنها) شَرْوان . قال فى " اللباب " : بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح الواو ثم ألف ونون فى الآخر — وهى واقعة فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول ثمان وستون درجة وست وخمسون دقيقة ، والعرض إحدىٰ وأربعون درجة وثلاث وأربعون دقيقة . قال فى " اللباب " : بناها أنُو شَرْوان فأسقطوا أنو للتخفيف وبقى شَرْوان . قال ابن سعيد : وهى من أرّان ، وكانت قاعدةً لبلادها ، ثم صارت مملكتها مضافة إلىٰ أذْرَبيجان . قال : وبشَرْوانَ الدَّرْبَنْد المشهور . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وهو المعروف فى زماننا بدَرْبَنْد باب الحديد . قال ابن الأثير: وقد خرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) باب الأبواب . قال فى "تقويم البُلْدان" : بإضافة الباب المفرد الذى يُدْخَل منه إلىٰ جمعه . قال فى "القانون": ويعرف باب الأبواب بدَرْبَنْد خَزْران . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويعرف هذا المكان فى زماننا بباب الحديد بإضافة الذى يغلق إلىٰ الذى يتطرّق . قال ابن حوقل : وهى علىٰ بحر طَبَرِسْتَانَ ، وتكون فى القدر أصغر من أرْدُبيل . قال : ولهم الزرع الكثير وثمار قليلة تحمل إليهم من النواحى . قال : وهى فُرْضة الخَزَر والسَّرير وسائر بلاد الكفر ، وهى أيضا فُرْضة جُرْجان والدَّيْلَم وطَبَرِسْتَانَ ، ويجلب إليها الرقيق من سائر الأجناس . قال فى " تقويم البلدان": وهذه الصفات التى ذكرها ابن حوقل علىٰ ما كانت فى زمانه ؛ أمّا اليوم فمن بعض المسافرين أن باب الحديد بُلَيْدة هى بالقُرىٰ أشبه ، علىٰ بحر الخَزَر وهى كالحدّ بين التتر الشماليين المعروفين ببيت بَرَكة وبين التتر الجنوبيين المعروفين ببيت هُولاكُو، وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ المكاتبات فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالىٰ .

الإقلــيم الرابع

(بلاد الجَبَــل)

بفتح الجيم والباء الموحدة ولام فى الآخر، وصاحب "مسالك الأبصار" يسميها بلاد الجبال على الجمع، والعامة تسميها عِرَاق العجم . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويحيط بها من جهة الغرب أذْرَبيجان، ومن جهة الجنوب شىء من بلاد العراق وخُوزُسْتان، ومن جهة الشرق مفازة خُرَاسان وفارس، ومن جهة الشَّمال بلاد الدَّيْلَم وقَزْوين والرَّىّ عنـد مَن يخرجهما عن بلاد الجبل ويضمهما إلى الدَّيْلَم من حيث إن جبال الديلم تَحُفُّ بهما .

وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة فى "تاريخه" (أصْبَهَان) . قال فى "اللباب" : بكسر الألف وفتحها وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة والهاء وألف ثم نون فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وقد تبدل البـاء فاء . قال السمعانى : وسمعتُ من بعضهم أنها تسمَّى بالعجمية سباهان . قال وسبا العسكر، وهان الجمع . وذلك أن عسـاكر الأكاسرة كانوا إذا وقع لهم بيكار يجتمعون بها فعربت فقيـل أصفَهَان ـــ وموقعها فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطولُ سبع وسبعون درجة وخمسون دقيقة . والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقـة . قال ابن حوقل : وهى فى نهاية الجبال من جهة الجنوب . قال : وهى مدينتان وإحداهمـا تعرف باليهودِيَّة، وهى من أخصب البلاد وأوسعها خِطَّة، وبها معدن الكُحْل الذى لايسامَى، مصاقبا لفارس، وإلى أصْبَهَان ينسب الليث بن سعد الإمامُ الكبير .

قلت : وقد تقدّم فى الكلام على أعمال الديار المصرية من أوّل هذه المقالة عند ذكر الأعمـال القليوبية أنه ينسب إلى بلدتنا قَلْقَشَنْدَة أيضا وأنه كان له دار بهـا،

فيحتمل أنه كان أوّلا بأصبهان، ثم لما رحل عنها إلى مصر نزل قَلْقَشَنْدَة فنسب إليها على عادة من ينتقل من بلد إلى آخر.

ولها عدّة مدن.

(منها) إِرْبِلُ. قال في "المشترك": بكسر الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة ولام في الآخر. قال في "تقويم البلدان": وهي قاعدة بلاد شَهْرَزُور، وموقعها في الإقليم الرابع. قال ابن سعيد حيث الطولُ سبعون درجةً وعشرون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة. قال: وهي مدينة مُحْدَثة. قال في "المشترك": بين الزّابَيْن، فيما بين المشرق والجنوب عن المَوْصِل، على مسيرة يومين خفيفين. قال في "تقويم البُلْدان": وعن بعض أهلها أنها مدينة كبيرة قد خَرِب غالبُها، ولها قلعة على تلّ عالٍ داخل السور مع جانب المدينة في مستوٍ من الأرض، والجبال منها على أكثر من مسيرة يوم، ولها قُنِيٌّ تدخل منها اثنتان إلى المدينة للجامع ودار السلطان؛ وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية.

(ومنها) شَهْرَزُور. قال في "اللباب": بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وضم الراء المهملة (1) والزاى المعجمة وسكون الواو وفي الآخر راء مهملة — وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "رسم المعمور" حيث الطول سبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة. قال في "اللباب": وهي بلدة بين المَوْصِل وبين هَمَذَانَ بناها زُورُ بن الضَّحّاك فقيل شهر زور، يعني مدينة شهر (2). قال ابن حوقل: وهي مدينة صغيرة. قال في "العزيزي": وهي خِصْبة كثيرة المتاجر في عُزْلَة إلا أن في أهلها غِلْظَةً وجفاء. قال: وبينها وبين المَرَاغة ست مراحل.

(1) ضبطها ياقوت بفتح الراء، وهو المشهور. (2) في تقويم البلدان "مدينة زور" وهو الصواب.

(ومنها) الدِّيْنَوَر . قال فى "اللباب" : بفتح الدال المهملة وسكون المثناة من تحت وفتح النون والواو ثم راء مهملة فى الآخر – وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطولُ ست وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى غربىّ هَمَذان بميلة إلى الشَّمال ، وهى مدينة كثيرة المياهِ والمدارِ كثيرةُ الثمارِ خِصْبة . قال فى "العزيزى" : و بينها و بين المَوْصِل أربعون فرسخا ، و بينها و بين مراغة كذلك .

(ومنها) مَاسَبَذَانُ – بفتح الميم و بعد الألف سين مهملة و باء موحدة وذال معجمة بفتح الجميع و بعد الألف نون . وهى مدينة من سِيرَوَانَ – بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الراء المهملة وواو وألف ونون . كورة من كُوَرِ عراق العجم . قال أحمد بن يعقوب الكاتب : وهى مدينة قديمة بين جبال وشِعَاب . قال : وهى فى ذلك تشبه مكة شرفها الله تعالى وعَظَّمَها ، وفيها عيون ماء تجرى فى وسطها . قال ابن خلكان : وكان المهدىّ العباسىّ يسكنها وبها مات ودفن .

(ومنها) قصر شِيرِين – بإضافة قصر إلى شِيرِين – بكسر الشين المعجمة ثم ياء آخر الحروف وراء مهملة ثم ياء ثانية بعدها ونون فى الآخر – وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهو قصر شِيرِينَ حَظِيَّة كسرى أَبْرَوِيز . وقال الإدريسىّ : شِيرِين امرأة كسرى . قال : وبهذا الموضع آثارٌ لملوك الفُرْس عجيبة ، ومنه إلى شَهْرَزور عشرون فرسخا ، ومنه إلى حُلْوان من بلاد العراق خمسة فراسخ .

(ومنها) الصَّيْمَرَةُ . قال فى "المشترك" : بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الميم والراء المهملة وهاء فى الآخر – وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى "القانون" :

حيث الطول إحدى وسبعون درجة وخمسون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة صغيرة نَزِهة ذات زروع وأشجار، والمياه تجرى فى دُورها ومحالّها . قال أحمد بن يعقوب : وهى فى مَرْج أفيَح، فيه عيون وأنهار .

(ومنها) قِرْمِيسِينُ . قال فى "اللباب" : بكسر القاف وسكون الراء المهملة وكسر الميم وسكون المثناة من تحتها وكسر السين المهملة ومثناة تحتية ثانية ونون فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : ووجدناها فى كثير من الكتب بإبدال الياء الأولى ألفا . قال فى "اللباب" : وهى مدينة بجبال العراق — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "اللباب" : ويقال لها كِرْمانشاه . قال فى "العزيزى" : وهى من أجلّ مُدُن الجبل وأعظمها خطرا، وهى عامرة غاصّة بالناس . قال : وينبت بها الزعفران .

(ومنها) سُهْرَوَرْدُ . قال فى "اللباب" : بضم السين المهملة وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الراء الثانية وفى آخرها دال مهملة . قال فى "تقويم البُلْدان" : كذا ضبطها ولم يذكر الراء الأولى — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى مدينة صغيرة، والغالب عليها الأكراد .

(ومنها) زَنْجَانُ . قال فى "اللباب" : بفتح الزاى المعجمة وسكون النون وفتح الجيم وألف ونون — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى أقصى مُدُن الجبال

فى الشمال . قال فى " اللباب " : وهى على حدّ أذْرَبيجان من بلاد الجبل ، ينسب إليها جماعةٌ من أهل العلم .

(ومنها) نُهَاوَنْدُ . قال فى " اللباب " : بضم النون (١) وفتح الهاء وسكون الألف وفتح الواو وسكون النون وبعدها دال مهملة – وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطولُ ثلاث وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرضُ أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ٱبن حوقل : وهى مدينة على جبل ، ولها أنهار وبساتينُ ، وهى كثيرة الفواكه ، وفواكهها تحمل إلى العراق لجودتها . قال فى " اللباب " : ويقال إنها من بناء نوح عليه السلام ، وإنه كان ٱسمها نوح أو ند ، فأبدلوا الحاء هاء .

(ومنها) هَمَذَانُ . قال فى " الأنساب " : بفتح الهاء والميم والذال المعجمة وبعد الألف نون – وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ٱبن حوقل : وهى وسط بلاد الجبال ، ومنها إلى حُلْوَانَ : أوّلِ بلاد العراق سبعةٌ وستون فرسخا . قال : وهى مدينة كبيرة ، ولها أربعة أبواب ، ولها مياه وبساتين وزروع كثيرة . قال فى " الأنساب " : وهى على طريق الحاجّ والقوافل .

(ومنها) أَبْهَرُ . قال فى " المشترك " : بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح الهاء ثم راء مهملة – وموقِعُها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى " المشترك " : وهى مدينة بين قَزْوين وزَنْجان . قال ٱبن خرداذبه : ومنها إلى زَنْجان خمسة عشر فرسخا .

(١) قال ياقوت : "بفتح النون الأولى وتكسر" .

(ومنها) سَاوَة . قال فى "اللباب" : بفتح السين المهملة وبعـدها ألف ثم واو وهاء ـ وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال "المهلّبى" : وهى مدينة جليلة على جادّة حُجّاج خُرَاسَانَ، وبها الأسواق الحسنة، وبها المنازل الحسنة .

(ومنها) قَزْوِينُ . قال فى "اللباب" : بفتح القاف وسكون الزاى المعجمة وكسر الواو وسكون المثناة من تحت وفى آخرهـا نون ـ وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى "القـانون" و"رسم المعـمور" حيث الطول خمس وسبعون درجة، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى مدينة لهـا حِصْن وماؤها من السماء والآبار، ولهـا قناة صغيرة للشرب فقط . وهى مدينة حصينة، وبها أشجار وكروم كلُّها عِذْىٌ لاتسقى، وليس بها ماء جار سوى مايشرب ويجرى إلى المسجد . قال ابن حوقل : وماء قناتها وَبِىء .

(ومنها) آبة . قال فى "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون الألف ثم باء موحدة وهاء ـ وموقعها فى الإقليم الرابع . قال : والعامة تسميها آوة . قال فى "الأطوال" حيث الطول خمس وسـبعون درجة وعشر دقائق، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال المهلّبى : وهى مدينة فى الشرق بآنحراف إلى الشّمال عن هَمَذَان، وبينهما سبعة وعشرون فرسخا . قال فى "المشترك" : وبينها وبين ساوة خمسة أميـال .

(ومنها) قُمّ . قال فى "اللباب" : بضم القاف وتشديد الميم ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال فى "رسم المعـمور" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس عشرة دقيقـة، والعرض خمس وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال فى "اللباب" : وكان بناؤها فى سنة ثلاث وثمانين للهجرة، بناها عبد الله بن سعد

والأحوص و إسحاق ونعيم وعبد الرحمن بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعرىّ من أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند آنهزامهم من الحجّاج، وكان مكانها سبع قرى فأهلكوا أهلها و بنوها مدينة ، كل قرية محلة من محلات المدينة . قال ابن حوقل : وهى مدينة غير مسوّرة حصينة البناء، وماؤها من الآبار، وبها البساتين على السوانى، وبها شجر الفستق والبندق، وأهلها شيعة . قال المهلّبىّ : وهى فى مرج تقدير سَعَته عشرة فراسخ فى مثلها ثم تفضى إلى جبالها؛ وبها من الفستق ماليس بغيرها .

(ومنها) الطَّالَقَان . قال فى "المشترك" : بفتح الطاء المهملة واللام والقاف ثم ألف ونون . وقال فى "اللباب" : بتسكين اللام — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "المشترك" : وهو مدينة وكُورة بين توريز وأبهر (١) . قال آبن حوقل : وهى أقرب إلى الدَّيْلَم من قَزْوين . وقد أوردها فى "كتاب الأطوال" المنسوب للفرس مع بلاد الدَّيْلَم . قال أحمد الكاتب : وهى بين جبلين عظيمين ، وهى تمس (٢) الطالقان بلاد خُراسان .

(ومنها) قَاشَانُ . قال فى "اللباب" : بفتح القاف وسكون الألف و بالشين المعجمة وبعد الألف نون . قال : ويقال بالسين المهملة أيضا — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ست وسبعون درجة، والعرض أربع وثلاثون درجة. قال المهلبىّ : وهى مدينة لطيفة . قال آبن حوقل: هى أصغر من قُمّ وغالب بنائها بالطين، وهى خِصْبَةٌ، وقد خرج منها جماعة من العلماء . قال فى "اللباب" : وأهلها شِيعَةٌ .

(١) فى تقويم البلدان ، بين قزوين وأبهر .

(٢) كذا فى الأصل بالاهمال ، ولعله وهى غير الطالقان ببلاد الخ .

(ومنها) الرَّىّ . قال فى " اللباب " : بفتح الراء وتشديد اليـاء آخر الحروف . قال فى " القانون " حيث الطول ثمانٍ وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقـة . قال ابن حوقل : وهى مدينة كبيرة، قدرُ عمارتها فرسخ ونصف فى مثـله، وفيها نهران يجريان، وبها قُنِىّ تجرى غير ذلك . وعدّها فى " اللباب " من الدَّيْلَم، ويخرج منها قُطْنٌ كثير للعراق ، وبها قبر محمد بن الحسن صاحب الإمام أبى حنيفة، والكسائىّ أحد القرّاء السبعة، والنسبة إليها رازِىّ على غير قياس، وإليها ينسب الإمام فخر الدين الرازىّ الإمام المشهور .

(ومنها) الكَرَجُ . قال فى " المشترك " : بفتح الكاف والراء المهملة وفى آخرها جيم ــ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ست وسـبعون درجة وأربعون دقيقـة، والعرض أربع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى مدينة متفرقة البناء ليس لهـا اجتماع المُدُن ؛ وتعرف بكَرَج أبى دُلَف . قال فى "المشترك": لأن أوّل من مَصَّرَهَا أبودُلَف القاسمُ بن عيسى العِجْلىّ وقصـده الشعراء . قال ابن حوقل : ولها زروع ومواشٍ ، ولكن ليس لها بساتين ولا متنزَّهات، والفواكه تجلب إليها .

(ومنها) خُوَارُ . قال فى "المشترك": بضم الخاء المعجمة وتخفيف الواو وسكون الألف وراء مهـملة فى الآخر ــ وموقعها فى الإقليم الخـامس من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول ثمانٍ وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال فى " المشترك " : وهى مدينة من نواحى الرَّىّ تخترقها القوافل . قال فى "القانون" : وقلّما يذكر إلا منسوبا إلى الرىّ فيقال خُوارُ الرَّىّ .

(ومنها) جبال الأكراد . قال فى "مسالك الأبصار" : والمراد بهذه الجبال الجبالُ الحاجزة بين ديار العرب وديار العجم، دون أماكن مَنْ توغل من الأكراد فى بلاد العجم . قال : وٱبتداؤها جبال هَمَذان وشَهْرُزُور، وٱنتهاؤها صَيَاصِى الكَفَرة من بلاد التكفور، وهى مملكة سِيس وما هو مضاف إليها مما بأيدى بيت لاون، ثم ذكر منها عشرين مكانا فى كل مكان منها طائفةٌ من الأكراد .

الأول ـ (دياوشت) . من جبال هَمَـذَان وشَهْرُزُور، وهو مُقَامُ طائفة من الأكراد ولهم أمير يخصهم .

الثانى ـ (درانتك) . وهو مُقَام طائفة ثانية من الكورانية أيضا، ولهم أمير يخصُّهم . قال فى "مسالك الأبصار" : والطائفتان جميعا لا تزيد عدّتهم على خمسة آلاف رجل .

الثالث ـ دانترك ونهاوند إلى قرب شَهْرُزُور . وهى مُقَام طائفة منهم تعرف بالكلالية، يعرفون بجماعة سيف، عدّتهم ألف رجل مقاتلة، ولهم أمير يخصهم، وهو يحكم على مَنْ جاورهم من الأكراد .

الرابع ـ مكان بجوار ديار الكلالية المقدّم ذكرهم بجبال هَمَـذَان . وهو مُقَام طائفة من الأكراد يقال لهم زنكلية، وعدّتهم نحو ألفين ذوو شجاعة وحيلة، ولهم أمير يخصهم، يحكم على بلاد كيكور وما جاوردا من البقاع والكُوَرِ .

الخامس ـ نواحى شَهْرزور . قال فى "مسالك الأبصار" : كان يسكنها طوائفُ(١) من الأكراد طائفتان إحداهما يقال لها اللوسة والأخرى يقال لها الباسرية، رجالُ حَرْب، وأقيالُ طعنٍ وضرب؛ نزحوا عنها بعد واقعة بغداد، ووفدوا إلى مصر والشام، وسكن فى أماكنهم قومٌ يقال لهم الحوسة ليسوا من صميم الأكراد .

(١) لعل هذا اللفظ زائد من الناسخ .

السادس — مكان بين شهرزور وبين أُشْنُه من أذْرَبيجان، به طائفة من الأكراد يقال لهم السولية، يبلغ عددهم نحو ألفى رجل، وهم ذوو شجاعة وحَمِيَّة، وهم طائفتان لكل طائفة منهم أمير يخصّهم .

السابع — بلاد بسقاد — وهى مُقَام طائفة من الأكراد يقال لهم القرياوية وبيدهم من بلاد أزبك أماكنُ أخر، قال : وعددهم يزيد على أربعة آلاف، ولهم أمير يخصّهم .

الثامن — بلاد الكركار — وهى مُقَام طائفة منهم يقال لها الحسنانية، وهم على ثلاثة أبطن : أحدها طائفة عيسى بن شهاب الدين، ولهم خفر قلعة برى والحامى، وثانيها طائفة تعرف بالتلية، وثالثها طائفة تعرف بالحاكية . وجميعهم نحو الألف رجل، ولكل طائفة منهم أمير يخصّهم .

التاسع — دَرْبَنْد قراير — وهو مُقَام الطائفة القرياوية، ولهم خفارة الدَّرْبَنْد المذكور، وصاحبه يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وقد ذكر فى "التثقيف" أن صاحبه كان سيف الدين بن سير الحسنانى .

العاشر — بلاد الكرحين ودقوق الناقة — وبه طائفة منهم عدّتهم تزيد على سبعمائة ولهم أمير يخصهم .

الحادى عشر — بين الجبلين، من أعمال إربل . قال فى "مسالك الأبصار" : وبها قوم كانوا يُدارُون التتر وملوكَ الديار المصرية . ففى الشتاء يعاملون التتر بالمجاملة، وفى الصيف يعينون سرايا الشام فى المجاملة . قال : وعددهم كعدد الكلالية، ولهم أمير يخصّهم . وذكر أنه كان لهم فى الدولة المنصورية قلاوون أميرٌ يسمّى الخضر ابن سليمان، كاتب شجاع، وأنه وفد إلى الديار المصرية فاخترمته المنية قبل عوده، وكان معه أربعة أولاد فعادوا بعد موته فى الدولة الزينية كتبغا .

الثانى عشر ـ مازنجان، وبيروه، وسحمة، والبلاد البرانية ـ وهى مُقام طائفة منهم يقال لها المازنجانية لا تزيد عدّتهم على خمسمائة، وهم طائفة ينتسبون إلى المحمدية، والمازنجانية هم طائفة المبارزِ كَكْ الموجود آسمه ورسم المكاتبة إليه فى دساتير المكاتبات القديمة . وقد أضيف إليهم الحُمَيدية، وهم طائفة من الأكراد لا تنقُص عدّتهم عن ألف مقاتل، لأن أميرهم مبارز الدين كك، كان من أمراء الخلافة فى الدولة العباسية، ومن ديوان الخلافة لُقِّبَ بمبارز الدين، وكك آسمه . قال : وكان يَدَّعى الصلاحَ وتنذر له النذور، فإذا حملت إليه قبلها وأضاف إليها مثلَها من عنده وتصدّق بهما معا . وذكر نحوه فى "التعريف". ثم كان له فى الدولة الهُولاكُوِيَّة المكانةُ العلية، وآستنابوه فى إربل وأعمالها، وأقطعوه عقرشوش بكمالها وأضافوا إليه هراة وتل حفتون وقدّموه على خمسمائة فارس، وتولّى الإمرة وقوانين(؟) نحو عشرين سنة، وبقى حتّى جاوز التسعين وهمته همة الشُّبَّان، ثم مات وخَلَفه ولده عز الدين، فكان من أبيه نِعْمَ الخلفُ، وجرى على نَهْج أبيه فى ترتيب المملكة وعلت رتبتُه عند ملوك التتر وملوك الديار المصرية، ثم خلفه أخوه نجم الدين خضر فجرى على سمت أبيه وأخيه . ثم قال : وكانت تَرِدُ على الأبواب السلطانية بمصر ونوّاب الشام كتب تتهلّل بماء الفَصاحة كالسُّحُب، وتسرح من أجنابها الأبكار العُرُب . ثم خلفه ولده فجرى على سَنَنِه وبقيت الإمارة فى بنيه . والأمير القائم منهم هو المعبر عنه فى الدساتير بصاحب عقرشوش، وله مكاتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الثالث عشر ـ بلاد شعلاباد إلى خُفْتيان، وما بين ذلك من الدشت والدَّرْبند الكبير ـ وهو مُقَام طائفة منهم تعرف بالشهرية معروفون باللصوصية، وهم قوم لا يبلغ عددهم ألفا وجبالهم عاصية، ودَرْبندهم بين جبلين شاهقين يسقيهما الزاب

الكبير . قال فى " مسـالك الأبصار " : وعليه ثلاث قناطر : آثنتان منهـا بالحجر والطين ، والوسطىٰ مضفورة من الخشب كالحصير ، علوها عن وجه المـاء مائة ذراع فى الهواء ، وطولهـا بين الجبلين خمسون ذراعا فى عرض ذراعين ، تمرّ عليها الدوابُّ بأحمالها ، والخيل برجالهـا . وهى ترتفع وتنخفض ، يخاطر المجتاز عليها بنَفْسه ، وهم يأخذون الخِفَارة عندها ، وهم أهل غَدْر وخديعة لا يستطيع المسافر مدافعتهم ، ولهم أمير يخصّهم ، ولصاحبها مكاتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الرابع عشر ــ ماذكرد والرسـتاق ، ومرت ، وجبل جنجرين المشرق علىٰ أُشْنُه من ذات اليمين ــ وهو مُقَام طائفـة منهم يقال لهم الزرزارية ، ويقال إنهم ممن تكرَّد من العجم ، ولهم عدد جَمٌّ ، يكاد يبلغ خمسة آلاف مابين أمراءَ وأغنياء وفقراء وأكَّارين وغيرهم ، وجبلهم فى غاية العلو والشُّهُوق فى الهواء ، شديد البرد ، بأعلاه ثلاثة أحجار طول كل حجر منها عشرةُ أشبار فى عرض دون الثلاثة ، متخذة من الحجر الأخضر المـاتع ، وعلىٰ كل منها كتابة قد آضمحلت لطول السنيـن ، يقال إنهـا نُصِبت لمعنىٰ الإنذار والإخبار عمن أهلكه الثلج والبَرْدُ هناك فى الصـيف ، وهم يأخذون الخِفَارة تحته . قال فى " مسالك الأبصار " : وكان لهم أمير جامع لكلمتهم آسمه نجم الدين باشاك ، ثم تولاهم من بعده آبنُه جيدة ، ثم آبنه عبد الله . قال : وكان لهم أمراءُ آخرون منهم الحُسَام شير الصغير ، وآبنه باشاك وغيرهم . قال : وينضم إلىٰ الزرزارية شرذمة قليلة تسـمَّى باسم قريتها بالكان نحو ثلثمائة رجل منفردين بمكان مشرف علىٰ عقبة الخان يأخذون عليها الخِفَارة ، ولصاحب ما ذكرد مكاتبة عن الأبواب السلطانيـة بالديار المصرية . ثم قال فى " التثقيف " : وهو حنش بن إسماعيل .

الخامس عشر ــ جولمرك ــ وهو مُقَام طائفة تسمَّى الجولمركية ، وهم قوم نسبوا إلىٰ مكانهم ذلك فعرفوا به ، ويقال : إنهم طائفة من العرب من بنى أميَّة آعتصموا

بهذه الجبال عند غَلَبة بنى العَبّاس عليهم ، وأقاموا بها بين الأكراد فآنخرطوا فى سِلْكهم . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم الآن فى عَدَد كثير، يزيدون على ثلاثة آلاف، كان ملكهم فى أوائل دولة التتر أسد بن مكلان، ثم خلفه آبنه عماد الدين، ثم آبنه أسد الدين . وببلاده معدن الزَّرْنيخين : الأحمر والأصفر، ومنها ينقل إلى سائر الأقطار . قال : وكان قد ظهر عنده معدن لازَوَرْد فأخفاه لئلا يسمع به ملوك التتر فيطلبونه، ومَعْقِله من أمنع المعاقل، على جبل مقطوع بذاته، والزابُ الكبير مُحْدق به، لا مَحَطَّ لجيش عليه، ولا وصول للسهام إليه، وسطحه متسع للزراعة، وفى كل ضِلَع من أضلاعه كَهْفٌ مرتفع يأوِى إليه مَنْ أراد الآمتناع، وأعلاه مغمور بالثَّلج، والصعودُ إليه فى بعض الطريق يستدعى العبورَ على أوتاد مضروبة . ومَن لا يستطيع التسلقَ جُرّ بالحبال، وكذلك بغال الطواحين . وملكهم معتَمَد عند الأكراد، وهو يأخذ الخِفَارة من جميع الطرقات من تبريز إلى خُوَى ونَقْجوان، وهذا هو المعبر عنه فى "التعريف" وغيره من الدساتير فى المكاتبات بصاحب جولمرك؛ وهو يكاتَبُ من الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

السادس عشر — بلاد مركوان . على القرب من الجولمركية، كثيرة الثلوج والأمطار، بلاد زرع وضرع — وهى متاخمة لأُرْمِيَة من بلاد أذْرَبيجان، وبها طائفة من الأكراد تبلغ عدّتهم ثلاثة آلاف، وهم أحلاف للجولمركية .

السابع عشر — بلاد كواردات — وهى بلاد مجاورة لبلاد الجولمركية من جهة بلاد الروم، وهى بلاد خِصْبة، وبها طائفة من الأكراد ينتسبون إليها لا إلى قبيلة، وعدّتهم نحو ثلاثة آلاف، ولهم أمير يخصهم .

الثامن عشر — بلاد الدِّينار — وهى بلاد تلى بلاد الجولمركية، وبها طائفة من الأكراد يقال لهم الدينارية نسبة إلى بلدتهم، وعددهم نحو خمسمائة، ولهم سوق وبلد،

وكان لهم أميران ، أحدهما الأمير إبراهيم بن الأمير محمد ، كان له وجه عند الخلفاء ، والثانى الشهاب بن بدر الدين ، توفى أبوه وخلّفه كبيرا فخلفه فى إمرته ، وكان بينهم وبين المازنجانية حروب .

التاسع عشر — بلاد العِمَادية وقلعة هارون . وهى بالقرب من بلاد الجولمركية ، وبهـا طائفة منهم يقال لهم الهَكَّارية يزيد عددهم على أربعـة آلاف مقاتل ، ولهم إمارة تخصهم . قال فى " مسالك الأبصار " : وهم يأخذون الخِفَارة فى أماكن كثيرة من بخارا إلى بلد الجزيرة . وصـاحب هارون يكاتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

العشرون — القمرانية وكهف داود — وبهـا طائفة منهم يقـال لهم التنبكية . قال فى " مسالك الأبصار " : وقليلٌ ما هم لكنهم حُمَاةٌ رُمَاةٌ وطعامهم مبذول على خَصَاصة .

وآعلم أنه بعد أن ذكر فى " مسالك الأبصار " ما تقدم ذكره عَقَّبَ ذلك بذكر جمـاعة من الأكراد تفرقوا فى الأقطار بعـد آجتماع ، منهم التحتية ، وهم قوم كانوا يضاهون الحُمَيدية كان لهم أعيان وأمراء وأكابر ، فهلك أمراؤهم ونسيت كبراؤهم ، ولم يبق منهم إلا شرذمة قليلة تفرقت بين القبائل والشعوب . ثم قال : وشُعَبهم كثيرة : منهم السندية وهم أكثر شُعَبهم عددا ، وأوفرُهم مَدَدا ؛ كانوا يبلغون ثلاثين ألف مقاتل . ومنهم المحمدية ، وكان لهم أمير لا يزيد جمعه على ستمائة رجل . ومنهم الراسنية ، كانوا أوفى عدد وعُدَد ، وجَمْع ومَدَد ؛ ثم تشتت شملهم ، وتفرق جمعهم ؛ وعادت عدّتهم فى بلد الموصل لا تزيد على ألف رجل ؛ وكان لهم أمير يقال له علاء الدين كورك بن إبراهيم فى بلد العَقْر ، ولا ينقص عن خمسمائة ؛ ومنهم الدنيكية ، وهم متفرقون فى البلاد لا يزيد عددهم على ألف رجل .

قلت : وقد ذكر فى " التثقيف " عدّة أماكن من بلاد وقلاع يكاتَبُ أصحابها من الأكراد سوىٰ من تقدّم ذكره، وهى خمسة وعشرون موضعا .

إحداها — برجو . الثانية — البلهيثة . الثالثة — كرم ليس . الرابعة — أندشت . الخامسة — حردقيل . السادسة — سكراك . السابعة — قبليس . الثامنة — جرموك . التاسعة — شنكوس . العاشرة — بهرمان . الحادية عشرة — حصن أرّان وهو حصن الملك . الثانية عشرة — ..... (1) الثالثة عشرة — سُونج . الرابعة عشرة — اكريسا . الخامسة عشرة — يزاركرد . السادسة عشرة — الزّاب . السابعة عشرة — الزيتية . الثامنة عشرة — الدَّرْبَنْدات العرابلية . التاسعة عشرة — قلعة الجبلين . العشرون — سيدكان . الحادية والعشرون — صاحب رمادان . الثانية والعشرون — الشّعْبانية . الثالثة والعشرون — نمرية . الرابعة والعشرون — المحمدية . الخامسة والعشرون — كرليك .

الإقليم الخامس

(بلاد الدَّيْلَم)

بفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وميم فى الآخر . وهم جِيلٌ من الأعاجم سكَنُوا هذه البلادَ فعُرِفت بهم، وبعض الناس يزعم أنهم من العرب من بنى ضَبَّةَ ، ومنهم كان بنو بُوَيْهِ القائمون علىٰ خُلَفَاءِ بنى العبَّاس ببغداد .

قال ابن حوقل : وهى جبال متسعة إلىٰ الغاية، وبها غِيَاض ومياه مشتَبِكة فى الوجه الذى يقابل طَبَرِسْتَانَ والبحر، وبين ذيل الجبل وبين البحر مسيرة يوم، وربما نقص عن ذلك، وربما زاد حتى بلغ يومين .

---

(1) بياض بالأصل .

وقاعدتها (رُوذَبَار) . قال فى "المشترك" : بضم الراء المهملة وسكون الواو وفتح الذال المعجمة والباء الموحدة ثم ألف و راء مهملة فى الآخر ـ وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى " الأطوال " حيث الطول خمس وسبعون درجة وسبع وثلاثون دقيقة ، والعرض ستٌ وثلاثون درجة و إحدىٰ وعشرون دقيقة . قال آبن حوقل : و به مُقام ملوكهم .

ومن بلادها (كَلَار) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بكاف ولام وألف وفى الآخر راء ـ وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى " القانون" حيث الطولُ سبع وسبعون درجة ،والعرضُ ست وثلاثون درجة . قال المهلّبى : وهى مدينة الديلم ،وهى فى جهة الشرق والجنوب عن لَاهِجَان من بلاد كِيلَان .

الإقليم السادس

(الجيل)

قال فى "المشترك" : بكسر الجيم وسكون المثناة من تحت ثم لام ـ وهو آسم لصُقْعٍ واسع مجاورٍ لبلاد الدَّيْلَم ، ليس فيه قرى كثيرة ، وليس فيه مدينة عظيمة . وقال فى " اللباب" : الجِيلُ آسم لبلاد متفرقة وراء طَبَرِسْتَانَ . قال : و يقال لها أيضا كِيلَان وكِيل ، فلما عُرِّبت قيل جِيلَان وجِيل ، ومنها كُوشِيار الحكيم الجيلىّ فيما ذكره ياقوت ، و إليها ينسب الشيخ عبد القادر الكِيلَانِى ، و بالجملة فهما صُقْعان متلاصقان يعسر تمييز أحدهما عن الآخر . قال فى "مسالك الأبصار" عن الشريف محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد الجيلىّ : إن بلاد كِيلَان فى وطاة من الأرض ، و إنه يحيط بها أربعة حدود ؛ من الشرق إقليم مَازَنْدَرَان ، ومن الغرب مُوقَانُ ، ومن الجنوب عِراق العجم ، يفصل بينهما جبل يعرف باشناده ، ومن الشَّمال بحر

القُلْزُمِ يعنى بحرَ طَبَرِسْتَانَ . قال : وطول مجموع كِيلان مما بأيدى ملوكها، وهو شرق بغرب نحو عشرة أيام ، وعرضها وهو جنوب بشمال نحو ثلاثة أيام تزيد وتنقص، وهى شديدة الأمطار، كثيرة الأنهار، كثيرة الفواكه خلا النخلَ والمَوْزَ وقصب السُّكَّر والمشمش، ويجلب إليها المحمضات من مازَنْدَران. قال : ومُدُن كِيلان غير مسوّرة، ولملوكهم قصور علية، وجميع مبانيها بالآجُرّ مفروشة به أيضا كما فى بغداد، مسقَّفة بالخشب، وبعضها معقودة أقباءً وعليها قَشٌّ مضفور، وفى غالب ديارها آبار قريبة المستقىٰ نحو ذراعين أو ثلاثة أو أقل ، والأنهار حاكمة علىٰ مُدُنها ، وبها حَمَّامَاتٌ يجرى إليها الماء من الأنهار ، وبها المساجد والمدارس وتسمّى بها الخوانق ، وغالب أقواتهم الأَرُزُّ يعمل منه الخبز والرُّقَاق مع تيسر القمح والشعير عندهم ، والبقر والغنم عندهم بكثرة ، وأسعارُهم متوسطة إلىٰ الرُّخص ، وبها الحرير الكثير ، ولها حصون فى نواحى مازَنْدرانَ وجزائرُ فى بحر طَبَرِسْتان ، بها الرمان والبلوط والفواكه ، وفيها تَحَصُّنُهم عند مغالبة العدو لهم ، ولباسهم الأقبية الإسلامية الضَّيِّقَةُ الأكمام وتخافيف صغار علىٰ رءوسهم ، ويشدّون المَنَاطق والبُنُود ، وخيلهم براذِين ، وفى سروجهم المحلّى بالفضة وغيره ، ولملوكهم زِىّ جميل علىٰ ضيق بلادهم وقلة متحصِّلها ، ويركب الملك بالرَّقَبة السلطانية والحُجّاب والسِّلاحدارية والجمدارية والجنائب المجرورة ، وتُتَّخَذ بظواهر قصور ملوكهم ميادينُ خُضْرٌ ، فى أوساطها قصورٌ صغار من الخشب فيها جلوسهم للخِدَم والمظالم . ولا يزال بين ملوكهم الخُلْف ، فإذا قصدهم عدوّ خارجىّ عنهم تألفوا واجتمعوا عليه ، حتّى إن هُولاكو جهز إليهم جيشا عِدّته سبعون ألفا صحبة نائبه قَطْلوشاه فلم ينل منهم قصدا ، وكان آخرَ الأمر أن قُتِل قطلوشاه وهلك جُلُّ مَنْ معه . وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن بها ثمانَ قواعد بكل قاعدة منها مَلِكٌ ، بعضهم أكبر من بعض ، وموقع جميعها فى الإقليم الرابع .

فأما الكبار فأربع[1] قواعد .

القـاعدة الأولى

(يُومِن)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم الباء الموحدة التى بين الفاء والباء الموحدة وسكون الواو وكسر الميم ثم نون فى الآخر . قال : وهى قريبة من البحر، وبها فيما يحاذيها مَعْدِن حديد، وبهـا من معمولات القماش . قال فى "مسالك الأبصار" : وصاحبها شافعىّ المذهب دون غيره من ملوك الجيل، مذهب نشأ عليه ملوكها . قال : وعسكره يزيد على ألف فارس، وبلاده قليلة ولكن غالب دخله من التُّجَّار، والحرير بها كثير . قال : وصاحبها يَدَّعِى النسـبةَ إلى بيت الشرف، وله آعتناء بأهل العـلم والفضل؛ ولباس الملك والجند بها نوع من لباس التَّتَر؛ ولباس غِلْمـانها قريب من زىّ التجار، ولهم عَذَبات كالصوفية قدّامهم؛ وعامة أهلها كغيرهم ممن جاورهم .

القـاعدة الثـانية

(تُولِمُ)

قال فى " تقويم البُـلْدان " : بضم المثناة الفوقية وواو ولام وميم، وصـاحب " مسالك الأبصار " يثبت فيها ياء مثناة تحتيـة بين اللام والميم – وهى قريبة من البحر أيضا . قال فى "مسالك الأبصار": وأمر صاحبها قريب من صاحب يُومِنَ ولكن لاحريرَ فى بلاده؛ وهو حَنْبَلِىّ المذهب، وعدّة عسـكره نحو ألف فارس وهم أفرس إخوانهم، ولهم على ملوك الجيل آستظهار لما ظهر من نِكايتهم فى عسكر التتر. قال : وزِيُّها كزِىّ يُومِن .

(١) لم يذكر إلا ثلاثا . ولعل الرابعة دولاب .

القاعدة الثالثة

(كسكر)

قال فى "تقويم البلدان": بفتح الكافين وسكون السين المهملة بينهما وراء مهملة فى الآخر. وقد ذكر أنها دُولَابُ ـ بضم الدال المهملة وسكون الواو ولام ألف و باء موحدة فى الآخر. قال : وعن السمعانى فتح الدال وأنه أفصح وأنها من حدود الدَّيْلَم . وذكر فى "اللباب" أنها قرية من أعمال الرَّىّ . قال فى "مسالك الأبصار" : وصاحبها له صَوْلَةٌ فى ملوك تولَم، وجيشه أكثر عددا من غيره من ملوك الجيل ، وبلاده أوسع، وأرضه أخْصَبُ وأكثر حَبًّا وفاكهةً وأغناما وأبقارا مما حولها؛ وهى كثيرة السمك والطير . ومنها الشيخ العارف السيد عبد القادر الكيلانى قدّس الله رُوحَه .

وأما الصِّغار فأربع أيضا .

القاعدة الأولى

(لَاهِجَانُ)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح اللام وبعدها ألف وهاء وجيم مفتوحتان ثم ألف بعدها نون، ثم قال : وهى من الدَّيْلَم أو كِيلان . قال فى "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة قال فى "تقويم البلدان" : ومنها يجلب الحرير المشهور إلى البلاد . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى فى حال الحرير كما فى يومن بخلاف غيرهما من سائر بلاد الجيل .

القاعدة الثانية ـ (سخام) .

القاعدة الثالثة ـ (مَرَسْت) .

القاعدة الرابعة ـ (تنفس) .

ولها عدة مُدُن غير القواعد .

(منها) كُوتُم . قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم الكاف[(١)] وواو ساكنة ثم تاء مثناة فوقية مضمومة ثم ميم فى الآخر — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : قال من رآها إنها مدينة لها بساتين، وهى ناقلة عن البحر مسيرة يوم . قال المهلبىّ : وهى مدينة كبيرة للجيل .

(ومنها) سالُوسُ . قال فى "تقويم البُلْدان" : المشهور بالسين المهملة وألف ولام مضمومة وواو ساكنة ثم سين ثانية — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى على البحر ولها مَنَعَةٌ وهى صعبة المسلك . قال المهلبىّ : وهى آخر حدّ طَبَرِسْتَانَ من جهة الغرب .

الإقليم السابع
(طَبَرَسْتَانُ)

بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء المهملة[(٢)] وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة فوق وألف ثم نون . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى فى جهة الشرق عن بلاد الديلم وكِيلان . قال : وإنما سميت طَبَرَسْتَانَ لأن طَبَرَ بالفارسية القَأْسُ ، وهى من كثرة اشتباك أشجارها لا يسلك فيها الجَيْشُ إلا بعد أن تقطع الأشجارُ بالطَّبَرِ من بين أيديهم ، وآستان بالفارسية الناحية ، فسميت طَبَرَسْتَان أى ناحية

(١) ضبطها ياقوت بفتح الكاف والتاء .

(٢) ضبطه ياقوت بكسر الراء ، وقد تابعناه فى ضبط ما تقدم .

الطَّبَر . قال فى " العزيزى " : وهى فى غاية المَنَعَة والحصانة بالجبال المنيعة المحيطة بها من كل جانب، وفى وسط الجبال الأراضى السهلةُ، وفيها من كثرة المياه والغياض ما لا يساويها فيه بلد آخر، وهى عن قَزْوِينَ فى الشرق بانحراف إلىٰ الشَّمال . قال ابن حوقل : وهى بلاد كثيرة المياه والأشجار والغالبُ عليها الغِيَاض، وأبنيتها بالخشب والقَصَب، وهى بلاد كثيرة الأمطار . ويرتفع منها حرير يعُمُّ الآفاق، وغالب خُبْزِهم الأُرُزُّ . قال : وليس بجميع طَبَرِسْتان نهرٌ تجرى فيه السفن ، إلا أن البحر قريب منهم علىٰ أقلَّ من يوم . قال ابن خَلِّكَانَ : والنسبة إليها طَبَرِىٌّ .

وقاعدتها (آمُلُ) . قال فى "المشترك" : بهمزة مفتوحة بعدها ألف ثم ميم مضمومة ولام فى الآخر ــ وهى مدينة من طَبَرِسْتَانَ واقعةٌ فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول سبع وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال فى " القانون " : وهى قَصَبة طَبَرِسْتَانَ ، وهى أكبر من قَزْوِينَ ، مشتبكةٌ بالعمارة لايعلم علىٰ قدرها أعمر منها فى تلك النواحى . قال أحمد الكاتب : وهى علىٰ بحر الدَّيْلَم . وقال فى " المشترك " : هى أكبر مدينة بطَبَرِسْتَانَ . ومنها أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبَرِىّ الإمام الكبير المشهور .

ولها عدّة مدن .

(منها) رُويَانُ . قال فى " المشترك " : بضم الراء المهملة وسكون الواو ثم ياء مثناة من تحت وألف ونون ــ وهى مدينة من طَبَرِسْتَانَ واقعة فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " رسم المعمور " حيث الطول ست وسبعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى مدينة كبيرة فى جبال طَبَرِسْتَانَ ، ولها كورة عظيمة وعمل . قال فى " اللباب " : وخرج منها جماعة كثيرة من العلماء .

(ومنها) مَامَطِيرُ . قال فى "اللباب" : بفتح الميمين وكسر الطاء المهملة وسكون المثناة من تحت وراء مهملة فى الآخر . قال فى "اللبـاب"(١) : وهى بلدة من عمل آمُلَ، خرج منها جماعةٌ من العلماء .

(ومنها) دِهِسْتَانُ . قال فى " اللباب " : بكسر الدال المهملة والهـاء وسكون السين المهملة وفتح المثناة من فوق ثم ألف ونون . قال ابن حوقل : وهى مدينة من طَبَرِسْتَانَ، وقيل هى من خُرَاسَانَ ـ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول إحدى وثمـانون درجة وعشر دقائق، والعرض ثمـان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مدينة مشهورة عنـد مَازَنْدَرَانَ، بناها عبد الله بن طاهر، ومعناها بالفارسية موضع القُرىٰ، وهى آخر حد طَبَرَسْتَانَ بين جُرْجَانَ وخُوَارَزْمَ .

الإقليم الثـامن

(مَازَنْدَرَانُ)

بفتح الميم وبعـدها ألف وفتح الزاى المعجمة وسـكون النون وفتح الدال والراء المهملتين وألف ثم نون، وهو إقليم علىٰ القرب من طَبَرِسْتَانَ وقاعدتها (جُرْجَانُ) . قال فى "اللباب" : بضم الجيم وسكون الراء المهملة وجيم ثانية وألف وفى آخرها نون . قال فى " المشـترك " : والعجم تسميها كُرْكَانَ بضم الكاف وسكون الراء المهملة . وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول ثمانون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال "المهلّبى" : وهى

(١) المقام للاضمـار .

مدينة جليلة بين خُرَاسَانَ و بين طَبَرَسْتَانَ . فَخُوَارَزْمُ منها فى جهة الشرق وطَبَرَسْتَانُ منها فى جهة الغرب . قال : وهى بلدة كثيرة الأمطار، متصلة الشتاء، وفى وسطها نهر يجرى ، وهى قريبة من بحر الخزر، والجبالُ مُحْتَفَّةٌ بها فهى سُهْلِيَة جَبَلِيَة ، يجتمع فيها فواكه الغَوْر والنَّجْد . قال : وبها من خشب الخَلَنْج ماليس فى بلد آخر مثله .

ولهـا مُدُن أخرىٰ .

(منها) سَارِيَةُ . قال فى "اللباب" : بفتح السين المهملة وألف وراء مهملة ومثناة من تحتها وهاء . قال فى "اللباب" : وهى مدينة من مَازَنْدَرَانَ . وقال ٱبن سعيد : من طَبَرَسْتَانَ ــ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . وفى شرقيها خُوَار الرَّيّ و بينهما نحو ثمانين مِيلًا .

(ومنها) أَسْتَرَابَاذ . قال فى "المشترك" : بفتح الهمزة . وقال فى "اللباب" : بفتح الهمزة(١) وسكون السين المهملة وكسر(٢) المثناة من فوق وفتح الراء المهملة و بالباء الموحدة بين ألفين وفى آخرها ذال معجمة . قال فى "اللباب" : وقد يُلحقون فيها ألفا أخرىٰ بين التاء والراء . قال فى "المشترك" : أستر ٱسم رجل واباذ ٱسم عمارة ، فكأنه قال عمارة أستر . وهى مدينة من مَازَنْدَرَانَ . وقيل من خُرَاسَانَ . وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول تسع وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس دقائق . قال فى "العزيزى" : وهى علىٰ حدّ طَبَرَسْتَانَ ، و بينها و بين آمُلَ : قصبة طَبَرَسْتَانَ تسعة وثلاثون فرسخا .

---

(١) الذى فى تقويم البلدان عن اللباب بكسر الألف .

(٢) ضبطها ياقوت بالفتح .

(ومنها) آبُسْكُونُ . قال فى "اللباب" : بفتح الألف الممدودة وضم الباء(١) الموحدة وسكون السين المهملة وضم الكاف وفى آخرها نون — وهى بلدة على ساحل بحر الخزر واقعةٌ فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول تسع وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وعشر دقائق . قال فى "القانون" : وهى فُرْضة جُرْجَانَ . قال ابن حوقل : وإليها ينسب بحر آبُسْكُون ، ومنها يركب إلى الخزر وإلى باب الأبواب والجيل والدَّيلم وغير ذلك .

الإقليم التاسع
(قُومَسُ)

قال فى "اللباب" : بضم القاف وسكون الواو وفتح الميم(٢) وفى آخرها سين مهملة . قال : ويقال لها بالفارسية كُومَس بإبدال القاف كافا . قال : وهى من بَسْطَامَ إلى سِمْنَان ، وهما من قُومَس بين خُرَاسَانَ وبين الجبال ، أولها من ناحية الغرب سِمْنَان . قال أحمد الكاتب : وقُومَس بلدٌ واسع جليل القدر . وقال فى "المشترك" : قُومَسُ موضع كبير فيه بلاد كثيرة وقُرًى — وقاعدتها (سِمْنَانُ) . قال فى "المشترك" : بكسر السين المهملة وسكون الميم ونونين بينهما ألف . قال فى "القانون" حيث الطول تسع وسبعون درجة وخمس عشرة دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال فى "المشترك" : وهو بلد مشهور بين الرَّيّ والدَّامَغَان .

وبها مُدُن أيضا .

(منها) الدَّامَغَانُ . قال فى "اللباب" : بفتح الدال المهملة وألف وفتح الميم والغين المعجمة وألف ثانية ثم نون — وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى "القانون"

(١) ضبطها ياقوت بفتح الباء . (٢) ضبطها ياقوت بكسر الميم .

حيث الطولُ تسع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة .

(ومنها) بَسْطَامُ . قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون السين وفتح الطاء المهملتين وفى الآخر ميم – وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "اللباب" : وهى بلدة مشهورة . قال ابن حوقل : ولها البساتين الكثيرة ، وهى كثيرة الفواكه، وإليها ينسب أبو يَزِيدَ البَسْطامىّ الزاهد .

الإقليم العاشر
(خُرَاسَانُ)

قال فى "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة وألف ثم سين مهملة وألف ونون – وهى بلاد كثيرة . قال : وأهل العراق يقولون إنها من الرَّىّ إلى مَطْلَع الشمس، وبعضهم يقول من حُلْوَانَ إلى مَطْلَع الشمس، ومعنى خرَاسمُ للشمس، واسان موضعُ الشىء ومكانُه، وقيل معنى خُرَاسَان كُلْ بالرَّفَاهِيَةِ . قال فى "تقويم البُلْدان": ويحيط بها من جهة الغرب المَفَازة التى بينها وبين بلاد الجيل وجُرْجَانَ، ومن جهة الجنوب مفازة فاصلة بينها وبين فَارِس وقُومَس، ومن الشرق نواحى سِجِسْتَانَ و بلاد الهند، ومن جهة الشَّمال بلاد ماوراء النهروشىءٌ من تُرْكُسْتانَ . قال : وخُرَاسَانُ تشتمل على عدة كُوَر كل كُورَةٍ منها نحو إقليم .

ومن كورها المشهورة (جُوَيْنُ) بضم الجيم وفتح الواو وسكون المثناة من تحت ونون فى الآخر . (وقُوهَسْتان) بضم القاف وسكون الواو وفتح الهاء(1) وسكون السين المهملة وفتح المثناة فوق وألف ثم نون . و(بَغْشُور) بفتح الباء الموحدة والغين المعجمة

(1) ضبطها ياقوت بكسر الهاء .

الساكنة ثم شين معجمة وواو وراء مهملة فى الآخر. و(مَرْوُ) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وواو فى الآخر. و(طُوسُ) بضم الطاء المهملة وسكون الواو وسين مهملة فى الآخر. و(بَيْهَقُ) بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة التحتية وفتح الهاء وقاف فى الآخر. و(بَاخَرْزُ) بفتح الباء الموحدة ثم ألف وخاء معجمة وراء مهملة ساكنة وزاى معجمة، وإليها ينسب الباخَرْزِىّ الذى أسلم علىٰ يديه بَرَكَةُ .

وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة فى تاريخه (نَيْسَابُورُ) . قال فى "اللباب": بفتح النون وسكون المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وسكون الألف وضم الباء الموحدة وبعدها واو وراء مهملة . قال فى "اللباب" : وسميت نَيْسَابُورَ لأن سابور الملك لما رءاها ، قال : يصلح أن يكون هاهنا مدينـةٌ، وكانت قَصَبا فأمر بقطع القَصَب وأن تبنىٰ مدينة ، فقيـل نيسابور والنَّىْ هو القَصَبُ . قال ابن سـعيد : والعجم تسميها نَشَاور . قال فى "تقويم البُلْدان" : وٱسمها الآن نَشَاوَرُ، يعنى بفتح النون والشين المعجمة وألف وفتح الواو وراء مهملة فى الآخر ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمـانون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة مشهورة فى أرض سَهْلة ، وهى مفترشـة البناء مقدار فرسخ فى فرسخ، وبها قُنِىّ ماء، وهى صحيحة الهواء . قال فى "اللبـاب" : وهى أحسن مُدُن خُراسان وأجمعها للخير . قال أحمد بن يعقوبَ الكاتب : وبينهـا وبين كلٍّ من مَرْوَ ومن هَرَاةَ ومن جُرْجَانَ ومن الدَّامَغَانِ عشر مراحل .

وبها مدن عديدة .

(منها) الطَّابَرَانُ . قال فى "اللبـاب" : بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء المهملة وبعـد الألف نون . قال فى "القانون" : وهى قصبة طُوسَ من كُوَرِ

خُرَاسَانَ ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال فى "العزيزى" : وهى من أجَلّ مدن خُرَاسَانَ .

(ومنها) نَوْقَانُ . قال فى "اللباب" : بفتح النون(١) وسكون الواو وفتح القاف وبعد الألف نون ـ وهى مدينة من أعمال طُوسَ من خُرَاسَانَ، موقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول اثنتان وثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال المهلّبى : وهى من أجَلّ مدن خُرَاسَانَ وأعمرها، وبظاهرها قبر الإمام علىّ بن موسى بن جعفر الصادق، وقبر هارون الرشيد الخليفة العباسىّ؛ وبها معدن الفَيْرُوزَج والدَّهْنَج .

(ومنها) إسْفَرَايِنُ . قال فى "اللباب" : بكسر(٢) الألف وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة وكسر المثناة التحتية ونون فى الآخر ـ وهى بلدة بنواحى نَيْسَابُورَ من خُرَاسَانَ ـ موقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول إحدى وسبعون درجة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وتسمى المِهْرَجَانَ أيضا بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الراء المهملة والجيم وألف ونون فى الآخر . يقال إن كسرى سماها بذلك تشبيها بالمِهْرَجَانِ أحد أعياد الفُرْس : لأن المِهْرَجَانَ أطيب أوقات الفصول، شبهها بذلك لخُضْرَتها ونَضَارتها، وإليها ينسب الأستاذ أبو إسحاق الإسْفَرَايِنىّ الإمام الكبير المشهور .

(ومنها) خُسْرُوْجِرْدُ . قال فى "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وسكون السين وفتح الراء المهملتين وسكون الواو وكسر الجيم ثم راء ودال مهملتان ـ وموقعها

(١) ضبطها ياقوت بالضم .
(٢) ضبطها ياقوت بالفتح، ثم قال وياء مكسورة وياء أخرى ساكنة .

فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول إحدى وثمانون درجة وخمس دقائق ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال فى "المشترك" : وهى قَصَبة ناحية بَيْهَق من خُرَاسَانَ . وقال فى "اللباب" : كانت قصبتَها ثم صارت القصبة سبزوار .

(ومنهـا) نَسَا . قال فى "المشـترك" : بفتح النون والسين المهملة وألف مقصورة – وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال ابن سـعيد حيث الطولُ اثنتان وثمانون درجة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال فى "المشترك" : وهى مدينـة من خُرَاسَانَ بين أَبِيوَرْدَ وسَرَخْس . قال ابن حوقل : وهى مدينـة خِصْبة ، ومنها الإمام أحمد النسائىّ صاحب السُّنَنِ .

(ومنهـا) أَزَاذْوَار . قال فى "تقويم البُلْدان" : بالهمزة والزاى المعجمة ثم ألف وذال معجمة وواو مفتوحتين وألف وراء مهملة فى الآخر . وهى قَصَـبة جُوَيْنَ من خُرَاسَانَ . وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، ومنها إمام الحرمين الإمام الشافعىّ المشهور .

(ومنها) قَايِنُ . قال فى "اللبـاب" : بفتح القاف وبعد الألف ياء مثناة تحتية مكسورة ثم نون . وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول أربع وثمانون درجة وخمس وثلاثون دقيقة [والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة] (١) . قال ابن حوقل : وهى قَصَبة قُوهَسْتَانَ ، من خُرَاسَانَ على مفازة . قال : وهى مثل سَرَخْس فى الكِبَر ، وماؤها من القُنِىّ ، وبساتينها قليلة ، وقراها متفرّقة . قال فى "اللباب" : وإليها ينسب جماعة من العلماء .

(١) الزيادة عن تقويم البلدان نقلا عن القانون .

(ومنها) سَرَخْس . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح السين والراء المهملتين ثم خاء معجمة ساكنة وسين مهملة ساكنة ــ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة بين نَيْسَابُورَ وبين مَرْوَ فى أرض سهلة ، وليس لها ماء جار إلا نهر يجرى فى بعض السنة ، وهو فضلة مياه هَرَاةَ ؛ والغالب على نواحيها المراعى ؛ ومعظم مال أهلها الجمال ، وماؤهم من الآبار ، وأرحيتهم على الدوابّ . قال المهلبى : والرمال مُحْتَفّة بها .

(ومنها) بُوشَنْجُ . قال فى "اللباب" : بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وسكون النون وجيم فى الآخر . قال فى "اللباب" : ويقال لها أيضا فُوشَنْج بالفاء بدل الباء . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويقال لها أيضا بُوشَنْك بالكاف بدل الجيم . قال ابن حوقل : وهى مدينة على نحو النصف من هَرَاة فى مستوٍ من الأرض ، ولها مياه وأشجار كثيرة ، وماؤها من نهر هَرَاةَ ، وهو يجرى من هراة إلى بُوشَنْج إلى سَرَخْس .

(ومنها) هَرَاةُ . قال فى "اللباب" : بفتح الهاء والراء المهملة ثم ألف وهاء فى الآخر . قال فى "التعريف" : ولا يسمع عجمىّ يقول إلا هرى ــ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول خمس وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى من خُرَاسَانَ ، ولها أعمال ، وداخلها مياه جارية ، والجبل منها على نحو فرسخين ، ومنه تعمل حجارة الأرحية وغيرها ، وليس به محتطَب ولا مَرْعًى ، وعلى رأسه بيت نار كان للفُرْس ، وخارج هَرَاةَ المياهُ والبساتين . قال فى "المشترك" : وكانت مدينة عظيمة خرّبها التتر . قال فى "اللباب" : وكان فتحُها فى خلافة أمير المؤمنين

عثمان رضى الله عنه. قال : والنسبة إليها هَرَوِىٌّ . قال فى "مسالك الأبصار" : ومن الناس من يعُدّ هَرَاة مفردة بذاتها عن خُرَاسَانَ، وصاحبها يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) مَرْوُ الرُّوذ . قال فى "المشترك" : بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفى آخرها واو . وقال فى "اللباب" بفتح الواو وألف ولام وضم الراء الثانية وسكون الواو وذال معجمة ، والرُّوذُ بالعجمية النهر ، ومعناه مَرْوُ النهر . وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول سبع وثمانون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى أكبر من بُوشَنْجَ، ولها نهر كبير وعليه البساتين، وهى طيِّبة التربة والهواء، والجبل عنها فى جهة الغرب على ثلاثة فراسخ . قال فى "اللباب" : وهى من أشهر مُدُن خُرَاسَانَ، والنسبة إليها مَرْوَرُّوذِىٌّ ومَرُّوذِىٌّ أيضا .

(ومنها) مَرْوُ الشَّاهِجَان . قال فى "المشترك" : بفتح الميم وسكون الراء المهملة وواو فى الآخر، وهو مضاف إلى الشَّاهجان بفتح الشين وألف بعدها هاء ثم جيم وألف ونون — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال فى "المشترك" : ومَرْوُ الشَّاهِجَان معناه رُوح الملك . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبع وثمانون درجة، والعرض سبع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة قديمة يقال إنها من بناء طهمورث : أحد ملوك الفُرْس . قال فى "مسالك الأبصار" : ويقال إنها من بناء ذى القَرْنين . قال : وهى فى أرض مستوية بعيدة عن الجبال لايُرَى منها الجبل، وأرضها كثيرة الرمل وفيها سُبُوخة ، ويجرى على بابها نهرٌ يدخل منه الماء إلى حياض المدينة، ومنه شرب أهلها؛ ولها ثلاثة أنهار أُخَر؛ وبها الفواكه الحسنة تقدّد وتحمل إلى البلاد؛ وبها الزبيب الذى لانظير له؛ ولها من

النظافة وحسن الترتيب وتقسيم الأبنية والغُرُوس على الأنهار، وتميز كل سُوقٍ عن غيره ماليس لغيرها من البلاد . قال فى "المشترك" : والنسبة إليها مَرْوَزِىٌّ . قال فى "تقويم البلدان" : وبها كان مُقام المأمون لما كان بخُرَاسَانَ، وبها قُتِل يَزْدَجِرْدُ آخرُ ملوك الفُرْس، ومنها ظهرت دولة بنى العباس، وبها صُبِغ أوّل سواد لبسته المسوِّدة، ومنها يرتفع الحرير الكثير والقطنُ . قال فى "المشترك" : وبينها وبين كلٍّ من نَيْسَابُورَ وهَرَاةَ وبَلْخ وبُخَارا مسيرة اثنى عشر يوما .

(ومنها) الطَّالَقَانُ . قال فى "المشترك" : بفتح الطاء المهملة واللام والقاف ثم ألف ونون . وقال فى "اللباب" : بتسكين اللام — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وثمانون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة نحو مَرْوِ الرُّوذ فى الكِبَر، ولها مياه جارية وبساتين قليلة، وهى فى جبل، ولها رُسْتاق فى الجبل، وهى غير الطَّالَقَانِ المقدّم ذكرها فى عراق العجم .

(ومنها) بَلْخ . قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفى آخرها خاء معجمة — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" و"القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة فى مستوٍ من الأرض، بينها وبين أقرب جبل إليها أربعة فراسخ، والمدينة نصف فرسخ فى مثله، ولها نهر يسمى الدهاش (١) يجرى فى ربضها، وهو نهر يدير عَشْر أرحية، والبساتين تحتف بها من جميع جهاتها، وبها الأُتْرُجُّ وقَصَبُ السُّكَّرِ، وتقع فى نواحيها الثلوج . قال فى "اللباب" :

(١) وقع فى التقويم بإهمال السين، ولم نعثر عليه فى المعجم ولا فى القاموس .

فتحها الأَحْنَفُ بن قَيْس التميمىّ فى خلافة عثمان رضى الله عنـه ، وخَرَج منها مالا يحصى من الأئمة والعلمـاء والصلحاء .

(ومنها) شَهْرَسْتَانُ . قال فى "اللبـاب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الهـاء وفتح الراء وسكون السـين المهملتين وفتح التاء المثناة من فوقُ وبعد الألف نون ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة قال فى "الأطوال" و "القـانون" حيث الطول إحدىٰ وتسعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة و إحدىٰ وأربعون دقيقة . قال فى "المشترك" : شَهْر بلغة الفرس المدينة ، واستان الناحية ، فمعنىٰ آسمها مدينة الناحية . قال : وهى مدينة مشهورة بين نَيْسَابُورَ وخُوَارَزْمَ فى آخر حدود خُرَاسَانَ وأوّل حدود رمال خُوَارَزْمَ .

الإقليم الحـادى عشر
(زَابُلُسْتَانُ)

بفتح الزاى المعجمة ثم ألف بعـدها باء موحدة ولام مضمومتان وسـين مهملة سا كنة وتاء مثناة فوقُ مفتوحة ثم ألف ونون ـ وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول آثنتان وتسعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وخمسَ عشرةَ دقيقة . قال آبن حوقل : وهى مدينة لهـا بلاد وأعمال ، وهى عن بَلْخ علىٰ عشر مراحل ، وعندها نهر كبير يجرى ، وليس لها بساتين بل هى مدينة علىٰ جبل ، والفوا كه تأتيها مجلوبة . قال فى "اللباب" : وبها قلعة حصينة .

ولها مدن غيرها .

(منهـا) غَزْنَةُ . قال فى "اللباب" : بفتح الغين وسكون الزاى المعجمتين وفتح

النون - وموقعها فى آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " و " القانون " حيث الطول أربع وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ٱبن حوقل : هى من عمل البامِيَان ؛ وقد تقدّم أن البَاميان من زَابُلُسْتَانَ . وقال فى " اللباب " : هى من أوّل بلاد الهند . وقال فى "مزيل الارتياب" : هى فى طرف خُرَاسَانَ وأوّل بلاد الهند ، وهى كالحدّ بينهما . قال ٱبن حوقل : وهى فُرْضة الهند وموطن التجار ، ولها دَرْبَنْد مشهور .

(ومنها) بَنْجَهِيرُ . قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الجيم وكسر الهاء وسكون المثناة تحتُ وراء مهملة فى الآخر - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول أربع وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ٱبن حوقل : وهى مدينة من أعمال الباميَان على جبل ، والغالب على أهلها العَيْثُ والفَسَاد . قال فى "اللباب" : وبها جبل الفضة ، والدراهم بها كثيرة ، لايشترون ولو بَاقَةَ بَقْلٍ بأقلَّ من درهم ، وقد جعلوا السُّوق كهيئة الغِرْبَال لكثرة الحُفَر . قال : وإنما يتبعون عروقا يجدونها تُفْضِى إلى الفِضَّة ، فإذا وجدوا عِرْقًا حفروا أبدا إلى أن يصيروا إلى الفضة ، والرجل منهم يُنْفِق الأموال الكثيرة فى الحَفْر ، وربما خرج له من الفضة مايستغنى به هو وعَقِبُه ، وربما خاب عمله لقلة المال وغير ذلك ، وربما وقف رجل على العِرْق ووقف آخر عليه فى موضع آخر فيأخذان جميعا فى الحَفْر ؛ والعادة عندهم أن من سبق فاعترض على صاحبه فقد ٱستحق .

الإقليم الثانى عشر
(الغُــورُ)

قال فى "اللباب" : بضم الغين المعجمة وسكون الواو وراء مهملة فى الآخر . قال : وهى بلاد فى الجبال بخُرَاسَانَ قريبةٌ من هَرَاة، وهى مملكة كبيرة، وغالبها جبال عامرة ذات عيون وبساتين وأنهار، وهى بلاد حصينة منيعة، وتحيط بها خُرَاسَانُ من ثلاث جهات ولذلك حُسِبت من خراسان، والحدّ الرابع لها قِبْلِيّ سِجِسْتَانَ .

وقاعدتها فيما قاله فى "تقويم البُلْدان" (بِيرُوزْكُوه) . قال فى "المشترك" : بكسر البـاء الموحدة وسكون المثناة التحتية وضم الراء المهملة وواو ثم زاى معجمة وضم الكاف وواو وهـاء — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "المشترك" : معنىٰ بِيرُوزْكُوه الجبـل الأزرق ؛ وهى قلعة حصينة دار مملكة جبال الغُور . قال : وبها كان مستقرًا بنو سامخان(١) ملوك الغُور .

قلت : وبلاد الغُور وغَزْنَةُ وما والاها وإن عدّها فى "مسالك الأبصار" من مملكة التورانيين، فإنها ليست من أصـل مملكة تُورانَ، وإنما تغلب ملوكها عليها من مملكة إيران، فلذلك أثبتُّها فى مملكة إيران؛ وما غلب عليه بنو هُولاكُو من مملكة الروم، وهو قُونِيَـة وما معها ليس من مملكة إيران بل هو مملكة مستقلة بذاتها كما سيأتى ، ولذلك لم أثبتها فى مملكة إيران والله أعلم .

---

(١) كذا فى الأصل علىٰ هذه الصورة، والذى فى التقويم "بها كان مستقر آل سام الخ" وفى معجم البلدان "بناها بنو سام ملوك الغورية" .

الجملة الثالثة

(فى الأنهار المشهورة)

واعلم أن بهذه المملكة عدّة أنهار، والمشهور منها ثلاثة عشر نهرا :

الأوّل — الفُرات وما يصب فيها (١) ويخرج منها (١) . فأما نهر الفرات فأوّله من شمالىّ مدينة أَرْزَنِ الروم وشرقيها ، وأَرْزَنُ هذه آخر حدّ بلاد الروم من جهة الشرق ، ثم يأخذ إلى قرب مَلَطْيَةَ ثم إلى شِمْشَاط ، ثم يأخذ مشرّقا و يتجاوز قلعة الرُّوم و يمرّ مع جانبها من شماليها وشرقيها ، ثم يسير إلى الْبِيرَة ، و يمرّ من جنوبيها ، ثم يمرّ مشرّقا حتّى يتجاوز بالِسَ وقلعة جَعْبَر و يتجاوزها إلى الرَّقّة ، ثم يمرّ مشرّقا و يتجاوز الرَّحْبَةَ من شماليها و يسير إلى عانةَ ثم إلى هِيتَ ، ثم يسير إلى الكُوفَة . فإذا جاوز نهر كُوثَى بستة فراسخ آنقسم نصفين ، ومرّ الجنوبىّ منهما إلى الكوفة و يجاوزها و يصبّ فى البطائح . و يمرّ القسم الآخر وهو أعظمهما و يعرف بنهر سُورا ، و يمرّ بإزاء قصر آبن هُبَيْرة ، و يتجاوزه إلى مدينة بابل القديمة ، و يتفرّع منه عدّة أنهر و يمرّ عمودُه إلى النيل و يسمّى من بعد النيل نهر الصَّرَاة ، ثم يتجاوز النيل و يصب فى دِجْلَة .

وأما الأنهار التى تصب فيه ، فمنها نهر شِمْشَاط ، ونهر البَلِيخ ، ونهر الخابُور ، ونهر الهِرْماس ، وغيرُها .

وأما الأنهار التى تخرج من الفرات ، فمنها نهر عيسى ، ونهر صَرصر ، ونهر المَلِك ، ونهر كُوثَى وغيرُ ذلك .

الثانى — دِجْلَةُ ومايصب إليها ويخرج منها . فأما دِجْلة فقال فى " المشترك " : بكسر الدال المهملة وسكون الجيم . قال : وهى نهر عظيم مشهور مَخْرَجه من بلاد

(١) كذا فى التقويم أيضا بالتأنيث والأولى التذكير.

الرُّوم، ثم يمرّ على آمِدَ، وحِصْنِ كَيْفا، وجزيرة ابن عُمَر، والمَوْصِل، وتكْرِيتَ، وبَغْدَادَ، ووَاسِطَ، والبَصْرَة، ثم يصبّ فى بحر فَارِسَ. وذكر فى "العزيزى": أن رأس دِجْلَة شمالى مَيَّافَارِقِين من تحت حِصْنٍ يعرف بحِصْنِ ذى القَرْنَيْن. ويجرى من الشمال والغرب إلى جهة الجنوب والشرق، ثم يشرّق ويرجع إلى جهة الشمال، ثم يغرّب بميلة إلى الجنوب إلى مدينة آمِدَ، ثم يأخذ جنوبا إلى جزيرة ابن عُمَر، ثم يأخذ شرقا وجنوبا إلى مدينة بَلَد، ثم يشرق إلى المَوْصِل، ثم يسير مشرقا إلى تِكْرِيتَ، ثم يأخذ مشرقا نصبا إلى سُرَّ مَنْ رأى، ثم يأخذ جنوبا على عُكْبَرى، ثم يأخذ مشرقا إلى البَرَدَانِ، ثم يأخذ جنوبا بميلة إلى الشرق إلى بَغْدَادَ، ثم يسير جنوبا إلى كَلْوَاذَا، ويأخذ إلى المدائن ويتجاوز إلى دير العَاقُول، ثم يسير مشرقا إلى النُّعْمَانِيَّة، ثم يسير جنوبا ومشرقا إلى فَمِ الصِّلْح، ثم يسير مغربا إلى وَاسِطَ، ثم يشرّق إلى بطائح وَاسِطَ، ثم يخرج من البطائح ويسير بين الشرق والجنوب حتى يتجاوز البَصْرَةَ، ويمرّ على فُوَّهة الأُبُلَّة، ثم يسير إلى عَبَّادَانَ ويصبّ فى بحر فَارِسَ.

وأما الأنهار التى تصب فى دِجْلَة: فمنها نهر أَرْزَنَ، ونهرُ الثَّرْثار، ونهرُ الفُرَاتِ الأعلى وهو الأكبر، ونهر الزَّابِ الأصغر، وغيرها.

وأما الأنهار التى تخرج من دِجلةَ فعدّة أنهار، من أشهرها نهر الأُبُلَّة، ونهر مَعْقِل المقدّم ذكرهما فى الكلام على متنزهات هذه المملكة.

الثالث — دِجْلَة الأهواز. وهو نهر ينبعث من الأهواز، ويمرّ فى جهة الغرب إلى عَسْكَرِ مُكْرَم، وهو قرب دِجْلة بغداد فى المقدار، وعليه مَزَارِعُ عظيمة من قصب السُّكَّر وغيره.

الرابع ــ نهر شِيرِينَ . وهو نهر يخرج من جبل دينار من ناحية بازرع(١) ويخترق بلاد فارس ويقع فى بحر فارس عند جَنَّابَةَ ، من بلاد فارس .

الخامس ــ نهر المَسْرُقَان . وهو نهر عظيم فى بلاد خُوزُستان، يجرى من ناحية تُسْتَرَ، ويمرّ علىٰ عَسْكَرِ مُكْرَمٍ، ويسقِى بجميع مائه النخل والزرع وقَصَب السكر، ولا يضيع شىء من مائه .

السادس ــ نهر تُسْتَر . وهو نهر يخرج من وراء عسكر مُكْرَم، ويمرّ علىٰ الأهواز، ثم ينتهى إلىٰ نهر السِّدرة إلىٰ حصن مهدىّ، ويصب فى بحر فارس .

السابع ــ نهر طَابَ . ومَخْرَجه من جبال أصفَهَان من قرب المَرْج، وينضم إليه نهر آخر ويسير حتّى يمرّ علىٰ باب أَرَّجَانَ، ويقع فى بحر فارس عند شينير .

الثامن ــ نهر سَكَّان . وهو نهر يخرج من رُسْتاق الرونجان(٢) من قرية تدعىٰ ساركى(٢)، ويسقى شيئا كثيرا من كُوَرِ فارس؛ ثم يصب فى بحر فارس؛ وعليه من العمارة ما ليس علىٰ غيره .

التاسع ــ نهر زَنْدَوَرْذَ، بفتح الزاى المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة والواو ثم راء مهملة ساكنة وذال معجمة فى الآخر. وهو نهر كبير علىٰ باب أَصْفَهان .

العاشر ــ نهر الهِنْدَمَنْد . قال آبن حوقل : وهو أعظم أنهار سِجِسْتَانَ، ويخرج من ظهر الغُورِ، ويمرّ علىٰ حدود الرُّخَّجِ؛ ثم يعطِف ويمرّ علىٰ بُسْت، حتّى يصير علىٰ مرحلة من سِجِسْتَانَ؛ ثم يصب فى بحيرة زَرَه؛ وإذا تجاوز بُسْتَ يتشعب منه أنهار كثيرة؛ وعلىٰ باب مدينة بُسْتَ علىٰ هذا النهر جِسْرٌ من السفن كما فى دِجْلَةَ .

---

(١) فى التقويم "نازرنج" ولم نعثر فى المعجم علىٰ كلا اللفظين .

(٢) فى التقويم "الرويجان ... ... ساذفرى".

الحادى عشر – نهر الرَّسّ . وهو نهر يخرج من جبال قالِيقَلا، ويمرّ إلىٰ وَرْثَانَ، ثم يلتقى مع نهر الكُرّ الآتى ذكره بالقرب من بحر الخَزَرِ فيصيران نهرا واحدا ويصبّان فى بحر الخَزَرِ المذكور . قال فى "تقويم البُلْدان" : وخلف نهر الرَّسّ فيما يقال ثلاثمائة وستون مدينة خراب ، يقال إنها المراد فى القرءان بقوله تعالىٰ ﴿ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ ﴾ .

الثانى عشر – نهر الكُرّ . وهو نهر فاصل بين أرّانَ وأَذْرَبِيجَانَ كالحدّ بينهما ، وأوّله عند جبل بابِ الأبواب ، ويخترق بلاد أرّانَ ويصب فى بحر الخَزَرِ . وذكر ٱبن حوقل أن نهر الكُرّ يمرّ علىٰ ثلاثة فراسخ من بَرْذَعَةَ . وبفارِسَ أيضا نهر يقال له نهر الكُرّ إلا أنه دون هذا فى القدر والشهرة .

الثالث عشر – نهر جُرْجَانَ . ومخرجه من جبل جرجان ، ويسير غربا بجنوب إلىٰ آبُسْكُونَ ثم يفترق من آبُسْكُونَ نهرين ويصب فى بحر الدَّيْلَم .

الجملة الرابعـــة

(فى الطرق الموصلة إلىٰ قواعد هذه المملكة ، وذكر شىء من المسافات بين بلادها)

وٱعلم أن آخر المملكة المضافة إلىٰ الديار المصرية من جهة الشرق مملكة حَلَب، فتعين الٱبتداء منها . ونحن نورد ذلك علىٰ مايقتضيه كلام عبيد الله بن عبد الله ٱبن خرداذبة فى كتابه "المسالك والممالك" مقتصرا علىٰ ذكر مشاهير البلاد .

(الطريق من حَلَبَ إلىٰ المَوْصِلِ) – من حَلَبَ إلىٰ مَنْبِجَ، ومن مَنْبِجَ إلىٰ الرَّسْتَنِ، ومن الرستن إلىٰ الرَّقَّةِ إلىٰ رأس عين سبعة عشر فرسخا، ومن رأس عين إلىٰ كَفَرْتُوثا سبعة فراسخ ، ومن كَفَرْتُوثَا إلىٰ دارا خمسة فراسخ، ومن دارا إلىٰ نَصِيبِينَ أربعة فراسخ، ثم إلىٰ بَلَد ثلاثون فرسخا، ثم إلىٰ الموصل سبعة فراسخ .

(الطريق من المَوْصِلِ إلى بَغْدَادَ) ــ من الموصل إلى الحَدِيثة أحد وعشرون فرسخا، ثم إلى السِّنِّ خمسة فراسخ، ثم إلى سُرَّ مَنْ رَأى ثلاثة فراسخ، ثم إلى القادِسيَّة تسعة فراسخ، ثم إلى عُكْبَرَى ثمانية فراسخ، ثم إلى البَرَدَانِ أربعة فراسخ، ثم إلى بَغْدَاد [خمسة فراسخ](١) . وأخبرني بعض أهل تلك البلاد أن الطريق من حَلَبَ إلى البِيرة يومان، ومن البِيرَة إلى الرُّهَا يومان ، ومن الرُّهَا إلى مارِدِينَ أربعة أيام، ثم من مارِدِينَ إلى جزيرة ٱبن عُمَرَ ثلاثة أيام، ثم من جزيرة ٱبن عُمَرَ إلى المَوْصِلِ يومان، ومن الموصل إلى تِكْرِيتَ يومان، ومن تِكْرِيتَ إلى خُوَىَّ يومان، ومن خُوَىّ إلى بَغْدَادَ يومان .

(الطريق إلى نَيْسَابُور : قاعِدة خُرَاسَانَ) ــ من بغداد إلى النَّهْرُوَانِ أربعة فراسخ ، ثم إلى الدَّسْكَرَة ٱثنا عشرَ فرسخا ، ثم إلى جَلُولاء سبعة فراسخ، ثم إلى خَانِقِينَ سبعة فراسخ ، ثم إلى قصر شِيرِينَ ستة فراسخ ، ثم إلى حُلْوَانَ خمسة فراسخ ، ثم إلى مَرْج القلعة عشرة فراسخ ، ثم إلى قصر يَزِيدَ أربعة فراسخ ، ثم إلى قصر عَمْرو ثلاثة عشرَ فرسخا ، ثم إلى قصر اللُّصُوص سبعة عشر فرسخا، ثم إلى قرية العَسَل ثلاثة فراسخ، ثم إلى هَمَذَانَ خمسة فراسخ ، ثم إلى الأَساوِرة ٱثنان وعشرون فرسخا، ثم إلى سَاوَة خمسة عشر فرسخا، ثم إلى الرَّىّ أربعة وعشرون فرسخا ، ثم إلى قصر المِلْح أحد وثلاثون فرسخا، ثم إلى رأس الكَلْب سبعة فراسخ ، ثم إلى سِمْنَانَ ثمانية فراسخ ، ثم إلى بُومَنَ سبعة عشر فرسخا، ثم إلى أَسَدَاباذَ أربعون فرسخا، ثم إلى خُسْرُوجِرْدَ ٱثنا عشر فرسخا، ثم إلى نَيْسَابُورَ خمسة عشر فرسخا .

(الطريق من نَيْسَابُورَ إلى بَلْخ ثم إلى نهر جَيْحُونَ) ــ من نَيْسَابُورَ إلى طُوس ثلاثة عشر فرسخا، ثم إلى مَرْو الرُّوذ أحد عشر فرسخا، ثم إلى سَرَخْس، ثم إلى قَصْر النجار ثلاثة فراسخ ، ثم إلى مَرْو الشَّاهِجَان سبعة وعشرون فرسخا ، ثم إلى القَرْيَتَين خمسة

(١) الزيادة عن تقويم البلدان .

وعشرون فرسخا، ثم إلى أَسَدَاباذَ على النهر سبعة فراسخ، ثم إلى قَصْر الأَحْنف على النهر عشرة فراسخ، ثم إلى مَرْو الرُّوذ خمسة فراسخ، ثم إلى الطَّالَقَانِ ثلاثة وعشرون فرسخا، ثم إلى ارعين تسعة فراسخ، ثم إلى العاديات عشرة فراسخ، ثم إلى السِّدرة من عمل بَلْخ أربعة وعشرون فرسخا، ثم إلى الغُورِ تسعة فراسخ، ثم إلى بَلْخَ ثلاثة فراسخ، ثم إلى شطِّ جَيْحُونَ آثنا عشر فرسخا. فذات اليمين كورة خُتَّل ونهر الضِّرْغام، وذات اليَسَار خُوَارَزْمُ، وسيأتى ذكرهما فى الكلام على مملكة تُوران فيما بعدُ إن شاء الله تعالى.

(الطريق إلى شِيرَازَ قاعدة فارس) — قد تقدّم الطريق من حَلَبَ من مضافات الديار المصرية إلى بغداد، ومن بغداد إلى واسطَ خمسة وعشرون سِكّة، ومن واسط إلى الأهواز عشرون سكة، ثم إلى النُّوبَنْدَجان تسع عشرة سكة، ثم إلى شِيرَازَ آثنتا عشرة سكة.

(الطريق من شِيراز إلى السِّيرجَان: قاعدةِ كَرْمَانَ) — من شِيراز إلى إصْطَخْرَ خمس سِكَك، ثم من إصْطَخْرَ إلى البحيرة ثلاثة عشر فرسخا، ثم إلى شَاهَكَ الكبرى سبعة عشر فرسخا، ثم إلى قرية المِلْح تسعة فراسخ، ثم إلى مَرْزُبانه ثمانية فراسخ، ثم إلى اروان ثلاثة فراسخ، ثم إلى المرمان وهو آخر عمل فارس إلى السِّيرجَان ستة عشر فرسخا.

(الطريق إلى أَصْبهَانَ) — من يُومَن المقدم ذكرها إلى الرِّباط ثلاثة عشر فرسخا، ثم إلى أَصْبهَانَ أربعة عشر فرسخا.

(الطريق إلى البصرة) — قد تقدّم الطريق من حَلَبَ إلى بَغْدَادَ، ثم إلى واسط، ثم إلى الفاروث، ثم إلى دير العمال، ثم إلى الحوانيت، ثم يسير فى البطائح، ثم إلى نهر أبى الأسد، ثم فى دِجْلة العورا، ثم فى نهر مَعْقِل، ثم يمضى إلى البصرة.

(الطريق إلى تبريز)[1] - قد تقدم الطريق من حلب إلى ماردين، ثم من ماردين إلى حصن كيفا يومان، ومن الحصن إلى سعرت يومان، ومن سعرت إلى وان يومان، ومن وان إلى وسطان ثلاثة أيام، ومن وسطان إلى سلماس يومان، ومن سلماس إلى تبريز أربعة أيام؛ فيكون بين حلب وتبريز ثلاثة وعشرون يوما .

(الطريق إلى السلطانية) - من تبريز إليها سبعة أيام؛ فيكون من حلب إلى السلطانية ثلاثون يوما .

الجملة الخامسة

(فى بعض مسافات بين بلاد هذه المملكة)

(بعض مسافات بلاد الجزيرة) - من الأنبار إلى تكريت مرحلتان، ومن تكريت إلى الموصل ستة أيام، ومن الموصل إلى آمد أربعة أيام، ومن آمد إلى سميساط ثلاثة أيام؛ ومن الموصل إلى نصيبين أربع مراحل، ومن نصيبين إلى رأس عين ثلاث مراحل، ومن رأس عين إلى الرقة أربعة أيام، ومن رأس عين إلى حران ثلاثة أيام، ومن حران إلى الرها يوم واحد .

(بعض مسافات خوزستان) - من عسكر مكرم إلى الأهواز مرحلة، ومن الأهواز إلى الدورق أربع مراحل، [وكذلك من عسكر مكرم إلى الدورق][2] ومن عسكر مكرم إلى سوق الأربعاء مرحلة، ومن سوق الأربعاء إلى حصن مهدى مرحلة، ومن السوس إلى بصنى مرحلة خفيفة، ومن السوس إلى متوث مرحلة .

(بعض مسافات فارس) - قال ابن حوقل : من شيراز إلى سيراف نحو ستين فرسخا، ومن شيراز إلى إصطخر نحو اثنى عشر فرسخا، ومن شيراز إلى كازرون

---

(١) فى القاموس " تبريز وقد تكسر ... ... " .
(٢) الزيادة عن " تقويم البلدان " ليتم البيان .

نحو عشرين فرسخا ، ومن كَازَرُونَ إلى جَنَّابَةَ أربعة وأربعون فرسخا ، ومن شِيرَازَ إلى أَصْبَهَانَ آثنان وسبعون فرسخا، ومن شِيرَازَ مُغَرِّبا إلى أوّل حدود خُوزِسْتَانَ ستون فرسخا ، ومن شِيرَازَ إلى بَسَا سبعة وعشرون فرسخا، ومن شِيرَازَ إلى البَيْضَاء ثمانية فراسخ ، ومن شيراز إلى دارابجِرْدَ خمسون فرسخا، ومن مَهْرُوبان إلى حصن آبن عمارة نحو مائة وستين فرسخا .

(بعض مسافات كِرْمان) — من السِّيرجَان إلى المفازة مرحلتان، ومن السِّيرجَان إلى جِيرُفْتَ مرحلتان، ومن السِّيرجَان إلى مدينة الزَّرَنْد تسعة وعشرون فرسخا .

(بعض مسافات إرْمِينِيَةَ وأرَّانَ وأَذْرَبِيجان) — قال آبن حوقل : من بَرْذَعَةَ إلى شَمْكُورَ أربعة عشر فرسخا، ومن بَرْذَعَةَ إلى تَفْلِيسَ ثلاثة وأربعون فرسخا، ومن أَرْدُبِيل إلى المَرَاغَةِ أربعون فرسخا، ومن المَرَاغَةَ إلى أُرْمِيَةَ أربعُ مراحل، ومن أُرْمِيَةَ إلى سَلَمَاسَ مرحلتان، ومن سَلَمَاسَ إلى خُوَىَ سبعة فراسخ، ومن خُوَىَ إلى بَرْكَرِى ثلاثون فرسخا ، ومن بَرْكَرِى إلى أَرْجِيشَ يومان ، ومن أرجيشَ إلى خِلَاطَ ثلاثة أيام، ومن خلَاط إلى بِدْلِيسَ ثلاثة أيام، ومن بِدْلِيسَ إلى مَيَّافارقين أربعة أيام .

[ذكر الطريق من المراغة إلى أردبيل ؛ من مَرَاغة إلى أرمية ثلاثون فرسخا][(١)]، ومن أُرْمِيَةَ إلى سَلَمَاسَ أربعة عشر فرسخا، ومن خُوَىَ إلى نَشْوَى [ثلاثة أيام، ومن نَشْوَى][(١)] إلى دَبِيلَ أربعُ مراحل ؛ ومن المَرَاغَةِ إلى الدَّيْنَوَرِ ستون فرسخا، ومن خُونَجَ إلى مراغة [ثلاثة عشر فرسخا][(١)] ، ومن بَرْذَعَةَ إلى وَرْثَان سبعة فراسخ ، ومن وَرْثَان إلى بَيْلَقَانَ سبعة فراسخ، ومن شَرْوَانَ إلى باب الأبواب نحو سبعة أيام، ومن بَرْذَعَةَ إلى تَفْلِيسَ نحو آثنين وستين فرسخا .

(١) الزائد من تقويم البُلدان عن آبن حوقل ليستقيم الكلام .

(بعض مسافات عِراق العجم) ـ من هَمَذَانَ إلىٰ الدِّينَوَر ما ينيف علىٰ عشرين فرسخا ، ومن هَمَذَانَ إلىٰ سَاوَةَ ثلاثون فرسخا ، ومن سَاوَةَ إلىٰ الرِّيّ ثلاثون فرسخا أيضا ، ومن هَمَذَانَ إلىٰ زَنْجَانَ علىٰ شَهْرَزُورَ ثلاثون فرسخا ، ومن هَمَذَانَ إلىٰ أَصْبَهَانَ ثمانون فرسخا ، ومن هَمَذَانَ إلىٰ أوّل خُرَاسَانَ نحو سبعين فرسخا ، ومن سَاوَةَ إلىٰ قُمّ نحو آثني عشر فرسخا ، ومن قُمّ إلىٰ قَاشَانَ نحو آثني عشر فرسخا أيضا ، ومن الرِّيّ إلىٰ قَزْوِينَ ثلاثون فرسخا ، ومن الدِّينَوَرِ إلىٰ شَهْرَزُورَ أربع مراحل ، ومن أَصْبَهَانَ إلىٰ قَاشَانَ ثلاث مراحل .

(بعض مسافات طَبَرِسْتَانَ ومَازَنْدَرانَ وقُومَس) ـ قال آبن حوقل : بين آمُلَ وسَارِيَةَ مرحلتان ، ومن سارِيَة إلىٰ إِسْتَرَاباذ نحو أربع مراحل ، ومن إِسْتَرَابَاذَ إلىٰ جُرْجَانَ نحو مرحلتين ، ومن آمُلَ إلىٰ مَامَطِيرَ مرحلة ، ومن مَامَطِيرَ إلىٰ سَارِيَةَ مرحلة ، ومن جُرْجَانَ إلىٰ بِسْطَامَ مرحلتان .

(بعض مسافات خُرَاسَانَ) ـ قال فى "تقويم البُلْدان" : من أوّل أعمال نَيْسابُور إلىٰ وادى جَيْحُونَ ثلاث وعشرون مرحلة ، ومن سَرَخْسَ إلىٰ نَسَا سبعة وعشرون فرسخا ، ومن هَرَاةَ إلىٰ نَيْسَابُورَ أحد عشر يوما ، ومن هَرَاةَ إلىٰ مَرْو كذلك ، ومن هَرَاةَ إلىٰ سِجِسْتَانَ كذلك ، ومن مَرْو الرُّوذ إلىٰ مَرْو الشَّاهِجانِ أربعة أيام ، ومن بَلْخ إلىٰ فَرْغَانَةَ ثلاثون مرحلة مشرقا ، ومن بَلْخ إلىٰ الرِّيّ ثلاثون مرحلة مغربا ، ومن بلخ إلىٰ سِجِسْتَانَ ثلاثون مرحلة جنوبا ، ومن بَلْخ إلىٰ كَرْمَانَ ثلاثون مرحلة ، ومن بَلْخ إلىٰ خُوَارَزْم ثلاثون مرحلة .

الجمـــلة السادسة

(فيما بهذه المملكة من النفائس العليّة القدر، والعجائب الغريبة الذكر، والمنتزهات المرتفعة الصيت)

وقد ذكر في "مسالك الأبصار": بها عدّة نفائس وعجائب.

أما النفائس فإن بها مَغَاص اللؤلؤ بحر فارس بجزيرة كِيش وعُمَـان، وهما من أحسن المغاصات وأشرفها وأعلاها قدرا في حسن اللؤلؤ على ماتقدّم ذكره في الكلام على الأحجار النفيسة فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى.

وبالدّامغَان في جبلها معدن ذهب. قال الشيخ شمس الدين الأصفهاني: وهو قليل المتحصّل لكثرة ما يحتاج إليه من الكُلَف حتّى يُستخْرَج وببذخشان(١) شرقيّ عراق العجم البـازهر الحيوانيّ الذى لا يباريه شيء في دفع السُّمُوم يوجد في الأيابيل التى هناك، وقد مرّ ذكره في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى.

وبها الإثمد الأصْفَهانيّ الذى لايُساوى رتبة، وقد مرّ ذكره في الكلام على مايحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى، ولكنه قد عزّ الآن حتّى لايكاد يوجد. قال المقرّ الشهابيّ بن فضل الله: سألت الشيخ شمس الدين الأصْفَهانيّ عن سبب قلّته، فقال: لأنقطاع عِرْقه فما بقى يوجد منه إلا مالا يرى. قال في "مسالك الأبصار": وبهذه المملكة مستعملات القماش الفاخر من النخ، والمخمل، والكمخا، والعتابى، والنصافى، والصوف الأبيض الماردينيّ؛ وتعمل بها البسط الفاخرة في عدّة مواضع مثل شِيرَاز وأَقْصَرا وتَوْرِيز إلى غير ذلك من الاشياء النفيسة التى لايضاهيها غيرها فيها.

---

(١) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل.

* * *

وأما العجائب، فقد ذكر الشيخ شمس الدين الأَصْفَهانى أن بمدينة قِشْمِير على ثلاثة أيام عن أَصْفَهانَ عينَ ماء سارحة يسمّى ماؤها بماء الجراد، إذا حمل ماؤها فى إناء وعلق فى تلك الأرض على عال، أتاها طير يقال له سار فأكل ما فيها من الجراد حتى لايدع منه شيئا بشرط أن لايوضع على الأرض حتى يؤتى به إلى مكان الجراد فيعلّق . وحكى محمد بن حيدر الشيرازى فى مصنّف له : أن بين الدّامَغان وأَسْتِرَاباذ من خُرَاسانَ عينا ظاهرة إذا ألقيت فيها نجاسة فار ماؤها وأزبدت شيئا (١) تبعته دودة طول أنملة الإنسان حتى لو حمل الماء تسعة وكان معهم عاشر لم يحمل الماء، تبع كلَّ واحد ممن حمل الماء دودة ، ولم يتبع الآخر منها شىء ، فلو قتل واحدٌ منهم تلك الدودة آستحال الماء مرا لوقته ، وكذلك ماء كلِّ مَنْ هو وراءه، ولا يستحيل ماء من هو إلى جانبه مُراًّ . قال آبن حوقل : وبكُورة سَابُور من بلاد فَارِسَ جَبَلٌ فيه صورة كل مَلِكٍ وكلِّ مَرْزُبَان معروف للعجم وكل مذكور من سَدَنَةِ النّيران . وفى كورة أَرْجان فى قرية يقال لها طبريان [بئرٌ] (٢) يذكر أهلُها أنهم آمتحنوا قعرها بالمثقلات فلم يلحقوا لها قعرا، ويفور منها ماء بقدر مايُدِير رَحًى تسق أرض تلك القرية . قال : وفى كورة رُسْتاق [بئر] (٢) تعرف بالهنديجان بين جبلين يخرج منها دخان لا يستطيع أحد أن يقربها، وإذا طار عليها طائر سقط فيها وآحترق . وبناحية داذين نهرُ ماءٍ عَذْبٍ يعرف بنهر أَخْشِين ، يشرب منه الناس وتسقى به الأرض، وإذا غسلت به الثياب خرجت خُضْراً .

---

(١) لعله ولو حمل واحد من مائها شيئا الخ .

(٢) الزيادة عن تقويم البلدان ليستقيم الكلام .

وأما المنتزهات فيها نهر الأُبُلَّةِ وشِعْب بَوَّان — وهما نصف منتزهات الدنيا الأربعة : وهي نهر الأُبُلَّةِ وشِعْب بَوَّانَ المذكوران وصُغْد سَمَرْقَنْد وغُوطة دِمَشْق .

وقد تقدم أن نهر الأُبُلَّةِ نهرٌ شقّه زيادٌ مقابَلَة نهر مَعْقِل ، وبينهما البساتين والقصور العالية والمبانى البديعة ، يتسلسل مجراه ، وتتهلل بُكَرُهُ وعشاياه ، ويُظله الشجر وتتغنى به زمر الطير . وفيه يقول القاضى التنوخىّ من أبيات :

وإذا نَظَرْتَ إلى الأُبُلَّةِ خِلْتَهَا * من جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ حين تُخَيَّلُ !
كَمْ مَنْزِلٍ فى نَهْرِها آلى السُّرُو * رُ بأنَّهُ فى غَيْرِها لا يَنْزِلُ !
وكأنَّما تِلْكَ القُصُورُ عَرَائِسٌ * والرَّوْضُ حَلْيٌ وهى فيه تَرْفُلُ !

وشِعْب بَوَّانَ — وهو عدة قُرًى مجتمعة ومياه متصلة ، والأشجار قد غطّت تلك القرى فلا يراها الإنسان حتى يدخلها ، وهو بظاهر هَمَذان يشرف عليها من جبل ، وهو فى سفح الجبل والأنهار تنحطّ عليه من أعلى الجبل ، وهو من أبدع بقاع الأرض مَنْظَرًا . قال المبرد : أشرفت على شِعْب بَوَّانَ فنظرت فإذا بماء ينحدر كأنه سلاسلُ فضة ، وتربة كالكافور ، وثرية كالثوب الموشّى ، وأشجار متهادلة ، وأطيار متجاوبة . وفيه يقول أبو الطَّيِّب المتنبى حين مرَّ به :

مَغَانِى الشِّعْبِ طِيبًا فى المَغَانِى * بمنزلة الرَّبِيعِ من الزَّمَانِ !
ولكنَّ الفتى العَرَبِيَّ فيها * غَرِيبُ الوَجْهِ واليَدِ واللِّسَانِ !

الجملة السابعة

(فى ذكر من ملك مملكة إيران جاهلية وإسلاما)

وهم على ضربين :

الضرب الأوّل

(ملوكها قبل الإسلام)

وٱعلم أن هذه المملكة لم تزل بيد ملوك الفُرْس لٱبتداء الأمر وإلى حين ٱنقراض دولتهم بالإسلام على ماسيأتى ذكره . قال المؤيد صاحب حماة : وهم أعظم ملوك الأرض من قديم الزمان ، ودولتهم وترتيبهم لا يماثلهم فى ذلك أحد .

وهم على أربع طبقات :

الطبقة الأولى

(الفيشداذية)

سُمُّوا بذلك لأنه كان يقال لكل من ملك منهم فيشداذ ومعناه سيرة العدل .

وأوّل من ملك منهم (أوشهنج) وهو أوّل من عُقِد على رأسه التاج وجلس على السرير ورَتَّب الملك ونَظَّم الأعمال ووضع الخَرَاج . وكان ملكه بعد الطُّوفان بمائة (١) سنة ، وهو الذى بنى مدينتى بَابِلَ والسُّوسِ ، وكان محمودَ السيرة ، حسن السياسة .

ثم ملك بعده (طهمورث) وهو من عقب أوشهنج المقدّم ذكره ، وبينهما عدّة آباء ، وسلك سِيرة جدّه ، وهو أوّل من كتب بالفارسية .

ثم ملك بعده أخوه (جَمْشِيذ) ومعناه شُعَاع القمر ، وسار سِيْرة من تَقَدَّمه وزاد عليها ، وملك الأقاليم السبعة ، ورتب طبقاتِ الحُجَّابِ والكُتَّابِ ونحوهم ، وهو الذى أحدث النَّيْرُوزَ وجعله عيدا ، ثم حاد عن سيرة العدل فقتله الفُرْس .

(١) فى تاريخ أبى الفدا (بمائتى) بالتثنية .

وملك بعده (بيوراسب) ويعرف بالدَّهَّاك[1]، ومعناه عشر آفات، والعامة تسميه الضحاك؛ وملك جميع الأرض فسار بالجَوْر والعَسْف، وبسط يده بالقتل، وأحدث المُكُوس والعُشور، واتخذ المغنِّين والملاهي. وسيأتى خبر هلاكه مع كابى الخارج عليه فى الكلام على النِّحَل والملل، ويقال إنه هو ومن قبله كانوا قبل الطُّوفان.

ثم ملك بعده (إفريدون) ويقال إنه التاسع من ولد "جَمْشِيذ" المقدّم ذكره، وفى أوّل ملكه كان إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو ذو القرنَيْن المذكورُ فى القرءان على أحد الأقوال، وملك جميع الأرض أيضا وقسمها بين بَنِيه ومات.

فملك بعده ٱبنه (إيراج) بعهد من أبيه، ثم ملك بعده أخوه (شرم) و(طوج) ثم غلبهما على المُلْك (مَنُوجِهْر بن إيراج) وفى أيامه ظهر موسى عليه السلام. ويقال إن فرعون موسى كان عاملا له على مصر داخلا تحت أمره.

ثم تغلب على المملكة (فراسياب بن طوج) فأفسد وخرَّب، ثم غلبه عليها (زو بن طهماسب) من أولاد مَنُوجِهْر، فأحسن السيرة وعَمَّر البلاد، وشقَّ نهر الزَّاب وبنى مدينة على جانبه.

ثم ملك بعده (كرشاسف) من أولاد طوج بن إفريدون، وهو آخر ملوك هذه الطبقة.

الطبقـــة الثـانية

(الكَيَانيـــة)

سُمُّوا بذلك لأن فى أوّل ٱسم كل واحد منهم لفظة كى، ومعناه الرُّوحانى وقيل الجبَّار.

وأوّل من ملك منهم بعد كرشاسف المقدّم ذكره (كيقباذ) بن زو، فسار سِيْرة أبيه فى العدل ومات؛ فملك بعده (كيكاؤوس) بن كينيه بن كيقباذ ومات؛ فملك

---

(١) كذا فى المختصر أيضا وفى العبر "الازدهاك بصاد بين السين والزاى وحاء قريبة من الهاء وكاف قريبة من القاف" وفى المسعودى "الدهآك".

بعده ٱبنه (كيخسرو بن سياووس بن كيكاؤوس) بولاية من جدّه ، ثم أعرض عن الملك .

وملك بعده (كيهراسف بن أخى كيكاؤوس) وٱتخذ سريرا من ذهب مرصعا بالجوهر، كان يجلس عليه، وبنىٰ مدينة بَلْخ بأرض خُراسَانَ وسكنها لقتال الترك، وفى زمنه كان بُخْتَنَصَّر فجعله نائبا له ثم مات .

وملك بعده (كيبشتاسف) وبنىٰ مدينة نَسَا، وفى أيامه ظهر زَرَادُشْت صاحب "كتاب المجوس" الآتى ذكره فى الكلام علىٰ النّحل والملل، وتبعه كيبشتاسف علىٰ دينه ثم فُقِد .

وملك بعده (أردشير بهمن) ومعنىٰ بهمن الحسن النية ٱبن إسفنديار بن كيبشتاسف، وٱسمه بالعبرانية كورش، وملك الأقاليم السبعة، وهو الذى أمر بعمارة البيت المقدّس بعد أن خربه بُخْتَنَصَّر .

ثم ملك بعده ٱبنه (دارا بن أردشير) وفى زمنه ملك (الإسْكَنْدَرُ بن فيلبس) وغلب دَارًا علىٰ مُلْكِ فَارِسَ، وٱستناب به عشرين رجلا، وهم المُسَمَّوْنَ بملوك الطوائف، فأقاموا علىٰ ذلك خمسمائة وٱثنتى عشرة سنة، ثم بطل حكم ذلك .

الطبقة الثالثة

(الإشغانية[1]، يقال لكل منهم اشغا)

وأوّل من ملك منهم بعد ملوك الطوائف (اشغا بن اشغان)[2] . ثم ملك بعده ٱبنه (سابور بن اشغان) عشر سنين . ثم ملك بعده (بسين بن اشغا) ستين سنة . ثم ملك بعده (جور بن اشغان) عشر سنين . ثم ملك بعده (بيرن الاشغانى) إحدىٰ وعشرين

(١) فى العبر "الاشكانية وكأنها أقرب إلىٰ الفين" فتنبه .

(٢) هنا مخالفة لما فى كتابى مختصر أبى الفداء والعبر فراجعهما .

سنة ومات . فملك بعده (جوذرز الاشـغانى) تسع عشرة سنة ومات . فملك بعده (نرسى الاشـغانى) أربعين سنة ومات . فملك بعده (هرمز الاشغانى) تسع عشرة سنة ومات . فملك بعده (اردوان الاشغانى) آثنتى عشرة سـنة ومات . فملك بعده (خسرو الاشغانى) أربعين سنة ومات. فملك بعده (بلاش الاشغانى) أربعاوعشرين سنة ومات . فملك بعده (اردوان الأصغر) وهو آخر ملوكهم من هذه الطبقة .

الطبقـــة الرابعة
(الأكاسرة)

وأول من ملك منهم (أردشير بن بابك) من عقب ساسان بن "أردشير بهمن" قتل " اردوان " وآستولىٰ علىٰ ملكه ، فأقام أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وكتب عهدا بالمُلْك فى عقبه ومات . فملك بعده آبنه (سابور) إحدىٰ وثلاثين سنة وستة أشهر، وفى أيامه ظهر " مانى الزنديق " وآدّعىٰ النبوّة ، وآعتنىٰ بنقل كتب الفلسفة من اللغة اليونانية إلىٰ اللغة الفارسـية ، ويقال إن العُودَ الذى يُتغنَّى به حَدَث فى أيامه ومات . فملك بعده آبنه (هُرْمُز) سنة واحدة وستة أشهر ومات . فملك بعده آبنه (بَهْرام) ثلاث سنين وثلاثة أشهر ومات ، فملك بعده آبنه (بهرام بن بهرام) سبع عشرة سنة ومات . فملك بعده آبنه (بهرام بن بهرام بن بهرام) أربع سنين ثم مات . فملك بعده أخوه (نرسى بن بهرام) تسع سنين ثم مات . وملك بعده آبنه (هُرْمُز) تسع سنين أيضا ومات . فملك بعـده آبنه (سابور) وهو الذى عمل الجَسْر الثانى لدِجْلة ليكون أحدُ الجَسْرين للذاهبين ، والآخر للآتيين . وفى زمنه كان قُسْطَنْطِينُ(١) ملك الروم ومات . فملك بعده أخوه (أردشير(٢)) بوصية منه ، ثم مات . فملك بعده آبنه (سابور

(١) قال فى العبر " ضبطه الدارقطنى بالراء المهملة " .
(٢) صوابه آبن أخيه .

آبن سابور) ثم ملك بعـده أخوه (بهرام بن سابور) ثم ملك بعـده آبنه (يزدجرد) المعروف بالأثيم، ثم ملك بعده (كسرى) من ولد "أردشير" [ثم ملك بعده (بهرام جور بن يزدجرد الأثيم) وكانت مدة ملكه(١)] ثلاثا وعشرين سنة ومات. فملك بعـده آبنه (يزدجرد) ثمـانيا وعشرين سـنة ومات. فملك بعـده آبنه (هُرْمُز) ثم مات. فملك بعـده أخوه (فيروز) سبعا وعشرين سـنة، وظهر فى أيامه غلاء شديد. ثم ملك بعده آبنه (بلاش) أربع سنين ومات. فملك بعده أخوه (قُبَاذ) ثلاثا وأربعين سنة "وفى أيامه ظهر مردك الزِّنْديق وادّعىٰ النبوّة" ثم خلع. وملك بعده أخوه (جاماسف) [ثم تغلب عليه قباذ واستمر فى الملك(٢)] ثم مات. وملك بعده (أنوشِرْوان) ثمانيا وأربعين سنة، وقتل مردك الزِّنْديق وأتباعه وجماعةً من المـانَوِيَّة، وغلب علىٰ اليمن وآنتزعها من الحبشة. وفى زمانه وُلِد عبدالله أبو النبىّ صلىٰ الله عليه وسلم! ثم وُلِد النبىّ صلى الله عليه وسلم! فى آخر أيامه، ثم مات. وملك بعده آبنه (هرمز) نحو ثلاثَ عشرةَ سنة ونصف. ثم ملك (أبرويز بن هرمز)، ثم غلبه علىٰ الملك (بَهْرام چوبين) من غير أهل بيت الملك، ثم عاد أبرويز إلىٰ الملك وملك ثمانيا وثلاثين سنة، وتزوج شِيرِينَ المغنيةَ وبنىٰ لهـا القصر المعروف بقصر شِيرِينَ. ثم ملك بعده آبنه (شيرويه) تغلُّبا علىٰ أبيه ثمـانية أشهر. ثم ملك بعده آبنه (أردشير) سنة وستة أشهر. ثم ملك بعده (شهريران) من غير بيت الملك ثم قتل. وملك بعده (بُورانُ) بنت أبرويز سنة وأربعة أشهر. ثم ملك بعدها (خشنشده) من بنى عم أبرويز أقلَّ من شهر. ثم ملك بعـده (أزرميدخت) بنت أبرويز أخت بُوران. ثم قتلت؛ وملك بعدها (كسرىٰ بن مهر خشنش)؛ ثم قتلوه بعـد أيام؛ ثم ملك بعـده

(١) الزيادة من تاريخ أبى الفداء ليتم الكلام ويستقيم.

(٢) « « « بالمعنى لتتميم الكلام.

فرخ زادخسرو [من أولاد أنو شِرْوان وملك ستة أشهر وقتلوه، ثم ملك] (يزدجرد) وهو آخرهم .[(١)]

الضرب الثانى

(ملوكها بعد الإسلام، وهم على ثلاث طبقات)

الطبقـــة الأولى

(عُمَّال الخلفاء)

قد تقدّم أن فتحها كان فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فتوالت عليها عُمَّال الخلفاء فى بقية خلافة عمر، ثم فى خلافة أمير المؤمنين عثمان آبن عفان رضى الله عنه، ومُقَامهما يومئذ بالمدينة النبوية؛ ثم لما بويع أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بالخلافة بعد قتل عثمان، جعل إقامته بالعِراق؛ ثم كان بعده آبنه الحسن السِّبْط رضى الله عنه، فأقام بالعراق إلى أن سَلَّم الأمر إلى (مُعَاوِيَة بن أبى سُفْيَانَ) وصارت الخلافة إلى بنى أُمَيَّة، وجعلوا دار إقامتهم بالشأم وتوالت على هذه المملكة نوابهم فى خلافة معاوية؛ ثم (آبنه يزيد)؛ ثم (آبنه معاوية بن يزيد)؛ ثم (مَرْوَانَ بن الحكم)؛ ثم (عبد المَلِك بن مَرْوَانَ)؛ ثم (الوليد آبن عبد المَلِك)؛ ثم (سليمان بن عبد المَلِك)؛ ثم (عُمَر بن عبد العزيز)؛ ثم (يزيدَ آبن عبد المَلِك)؛ ثم (هشام بن عبـد المَلِك)؛ ثم (الوليد بن يزيد بن عبد المَلِك)؛ ثم (يزيد بن الوليد بن عبـد الملك)؛ ثم (إبراهيم بن الوليد)؛ ثم (مَرْوَانَ بن محمد آبن مروان بن الحكم) وهو آخرهم .

---

(١) أى آبن شهريار . وبقية نسبه فى تاريخ أبى الفداء، والزيادة منه ليتم الكلام .

الطبقـــة الثانية
(خلفاء بنى العبَّاس)

وقد تقدّم فى أوّل هـذه [المقالة] أن دار مُقَامهم كانت بالعراق، وأن أوّل من وَلِىَ منهم الخلافة (أبو العبَّاس السَّفَّاحُ)، فبنىٰ المدينة الهاشمية ونزلها، ثم آنتقل منها إلىٰ الأنْبَار فكانت دار مُقَامه إلىٰ أن مات؛ ثم كان بعده أخوه (أبو جعفر المنصورُ) فبنىٰ بغداد وسكنها، ثم سكنها بعده آبنه (المهدىّ) بن المنصور؛ [ثم آبنه (الهادى)] (١)؛ ثم أخوه (هارون الرشيد) بن المهدىّ، ثم آبنه (الأمين)، ثم أخوه (المأمون)؛ ثم أخوه (المعتصم) بن الرشيد، ثم (الواثق) بن المعتصم، ثم أخوه (المتوكل)؛ ثم آبنه (المنتصر)، ثم (المستعين بن المعتصم)، ثم (المعتز بن المتوكل)، ثم (المهتدى) آبن الواثق، ثم (المعتمد بن المتوكل)، ثم (المعتضد بن الموفق طلحة) بن المتوكل؛ ثم آبنه (المكتفى) بن المعتضد، ثم أخوه (المقتدر)، ثم (المرتضى) بن المعتز، ثم أخوه (القاهر)، ثم (المقتدر) المقدّم ذكره، ثم أخوه (القاهر) المقدّم ذكره، ثم آبن أخيه (الراضى)، ثم أخوه (المتقى)، ثم آبن عمه (المستكفى)، ثم آبن عمه (المطيع)، ثم آبنه (الطائع)، ثم (القادر)، ثم آبنه (القائم)، ثم آبن آبنه (المقتدى)، ثم آبنه (المستظهر) ثم آبنه (المسترشد)، ثم آبنه (الراشد)، ثم (المقتفى) بن المستظهر، ثم آبنه (المستنجد)، ثم آبنه (المستضىء)، ثم آبنه (الناصر)، ثم آبنه (الظاهر)، ثم آبنه (المستنصر)، ثم آبنه (المستعصم) وقتله هُولَاكُو ملكُ التتار الآتى ذكره، فى العشرين من المحرّم سنة ست وخمسين وستمائة، وهو آخرهم ببغداد .

وآعلم أن أمر الخلافة كان قد وهىٰ وضَعُف، وتناهَتْ فى الضعف أيامَ الراضى، وتغلب عُمَّال الأطراف عليها، فاستولىٰ محمد بنُ رائق من الفرات علىٰ البصرة،

(١) سقط من قلم الناسخ فأثبتناه ليتم الكلام و ينتظم .

والبريدىُّ على خُوزُسْتَانَ، وعمـادُ الدولة بن بُوَيه على فَارِسَ، ومحمد بن الياس على كَرْمَانَ، ورُكْنُ الدولة بن بُوَيه على الرَّىّ وأَصْفَهَانَ، وبنو حَمْدَانَ على المَوْصِلِ وديارِ بَكْرٍ وديارِ مُضَرَ وديارِ رَبِيعَةَ، وغير أقطار هذه المملكة مع ملوك أخر. ولم يبق للخليفة غيرُ بَغْدَادَ وأعمالها؛ وآستولى آبن رائق على جميع الأمور وخطب باسمه على المنابر، وأقام سنة وعشرة أشهر، ثم صار الأمر بعده إلى (بحكم) مملوك وزير (ماكان) بن كاكى الديلمى وآستمرّ أيام الراضى فقتل؛ وآستقرّ (البريدى) بعده فى أيام المتقى وأيام المستكفى. وضُرِبت ألقابه على الدنانير والدراهم، وخُطب بآسمه على المنابر، وآستمرّ ذلك لذويه من بعده؛ ثم ملك بعده (بختيار)، ثم آبن عمه[(١)] (عضد الدولة) بن ركن الدولة حسن بن بويه؛ ثم آبنه (صمصام الدولة) بن عضد الدولة، ثم أخوه (شرف الدولة شيرزيك) بن عضد الدولة؛ ثم أخوه (بهاء الدولة أبو نصر) بن عضد الدولة؛ ثم آبنه (سلطان الدولة أبو شجاع)؛ ثم آبنه (بهاء الدولة)[(٢)]؛ ثم أخوه (مشرف الدولة آبن بهاء الدولة)؛ ثم أخوه (جلال الدولة) أبو الطاهر بن بهاء الدولة؛ ثم آبن أخيه (أبو كاليجار) بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة؛ ثم آبنه الملك الرحيم (خسرو فيروز) آبن كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة آبن بُوَيْه. وبنو بويه هؤلاء ينسبون إلى يَزْدَجِرد ملك الفرس.

ثم كانت دولة السَّلْجوقية. وهى من أعظم الدول الإسلامية، ونسبتهم إلى سلجوق بن دقاق أحد مقدّمى الأتراك، وبهم زالت دولة بنى بويه عن بغداد وأعمال الخلافة.

وأوّل من ملك منهم (طُغْرلبك) بن ميكائيل بن سَلْجوق فى سنة آثنتين وثلاثين وأربعمائة؛ ثم ملك بعده آبن أخيه (ألب أرسلان) بن داود بن ميكائيل؛ ثم آبنه

(١) فى الأصل "ثم آبنه" وهو خلاف الواقع.
(٢) أجمعت التواريخ على إسقاط هذا من البين، وهو ما تقتضيه عبارة المؤلف.

(ملكشاه) بن ألب أرسلان ؛ ثم آبنه (محمود بن ملكشاه) ؛ ثم أخوه (بَرْكِيَارُق) آبن ملكشاه ؛ ثم أخوه (محمد بن ملكشاه) ؛ ثم آبنه (محمود بن محمد) ؛ ثم آبنه (داود بن محمود) ؛ ثم عمه (طغرلبك) بن محمد ؛ ثم أخوه (مسعود) بن محمد ؛ ثم آبن أخيه (ملكشاه) بن محمود ؛ ثم أخوه (محمد بن محمود) . ثم قام منهم ثلاثة : وهم (ملكشاه بن محمود) أخو محمد المذكور ، و (سليمان شاه) بن محمد بن ملكشاه ، وهو عم محمد المذكور ، و (أرسلان شاه) بن طغرلبك بن محمد بن ملكشاه . ثم قبض على سليمان شاه ، ومات ملكشاه ، وآنفرد أرسلان شاه بن طغرلبك بالسلطنة . ثم ملك بعده آبنه (طغرلبك) بن أرسلان شاه وبقى حتى قتله علاء الدين تُكُش صاحب خوارزم وبعض خُرَاسَان والرَّىّ وغيرها ، فى خلافة الناصر لدين الله فى سنة تسعين وخمسمائة ، واشتغل (خوارزم شاه) عن فصل العراق فبقى بيد الخلفاء من لدن الناصر لدين الله ، ومَنْ بعده إلى أن آنقرضوا بفَعْلة هُولَاكُو ملك التتر الآتى ذكره .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من بَنِى جنكزخان)

واول من ملكها منهم (هُولَاكُو) بن طولى بن جنكزخان المقدم ذكره ، قصدها بأمر أخيه منكوقان بن طولى صاحب التخت فى سنة خمسين وستمائة ، وقتل المُسْتَعْصِم آخر الخلفاء ببغداد ، وآستولى على جميع المملكة . قال فى "مسالك الأبصار" : قال شيخنا العلامة شمس الدين الأصفهانى : إلا أن هُولَاكُو لم يملك ملكا مستقلا بل كان نائبا عن أخيه منكوقان ، ولم يضرب بآسمه سكة درهم ولا دينار ، وإنما كانت تضرب باسم أخيه منكوقان . قال : وكان يكون لصاحب التخت أمير لا يزال مقيما فى مملكة إيران مع هُولَاكُو ، ومات فى تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين

وستمائة ، وملك بعده (آبنه أبغا) . قال الشيخ شمس الدين الأصفهانى : ولما ملك أضاف آسمه فى السكة إلى آسم صاحب التخت ، وكان قد وجه أخاه منكوتمر إلى الشام وآلتقى مع الجيوش الإسلامية على حمص ، وآنكسر عليها ، ومات سنة إحدى وثمانين وستمائة ، وملك بعده أخوه (بوكدار بن هولاكو) وأسلم وحسن إسلامه وتلقب أحمد سلطان ، وحمل العسكر على الإسلام فقتلوه ، وملك بعده آبن أخيه (أرغون) بن أبغا بن هُولَاكُو فى جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، وتوفى فى ربيع الأول سنة تسعين وستمائة ، وملك بعده أخوه (كيختو) فخرج عن الياسة وأفحش فى الفسق بنساء المغل وأبنائهم ، فوثب عليه بنو عمه فقتلوه فى ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستمائة ، وملك بعده (بيدو بن طرغاى) آبن هُولَاكُو ، وبقى حتى قتل فى ذى الحجة من السنة المذكورة ، وملك بعده (محمود غازان) بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ، ودخل إلى الشام . وكان بينه وبين الملك الناصر محمد بن قلاوون وقعات بحمص وغيرها آخرها على شقحب ، كسر فيها كسرة فاحشة ، هلك فيها معظم عسكره فى سنة آثنتين وسبعمائة ، وبقى حتى توفى فى ثالث عشر شوال سنة ثلاث وسبعمائة ، وملك بعده أخوه (خدابندا) والعامة تقول خربندا بن أرغون بن أبغا بن هُولَاكُو فى الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وسبعمائة ، ثم ملك بعده (أبو سعيد بن خدابندا) وهو آخر من ملك من بنى هُولَاكُو ، وكان بينه وبين الناصر محمد بن قلاوون مكاتبات ومراسلات وتودد بعد وحشة ، وبموته تفرقت المملكة بأيدى أقوام ، وصارت شبيهة بملوك الطوائف من الفُرس .

قال فى "مسالك الأبصار" بعد ذكر أبى سعيد : ثم هُمْ بعده فى دهماء مظلمه ، وعمياء مُقتِمه ، لا يُفضى ليلهم إلى صباح ، ولا فرقتهم إلى آجتماع ، ولا فسادهم إلى

صَلَاح ، فى كل ناحية هاتف ، يدعىٰ بٱسمه ، وخائف ، أخذ جانبا إلىٰ قَسْمِه ؛ وكل طائفة تتغلب وتقيم قائمًا تقول هو من أبناء القان ، وتنسبه إلىٰ فلان ؛ ثم يضمحلّ أمره عن قريب ، ولا تلحق دعوته حتّى يدعىٰ فلا يجيب ، وما ذلك من الدهر بعجيب . وذكر نحوه فى "التعريف" وزاد عليه فقال : "وكان العهد بهذه المملكة لرجل واحد وسلطان فرد مطاع ، وعلىٰ هذا مضت الأيام إلىٰ حين وفاة أبى سعيد ، فصاح فى جَنَبَاتِها كلُّ ناعق وقطع رداءها كل جاذب ، وتفرّد كل متغلب منها بجانب ؛ فهى الآن نُهْبىٰ بأيديهم .

فأما عِرَاق العرب وهو بَغْدَادُ وبلادها وما يليها من ديار بَكْر ، وربيعة ومُضَر ، فبيد الشيخ حسن الكبير ، وهو الحسن بن الحسين بن أقبغا من طائفة النُّورانيين ، كان جدّه نوكرا لِهُولَاكُو بن طولى بن جنكزخان ، والنوكر هو الرفيق .

وأما بقيَّة ديار بكر ، فبيد إبراهيم شاه بن بارنباى بن سوناى .

وأما مملكة أَذْرَبِيجان وهى قطب مملكة إيران ، ومقرّ كرسىّ ملوكها من بنى جنكزخان ، فهى الآن بيد أولاد جوبان ، وبها القان القائم بها (سليمان شاه) . قال : ولا أعرف صحة نسبه ولا سياقته بالدعوىٰ .

وأما خراسان ، فبيد القان طغيتمريار . وهو صحيح النسب ، غير أنى لم أعرف ٱسم آبائه .

وأما بلاد الروم ، فقد أضيفت إلىٰ إيران منها قطعةٌ صالحه ، وبلاد نازحه ؛ ثم قال : وهى الآن بيد أرتنا ، وقد نبه علىٰ ذلك ليعرف .

قلت : ثم تغيرت الأحوال عن ذلك .

الجمـلة الثامنة

(فى معاملاتهـا وأسـعارها)

أما معاملاتها فالمعتبر فيها معاملة ثلاث قواعدَ .

الأولى – (بَغْدَاد) . قد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أن ببغداد دينارين . أحدهما يسمّى العوال، عنه آثنا عشر درهما، الدرهم بقيراط وحبتين . وذلك أن الدينار عشرون قيراطا، كل قيراط ثلاث حبات، كل حبة أربعة فلوس من الدرهم النقرة، عن كل فَلْسٍ فَلْسان أحمران . والثانى الدينار المرسل، عنه عشرة دراهم، وبه أكثر مبايعاتهم ومعاملات تُجّارهم . وقد آختلف أصحابنا الشافعية فى رِطْل بَغْدَادَ، فذهب الرافعىُّ إلى أنه مائة وثلاثون درهما وهو الموجود فيها الآن، وعليه آقتصر فى "مسالك الأبصار". وذهب الشيخ محيى الدين النووىّ إلى أنه مائة وسبعة وعشرون درهما وأربعة أسباع درهم؛ والمَنُّ بها رطلان بالتورانى . ومكاييلها أكبرها الكُرُّ، وهو ثلاثون كارة، كل كارة قفيزان، فيكون الكُرُّ [ستين] قفيزا، والقفيز مَكُّوكان كل مَكُّوك خمس عشراق(1) . وتختلف الكارةُ فى الغلال، فالقمح كارته مائتان وأربعون رطلا، وكارة الأُرُزِّ ثلثمائة رطل . وكارة كلٍّ من الشعير والحِمِّص والعَدَسِ والهُرْطُمَانِ مائة رطل، وكارة الحَبَّة السَّوْداء، وهى الشُّونيز مائة رطل .

الثانية – (تَوْرِيز) قاعدة أَذْرَبِيجان وسائرِ المملكة غير بغداد وخُراسان. فمعاملاتها بدينار يسمّى عندهم بالرائج، عنه ستة دراهم .

الثالثة – (نَيْسَابُور) قاعدة خُرَاسَانَ . فدينارها أربعة دراهم، وفى بعضها الدينار الرائج المقدّم ذكره . قال فى "مسالك الأبصار" : ولا يباع بتَوْرِيزَ وبلادها

(1) كذا فى الأصل، وقد تكلم على المَكُّوك صاحب القاموس وصاحب اللسان بأوضح مما هنا .

فى الغالب قمحٌ ولا شعير ونحوهُما إلا بالميزان، وليس لهم إلا المَنُّ، وهو بتَوْريزَ رِطْلان بالبغدادىّ، فتكون زنته مائتين وستين درهما، وبالسلطانية المنُّ ستمائة درهم .

وأما أسعارها فنقل فى "مسالك الأبصار" عن يحيىٰ بن الحكيم الطيارىّ فى السعر ببغـداد : أن كُرَّ القمح بتسعة وثلاثين دينارا ونصف دينار، والشعير بخمسة عشر دينارا، كلاهما من العوال . ثم قال: ولعل هذا هو السعر المتوسط، لايكاد يميل فيه القانون عن معدّله . وذكر أن الأسعار بتبريزَ والسلطانية إذا لم ينزل عليها السلطان، فأسعارها رَخيَّة لا إلىٰ غاية، وكل بلد نزل عليه السلطان غلت أسعاره، ولعل هـذا قد تغير كلّ فى زماننا كما تغير غيره من الأحوال .

الجمـــــــلة التاسعة

(فى ترتيب هذه المملكة علىٰ ما كانت عليه فى زمن بَنِى هُولَاكُو، آخر أيام أبى سعيد : من الأمراء والوزراء وأرباب الوظائف)

أما الأمراء . فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أنهم عندهم علىٰ أربع طبقـات أعلاها النوين، وهو أمير عشرة آلاف، ويعبر عنه بأمير تومان، إذ التُّومان عندهم عبـارة عن عشرة آلاف، ثم أمير ألف، ثم أمير مائة، ثم أمير عشرة . قال فى "التعريف" : (وحكام دولة هذا السلطان أمراء الألوس، وهم أربعة، أكبرهم بكلارى بك : وهو أمير الأمراء، كما كان قطلوشاه عند غازان، وجوبان عند خدابندا، ثم عند أبى سعيد). قال : وهؤلاء الأمراء الأربعة لا يُفْصَـل جليل أمر إلا بهم، فمن غاب منهم كتب فى اليرالغ : وهى المراسيم كما يكتب لو كان حاضرا، ونائبه يقوم عنـه، وهم لا يُمْضُون أمرا إلا بالوزير، والوزير يمضى الأمور دونهم ويأمر نوابهم فتكتب أسمـاءهم، والوزير هو حقيقة السلطان، وهو المنفرد بالحديث فى المـال ،

والولاية، والعزل، حتى فى جلائل الأمور كما كان بكلارى بك يتحدّث فى أمر العسكر بمفرده. فأما الاشتراك فى أمور الناس فبهم أجمعين، وليس للأمراء فى غالب ذلك من العلم إلا ماعلم نوابهم.

قال فى "مسالك الأبصار" نقلا عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى: وأمر الجيوش والعساكر إلى كبير أمراء الألوس المسمّى بكلارى بك، كما كان قطلوشاه مع السلطانين محمود غازان وأخيه محمد خدابندا، وجوبان مع خدابندا، ثم بعده مع ولده السلطان أبى سعيد بهادرخان، والشيخ حسن بن حسين بن أقبغا مع خانه السلطان محمد بن طشتمر بن اشتمر بن غبرجى، وإليه يقطع أمر كل ذى سيف. قال: وأمر متحصّلات البلاد ودخلها وخرجها إلى الوزير، وإليه يرجع أمر كل ذى قلم ومنصب شرعىّ، وله التصرف المطلق فى الولاية والعزل والعطاء والمنع، لايُشاوِر السلطان إلا فيما جَلّ من المهمات وما قلّ من الأمور، وهو السلطان حقيقةً وصاحب البلاد معنى، وإليه ترجع الأمور كلها، وإليه عقدها وحلّها. أما السلاطين بها فلا التفاتَ لهم لأمر ولا نهى ولا نظر فى متحصّل ولا دخل ولا خرج. قال: وعدّة جيشهم المنزّلة فى دواوينهم لا تبلغ عشرين تومانا. أما إذا أرادوا فإنهم يركبون بثلاثين تومانا وما يزيد عليها، وعامةُ العسكر لا تزال أسماؤهم فى دواوينهم على الإفراد، وكلُّ طائفة منهم عليهم فى الديوان فارس معين، إذا رسم لهم بالركوب ركب العدّةُ المطلوبة. قال: وقد ذكر أنه كان فى هذه المملكة عدّة ملوك كصاحب هراة، وحلول الجبل هم كالعبيد لقانها الأكبر متقادون إليه وداخلون تحت طاعته.

وأما القضاة فعادة هذه المملكة أن يكون بها فى صحبة السلطان قاضى قضاة الممالك، وهو الذى يولّى القضاة فى جميع المملكة على تنائى أقطارها إلا العِراق، فإن لبغداد قاضى قضاة مستقلّ بها يولّى فيها وفى بلادها من جميع عراق العرب.

واما الكُتّاب وأصحاب الدواوين : من ديوان الإنشاء ودواوين الأموال ، فعلى أَتَمّ نظام وأعدلِ قاعدة .

الجملة العاشرة

(فيما لأرباب المناصب والجُنْد من الرزق على السلطان)

قد نقل في "مسالك الأبصار" عن نظام الدين الطياري : أن المقرَّر للأمراء في القديم من زمن هُولَاكُو لكل نوين (أمير) تومانٌ : وهو عشرة آلاف دينار رائج، عنها ستون ألف درهم ، ثم تزايد الحال بهم حتّى لا يقنع النوين فيهم إلا بخمسين ألف[(1)] تومان ، وهى خمسمائة ألف دينار رائج ، عنها ثلاثة آلاف ألف درهم ، ومن خمسين تومانا إلى أربعين تومانا . وكان قد آستقر لجوبان ، وهو يومئذ بكلارى بك ثم لمن بعده ثلثمائة تومان ، وهى ثلاثة آلاف ألف دينار رائج ، عنها ثمانية عشر ألف ألف درهم مع ما يحصل لكل من أمراء الألوس الأربعة من الخدم الكثيرة في البلاد جميعها عند تقريرات الضمان بها على ضُمّانها . قال : وأما أمير ألف ومَنْ دونه ، فلا يتجاوز أحد منهم تقريره القديم في الديوان : وهو لأمير الألف ألف دينار رائج ، عنها ستة آلاف درهم . وأما أمير المائة وأمير العشرة وكل واحد من العسكرية إلى الجند فمائة دينار رائج ، عنها ستمائة درهم لاتفاوت بينهم ، وإنما تبق مزية أمير المائة أو العشرة أنه يأخذ لنفسه شيئا مما هو للعسكرية ، ولكل طائفة أرض لنزولهم ، توارثها الخَلَفُ عن السَّلَف منذ ملك هُولَاكُو البلاد ، فيها منازلهم ، ولهم بها مزدرع لأقواتهم ، لكنهم لايعيشون بالحرث والزرع .

وأما الخواتين فإنه يبلغ مالخاتون الواحدة في السنة مائتى تومان ، وهو ألف ألف[(2)]

(١) لعل لفظ ألف من زيادة الناسخ كما يستفاد من الفذلكة بعد فتأمل .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الصواب ألفا ألف بالتثنية ليستقيم الحساب .

دينـار رابح، عنها اثنا عشر ألف ألف درهم، وما دون ذلك إلى عشرين تومانا، وهو مائتا ألف دينار، عنها ألف ألف ومائتا ألف درهم .

وأما الوزير فله مائةوخمسون تومانا، وهو ألف ألف وخمسمائة ألف دينار رابح، عنها تسعة آلاف ألف درهم، ولا يقنع بعشرة أضعاف هذا فى تقادير البلاد .

وأما الخواجكية من أرباب الأقلام، فمنهم من يبلغ فى السنة ثلاثين تومانا، وهى ثلثمائة ألف دينار، عنها ألف ألف وثمانمائة ألف درهم . ثم قال : والذى للأمراء والعسكرية لايكتب به مرسوم، لأن كل طائفة وَرِثت مالها من ذلك عن آبائها، وهم على الجهات التى قررها لهم هُولَاكُو لم تتغير بزيادة ولا نقص، إلا أكابر الأمراء الذين حصلت لهم الزيادات فإنه فى ذلك الوقت كتب لهم بها بأمر القان أصدرها الوزراء عنه، ومن الخواتين من أخذ بماله أو ببعضـه بلادا فهى له . قال : وفى هـذه المملكة ما لا يحصىٰ من الإدرارات والرسومات حتّى إن بعض الرواتب يبلغ ألف دينـار .

وأما الإدرارات من المبلغ أو القرىٰ، فإنها تبقىٰ لصاحبها كالملك يتصرف فيه كيف شاء من بَيْعٍ وهِبَةٍ ووَقْفٍ لمن أراد .

الجمـــلة الحادية عشرة

(فى ترتيب أمور السلطان بهذه المملكة علىٰ ما كان الأمر عليه)

حكىٰ فى "مسالك الأبصار" عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن أهل هذه المملكة من التتر كانوا قد داخلوا العجم وزوّجوهم وتزوّجوا منهم، وخلطوهم بالنفوس فى الأمور، فتفخمت قواعدهم، وجرت علىٰ عوائد الخلفاء والملوك فى غالب الأمور قوانينُهم .

ثم للسلطان بهذه المملكة مَشْتًى ومَصِيف :

فأما مَشْتاه فباوجان بظاهر تبريز ، وهو مكان متسع ذو مُرُوج ومياه على ماتقدم ذكره ، وبه قُصُور لأكابر الأمراء والخَوَاتين . أما عامة الأمراء والخواتين ، فإنهم يتخذون زُرُوبا من القصب كالحظائر يتزرّبون بها ، وينْصِبون معها الخركاوات والخيام ، فتصير مدينة متسعة الجوانب ، فسيحة الأرجاء ، حتّى إذا خرجوا لمَصِيفهم راحلين عنها ، أحرقوا تلك الحظائر لكثرة ما يتولد فيما بقى منها من الأفاعى والحيات ، ولا يبالون بما يُغْرم عليها من كثير الأموال .

وأما مَصِيفه فمكانٌ يعرف بقَرَاباغ ، ومعناه البستان الأسود ، وفيه قُرًى ممتدة ، وهو صحيح الهواء ، طيب الماء ، كثير المَرْعَى . وإذا نزل به الأردوا ، وهو وطاق السلطان وأخذت الأمراء والخواتين منازلهم ، نُصِب هناك مساجدُ جامعة ، وأسواق منوّعة ، يوجد بها من كل ما فى أمهات المدن الكبار حتّى يكون بها أسواق لاينكر أحد على أحد ، بل كل أحد وما آستحسن ، إلا أن الأسعار تغلو حتّى يصير الشىء بقيمة مثليه أو أكثر لكلفة الحمل ومشقّة السفر . وذكر أنه كان من عادة سلطانهم أنه لايعمل موكبا ، ولايجلس لخدمة ولا لقراءة قصص حكمية وإبلاغ مظالم إليه ، بل له من أبناء الأمراء خاصةٌ له يقال لهم الإينافية ، يكونون حوله لايكاد منهم من يفارقه .

وأما الأمراء فإنهم يركبون فى غالب الأيام على نحو عشرين غَلْوَة سهم منها إلى باب الكرباس ، وتنصب لهم هناك كراسىّ صندلية ، يجلس كل أمير منهم على كرسىّ منها بحسب مراتبهم : الأعلى ثم الأدنى ، ويدخل الوزير فى بكرة كل يوم على القان ، ويبقى الأمراء على باب الكرباس ، فإما أن يخرج لهم القان ، وإما أن يأذن لهم فى الدّخول ، أو لاهذا ولا هذا . فإذا حضر طعام القان بعث إلى كل أمير منهم شيئا للأكل بمفرده يأكله هو ومن آنضم معه ، فيأكلون ثم يتفرقون ويذهبون إلى حالهم ، ومن تأخر منهم عن الحضور لم يطلب بحضور إلا أن تدعوَ الحاجة .

أما الظُّلَامات فإن كانت متعلِّقة بالعسكرية، فإلى أمير الألوس. وإن كانت متعلقة بالبلاد والأموال أو الرعايا، فإلى الوزير. بل أكثر الظُّلَامات لا يفصلها إلا الوزير لملازمته باب القان، بخلاف أمير الألوس لقلة ملازمته. ثم قال: وليس في هذه البلاد قاعدة محفوظة، بل كل مَن آنضوى إلى خاتون من الخواتين أو أمير من الأمراء أو كبير من الخواجكية، قام بأمره إما في قضاء حاجة يطلبها، أو إزالة ظُلَامة يشكوها، حتى إن من الخواتين والأمراء من يقتل ويُوسِّط بيده بغير أمر القان ولا أمير الألوس.

الجملة الثانية عشرة

(فيما يتعلق بترتيب ديوان الإنشاء بهذه المملكة)

أما البرالغ: وهي المراسيم، فالمتعلق بالأموال تسمَّى الطن طمغا ويكون صدورها عن رأى الوزير، وكذلك المتعلق بالبريد. والمتعلق بالعسكرية صادر عن أمير الألوس، وليس لأحد على الجميع خَطٌّ إلا الوزير، وإنما العادة أن يأمر الوزير بكتابة ما يرى، ثم تُؤخذ خطوط المتحدثين فيما يُكتَب، ثم تحرّر مسودّة وتعرض على الوزير فيأمر بتبييضها، فإذا بُيِّضت كتب عليها آسم السلطان، ثم تحته آسم الأمراء الأربعة، ويخلّى تحته مكان لخط الوزير، ثم يكمل البرلغ ويختمه بالتاريخ شخص مُعَدٌّ لذلك غير من يكتب، ثم يكتُب الوزير في المكان الخالى "فلان سورى" أي هذا كلام فلان يسمى نفسه.

ثم إن كان متعلقا بالمال أُثبت بالديوان المتعلق به، وإلا فلا. وأما المتعلق بالعسكر، فمنشأ الأمر فيه عن أمير الألوس يأمرهم على بقية الترتيب، ولا خَطَّ لأمير الألوس بيده. وعادة أصحاب الدواوين عندهم كما هو بمصر والشام لا يعلِّم صاحبُ علامة حتى يرى خط نائبه عليه أوّلا ليَعْلَم أنه قد ثبت عنده.

قلت: وقد آختلفت الأحوال بعد ذلك وتغيرت عما كانت عليه في جُل الأمور.

المملكة الثانيـــــة

(مما بيد بني جنكزخان مملكة تُورَانَ)

قال في "المشـترك" : بضم المثناة من فوق وسكون الواو ثم راء مهملة وألف ونون . قال في "التعريف" : وهي من نهر بَلْخ إلى مطلع الشمس على سمت الوسط، فما أخذ عنها جنوبا كان بلاد السِّنْد ثم الهِنْد ، وما أخذ عنها شمالا كان بلاد الخفجاخ، وهي طائفة القَبْجَاق، وبلاد الصقْلَب، والجهاركس، والروس، والماجار، وما جاورهم من طوائف الأمم المختلفة سُكَّان الشَّمال . قال : ويدخل في تُورَانَ ممالكُ كثيرة، وبلاد واسعة، وأعمال شاسعة، وأمم مختلفة لاتكاد تحصى، تشتمل على بلاد غَزْنَة، والبَامِيَان، والغُور، وماوراء النهر الذي هو نهر جَيْحُونَ، نحو بُخَارا وسَمَرْقَنْد والصُّغْد وخُجَنْد وغير ذلك، وبلاد تُرُكُسْتَانَ وأشْرُوسَنَة وفَرْغَانَة، وبلاد سَاغُونَ وأطْرَار وصريوم، وبلاد الخِطَا نحو بشمالق والمالق إلى قراقُومَ، وهي قرية جنكزخان التي أخرجته، وعرِّيسَتُه التي أدرجته . إلى ماوراء ذلك من بلاد الصِّينِ وصِينِ الصِّينِ . ثم قال : وكل هذه ممالك جليله، وأعمال حفيله . أما في "المشترك": فإنه قد جعل تُورَانَ آسما لمجموع ما وراء النهر من مملكة الهَيَاطِلة، وهي جزء مما تقدم ذكره .

وقد قسم في "التعريف"(١) : مملكة تُورَانَ إلى ثلاثة أقسام .

القسم الأوّل ــ منها غزنة وبُخَارا وسَمَرْقَنْد وعامة ما وراء النهر وتُرُكُسْتَانَ .

قال في "مسالك الأبصار" : وما بعده ومامعه . قال : وهي من أجَلّ الممالك وأشهرها . ثم قال : وهي ممالك طائرة السُّمْعه ، طائلة البُقْعه ، أُسرَّةُ ملوك، وأُفُق عُلَمَاء، ودارة أكابر، ومَعْـقِد ألْوِيَة وبُنُود، ومجرى سوابق وجُنُود، كانت

(١) عبارة "التعريف" وأما مملكة توران فهي منقسمة ثلاثة أقسام ...... وبها سلطانان مسلمان وسلطان كافر . ثم تكلم على المكاتبة إلى الجميع .

بها سلطنة الخانيـــة وآل سامان و بنى سُبُكْتُكِين والغُورية، ومن أُفُقها بزغت شمسُ آل سَلْجُوق، وآمتدّت فى الإشراق والشُّروق، وغير هذه الدول ممـاطَمٌّ سهولَ هذه الممـالك على قربها . كانت قبل آنتقالها إلى الإسلام ، فى ملوك الترك لا ترامى ولا ترام، ولا يشق لها سهام، حتّى [إذا] خيم بها الإسلام وحاز ملكها هذه الأمة، برقت بالإيمان أَسِرّتُها، وتطرّزت بالجوامع والمساجد قراها، ثم بنيت بها المدارس والخوانق والرُّبط والزوايا، وأجريت الأوقاف عليها ، وكثر من العلماء أهلُها، وسارت لها التصانيفُ المشهورة فى الفقه والحـديث والأصول والخلاف ، وكان فيهم الرؤساء والأعلام، والكبراء أهل البحث والنظر . ثم قال : وهى فى أواسط المعمور وأوسع الأرض إذا قيل إنها أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها ماء ومرعى ، لم يُغَيِّر القائلُ الحقَّ فى أوصافها ، ذات الأنهار السارحة، والمروج الممتدّة، كأنما نشرت الحُلَلُ على آفاقها، ونثرت الحلى على حصبائها .

ويرجع المقصود منها إلى سبع جمل .

الجمـــلة الأولى

(فى ذكر حدودها، وطُولها وعَرْضها، وموقعها من الأقاليم السبعة)

اما حدودها وطولها وعرضها، فقال فى "مسالك الأبصار" : وهى واقعة بشرق محض آخذة إلى الجنوب، يحدّها السِّنْد من جنوبها، والصِّينُ من شرقيها، وخُوَارَزْمُ وإيران من جنوبيها(١)، وطولها من ماء السـند إلى ماء ايلا المسـمّى قراخوجا، وهى تلى بر الخطا، وعرضها من وَنَج وهو منبع نهر جَيْحُونَ إلى حدود كُرُكَانْج قاعدة خُوَارَزْم، وحدّها من الجنوب جبال البُتَّم وماء السِّـنْد الفاصل بينها وبين السِّـنْد، ومن الشرق أوائل بلاد الخِطا، ومن الشَّمال مراعى باران وجَنـد وبعض خراسان

(١) لعله من غربيها .

إلى بحيرة خُوَارَزْمَ ، ومن الغرب بعض خُرَاسَانَ إلى خُوَارَزْم إلى مجرى النهر آخذا على الختل . ثم حكى عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن بلاد هذه المملكة متصلة بخُرَاسَانَ متداخلة بعضها ببعض ، لا يفصل بينهما بحر ولا نهر ولا جبل ولا مَفَازة ، بل بينها وبين خُرَاسان أنهار جارية ومزارع متصلة .

الجملة الثانية

(فيما يدخل فى هذه المملكة من الأقاليم العرفية ، وهى سبعة أقاليم)

الإقليم الأوّل منها

(ما وراء النهر)

قال فى "تقويم البُلْدان" : والذى ظهر لنا فى تحديد ما وراء النهر أنه يحيط به من جهة الغرب حدود خُوَارَزم ، ومن الجنوب نهر جَيْحُونَ من لَدُن بَذَخْشَانَ إلى أن يتصل بحدود خُوَارَزم ، فإن جَيْحُونَ فى الجملة يجرى من الشرق إلى الغرب ، وإن كان يعرِض فيه عَطَفات تجرى جنوبا مرة وشَمَالا أخرى . ثم قال : أما حدوده من الشرق والشَّمال فلم تتضح لى . قال صاحب "كتاب أشكال الأرض" : وما وراء النهر من أخصب الأقاليم منزلة ، وأنزهها وأكثرها خيرا ، وأهلها يرجعون إلى رغبة فى الخير ، وآستجابة لمن دعاهم ، مع قلة غائلة ، وسلامة ناحية ، وسماحة بما ملكت أيديهم ، مع شدّة شوكة ومَنَعَةٍ وبأْسٍ ونَجْدَةٍ وعِدّة وعُدَّة ، وآلة وكُرَاع وبسالة وعلم وصلاح ؛ وليس من إقليم إلا ويُقْحَطُ أهله مرارا قبل أن يُقْحَطَ ما وراء النهر مرةً واحدة ، ثم إن أَحَسُّوا[1] ببرد أو بجراد أو بآفة تأتى على زروعهم وغلاتهم ، ففى فضلِ ما يسلم فى عروض بلادهم ما يقوم بأَوَدِهم حتّى يستغنوا به عن شىء ينقل إليهم من غير بلدهم . قال : وليس بما وراء النهر مكان يخلو من مُدُن

(١) لعله مصحف عن "أصيبوا" .

أو قرى أو مراعٍ لسوائمهم، وليس من شىء لابدّ للناس منه إلا وعندهم منه مايقيم أَوَدَهم ويفضُل عنهم لغيرهم، ومياههم أعذب المياه وأبردها وأخفُّها، وقد عمّت جبالَها وضواحِيَها ومُدُنَها إلى التمكن[(١)] من الجدّ فى جميع أقطارها، والثلوج من جميع نواحيها، والغالب على أهل المال والثروة بها صرف المال فى عمل المدارس وبناء الرُّبُط وعمارة الطرق، والأوقاف على سُبُل الجهاد ووجوه الخير، وعقد القناطر، إلا القليل من ذوى البطالة .

وفيها من الدّواب الخَيْلُ والبِغَالُ والحَمِيرُ والإبِلُ البُخْت والبَقَرُ، والغَنَمُ أكثرها فإنها كما يقال أعوزها للزرائب، وفيها من المباح مافيه كفايتهم، ولهم من نتاج الغَنَم الكثيرُ والسائمة المفرطة . وذكر أنه يوجد عند آحاد العامة من عشرين دابةً إلى خمسين دابة لا كُلفة عليه فى اقتنائها لكثرة الماء والمرعى .

وفيها من الحبوب القَمْحُ والشَّعِيرُ والحِمَّصُ والأُرُزُّ والدُّخْنُ وسائر الحبوب خلا الباقلا، وبها من الفواكه المتنوعة الأجناس العِنَبُ، والتِّينُ، والرُّمَّانُ، والتُّفَّاحُ، والكُمَّثْرَى، والسَّفَرْجَلُ، والخَوْخُ، والمِشْمِشُ، والتُّوتُ، والبِطِّيخُ الأصْفر، والبِطِّيخ الأخضر، والخِيَارُ، والقِثَّاءُ .

وفيها من البقول اللِّفْتُ والجَزَرُ والكُرُنْبُ والبَاذِنْجَانُ والقَرْعُ وسائر أنواع البقول.

وفيها من الرياحين الوَرْدُ والبَنَفْسَجُ والآسُ والنِّيلُوفَرُ والحَبَقُ، ولا يوجد بها الأُتْرُجُّ والنَّارَنْجُ واللَّيْمُونُ والليم، ولا الموز ولا قصب السُّكَّرِ، ولا القُلْقَاسُ، ولا الملوخيا، فإنها من ذلك عارية الحدائق، خالية المروج، إلا ماأُتِى به إليها من المحمضات مجلوبا .

وفيها أصناف الملبوس : من القَزِّ، والصُّوف، وطرائف البَزِّ .

وفيها من المعادن معدنُ زِئْبق لا يعادله معدن فى الغَزَارة .

(١) لعله فكان ذلك داعية إلى التمكن الخ .

وقد آشتمل ما وراء النهر على عدّة كور .

(منها) السُّغْد . قال فى "اللباب" : بضم السين المهملة وسكون الغين المعجمة ودال مهملة فى الآخر، ويقال الصُّغْدُ بالصاد بدل السين، ويضاف إلى سَمَرْقَنْدَ، فيقال سُغْدُ سَمَرْقَنْدَ، وهو أحد منتزهات الدنيا الأربعة التى هى غوطة دِمَشْقَ، ونهر الأُبُلَّةِ، وشعب بَوَّانَ، وسُغْدُ سَمَرْقَنْدَ . قال آبن حوقل : وهو أنزه الأربعة لأنه ممتدّ نحو ثمانية أيام، مشتبكُ الخُضْرة والبساتين، لاينقطع ذلك فى موضع منه، وقد حُفَّت تلك البساتين بالأنهار الدائم جَرْيُهَا، ومن وراء الخضرة من الجانبين مزارعُ، ومن وراء المزارع مَرَاعى السوائم . ثم قال : وهى أزكى بلاد الله وأحسنها أشجارا .

ومنها أُسْرُوشَنَةُ . قال فى "اللباب" : بضم الألف وسكون السين وضم الراء المهملتين وسكون الواو وفتح الشين المعجمة ثم نون . قال آبن حوقل : والغالب عليها الجبال، ويحيط بها من الشرق بعض فَرْغَانَةَ، ومن الغرب حدود سَمَرْقَنْدَ، ومن الشَّمال بعض فَرْغَانَةَ أيضا، ومن الجنوب بعض حدود كَشّ والصَّغَانِيَان . قال أحمد الكاتب : ولها عدّة مُدُن، ويقال إن بها أربعمائة حصن .

(ومنها) فَرْغَانَةُ . قال فى "المشترك" : بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وفتح الغين المعجمة وألف ونون . قال آبن حوقل : وفيها مُدُن وكُوَر، وإليها ينسب جماعة من العلماء، منهم أبو سعيد الفَرْغَانىّ شارح "تائية آبن الفارض" قال آبن حوقل : وبجبال فَرْغانة معادنُ الذهب والفِضة والفَيْرُوزَج والحديد .

وقاعدتها بُخَارَا . قال فى "اللباب" : بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة ثم ألف وراء مهملة مفتوحة ـ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول سبع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعَرْض

تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينـة خارجها نَزِهٌ كثير البساتين . قال : وليس بتلك البُلْدان بلد أهلها أحسن قياما على عمارة قُرَاهم منهم، ويحيط بها وبقُرَاها ومزارعها سُورٌ واحد اثنا عشر فرسخا، ولهـا كورة عظيمة تصاقب جَيْحُونَ على مَعْبَر خُرَاسَانَ ، وبها يتصل سُغْدُ سَمَرْقَنْدَ . قال فى "مسالك الأبصار": وهى أم الأقاليم ويَمُّ التقاسيم، وقد كانت [مستقرًّا] للدولة السامانية ومركز أفلاكهم الدائرة، وكانت تلك الممالك كلها تبعا لها. قال صاحب "أشكال الأرض": ثم لم أر ولم أسمع بظاهر بلد أحسن من بخارا، لأنك إذا عَلَوْتَ لم يقع نظرُك من جميع النواحى إلا على خُضْرة تتصل خضرتهـا بلون السماء، مكبة زرقاء على بساط أخضر، تلوح القصور فيما بين ذلك كالتِّراس التبنية، أو الجَحَف اللَّمْطِيَّة، أو الكواكب العلوية، بين أراض وضياع مقسومة بالاستواء، ممهدة كوجه المِرْآة فى غاية الهندسة، ولهـا سبعة أبواب حديد : وهى باب المدينة، وباب نون، وباب خضرة، وباب الحديد، وباب قهندر، وباب بنى أسـد، وباب بنى سـعد . وليس فيها ماء جار لارتفاعها، ومياههم من النهر الأعظم الجارى من سَمَرْقَنْدَ، وإليها ينسب الإمام الحافظ (أبو عبد الله البخارىّ) صاحب الجامع الصحيح فى الحديث .

ولها عدّة مدن :

(منهـا) الطَّوَاوِيسُ . قال فى "اللبـاب" : بفتح الطاء المهملة والواو وبعد الألف واو ثانية مكسورة ومثناة تحت ساكنة وسين مهـملة فى الآخر — وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السـبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبع وثمـانون درجة وأربعون دقيقة، والعرضُ سـبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينـة من مضافات بُخَارا داخل الحائط الدائر على أعمـال بُخَارا، كثيرةُ البساتين والماء الجارى . قال : وقد خَربت الآن. وقال فى "اللباب":

هي قرية من قرى بخارا خرج منها جماعة من العلماء، وبينها وبين بخارا سبعة فراسخ، وإليها ينسب الطاووسىّ صاحب "المصباح على الحاوى الصغير" فى فقه الشافعية، ردّا لها فى النسب إلى المفرد وهو الطاوس .

(ومنها) نَخْشَبُ . قال فى "اللباب" : بفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين ثم باء موحدة. قال فى "تقويم البُلْدان": فلما عربت قيل نَسَف – يعنى بفتح النون والسين المهملة وفاء فى الآخر . قال ابن حوقل : وهى فى مستوٍ من الأرض، والجبال منها على نحو مرحلتين مما يلى كَش، وبينها وبين جَيْحون مفازة، ولها نهر يجرى فى المدينة وينقطع فى بعض السنة ، والغالب عليها الخِصْبُ . قال المهلبى : وهى وَبِيَّة .

(ومنها) كَشُّ . قال فى "المشترك" : بفتح الكاف ثم شين معجمة مشدّدة – وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول تسع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة قدرها ثُلُثُ فرسخ فى مثله ، وهى خِصْبَةٌ وفواكهها تُدْرِك قبل فواكه غيرها من بلاد ما وراء النهر، وطول عملها أربعة أيام فى نحوها . قال المهلّبى : ولها رستاق جليل، ولها نهران، وإليها ينسب جماعة من العلماء .

(ومنها) سَمَرْقَنْدُ . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح السين المهملة والميم وسكون الراء المهملة وفتح القاف وسكون النون ثم دال مهملة – وموقعها فى الإقليم الخامس . قال فى "القانون" حيث الطول ثمان وثمانون درجة وعشرون دقيقة، والعرض أربعون درجة . قال ابن حوقل : وهى قَصَبَةُ السُّغْد، وهى مبنية على ضَفَّة واديه، وهى مرتفعة عن الوادى؛ وحول سُورِها رسم خندق عظيم؛ ولها نهر يدخل إليها على حمالات فى الخندق معمول بالرَّصاص، وهو نهر جاهلىّ يشُقُّ السوق

بموضع يعرف برأس الطاق . قال آبن حوقل : ورأيت على باب من أبوابها يسمى باب كَش صفحةً من حديد وعليها كُتَيْبَة يزعم أهلها أنها بالحِمْيَرِيّة، وأن الباب من بناء تُبَّع ملك اليَمَن، وأن من صَنْعاء إلى سَمَرْقَنْد ألف فرسخ، وأن ذلك مكتوب من أيام تُبَّع . قال : ثم وقعتْ فتنة بها فى أيام مُقَامى بها وأُحْرِق البابُ وذهبت الكتابة ، ثم أعاد عمارةَ الباب محمدُ بن لُقْمان بن نصر السامانىّ ولم يُعِد الكتابة .

قلت : والمراد تبع المسمّى بأسعد أبا كَرِب ، وقد أشرت إلى قضية تُبَّع فى بناء سَمَرْقَنْد فى الكتاب الذى أنشأته لأن يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية إلى تمرلنك عند إرساله بالمفاوضة فى الصلح بعد واقعة دِمَشْق والقبض على آبن عثمان صاحب برسا من بلاد الروم بقولى بعد الدعاء : "ولا زال بالنصر تَقْضِى قواضبه ، وبالظَّفَرِ وحُسْنِ الأثر تَمْضِى مَقَانِبُه وتشاع مناقبه ، وبلسان دولته القاهرة يُصاح بتُبَّع سَمَرْقَنْد لن تبلغ هذه الرتبة حتّى نَظَّم الجَزْعَ ثاقبُه" . على ما سيأتى ذكره فى الكلام على مكاتبة القان صاحبِ ماوراء النهر، فى الكلام على المكاتبات فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

قال فى "مسالك الأبصار" : وسَمَرْقَنْدُ مدينة مرتفعة يُشْرِفُ الناظر بها على شجر أخضر، وقُصُور تُزْهِر، وأنهار تَطَّرِد، وعمارة تتَّقِد، لا يقع الطَّرْف بها على مكان إلا ملأه، ولا بستان إلا آستحسنه . قال صاحب "أشكال الأرض" : وقد نصصت أحجار السير (١)، وتشبهت بطوائف الحيوان : من الفِيَلَة والإبل والبقر والوحوش المقبل بعضها على بعض . قال : وبها حصن ولها أربعة أبواب : باب مما يلى المَشْرِق يعرف بباب الصِّين، مرتفع عن وجه الأرض ينزل إليه (؟) بدرج كثيرة، مطل على وادى السُّغد ، وباب مما يلى المغرب يعرف بباب النُّوبهار على نَشْز من

(١) كذا فى الأصل والمراد وصف المدينة بالتقدّم والأرتقاء .

الأرض، وباب مما يلى الشَّمال يعرف بباب بُخَارا، وباب مما يلى الجنوب يعرف بباب كَش. قال: وفيها مافى المدن العِظَام من الأسواق الحسان والحمامات والخانات والمساكن، وبناؤها من طين وخشب، والبلد كله: طُرُقه وسِكَكُه وأسواقه وأزِقَّته مفروشة بالحجارة.

(ومنها) بِنْكَثُ. قال فى "اللباب": بكسر الباء الموحدة وسكون النون وفتح الكاف وفى آخرها ثاء مثلثة — وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة. قال فى "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة، والعرض إحدى وأربعون درجة وعشرون دقيقة. ولها سُورٌ ورَبَضٌ وبساتين كثيرة.

(ومنها) نوبكت — بنون وواو وباء موحدة ثم كاف ومثناة من فوق. قال ابن حوقل: وهى قصبة ناحية إيلاق(١)، وعليها سُورٌ ولها عدّة أبواب، وفيها مياه وبساتين كثيرة.

(ومنها) خُجَنْدَةُ. قال فى "اللباب": بضم الخاء المعجمة وفتح الجيم وسكون النون ثم دال مهملة — وهى مدينة على طرف سَيْحُونَ مضمومة إلى فَرْغَانَةَ، واقعة فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة. قال فى "القانون" حيث الطول تسعون درجة، والعرض أربعون درجة وخمسون دقيقة. قال فى "اللباب": وهى مدينة كبيرة، وهى فى مستوٍ من الأرض، ولها بساتينُ كثيرة. قال أحمد الكاتب: ومنها إلى سَمَرْقَنْدَ سبع مراحل، ومنها إلى الشاش كذلك.

(ومنها) تُنْكَتُ. قال فى "اللباب": بضم المثناة من فوق وسكون النون وفتح الكاف وفى آخرها تاء ثانية — وهى مدينة من مدن الساحل، وقيل هى قصبة إيلاق،

(١) الذى فى "تقويم البلدان" عن ابن حوقل أن عاصمة إيلاق تسمى تونكت، وكذا فى "معجم البلدان" لياقوت، إلا أنه نص على أن آخرها ثاء مثلثة، وهى تنكث الآتية بعد فليتنبه.

وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول إحدىٰ وتسعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال فى "اللباب" : ولها نهر ودار إمارة ، وخرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) أَخْسِيكَثُ . قال فى " اللباب" : بفتح الألف وسكون الخاء المعجمة وكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الكاف وفى آخرها ثاء مثلثة . وهى مدينة من بلاد فَرْغَانَةَ ، واقعة فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول إحدىٰ وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى علىٰ شَطِّ نهر الشاش فى أرض مستوية بينها و بين الجبال نحو فرسخ .

(ومنها) تِرْمِذ . قال فى " اللباب " : قيل بفتح التاء ثالثة الحروف وقيل بضمها وقيل بكسرها . قال : والمتداول علىٰ لسان أهلها فتح التاء وكسر الميم ، والمشهور فى القديم كسر التاء والميم جميعا ، وقيل بضم التاء والميم و بينهما راء ساكنة وفى آخرها ذال معجمة ـ وهى مدينة علىٰ شَطِّ جَيْحُونَ ، واقعة فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون" حيث الطول إحدىٰ وتسعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : ومعظم مساكنها وأسواقها مفروشة بالآجُرّ ، وهى قَصَبة تلك النواحى ، وأقرب الجبال إليها علىٰ مرحلة ، وليس لقُراها شُرْب من جَيْحُونَ بل من نهر الصَّغَانِيَان . قال : ولها مُدُن كثيرة وكُوَرٌ مضافة إليها . قال فى "اللباب" : وهى مدينة قديمة .

(ومنها) الصَّغَانِيَانُ . قال فى "اللباب" : بفتح الصاد المهملة والغين المعجمة وألف ونون ومثناة تحتية ونون فى الآخر، جميع ذلك بالتخفيف . قال : ويقال لها بالعجمية جَغَانِيَان ـ وهى مدينة موقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثلاثَ عشرةَ دقيقة . قال آبن حوقل : وهى أكبر من تِرمِذ إلا أن ترمذ أكثر أهلا . ثم قال : وهى كورة كبيرة كثيرة الماء والشجر، والنسبة إليها صَغَانىّ وصَاغَانىّ .

الإقليـــم الثانى
(تُرْكُسْتَانُ)

بضم التاء المثناة من فوق وسكون الراء المهملة وضم الكاف وسكون السين المهملة وألف بعدها نون، ومعناه ناحية الترك . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مملكة لو آنفردت لكانت مُلْكا كبيرا وسلطنة جليلة (زهرةُ الدّنيا، وطراز الأرض بلاد التُّرْك) وحقيقةٌ من كِنَاسها رتعت غِزْلانُها، ومن غابها أصْحَرَتْ لُيُوثُهم . وهى إقليم فسيح المَدىٰ، قديم الذكر، منشأ حُماه، ومَنْسَبُ كُماه . قال : وهو المراد بقولهم بلاد الأتراك، ولم تزل الملوك تلحظُها لآنتقاء بوادرها، وآنتقاء ذواخرها، فأشدّ ماتنكّرت الأيام معالمها، وغيرت الغِيَرُ أحوالها . قال : ولقد صادفت حدّةَ التتار، فى أول الثَّار، فجاءت قدّامهم فى سَوْرة غضبهم، ونفحة نارهم، فأمالت السيوفُ حصائدَ أحبالهم، ولم يبق إلا من قلَّ عديده . ثم قال : حكىٰ لى من جال فى رساتيقها، وجازَ فى قُرَاها، أنه لم يبق من معالمها إلا رسومٌ دائرة، وأطلال ناتئة، يَرىٰ علىٰ البُعْد القريةَ مُشيَّدَةَ البناء، مُخْضَرّةَ الأكناف، فيأنس لعله يجد بها أنيسا ساكنا، فإذا جاءها وجدها عالية البنيان، خاليةً من الأهل والسُّكّان، إلا أهل العمل وأصحابَ السائمة . ليست بذات حرث ولا زرع، وإنما خضرتها مُرُوج أطلعها باريها بها من النباتات البَرّيَّة، لابَذَرها بَاذِرٌ، ولا زرعها زارع . ويوجد بها خَلَف من بقايا العلماء، ويجزئ التيمم فيها بالتراب بعد الماء .

ومن نواحيها (فَارَابُ) . قال فى "المشترك" : بفتح الفاء والراء المهملة بين ألفين وفى آخرها باء موحدة . وقال فى " مسالك الأبصار " : الصواب إبدال الفاء باء موحدة لأنه ليس فى اللغة التركية فاء . قال ابن حوقل : وهى ناحية لها غياض، ولهم مزارع، ومقدارها فى الطول والعرض أقلّ من يوم . قال فى "تقويم البلدان" : وتسمّى أُطْرار .

وقاعدتها (قَاشْغَر) . قال فى "اللباب" : بفتح القاف وسكون الألف ثم سكون الشين المعجمة أيضا وفتح الغين المعجمة وفى آخرها راء مهملة . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويقال لها كَاشْغَر بإبدال القاف كافا ـ وموقعها فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول ست وتسعون درجة وثلاثون دقيقة . والعرض أربع وأربعون درجة . قال المهلبىّ : وهى مدينة عظيمة آهلة عليها سُورٌ وأهلها مسلمون . قال فى "القانون" : وتسمّى أزدوكند .

قال فى "مسالك الأبصار" : أما الآن فقاعدتها (قرشى) بقاف وراء مهملة وشين معجمة ثم ياء مثناة من تحت فى الآخر . قال فى " مسالك الأبصار " : وهى على نهر قراخوجا فى نهاية الحدّ . قال : وهى وإن لم تكن شيئا مذكورا، ولا لها على آختلاف حالات الزمان شهرة تُذْكَر[1]، لكن قد شملها فى دولة ملوكها الآن من نظر السعادة لنسبتها إلى أنها سَكَن لهم، وإن كانوا ليسوا بسُكَّانِ جِدَار، ولا متديِّرين فى ديار، ولكن لآسم وُسِمَتْ به . وبها عدّة مدن أيضا :

(منها) كدر . قال فى " الأطوال " : وهى قَصَبة فَارَاب . قال فى " مسالك الأبصار " : وإليها ينسب فَيْلَسُوفُ الإسلام أبو نَصْر الفَارَابِىّ .

(١) لعله شىء من نظر الخ .

(ومنها) خُتَن . قال فى "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وفتح المثناة من فوق ونون فى الآخر — وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول ست وثمانون درجة ، والعرض ثنتان وأربعون درجة . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى أقصى تُرْكُسْتَانَ . قال فى " العزيزى " : وهى مدينة خِصْبَةٌ آهلة عامرة ، بها أنهار كثيرة .

(ومنها) جَنْدٌ . قال فى "اللباب" : بفتح الجيم وسكون النون وفى آخرها دال مهملة — وهى بلدة واقعة فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبع وثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وأربعون درجة . قال فى "اللباب" : وهى فى حدود التُّرْك على طَرَف سَيْحُونَ ، خرج منها جماعة من الفضلاء .

(ومنها) إسْفِيجَابُ . قال فى "اللباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وكسر الفاء وسكون المثناة من تحت وفتح الجيم وفى آخرها باء موحدة بعد الألف — ووقع فى " مسالك الأبصار " إبدال الفاء باءً موحدة — وموقعها فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول تسع وثمانون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال فى " اللباب " : وهى بَلْدة كبيرة . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى من ثغور الترك .

(ومنها) طَرَازُ . قال فى " اللباب " : بفتح الطاء والراء المهملتين وألف وزاى معجمة — وهى مدينة على حدّ بلاد التُّرْك واقعةٌ فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول تسع وثمانون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وحولها حصون منسوبة إليها .

(ومنها) نيلى . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى أربعة مُدُن بين كل مدينة والأخرىٰ فرسخ واحد ، ولكل واحدة منها آسم يخصها : فالأولىٰ نيلى ، والثانية نيلى مالق ، والثالثة بَكث ، والرابعة تلان . قال : و بينها و بين سَمَرْقَنْد عشرون يوما .

(ومنها) أَلْمَالِق — بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الميم وألف بعدها ثم لام مكسورة وقاف فى الآخر . قال فى "مسالك الأبصار" : و بينها و بين نيلى عشرون يوما . ونقل عن الشيخ محمد الخُجَندىّ الصوفىّ وغيره أن بها من الخيل والأغنام مالولا مُوتانٌ يقع فيها فى بعض السنوات ، لما بيعت ولا وجد من يشتريها لكثرتها و بركات نتاجها .

الإقليـم الثالث

(طُخَارُسْتَانُ)

قال فى "اللباب" : بضم الطّاء[1] المهملة وفتح الخاء المعجمة وألف وضم الراء وسكون السين المهملتين وفتح المثناة من فوق وألف ونون . قال : وهى ناحية مشتملة علىٰ بُلْدان فى أعلىٰ نهر جَيْحُونَ . وقال آبن حوقل : هو إقليم له مُدُن كثيرة من مضافات بَلْخ . وقاعدتها فيما ذكره فى "القانون" — وَلْوَالج . قال فى "تقويم البُلْدان" بواوين بينهما لام ساكنة ثم ألف ولام وجيم — وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول آثنتان وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى "القانون" : وهى مقرّ مملكة الهَيَاطِلَة فى القديم . قال المهلبىّ : وهى فى مستوٍ من الأرض . ولها مُدُن .

(١) ضبطها ياقوت بالفتح .

(منها) إِسْكَلْكَنْدُ . قال فى " اللباب " : بكسر الألف وسكون السين المهملة وفتح الكافين ، بينهما لام ساكنة ثم نون كذلك ودال مهملة فى الآخر . قال : وقد تحذف الألف من أولها . وهى مدينة صغيرة موقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " حيث الطول آثنتان وتسعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال فى " اللباب " : وهى مدينة صغيرة كثيرة الخير .

(ومنها) رَاوَنُ . قال فى " اللباب " : بفتح الراء المهملة والواو ونون فى الآخر - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول آثنتان وتسعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال فى " اللباب " : وهى مدينة من طُخَارُسْتَانَ ولم يزد .

الإقليم الرابع
(بَذَخْشَانُ)

قال فى " اللباب " : بفتح الباء الموحدة والذال وسكون الخاء وفتح الشين المعجمات ونون فى الآخر . قال آبن حوقل : وهو آسم للمدينة والإقليم معًا . قال فى " اللباب " : وهى فى أعلى طُخَارُسْتَانَ متاخمةٌ لبلاد التُّرْك . وقال فى " مسالك الأبصار " : هى مع مملكة ما وراء النهر وليست حقيقة منها ولا من تُرْكُسْتَانَ ، بل هو إقليم قائم بذاته ، معدود المجاورة مع أخواته ، قد حوى كل بديع من حيوانه ومعدنه ونباته .

ثم حكى عن محمد الخُجَندىّ الصوفىّ وغيره أن بها معدنَ البَلَخْش ، ومعدن اللَّازَوَرْدِ ، وهما فى جبل بها ، يُحْفَرُ عليهما فى معادنهما ، فيوجد اللَّازَوَرْدُ بسهولة ، ولا يوجد البَلَخْش إلا بتعب كثير وإنفاق زائد ، وقد لا يوجد بعد التعب الشديد

والإنفاق الكثير . ولذلك عَزَّ وجودُه، وعلت قيمته، وكثر طالبه ، وآلتفتت الأعناق إلىٰ التحلِّي به . وقد تقدّم ذكره فى المقالة الأولىٰ فى الكلام علىٰ ما يحتاج الكاتب إلىٰ معرفته لِصِفَةُ عند ذكر الأحجار النفيسة . وقد تقدّم هناك أن أنفس قطعة وصلت إلىٰ بلاد الشام منه قطعةٌ زِنَتُها خمسون درهما . وقد ذكر فى "اللباب" أن بها معدنَ البِلَّوْرِ أيضا، وقد تقدّم ذكره هناك فى الكلام علىٰ الأحجار النفيسة .

الجملة الثالثة

(فى الطرق الموصلة إليها، وبعض المسافات الواقعة بين بلادها)

قد تقدّم فى الكلام علىٰ مملكة إيران الطريقُ إلىٰ آمُل الشطّ بشط جَيْحُونَ . قال آبن خرداذبه : ومن آمُل إلىٰ بُخَارا تسعة عشر فرسخا، ومن بُخَارا إلىٰ سَمَرْقَنْدَ سبعة وثلاثون فرسخا، ومن سَمَرْقَنْدَ إلىٰ الشَّاش آثنان وأربعون فرسخا، ثم إلىٰ باب الحديد مِيلان، ثم إلىٰ كَار فرسخان، ثم إلىٰ إسْفِيجاب عشرة فراسخ، ومن إسْفِيجَابَ إلىٰ أُطْرَارَ وهى فَارَابُ ستة وعشرون فرسخا. قال فى "تقويم البُلْدان": ومن سَمَرْقَنْدَ إلىٰ خُجَنْدَةَ سبع مراحل، ومن خُجَنْدَةَ إلىٰ الشَّاش أربع مراحل .

الجملة الرابعة

(فى عِظَام الأنهار الواقعة فى هذا القسم من مملكة تُورَانَ، وهى نهران)

الأوّل — نهر جَيْحُونَ — بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وضم الحاء المهملة وسكون الواو ثم نون، ويسمّى نهر بَلْخ أيضا، إضافة إلىٰ مدينة بَلْخ من بلاد فَارِسَ المقدّم ذكرها . قال فى "تقويم البُلْدان" : وقد آختلف النقل فيه، وأقربُه ما نقله آبن حَوْقَل أن عمود نهر جَيْحُونَ يخرج من حدود بَذَخْشَانَ، ثم تجتمع إليه أنهار

كثيرة، و يسير غربا وشمالا حتى يصل إلى حدود بلخ، ثم يسير إلى ترمذ، ثم غربا وجنوبا إلى زم واسمها أموية، ويجرى كذلك غربا وشمالا إلى خوارزم. قال فى "رسم المعمور" : ويخرج جنوبا ويمر قرب خجندة ويتجاوزها ويصب فى البحر الأخضر.

الثانى — نهر سيحون. قال فى "تقويم البلدان" : وقد اختلف النقل فيه أيضا. قال : والمختار ما ذكره ابن حوقل، لأنه يحكى ذلك عن مشاهدة. فقال : إن نهر الشاش بقدر الثلثين من نهر جيحون، وهو يجرى من حدود بلاد الترك ويمر على أخسيكث، ثم يسير مغربا بميلة إلى الجنوب إلى خجندة، ثم يجرى إلى فاراب إلى ينغى كنت ثم يقع فى بحيرة خوارزم على مرحلتين من ينغى كنت.

الجملة الخامسة
(فى معاملاتها وأسعارها)

أما معاملاتها فبالدينار الرائج، وهو ستة دراهم كما فى معظم مملكة إيران، وفى بعضها بالدينار الخراسانى وهو أربعة دراهم. قال فى "مسالك الأبصار" : ودراهمهم نوعان، درهم بثمانية فلوس، ودرهم بأربعة فلوس. قال : ودراهمها فضة خالصة غير مغشوشة، وهى وإن قل وزنها عن معاملة مصر والشام فإنها تجوز مثل جوازها.

وأما أسعارها فأسعارها جميعها رخية حتى إذا غلت الأسعار فيها أعلى الغلو، كانت مثل أرخص الأسعار بمصر والشام.

الجملة السادسة
(فى من ملك هذا القسم من مملكة توران)

قد تقدم فى الكلام على أصل مملكة توران أنها كانت مملكة الترك فى القديم،

وأنه كان بها افراسياب بن[1] شبك بن رستم بن ترك بن كو بر بن يافث بن نوح عليه السلام على الخلاف السابق فيه ، وكانت تعرف بمملكة الخانية .

أما فى الإسلام فملوكها على طبقتين :

الطبقـــة الأولى

(ماهو عقيب الفتح ، وهم على ضربين)

الضرب الأوّل

(ملوك ماوراء النهـــر)

وكانت بيد نوّاب الخلفاء بُرْهَةً من الزمان فى صدر الإسلام ، ثم تغلب عليها الملوك بعد ذلك وحازوها ، وتوالتْ عليها أيديهم إلى الان . وأوّل من تغلب عليها من الملوك السامانيةُ ، وهم بنو سامان بن جثمان بن طمغان بن بوشرد بن بهرام چوبين المذكور فى أخبار كسرى أبرويز أحد ملوك الفُرْس .

وأوّل من ملكها منهم أولاد أسد بن سامان فى خلافة المأمون فى سنة أربع ومائتين . فتولى (أحمد بن أسد) فَرْغَانَةَ ، و(يحيى بن أسد) الشَّاش وأُشْرُوسَنَة و(نوح آبن أسد) سَمَرْقَنْدَ ، ثم مات نوح بن أسد بسَمَرْقَنْدَ ، ثم مات أحمد بفَرْغَانَة وآستخلف آبنه نصرا على أعمـــاله ، وكان إسماعيل بن أحمد يخْدُم أخاه نصرا فولاه نصرٌ بُخَـارا فى السنة المذكورة . وكان إسماعيل رجلا خيرا يحب أهل العلم ويكرمهم ، فآستقرت قدمه بُخَارا وملك جميع ماوراء النهر . وملك إسماعيـــل المذكور خُرَاسَانَ مع ماوراء النهر فى سنة سبع وثمانين ومائتين .

(١) فى "الأخبار الطوال" للدينورى "آبن توذل بن الترك بن يافث" ، وفى أبى الفـــداء "آبن طوج" وفى غيرهما غير ذلك . نبها على ذلك ليعلم أن بين المؤرخين آختلافا ، ولم يتقدم للؤلف فى توران شىء من هذا النسب ، فتنبه .

ثم ملك بعــده ماوراء النهر وخراسان (ٱبنه أحمد بن إسماعيل) حتى قتل فى سنة إحدىٰ وثلثمائة، وولى بعده ماوراء النهر وخُرَاسَانَ ٱبنــه (أبو الحسن نصر بن أحمد) وتوفى سنة إحدىٰ وثلاثين وثلثمائة .

وولى بعــده ماوراء النهر وخُرَاسَانَ ٱبنه (نوح بن نصر) وتوفى فى سنة ٱثنتين وأربعين وثلثمائة .

وولى بعــده ماوراء النهر وخُرَاسَانَ ٱبنه (عبد الملك بن نوح) وبقى حتى قبض عليه ايليك‌خان ملك الترك، وحبس هو وجميع أقاربه، ومات فى الحبس فى ســنة تسع وثمانين وثلثمائة، وٱنقرضت بموته دولةُ بنى سامان، وكانت دولتهم من أحسن الدُّوَل وأعدلها، وكانت ولايتهم إمارةً لاملكا .

وملك بعــدهم ماوراء النهر (ايليك‌خان) المقــدم ذكره، وتوالت بأيديهم حتى ملكها منهم رجل ٱسمه (أحمد خان) فبقيت بيده حتى ملكها منــه (ملكشاه السَّلْجُوقىّ) فى سنة ٱثنتين وثمــانين وأربعمائة، وأطاعه صاحب تُرُكُسْتَانَ فخطب له وضرب السِّكَّة بٱسمه، ثم خرج عنها وعاد أحمد خان إليهــا، فبقى حتى ثبتت زَنْدَقَتُه وضرب عنقه فى سنة ثمــان وثمــانين وأربعمائة .

وملك بعــده ٱبن عمه (مسعود)، ثم أقيمت الخطبة بمــا وراء النهر (لبَرْكَيَارُق)، ثم خطب بركيارق فيما بيده مما وراء النهر وغيره لأخيه محمد بن ملكشاه. ثم غلب عليها الخِطَا الكُفَّار فى سنة ست وثلاثين وخمسمائة وٱنتزعوها من يد سنجر بن ملكشاه. ثم صارت بيد الغُزّ: وهم طائفة من الترك مسلمون .

ثم ٱستولىٰ عليها بنو أنوشتكين ملوكُ خُوَارَزم الآتى ذكرهم، إلىٰ أن غلب عليها جنكزخان فى سنة ستَّ عشرةَ وستمائة .

وأما غَزْنَةُ وما معها فكانت بيد بنى سامان ، ثم غلب عليها سُبُكْتُكِين : وهو أحد مماليك أبى إسحاق بن ألبتكين صاحب جيش غزنة للسامانيـة المقدّم ذكره فى سنة ست وستين وثلثمائة بعد موت أبى إسحاق المذكور ، ثم مات وقام بالأمر بها بعده آبنه إسماعيل ، ثم غلبه عليها أخوه محمود بن سُبُكْتُكين ، وآستضاف إليها بعض خُرَاسَانَ فى سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، وقطع الخطبة السامانية ، وبقى حتّى توفى سنة إحدىٰ وعشرين وأربعمائة .

وملك بعده آبنه (محمد بن محمود) بعهد من أبيه ، ثم قدم أهلُ المملكة عليه أخاه (مسعود بن محمود) وملّكوه عليهم ، وبقى حتّى قتل فى سنة آثنتين وثلاثين وأربعمائة .

ثم ملك بعده أخوه محمد المقـدّم ذكره وقتل من عامه ، وملك بعـده آبن أخيه (مودود بن مسعود) وتوفى سنة إحدىٰ وأربعين وأربعمائة .

وملك بعده عمه (عبد الرشيد بن محمود) وقتل فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة .

وملك بعده أخوه[1] (فرخزاد بن مسعود بن محمود) ، وتوفى سنة إحدىٰ وخمسين وأربعمائة .

وملك بعده أخوه الملك المؤيد (إبراهيم بن مسعود) ، وتوفى سنة إحدىٰ وثمانين وأربعمائة .

وملك بعده آبنه (مسعود بن إبراهيم) ، وتوفى سنة ثمان وخمسمائة .

وملك بعده (أرسلان شاه بن مسعود) .

ثم ملك بعده (بهرام شاه بن مسعود) ثم توفى .

وملك بعده آبنه (خسروشاه بن بهرام) ، وتوفى سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده آبنه (ملكشاه بن خسرو شاه) بن بهرام بن مسعود بن محمد بن سُبُكْتُكين ، وهو آخرهم .

ثم آنتقل الملك إلىٰ الغُورية .

(١) الضمير راجع إلىٰ مودود والأولى أن يقال "ابن أخيه" ليعود الضمير إلىٰ عبد الرشيد .

فأول من ملك منهم علاء الدين (الحسين بن الحسين)، ملك عند آنقراض الدولة السُّبُكْتُكِينِيَّة، وآستضافها إلى الغُور فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وتلقَّب بالملك المعظم، وتوفى سنة ست وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده غياث الدين (محمد بن سام بن الحسين) ؛ ثم آستولى عليها الغُزّ نحو خمس عشرة سنة ؛ ثم ملكها (شهاب الدين) أخو غياث الدين المقدم ذكره سنة تسع وسبعين وخمسمائة . وقتل سنة آثنتين وستمائة . وفى أيامه كان الإمام فخر الدين الرازى وكان يَغْشاه و يَعِظُه .

ثم ملك بعده علاء الدين (محمد بن سام بن محمد بن مسعود بن الحسين) ؛ ثم غلبه عليها (يلدز) مملوك غياث الدين أخى شهاب الدين ؛ ثم غلبه عليها علاء الدين المذكور ؛ ثم غلب عليها يلدز أيضا ؛ ثم غاب عليها علاء الدين (محمد بن تكش) بن خوارزم شاه فى سنة آثنتى عشرة وستمائة، و بقى حتى غلبه عليها جنكزخان الآتى ذكره فى سنة سبع عشرة وستمائة .

الطبقـــة الثـانية
(ملوكها من بنى جنكزخان)

قال فى "مسالك الأبصار" : كان جنكزخان قد أوصى بمملكة ماوراء النهر لولده جداى، و يقال له جغطاى فلم يتمكن من ذلك .

ثم ملك بعده آبنه قراهولاوو، ثم ولده مبارك شاه ؛ ثم غلب عليه قيدو بن قاشى آبن يكبوك بن أوكداى بن جنكزخان ؛ ثم غلب عليه براق بن بسنطو بن منكوقان ابن جغطاى بن جنكزخان .

ثم ملك بعده آبنه دوا بن براق، ثم أخوه كنجك، ثم أخوه اسبنغا، ثم أخوه كيوك، ثم أخوه الجكداى، ثم أخوه دراتمر، ثم أخوه ترما شيرين .

ثم ملك بعده رجل ليس من أولاد دوا آسمه توزون بن أو يا كان . قال : وتخلل فى خلال ذلك مَنْ وثب على الملك ، ولم ينتظم له حال ولاصلت له أعلام دولة ، وبقى الملك بعد ترماشيرين غير منتظم حتى قام جنقصو بن دراتمر بن حلو بن براق بن بسنطو آبن منكوقان بن جغطاى بن جنكزخان . إلى هنا آنقضى كلامه فى "مسالك الأبصار".

وأول من أسلم من ملوك هذه المملكة "ترماشيرين" المقدّم ذكره سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، فأسلم وحَسُن إسلامه وأخلص فى إسلامه وأيّد الإسلام ، وقام به حق القيام ، وأمر به أمراءه وعساكره ، فمنهم من كان سبق إسلامه ومنهم من أجاب دَاعِيَهُ فأسلم ، وفشا فيهم الإسلامُ ، وعَلَا لواؤه حتى لم تمض عشرة أعوام ، حتى آشتمل فيها بملاءته الخاص والعام ، وأعان على ذلك من فى تلك البلاد من الأئمة العلماء والمشايخ الصلحاء . وصارت التجار من مصر والشام مترددة إلى تلك الممالك ، وهو يكرمهم أتم الإكرام ، على أن رعايا هذه المملكة من قدماء الإسلام ، السابقين إليه كانوا مع كفر ملوكهم فى جانب الإعزاز والإكرام ، لا يتطرّق إليهم منهم أذية فى دين ولا حال ولا مآل .

الجملة السابعة

(فى ترتيب هذه المملكة وحال عساكرها)

أما ترتيبها فقد أشار فى "مسالك الأبصار" إلى أنها على نحو ماتقدّم فى مملكة إيران لآتفاق ملوك بنى جنكزخان فى الترتيب على طريقة واحدة .

وأمّا عساكرهم فذكر أن عساكرهم من أهل النَّجْدَةِ والبأس ، لايجحد ذلك من طوائف الترك جاحد ، ولا يُخَالف فيه مخالف ، حتى حكى فى "مسالك الأبصار" عن مجد الدين إسماعيل السلامىّ أنه كان إذا قيل فى بيت هُولَاكُو : العساكر ،

تحرّكت من خُوَارَزْم والقَبْجَاقِ، لايحمل لذلك أحدٌ منهم همًّا . وإذا قيل : إن العساكر تحرّكت مما وراء النهر، تأثروا لذلك غاية التأثر، لأن هؤلاء أقوى ناصرا وإن كان أولئك أكثر عددا ، لأنه يقال : إن واحدا من هؤلاء بمائة من أولئك، ولذلك كانت خُرَاسَانُ عندهم ثغرًا لايُهْمَلُ سِدَاده، ولا يزال فيه من يَستحق ميراث التخت أو من يقوم مقامه، لما وَقَرَ فى صدورهم لهؤلاء من مهابة لا يُقَلْقَل طودُها، لأنهم طالما بَلَوْهم فى الحرب وآبْتَلوهم فيها .

القســـم الثانى
(من مملكة تُوران خُوَارَزْمُ والقَبْجَاقُ)

قال فى "مسالك الأبصار" : حدّثنى الشيخ نجم الدين بن الشّحام الموصلى : أن هذه المملكة متسعةُ الجوانب طولا وعرضا، كبيرةُ الصحراء، قليلةُ المُدُن، وبها عَالَمٌ كثيرٌ لايدخل تحت حدّ، إلا أنهم ليس لهم كثير نفع لقلة السلاح ورداءة الخيل، وأرضهم سهلة قليلة الحجر، لا تُطِيق خَيْلٌ رُبِّيَت فيها الأوعارَ، فلذلك يقل غَنَاؤها فى الحروب . قال فى "التعريف" : وكانت هذه المملكة فى قديم الزمان زمانِ الخلفاء وما قبله تعرف بصاحب السرير . قال فى "الروض المعطار" : وذلك أنه كان بها سرير من ذهب يجلس عليه ملوكها نقله إليها ملوك الفُرْس . قال فى "التعريف": وكان صاحبها فى الأيام الناصرية (يعنى آبن قلاوون) السلطان أزبك خان . قال : وقد خطب إليه السلطان فزوّجه بنتا تقرب إليه، ثم قال : وما زال بين ملوك هذه المملكة، وبين ملوكنا قديمُ آتحاد، وصِـدْق وداد، من أوّل الدولة الظاهرية بيبرس وإلى آخر وقت .

ويحصل الغرض من ذلك فى ثمان جُمَل :

الجمــــلة الاولىٰ

(فى ذكر حدود هذه المملكة ومسافتها)

قد ذكر فى "مسالك الأبصار" نقلا عن الشيخ علاء الدين بن النُّعمان الخُوَارَزْمِىّ أن طول هـذه المملكة من بحر آصطنبول إلىٰ نهر أريس ستة أشهر، وعرضها من بُلْغَارَ إلىٰ باب الحديد أربعة أشهر تقريبا . ثم ذكر عنه فى موضع آخر : أن مجموع هـذه المملكة من ورعات(١) خُوَارَزْمَ من الشرق إلىٰ بَاشْقَرْدَ، وعرضا من خُوَارَزْم إلىٰ أقصىٰ بلاد سير، وهى منتهىٰ العمارة فى الشَّمال . وذكر فى موضع آخر عن آبن النعمان أن مبدأ عرض هذه المملكة من ديرِمو، وهى مدينة من بناء الإسْكَنْدر، كان عليها باب من حديد قديما، إلىٰ بلاد بوعره (؟)، وطولها من ماء أريس، وهو أعظم من نيل مصر بكثير من ناحية بلاد الخِطَا، إلىٰ آصطنبول يعنى القُسْطَنْطِينِيَّة . قال : ويتجاوز هذا الطول قليلا إلىٰ بلاد تسمّىٰ كَمْخ مشتركة بين الرُّوسِ والفرنج . وذكر فى موضع آخر أن خُوَارَزْم إقليم منقطع عن خُرَاسَانَ وعن ما وراء النهر، والمَفَاوِزُ محيطةٌ به من كل جانب، وحدّه متصل بغَزْنَةَ مما يلى الشمال والغرب وجنوبيه وشرقيه، وهو علىٰ جانبى جَيْحُونَ . قال آبن حوقل : وبلاد خوارزم من أبرد البلاد، ومنها يبتدئ الجُمُودُ فى نهر جَيْحُونَ . قال فى "العزيزى" : وبلاد خُوَارَزْم فى جهة الجنوب والشرق عن بحيرة خُوَارَزْم، وبينهما نحو ست مراحل . قال فى "مسالك الأبصار" : وأوّل حدّ خُوَارَزْم بلدة تسمّى الظاهرية مما يلى آمُلَ، وتمتدّ العمارة فى جانبى جَيْحُونَ معا .

وحكى عن حسن الرومىّ التاجر السَّفَّار أن طولها من مدينة باكُو المعروفة بالباب الحديد إلىٰ حدود بلاد الخِطَا، فيكون بسير القوافل خمسة أشهر، وعرضها من نهر

(١) كذا فى الأصل، ولعلها درعان الآتية قريبا .

جَيْحُونَ إلىٰ نهر طُونا . وقال فى "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة واقعة فى الشمال آخذة إلىٰ الشرق، تحدّها أطراف الصِّين من شرقيها ، وبلاد الصَّقْلاب وما يليها من شماليها، وخُرَاسَانُ وما سامتها من جنوبيها، والخليج القاطع من بحر الروم من غربيها .

الجمـــلة الثـانية
(فيما آشتملت عليه من الأقاليم العُرْفية)

اِعلم أن هذه المملكة قد آشتملت علىٰ عدّة أقاليم :

الإقلـيم الأوّل
(خُوَارَزْم)

بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وألف بعدها راء مهملة ثم زاى معجمة سـاكنة وميم فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهو إقليم منقطع عن خُرَاسَانَ وعن ماوراء النهر، والمَفَاوِزُ محيطة به من كل جانب . قال : ويحيط به من الغرب بعض بلاد التُّرك، ومن جهة الجنوب خُرَاسَانُ، ومن الشرق بلادُ ماوراء النهر، ومن الشمال بلاد الترك أيضـا . قال : وإقليم خُوَارَزْمَ فى آخر جَيْحُونَ، وليس بعده علىٰ النهر عمـارة إلىٰ أن يقع جَيْحُونُ فى بحيرة خُوَارَزْمَ، وهو علىٰ جانبى جَيْحُونَ . قال ابن حوقل : (وبلاد (١) خُوَارَزْمَ من أبرد البلاد، ويبتدئ الجمود فى نهر جَيْحُونَ من جهة خُوَارَزْمَ) . وقال المهلبىّ : بلاد خُوَارَزم فى جهة الجنوب والشرق عن بحيرة خُوَارَزْمَ إلىٰ آمُل نحو آثنتَىْ عشرة مرحلة، ومن خُوَارَزْمَ إلىٰ بحيرة خُوَارَزْمَ نحو ست مراحل . قال فى "مسالك الأبصار" : وبخُوَارَزْمَ جبلٌ يقال له جبل الخير به عين تعرف به، يقصدها ذَوُو الأمراض المزمنة، ويقيمون عندها سبعة أيام، فى كل يوم

(١) تقدّمت هذه الجملة بتمامها فى الصفحة التى قبل هذه، فإعادتها غير مفيدة .

يغتسلون بها بُكْرة وعشية، ويشربون منها عقب كل آغتسال حتى يتضلَّعوا، فيحصل البُرْء . قال : وخُوَارَزْم على جَيْحُونَ بين شُعْبَتَيْنِ منه مثل السراويل . قال : ويلي خُوَارَزْمَ أرض مدوّرة تسمّى قسلاع، طولها خمسة أشهر، وعرضها كذلك كلها صحراء، يسكنها أمم كثيرة من البرجان، ويفصل بينها وبين نهر جَيْحُونَ جَبَلٌ آسمه أويلغان شمالىّ خُرَاسَانَ. ولها قاعدتان .

القاعدة الأولى

(القديمة مدينة كَاث)

بكاف وألف وثاء مثلثة . قال آبن حوقل : وهو آسمها بالخُوَارَزْمِيَّة، وهي مدينة واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة، والعرض إحدى وأربعون درجة وست عشرة دقيقة . قال في "القانون" : وهي في شرقىّ جَيْحُونَ . قال المهلبي : وبينها وبين القرية الحَدِيثة من بلاد الترك خمسون فرسخا . قال : وهي من أجلّ مُدُن خُوَارَزْمَ . قال آبن حوقل : وقد خربها التتر وبنى الناس لهم مدينة وراءها . قال : وكانت هذه المدينة في الجانب الشمالىّ عن جيحون . قال في "مسالك الأبصار" : وبها مائة بيت من اليهود، ومائة بيت من النصارى، لا يسمح لهم بأكثر من ذلك .

القاعدة الثانية

(كُرْكَانْج)

قال في "المشترك" : بضم الكاف وسكون الراء المهملة ثم كاف ثانية وألف ونون ساكنة وفي آخرها جيم . قال : ويلتقى فيها ساكنان (يعني الألف والنون) ولذلك يكتبونها كُرْكَنْج بغير ألف، وتعرف بكُرْكَنْج الكُبْرى، والعرب تسميها

الجرجانية ـ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " و" القانون " حيث الطول أربع وثمانون درجة ودقيقة واحدة، والعرض آثنتان وأربعون درجة وسبع وخمسون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى على ضَفَّة جَيْحُونَ . قال فى "القانون" من غربيه . وبها عدّة مدن أيضا :

(منها) كُرْكَنْج الصغرى . وتعرف بالجرجانية أيضا ـ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة أيضا . قال فى "الأطوال" حيث الطول أربع وثمانون درجة وخمس دقائق ، والعرض آثنتان وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى مدينة قريبة من كُرْكَنْج الكبرى، بينهما عشرة أميال، وهى فى غربىّ جَيْحُونَ .

(ومنها) زَمَخْشَرُ . قال فى "اللباب" : بفتح الزاى المعجمة والميم وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين وراء مهملة فى الآخر ـ وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول أربع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وإليها ينسب الإمام أبو القاسم محمود الزَّمَخْشَرِىّ صاحب "الكَشَّاف" فى التفسير وغيره من المصنفات الفائقة النافعة .

(ومنها) هَزَارَاسْبُ . قال فى "اللباب" : بفتح الهاء والزاى المعجمة وسكون الألف وفتح الراء وسكون السين المهملتين وباء موحدة فى الآخر ـ وهى قلعة بخُوَارَزْمَ موقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول خمس وثمانون درجة وعشرون دقيقة، والعرض إحدى وأربعون درجة وعشرون دقيقة . قال السمعانىّ : ويقال لها بالفارسية هَزَارَسْفُ . قال : وهى قلعة حصينة . قال المهلبىّ غربىّ جَيْحُونَ، وبينها وبين مدينة كَاثَ ستة فراسخ .

(ومنها) دَرْعَان[1] . بدال وراء وعين مهملات وألف ثم نون — وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ست وثمانون درجة وأربع وعشرون دقيقة، والعرض أربعون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى آخر حدود خُوَارَزْمَ إلى جهة مَرْو . قال المهلبيّ : و بينها وبين هَزَارَاسْبَ أربعة وعشرون فرسخا .

(ومنها) فَرَبْرُ . قال فى "اللباب" : بفتح الفاء والراء المهملة وسكون الباء الموحدة . وقال فى "مزيل الارتياب" : بفتح الفاء وكسرها، كل منهما مسموع — وهى مدينة على طرف جَيْحُونَ مما يلى بُخَارا — موقعها فى آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "القانون" : وهى المَعْبَر من بلاد ما وراء النهر إلى خُرَاسَانَ . وجعلها ابن حَوْقَل من أعمال بُخَارا . فتكون مما وراء النهر، وهى خِصْبَةٌ ولها قرىً عامرة .

الإقليم الثانى
(الدَّشْتُ)

بفتح الدال المهملة وسكون الشين المعجمة وتاء مثناة فوق فى الآخر — وهى صحارى فى جهة الشَّمال ، وتضاف إلى القَبْجَاقِ بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح الجيم وألف بعدها ثم قاف — وهم جنس من التُّرْك يسكنون هذه الصحارى، اهل حَلٍّ وتَرْحَالٍ على عادة البَدْوِ .

---

(١) ضبطها ياقوت بالغين المعجمة .

وقاعدة المملكة بها (صَرَاى) . قال فى "تقويم البُلْدان": بفتح الصاد والراء المهملتين وألف وياء مثناة تحتية . ووقع فى "مسالك الأبصار" بالسين المهملة بدل الصاد — وموقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان": وهى مدينة عظيمة فى مستوٍ من الأرض على شَطِّ نهر [الأَثِل] (١) من الجانب الشمالىّ [الشرقىّ] (١) غربىّ بحر الخَزَر وشماليه على مسيرة نحو يومين، وبحر الخَزَر شرقيها بجنوبيها، ونهر الأثِل عندها يجرى من الشَّمال والغرب إلى الشرق والجنوب حتَّى يصب فى بحر الخَزَر . وهى فُرْضَة عظيمة للتجار ورقيق التُّرْك . وذكر فى "مسالك الأبصار" عن عبد الرحمن الخُوَارَزْمىّ الترجمان : أنها بناء بَرَكَة بن طوجى بن جنكزخان، وأنها فى أرض سبخة بغير سُورٍ، ودار المَلِك بها قصرٌ عظيم على عليائه هِلالٌ من ذهب زِنَتُه قنطاران بالمصرىّ، ويحيط بالقصر سُورٌ وأبراج فيها الأمراء، وبهذا القصر يكون مَشْتاهم ، والسراى مدينة كبيرة ذات أسواق وحمامات ووجوه بِرٍّ، مقصودة بالإجلاب، وفى وسطها بِرْكَةٌ ماؤها من نهر الحل ماؤها (٢) للاستعمال . أما شربهم فمن النهر يسقى لهم فى جِرَار فخَّار، وتُصَفُّ على العَجَلات وتجرّ إلى المدينة وتباع بها . قال : وبُعْدُها عن خُوَارَزْم نحو شهر ونصف . قال فى "تقويم البلدان": وقد بنى بها السلطان أزبك مدرسةً للعلم . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم فى جَهْد من قَشَفِ العيش لأنهم ليسوا أهل حاضرة، وشدّةُ البرد تُهْلِكُ مواشيَهم . قال : وهم لشدّة ما بهم من سوء الحال إذا وجد أحدهم لحما صلقه ولم يُنْضِجْه وشرب مَرَقَه، وترك اللحم نيأ كله مرة أخرى، ثم يجمع العِظَام ويعاود صَلْقَها مرة أخرى ويشرب مرقها، وقِسْ على هذا بقية عَيْشهم . ونقل عن جمال الدين عبد الله الحصنى التاجر : أنّ لبس كثير منهم الجلودُ : مُذَكَّاة كانت أو مَيْتَة، مدبوغة أو غير مدبوغة، من حيوان

(١) الزيادة عن تقويم البلدان . (٢) لعل هذا اللفظ زائد من الناسخ .

طاهر أو غيره، ولا يعرفون فى المآكل ما يُعاف مما لا يُعَاف، ولا التحريم من التحليل، وأنهم يبيعون أولادهم فى بعض السنين لضيق العيش . قال : ومع ذلك فليس لهم تمسُّك بدِين ولا رزانة فى عقل، ثم عقب ذلك بأن قال : ومع ذلك فهم من خيار التُّرك أجناسا لوفائهم وشجاعتهم وتجنبهم الغَـدْر، مع تمـام قاماتهم وحسن صُوَرِهم وظَرَافة شمـائلهم . ثم قال : ومنهم معظم جيش الديار المصرية من ملوكها وأمرائها وجُنْدها، إذ لما رغب الملك الصالح (نجم الدين أيوب) فى مشترى المماليك منهـم ، ثم صار من ممـاليكه من آنتهى إلى الملك والسلطنة ، فمـالت[1] الجنسية إلى الجنسية، ووقعت الرغبة فى الآستكثار منهم حتّى أصبحت مصرُبهم آهلة المَعَالم ، مَحْمِيَّةَ الجوانب، منهم أقمـارُ مواكبها، وصدور مجالسها ، وزعماء جيوشها، وعظماء أرضها . وحمد الإسلام مواقفهم فى حماية الدِّين، حتّى إنهم جاهدوا فى الله أهليهمْ . قال : وكفى بالنصرة الأولى يوم عَيْنِ جَالُوتَ فى كَسْر الملك المظفر قطز صاحبِ مصرَ إذ ذاك فى سنة ثمـان وخمسين وستمائة عساكرَ هُولَاكُو مَلِك التَّتَرِ بعد أن عجز عنهم عساكرُ الأقطار، وآسـتأصلوا شأفة السلطان (جلال الدين محمد بن خُوَارَزْم شَاهْ) وقتلوا عساكره، مع أن الجيشَ المصرىَّ بالنسـبة إلى العساكر الجلالية كالنقطة من الدائرة، والنُّغْبَةِ من البحر، والله يؤيد بنصره مَن يشاء .

أمّا فى زماننا هذا فإنه منذ قام السلطان الملك الظاهر برقوق من جنس الجركس، رغب فى المماليك من جنسه وأكثَرَ من الممـاليك الجراكسة حتّى صار منهم أكثر الأمراء والجند، وقَلَّت المماليك الترك من الديار المصرية حتّى لم يبقَ منهم إلا القليل من بقاياهم وأولادهم .

---

(١) لعل هذا هو الجواب والفاء زائدة من الناسخ .

الإقليم الثالث

(بلاد الخَزَر)

بفتح الخاء والزاى المعجمتين وراء مهملة فى الآخر .

وقاعدته مدينة (بَلَنْجَر) . قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة واللام ونون ساكنة وجيم مفتوحة ثم راء مهملة — وهى مدينةٌ بدَرْبَنْد خزران، واقعة فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض خمسون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "كتاب الأطوال" : وهى إتل . قال فى "اللباب" : وهى داخل الباب والأبواب، قيل إنها نسبت إلى بَلَنْجَر بن يافث .

الإقليم الرابع

(القِرِمُ)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بكسر القاف والراء المهملة وميم فى الآخر . قال : وهو اسم لإقليم يشتمل على نحو أربعين بلدا .

وقاعدتها (صُلْغَاتُ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم الصاد المهملة وسكون اللام وفتح الغين المعجمة وألف وتاء مثناة فوقية فى الآخر — وقد أطلق الناس اسم القِرِم عليها حتى إذا قالوا القِرِم لا يريدون إلا صُلْغَاتَ — وموقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول سبع وخمسون درجة وعشر دقائق والعرض خمسون درجة . قال : وهى عن البحر على نصف يوم؛ وهى عن الأَزَق فى الغرب والشمال .

وبِصَرَاىَ بلادٌ مضافة إليها .

(منها) الأُكَكُ . قال فى "تقويم البُـلْدان" : بضم الهمزة وفتح الكاف الأولىٰ ثم كاف ثانية – وهى بليدة من بلاد الصَّراى ، موقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة. قال فى "تقويم البُلْدان" : القياس حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض تسع وأربعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، وهى علىٰ جانب نهر إتِل من الجانب الغربى بين صَراىَ وبُلَار ، علىٰ قرب منتصف الطريق بينهما ، وهى عن كل واحدة منهما علىٰ نحو خمسَ عشرةَ مرحلة . وإلىٰ الأُكَكِ هذه ينتهى أردو القان صاحب هذه المملكة ، ولها مُدُن أخركا تقدم . وهى عن الكَفَا شَمَالٌ بغرب ، وعن صُودَاقَ شمال بشرق ، وبين كل منهما مسيرة يوم ؛ وبها حاكم يكاتَبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنهـا) صُودَاقُ . قال فى "تقويم البلدان" : بضم الصاد المهملة وواو ، وفتح الدال المهملة وألف وقاف فى الآخر ، والعامة يقولون : سُرْداق ، فيبدلون الصَّادَ سيناً مهملة والواوَ راءً مهملة – وموقعها فى آخر الإقليم السابع من الأقاليم السبعة أو فى الشمال عنه . قال ابن سعيد حيث الطول ست وخمسون درجة ، والعرض إحدىٰ وخمسون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى فى ذيل جبل علىٰ شَطِّ بحر القِرِم ، وأرضها محجر وهى "سورة" ، وهى فُرْضة للتجار ؛ ويقابلها من البرِّ الآخر مدينـة سَامسُونَ ، من سواحل بلاد الروم الآتى ذكرها . قال : وأهلها مسلمون . وقال ابن سعيد : أهلها أخلاط من الأمم والأديان ، والأمر فيها راجع إلىٰ النصرانية . وإليها ينُسب الجلد السُّرْداقىّ المعروف .

(ومنها) كَفَا . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الكاف والفاء وألف مقصورة . وهى فُرْضة القِرِم – وموقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول سبع وخمسون درجة ، والعرض خمسون درجة ، وهى فى وطاة

من الأرض؛ وهي علىٰ ساحل بحر القِرِم، ويقابلها من البر الآخر مدينة طَرَابْزُون من سواحل بلاد الروم، وهي شرقيّ صُودَاق، وعليها سُورٌ من لَبِن، ومن شماليها وشرقيها صحراء القَبْجَاق؛ وهي عن صُودَاق في سمت الشرق، والكَفَا وصُودَاقُ وصُلْغَاتُ كالأثافي .

الإقليم الخامس

(بلاد الأَزَق)

قال في "تقويم البُلْدان" : بفتح الهمزة والزاى المعجمة وقاف في الآخر .

وقاعدته مدينة الأَزَق بالضبط المعروف ـ موقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البُلْدان" : والقياس أنها حيث الطولُ خمس وستون درجة، والعرض ثمان وأربعون درجة . قال : وإليها ينسب بحر الأَزَق المعروف في الكتب القديمة بحر مانيطش، وهي فُرْضة علىٰ بحر الأَزَق في مستوٍ من الأرض عند مَصَبِّ نهر "تان" في بحر الأَزَق، وبناؤها بالخشب، وبينها وبين القِرِم نحو خمسَ عشرةَ مرحلة، وهي في الشرق والجنوب عن القِرم . ولها مدن أخر .

(منها) الكَرْش . قال في "تقويم البُلْدان" : بفتح الكاف وسكون الراء المهملة وشين معجمة في الآخر ـ وهي بلدة صغيرة علىٰ ساحل بحر الأَزَق ، واقعة في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البُلْدان" : القياس حيث الطول ستون درجة ، والعرض سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة . وهي بلدة صغيرة بين الكَفَا والأَزَق علىٰ فَم بحر الأَزَق ، ويقابلها من البر الآخر الطامانُ من سواحل أَرْمِينِيَة وبلاد الروم، وأهلها قَبْجَاقٌ كُفَّار .

الإقلـيم السادس

(بلاد الجَرْكَس)

بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الكاف وسين مهملة فى الآخر. قال المؤيد صاحب حماة فى "تاريخه" : وهو على بحر نيطش من شرقيّه، وهم فى شَظَف من العيش. قال : وقد غلب عليهم دينُ النصرانية ، وقد صار فى زماننا منهم أكثرُ عسكر الديار المصرية من لدن مَلَكَ الظاهر برقوق فإنه أكثر الإجلابَ منهم .

الإقلـيم السابع

(بلاد البُلْغَار)

بضم البـاء الموحدة وسكون اللام وفتح الغين المعجمة وألف ثم راء مهملة فى الآخر . وهم جنس معروف أيضا . قال صاحب حمـاة فى "تاريخه" : وهم منسوبون إلى بُلْدان يسكنونها .

وقاعدتها مدينة (بُلَار) بضم الباء الموحدة وفتح اللام وألف وراء مهملة فى الآخر. قال فى "تقويم البُلْدان" : ويقال لهـا بالعربى بُلْغَار ـ وموقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السـبعة ، أو فى الشَّمال عنـه . قال فى "الأطوال" وطولها ثمـانون درجة ، والعرض خمسون درجة وثلاثون دقيقة ؛ وهى بلدة فى نهـاية العمارة قريبـة من شَطّ نهر إتِل من البر الشمالىّ الشرقىّ ، وهى وصَرَاى فى برٍّ واحد ، وبينهما فوق عشرين مرحلة ، وهى فى وطاة والجبال عنها أقل من يوم ؛ وأهلها مسلمون حَنَفِيَّة ، وليس بهـا شىء من الفواكه ولا أشجار الفواكه لشدّة بردها ، والفُجْلُ الأسود فى غاية الكبر . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وقد حكى لى بعض أهلها أن فى أوّل الصيف لا يغيب الشَّفَق عنهـا ويكون ليلها فى غاية القِصَر . ثم قال .

وهذا الذى حكاه صحيح موافق لما يظهر بالأعمال الفلكية، لأن من عرض ثمانية وأربعين ونصف يبتدئ عدم غَيْبُوبة الشَّفَق فى أول فصل الصيف، وعرضها أكثر من ذلك، فصح ما تقدم على كل تقدير. قال فى "مسالك الأبصار": وحكى لى الحسَن الإربلى أن أقصر ليلها أربعُ ساعات ونصف، وهو غاية نقصان الليل. قال حسن الرومىّ: وسألت مسعودا المؤقت بها عن هذا فقال: جربناه بالآلات الرَّصَدية فوجدناه كذلك تحريرا. قال فى "مسالك الأبصار": وقد ذكر المسعودىّ فى "مروج الذهب" أنه كان فى السّرْب والبُلْغَارِ من قديم دارُ إسلام ومستقرّ إيمان. فأما الآن فقد تبدّلت بإيمانها كُفراً، وتداولها طائفة من عُبّاد الصليب، ووصلت منهم رُسُلٌ إلى حضرة مصر سنةَ إحدى وثلاثين وسبعمائة من صاحب السّرْبِ والبُلْغَارِ، يعرض نفسه على مَوَدَّته، ويسأله سيفا يتقلده وسنجقا يقهر أعداءه به، فأكرم رسُلَه، وأحسن نُزُلَه، وجهز له معه خِلْعة كاملة: طرد وحش بقصب بسنجاب مقندس على مقرح سكندرىّ وكلوتة زركش بطرفين، ومنطقة ذهب، وكلاليب ذهب وسيف محلًّى، وسنجق سلطانىّ أصفر مُذْهَب. قال: وهم يدارون سلطان القبجاق لعظيم سلطانه عليهم، وأخذه بخناقهم لقربهم منه. وذكر فى "التعريف" قريبا منه، ولصاحب السّرْبِ مكاتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، يأتى ذكرها فى المكاتبات إن شاء الله تعالى.

وبين السّرْبِ والبُلْغَارِ وبلاد الترك بلادٌ:

(منها) أَقْجَا كِرْمَانَ — بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الجيم وألف وفتح الكاف والراء المهملة والميم وألف والنون فى الآخر — وهى بليدة على بحر نيطش المعروف ببحر القِرِم، واقعة فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة. قال فى "تقويم البُلْدان": والقياس أنها حيث الطول خمس وأربعون درجة، والعرض خمسون درجة، وهى

فى مستوٍ من الأرض، وأهلها أخلاط من مسلمين وكُفَّار، وعلىٰ القرب منها يصب نهر طُرْلُو .

(ومنهـا) صَارِى كَرْمَانَ . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الصاد المهملة وألف وكسر الراء المهملة وياء مثناة تحتية ـ وكَرْمَانُ علىٰ ما تقدم، منخرطة فى أَقْجَا كَرْمان، وهى بليدة أصغر من أقجا كرمان ـ وموقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُـلْدان" حيث الطول خمس وخمسون درجة، والعرض خمسون درجة قياسا، ويقابلها من البر الآخر مدينة سَـنُوبَ من سواحل بلاد الروم، وهى شرقىّ أَقْجَا كَرْمَانَ المقدّم ذكرها، وبينهما نحو خمسة عشر يوما ، وبينها وبين صُلْغَاتَ نحو خمسة أيام .

الإقلـيم الثامن
(بلاد الأُولَاقِ)

بضم الهمزة وسكون الواو ولام ألف بعـدها قاف، ويقال لهم البُرْغَالُ بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الغين المعجمة وألف ثم لام، وهم جنس معروف.

وقاعدتها مدينة (طِرْنُو). قال فى "تقويم البُلْدان": بالطاء المكسورة والراء السا كنة المهملتين والنون المفتوحة وواو فى الآخر ـ وموقعها فى الإقليم السـابع من الأقاليم السـبعة . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطولُ سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة . قال : وهى غربىّ صَقْجِى علىٰ ثلاثة أيام منها، وأهلها كُفَّار من الجنس المذكور. ولهم بلاد أخرىٰ :

(منها) صَقْجِى . قال فى "تقويم البلدان" : قال بعض الفقهاء [١] : بفتح الصاد المهملة وسكون القاف وكسر الجيم المشربة بالشين المعجمة وفى الآخر ياء مثناة تحتية ـ

(١) الذى فى تقويم البلدان "عن بعض أهلها" .

وهى من أُولَاقَ و بلاد القُسْطَنْطِينِيَّة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وأربعون درجة وسبع وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة، وهى متوسطة بين الصِّغَرِ والكِبَرِ فى مستوٍ من الأرض، عندمصب نهر طُنَا فى بحر نيطش المعروف ببحر القِرِم فى الجانب الجنوبىّ الغربىّ منه . وهى عن أَقْجَا كَرْمَانَ علىٰ مسيرة خمسة أيام، و بينها و بين القُسْطَنْطِينِيَّة فى البحر عشرون يوما، وغالب أهلها مسلمون .

الإقلـيم التـاسع
(بلاد الآص)

بفتح الهمزة الممدودة وصاد مهملة ـ وهم جنس معروف .

وقاعدته (قِرْقِرْ) . قال فى "تقويم البلدان": بكسر القاف وسكون الراء المهملة وسكون القاف الثانية (؟) وكسر الراء المهملة فى الآخر. ومعنىٰ آسمها بالتركية أربعون رجلا، وموقعها فى آخر الإقليم السابع . قال فى "تقويم البلدان" : القياس أنها حيث الطول خمس وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة . قال : وهى قلعة عاصية علىٰ جبل لايقدر أحد علىٰ الطلوع إليه، ووسط ذلك الجبل وطاة تسع أهل البلاد، وهى بعيدة عن البحر فى شمالىّ صَارِى كَرْمَانَ علىٰ نحو يوم، وعندها جَبَل عظيم شاهق فى الهواء يقال له (جَاطِوْطَاغ) بفتح الجيم وألف وطاء مكسورة وواو ساكنة وطاء مهملة وألف وغين معجمة، يظهر للراكب من بحر القِرِم .

الإقلـيم العـاشر
(بلاد الرُّوس)

بضم الراء المهملة وسكون الواو وسين مهملة فى الآخر . وهم جنس معروف . قال فى "تقويم البُلْدان" : فى شمالىّ مدينة بُلَار المذكورة . قال صاحب حماة

فى "تاريخه" : ولهم جزائرُ أيضا فى بحر نيطش وبُلَارُ فى شماليّه . قال : وقد غلب عليهم دين النصرانية . قال فى "مسالك الأبصار" : وإذا سافر المسافر على غربىّ جولمان وصل إلى بلاد الرُّوس، ثم إلى بلاد الفرِنج وسُكَّان البحر الغربىّ . قال فى "تقويم البلدان" : وفى شمالىّ الروس الذين يبايعون مغايبة . ونقل عن بعض من سافر إلى تلك البلاد أنهم يتصلون بساحل البحر الشمالىّ، فإذا وصلوا إلى تخومهم، أقاموا حتّى يعلموا بهم، ثم يتقدمون إلى المكان المعروف بالبيع والشراء، ويَحُطُّ كلُّ تاجر بضاعته مُعَلَّمَةً ويرجعون إلى منازلهم، فيحضُر أولئك القومُ ويضعون قُبالةَ تلك البضاعة السَّمُّورَ والثعلبَ والوُشَّقَ وما شاكل ذلك، ويَدَعُونَه ويَمْضُون، ثم يحضُر التُّجَّار فمن أعجبه ذلك أخذه، وإلا تركه حتّى يتفاصلوا على الرضا .

وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن الشيخ علاء الدين بن النعمان : أن البلاد التى يجلب منها السَّمُّورُ والسِّنْجَابُ هى بُلَارُ المقدّمة الذكر . قال ابن النعمان : وتُجَّار بلادنا لا يتعدّون بلاد البُلْغَارِ، وتُجَّار البُلْغَارِ يسافرون إلى بلاى جقطاى، وتجار جولمان يسافرون إلى بلاد بوغزه، وهى فى أقصى الشَّمال ليس بعدها عمارة سوى بُرْجٍ عظيم من بناء الإسْكَنْدَرِ على هيئة المنارة العالية، ليس وراءه مذهب لأحد إلا الظلمات، فسئل عن الظلمات فقال : صَحَارٍ وجبالٌ لا يفارقها الثَّلجُ والبَرَدُ، ولا تطلُع عليها الشمس، ولا ينبت فيها نبات، ولا يعيش فيها حيوان، متصلة ببحر أسود لا يزال يمطُرُ، الغيمُ منعقدٌ عليه .

واعلم أن صاحب "تقويم البلدان" : قد ذكر عدّة أماكنَ من هذه المملكة سوى ما تقدّم ولم ينسبها إلى إقليم .

(منها) كُومّاجر — بضم الكاف وسكون الواو والميم المشـدّدة وألف وجيم وراء مهملة — وهى مدينة قريبة من الوسط ما بين باب الحديد والأَزَق، شرقىَّ الأَزَقِ وغربىّ باب الحديد .

(ومنها) مدينة لَكْز – بفتح اللام وسكون الكاف وفى آخرها زاى معجمة – وهى مدينة يسكنها جنس من الترك يقال لهم اللكزى ، وهم فى الجبل الفاصل بين تتر مملكة بركة، وتتر مملكة هُولَاكُو .

(ومنها) بلاد القَبْتَق – بفتح القاف وسكون المثناة تحت وفتح المثناة من فوق وفى آخرها قاف ثانية، وهم جنس من الترك يسكُنون الجبل المتصل باللَّكْز من شماليه. قال فى "تقويم البُلْدان" وهم قُطَّاع طريق، وجبالهم متحكم على باب الحديد.

قلت : وهذه المملكة أوسعُ من أن يحاط ببلادها، وفيما ذكرناه مَقْنَع لمن تأمله .

الجملة الثالثة

(فى ذكر الأنهار العظام والبُحَيرات الواقعة فى هذه المملكة)

أما الأنهار فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن بهذه المملكة سَيْحُونَ وجَيْحُونَ المقدّم ذكرهما فى مملكة ماوراء النهر، وذلك أنهما يمتدّان من هذه المملكة إلى تلك، فيصدُق وجودهما فى المملكتين جميعا . وقد تقدّم ذكرهما هناك فأغنى عن إعادتهما.

ثم المشهور مما يختص بهذه المملكة خمسة أنهار .

أحدها – نهر أَثِل(١) – بفتح الهمزة وكسر المثلثة ولام فى الآخر – فعرف بأثل، وهى مدينة بَلَنْجَر المقدّم ذكرها، ويقال فيه نهر الأثل بالألف واللام أيضا، وهو من أعظم الأنهار بتلك البلاد وأشهرها . ذكر فى "مسالك الأبصار" عن الفاضل شجاع الدين عبد الرحمن الخُوَارَزْمِىّ الترجمان أنه يكون قدر النيل ثلاث مرات أو أكثر . قال : وأصله من بلاد الصَّقْلَب . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهو يأتى من أقصى الشمال والشرق من حيث لا عمارة، ويمرّ بالقرب من مدينة بُلَار، وهى

(١) كذا فى "التقويم" ونص ياقوت على أنه بالمثناة الفوقية وأنه بوزن إبِل .

بُلْغَارُ، ويستدير عليها من شماليها وغربيها، ويجرى منهـا إلى بُلَيْدَةٍ على شَطِّه يقال [لها أوكك ثم يتجاوزها إلى قرية يقال(١)] لهـا بلجمن، ويجرى جنوبا ثم يعطف، ويجرى إلى الشرق والجنوب، ويمرّ على مدينـة صَرَاى من جنوبيها وغربيها؛ فإذا تجاوز مدينة صَرَاى ٱفترق، ويصير على ماقيل ألف نهر ونهر، ويصب الجميعُ فى بحر الخزرِ. قال فى "مسالك الأبصار": وتجرى فيه السفن الكبار، ويسافر فيه المسافرون إلى الرُّوسِ والصَّقْلَبِ .

الثانى — نهر طُنَا . قال فى "تقويم البلدان" : بضم الطاء المهملة وفتح النون وألف . قال فى "تقويم البلدان" : وهو نهر عظيم يكون أكبر من دِجْلَةَ والفُرَاتِ إذا ٱجتمعا بكثير . قال : ويجرى من أقصى الشَّمال إلى جهـة الجنوب، ويمرّ فى شرقىّ جبل يسمّى (قشغا طاغ) . ومعناه الجبل الصَّعْبُ ، وهو جبل فيه أجناس مختلفة من أمم الكُفْر مثل الأولاق والماجار والسَّرْب وغيرهم، فيمرُّ فى شرقيه، وكلما جرى جنوبا قرب من بحر نِيطش المعروف الآن ببحر القِرِم، ولا يزال يتقارب منه ويقرب ما بين الجبل والبحر المذكور حتّى يصبَّ فيه فى شَمَالىِّ مدينة صُقْجِى فى شمالىّ القُسْطَنْطِينِيَّة بميلة إلى الغرب .

الثالث — نهر أزو . قال فى "تقويم البلدان" : بالزاى المعجمة [المفخمة](٢) بعد الألف وواو فى الآخر . قال : وهو نهر عظيم يأتى من الشمال شرقىّ نهر طُنَا المقدم ذكره، ويمرّ مغربا، ثم يعطف ويمرّ مشرقا حتّى يصبّ فى خَوْر من بحر القِرِم بين صَارِى كَرْمَانَ وأَقْجَا كَرْمَانَ المقدم ذكرهما .

الرابع — نهر تَان . قال فى "تقويم البلدان" : بتاء مثناة من فوق وألف [ممـالة](٢) ونون فى الآخر . قال : وهو نهر عظيم شرقىّ أزو المقدم ذكره وغربىّ نهر

(١) الزيادة عن "التقويم" . (٢) الزيادة عن تقويم البلدان .

الأَتِل يجرى من الشَّمال إلى الجنوب، و يصب فى بحيرة ما نيطش المعروفة فى زماننا بحر الأَزَق عند مدينة الأَزَق من غربيها .

الخامس - نهر طُرْلُو . قال فى "تقويم البُلْدان" بضم الطاء وسكون الراء المهملتين ولام وواو . قال : وهو نحو عاصى حَمَاةَ ، ويصب على القرب من أَقجا كَرْمَانَ فى بحر نيطش المعروف ببحر القِرِم .

وأما البحيرات فالمشهورة بها بحيرة خُوَارَزْمَ : وهى بحيرة كبيرة ماؤها مِلْح . قال ابن حوقل : دَوْرها مائة فرسخ، وفيها يصب نهر جَيْحُونَ فى جانبها الجنوبى، وفيها يصب نهر الشَّاش أيضا، و بينها وبين البحر عشرون مرحلة، و بينها و بين خُوَارَزْمَ ستُّ مراحل .

الجملة الرابعة

(فى الطرق الموصلة إلى هذه المملكة)

ولها طريقان : طريق فى البر، وطريق فى البحر .

فأما طريق البر فقد تقدم فى الكلام على مملكة إيران الطريق إلى شَطِّ جَيْحُونَ . وقد ذكر فى "تقويم البُلْدان" أن بين آمُل الشطّ و بين خُوَارَزْمَ نحو آثنى عشرة مرحلة . وذكر فى "مسالك الأبصار" أن بين خُوَارَزْمَ ومدينة صَرَاىَ نحوَ شهر ونصف، وأن بين خُوَارَزْمَ ومدينة صَرَاى مدينة وجق ومدينةَ قطلود .

وأما طريق البحر فهو أن يركب المسافر إليها فى بحر الرُّوم من مدينة الإسْكَنْدَرِيَّة أو مدينة دِمْيَاطَ من شَمَالىّ الديار المصرية، و يسير إلى خَليج القُسْطَنْطِينِيَّة المتصل ببحر الرُّوم من جهة الشَّمال، و يركب فيه و يجاوزه إلى بحر نيطش المعروف ببحر القِرِم، ثم إلى بحر ما نيطش المعروف ببحر الأَزَق و ينتهى إلى آخره .

الجمـــلة الخامسة

(فى الموجود بها)

قد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن فيها من الحبوب القَمْحَ ، والشَّعيرَ ، والدُّخْنَ ، ويسمّى عندهم الأرزن ، والماش ، والجاوَرْس ؛ وهو شبيه بحب البرسيم ، على قلة فى القَمْح والشَّعِير . أما الفُولُ فلا يكاد يوجد عندهم ، وأكثر حبوبهم الدُّخْنُ ومنه أكلهم ؛ وبها من الفواكه جميعُ أنواع الفواكه إلا النَّخْلَ ، والزَّيْتُونَ ، وقَصَبَ السُّكَّر ، والمَوْزَ ، والأُتْرُجَّ ، واللَّيْمُونَ ، والنَّارَنْجَ . وذكر عن بلاد القَبْجَاق أنها كانت قبل آستيلاء التَّتَارِ عليها معمورة الجوانب ، وأنها فى بقايا تلك العمارة والغِرَاس ، وأن فيها من الفواكه العِنَبَ ، والرُّمَّانَ ، والسَّفَرْجَلَ ، والتُّفَّاحَ ، والكُمَّثْرَى ، والمِشْمِشَ ، والخَوْخَ ، والجَوْزَ ، وفاكهة تسمّى بلغة القَبْجَاقِ بانيك شبيهة بالتِّين ، وأن الفواكه كثيرة الوجود فى جبالهم مع كثرة ماباد منها . قال : وأما البِطِّيخ فينجب عندهم نجابة خاصة الأصفر ، وهو فى غاية صِدْقِ الحَلاوة يُقَدِّدونه ويُجَفِّفُونَه فيبقى عندهم من السنة إلى السـنة ، وربما آستخرجوا ماءه وصنعوا منه الحَلْوَى ؛ وعندهم من الخضراوات اللِّفْتُ ، والجَزَرُ ، والكُرُنْبُ ، وغير ذلك . ثم قال : وكذلك مدن الجَرْكَس والرُّوس والآص ؛ وبها العَسَلُ الكثير الأَبْيَضُ اللَّوْنِ اللذيذُ الطَّعْمِ الخالى من الحِدَّة .

الجمـــلة السادســـة

(فى المعاملات والأســعار بها)

أما المعاملات فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن عبدالرحمن الخُوَارَزْمى التُّرْجُمَانِ أن دينارهم رائج كما فى غالب مملكة إيران ، وهوالذى عنه ستة دراهم ، وأن الحبوب تباع كلها عندهم بالرِّطْل ، وذكر أن رِطْل خُوَارَزْمَ زِنَتُه ثلثمائة وثلاثون درهما .

وأما الأسعار فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن الصدر زين الدين عمر بن مسافر أن الأسعار فى جميع هذه المملكة رَخِيَّة إلى الغاية إلا كُرْكَنْج أمّ إقليم خُوارَزْم فإنها متماسكة فى أسعار الغلات قلَّ أن تَرْخُص، بل إما أن تكون غليّةً أو متوسطة لا يعرف [بها] الرُّخْص أبدا. ثم ذكر عن شجاع الدين عبد الرحمن الخُوارَزْمىّ التَّرْجُمان: أن الأسعار فى خُوارَزْم والسَّرَاى لا يكاد يتباين ما بينهما. قال: والسعر المتوسط عندهم القَمْح بدينارين ونصف، وكذلك الماش والشعير بدينارين، وكذلك الدخن والجاوَرْس، وربما زاد، والغالب أن يكون سعره مماثلَ سعر القمح، واللحم الضأن على السعر المتوسط كل ثلاثة أرطال بدرهم. وذكر ابن مسافر أن اللحوم بها رخيصة، وأكثر ما يذبح بها الخيل.

وأما سُكَّان البر فإن اللحم لا يباع لديهم ولا يُشترىٰ لكثرته، وغالب أكلهم لحومُ الطير واللبنُ والسمنُ، وإن تَلِف لأحد منهم دابةٌ من فَرَس أو بقرة أو شاة أو غير ذلك، ذبحها وأكل هو وأهلُه منها، وأهدىٰ لجيرانه. فإذا تلف عند مَنْ أهدىٰ إليه شىءٌ من ذلك، ذبحه أيضا وأهدىٰ لجيرانه، فلهذا لا تكاد بيوتهم تخلو من اللحم.

الجملة السابعة

(فى ذكر ملوك هذه المملكة)

قد تقدم أنها قسم من مملكة تُورَانَ، ومملكة تُورانَ كانت فى القديم بيد افراسياب ملك التُّرْك، وتداولها ملوك الترك بعده إلى الفتوح الإسلامية، وأسلم مَنْ أسلم من ملوكهم.

أما خُوارَزْم فتوالت عليها الأيدى حتى صارت إلى (محمود بن سُبُكْتكين) المقدم ذكره فى ملوك غَزْنَة من القسم الأوّل من هذه المملكة؛ ثم صارت (لمسعود) ابنه،

واستناب فيها خُوَارَزْمَ شاه هارونَ بن الطيطاش، ثم قتله غلمانُه عند خروجه إلى الصيد، واستولى عليها رجل يقال له (عبد الجبّار)، ثم وثب غلمانُ هارونَ بعبد الجبّار فقتلوه، وولّوا مكانه (إسماعيل بن الطيطاش) أخا هارون، ثم غلبه عليها (شاه ملك ابن على)، ثم غلبه عليها (طغرلبك) بن ميكائيل بن سلجوق، وبقيت بيد السلجوقية المقدّم ذكرهم فى مملكة إيران، إلى أن صارت منهم إلى (بَرْكِيَارُق) بن ملكشاه بن أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق، فاستناب فيها علاء الدين محمد أنوشتكين فى أيام بركيارق بن ملكشاه بن ميكائيل بن سلجوق السلجوقى، ولُقّب خوارَزْم شاه فى سنة تسعين وأربعمائة.

ثم ولى بعده ابنه (أطسز) بن محمد، ثم غلبه على ذلك (سنجر) بن ملكشاه أخو علاء الدين محمد، وأقام بها من يحفظها فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، [ثم غلبه عليها أطسز بن محمد المقدّم ذكره](1)، وبقى بها حتّى توفى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة.

وملك بعده ابنه (أرسلان بن أطسز) وتوفى سنة ثمان وستين وخمسمائة.

وملك بعده ابنه (سلطان شاه محمود) صغيرا، وقامت أمه بتدبير دولته، ثم غلب على المُلْك أخوه (علاء الدين تكش) ثم غلبه أخوه (سلطان شاه) وطرده، ثم مات سلطان شاه وانفرد (تكش بالملك) ثم مات فى سنة ست وتسعين وخمسمائة.

وولى بعده ابنه (محمد بن تكش) وكان لقبه قُطْبَ الدين فتلقب علاءَ الدين، وبقى حتّى غلبه جنكزخان وهزمه فى سنة تسع عشرة وستمائة، ثم مات بعد ذلك. ولما ملك جنكزخان أوصى بدَشْت القَبْجَاق، وما معه لابنه طوجى، ويقال له دوجى أيضا، فمات طوجى فى حياة أبيه جنكزخان. فلما مات جنكزخان استقرّ فى مملكة ماوراء النهر، وما معه باتو بن طوجى بن جنكزخان، ثم مات باتو.

(١) الزيادة عن تاريخ أبى الفدا ليوافق الواقع.

وملك بعده أخوه (بركةُ بن طوجى) وهو الذى تنسب هذه المملكة إليه، فيقال فيها بيت برَكة، بمعنىٰ هذه مملكة بيت بركة، كما يقال فى مملكة إيران هى مملكة بيت هُولَاكُو . قال صاحب "الذيل على الكامل" وكانت المكاتبة بينه وبين الظاهر بيبرس لاتنقطع، وبقى حتّٰى توفى سنة خمس وستين وستمائة عن غير ولد .

وملك بعده آبن أخيه (منكوتمر بن طغان) بن باطو بن دوجى خان، آبن جنكزخان، وتوفى سنة إحدىٰ وثمانين وستمائة .

وملك بعده أخوه (تدان منكوتمر) بن طغان بن باطو بن دوجى خان، ابن جنكزخان وقيل سنة آثنتين(١) وثمانين وستمائة، وكان صاحب مصر قد جهز إلىٰ منكوتمر هديّة فلم تصل إليه حتّٰى مات، وآستقر (تدان منكو) فقدمت إليه فابتهج بها، وعادت الرُّسُل بجوابه بذلك، وبقى إلىٰ سنة ست وثمانين وستمائة فأظهر الوَلَه وتخلّٰى عن المملكة وآنتمى إلىٰ المشايخ والفقراء .

وملك بعده (تلابغا) باشارته [آبن منكوتمر بن طغان بن باطو(٢)] بن دوجى خان آبن جنكزخان، وبقى حتّٰى قتل فى سنة تسعين وستمائة .

وملك بعده (طقطغا) بن منكوتمر بن طغان بن باطوخان آبن جنكزخان .

والذى ذكره قاضى القضاة ولىّ الدين بن خَلْدُونَ فى "تاريخه" أنه ملك بعد باطوخان أخوه طرطو، ثم أخوه برَكة ، ثم منكوتمر بن طغان خان آبن باطوخان ابن دوشى خان، ثم آبنه تدان منكو، ثم أخوه تلابغا، ثم أخوه جفطاى، ثم آبن أخيه أزبك، وهو الذى كان فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية. قال فى "التعريف": وخطب إليه السلطان فزوّجه بنتا تقرب إليه، ثم آبنه جانى بك، ثم آبنه بردى بك ، ثم آبنه طقتمش، ثم نائبه ماماى ، ثم عبد الله بن أزبك،

(١) فى تاريخ أبى الفدا "سنة ثمانين" . (٢) الزيادة عن تاريخ أبى الفدا .

ثم قطلقتمر، ثم ماماى ثانيا، ثم حاجى جركس، ثم أبيك خان، ثم آبنه قانى بك خان، ثم أرص خان، ثم طقتمش خان آبن بردى بك خان. قال: ومنه آنتزعها تمرلنك وقتله.

قلت: المعروف أن تمرلنك لم يملك هذه المملكة أصلا ولا قتل طقتمش، وماذكره وَهِمَ فيه.

وأول من أسلم من ملوك هــذه المملكة من بنى جنكزخان بَرَكَة بن طوجى آبن جنكزخان، وكان إسلامه قبـل تملُّكه حين أرسـله أخوه باطوخان لإجلاس منكوخان على كرسىّ جدّه جنكزخان، فأجلسه، وعاد فمرّ فى طريقه على الباخَرْزىّ شيخ الطريقة، فأسلم على يديه وحَسُنَ إسلامُهُ، ولم يملك بعـد أخيه باطوخان إلا وهو مسلم، وتلاه من تلاه من ملوكهم بهذه المملكة فى الإسلام حتّى كان أزبك خان منهم، فأخلص فى الإسلام غاية الإخلاص، وتظاهر بالدِّيانة والتمسك بالشريعة، وحافظ على الصلاة وداوم على الصيام.

وقد حكى فى "مسالك الأبصار" عن زين الدين عمر بن مسافر أن ملوك هــذه الطائفة مع ظهور الإسـلام فيهم وإقرارهم بالشهادتين مخالفون لأحكامهـا فى كثير من الأمور، واقفون مع ياسة جنكزخان التى قرّرها لهم وقوفَ غيرهم من أتبـاعه، مع مؤاخذة بعضِهم بعضًا أشدّ المؤاخذة فى الكَذِبِ والزِّنا ونَبْذِ المواثيق والعهود. وقد جرت عادة ملوكهم أنهم إذا غَضِبوا على أحد من أتباعهم، أخذوا مَالَهُ وباعوا أولاده، وأن فى سلطان هذه المملكة طوائف الجَرْكَس والرُّوس والآص، وهم أهل مُدُن عامرة آهلة، وجبال مشـجرة مثمرة؛ ينبت عندهم الزرع، ويَدِرُّ لهم الضَّرْع، وتجرى الأنهار، وتُجنَىٰ الثمـار؛ وهم وإن كان لهم ملوك فهـم كالرعايا[1]، فإن داروه بالطاعة والتُّحَف كَفَّ عنهـم، وإلا شنّ عليهم الغارات، وضـايقهم، وحاصرهم،

(١) لعله فهم لملك مصر أو نحو ذلك كالرعايا لينتظم الكلام.

وقتل رجالهم، وسبى نساءهم، وذراريهم، وجلب رقيقهم إلى أقطار الأرض .

ثم قال: والقسطنطينيّة مجاورة لأطراف ملك القبجاق، وملك الروم معه فى كَلَب دائم، واقتراحات متعدّدة فى كل وقت، وملك الروم على توقد جمرته، وكثرة حماته وأنصاره، يخاف غارته وشرّه، ويتقرب إليه، ويداريه، ويدافع معه الأيام من وقت إلى وقت منذ تدبّر ملوك بنى جنكزخان هذه المملكة . وما تخلو بينهم مدّة عن تجديد عهود ومسالمة إلى مدّة تؤجل بينهم، وأشياء تحمل من جهة ملك الروم إلى ملكهم .

الجملة الثامنة

(فى مقدار عسكر هذه المملكة، وترتيبها، ومقادير الأرزاق الجارية عليهم، وزيّهم فى اللبس)

اما مقدار عسكرها، فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن الشيخ علاء الدين ابن النعمان أن عساكرها كثيرة تفوت الحصر، لا يُعلم لها مقدار إلا أنه خرج مرة عليه وعلى القان الكبير اسنبغا سلطان ما وراء النهر خارجٌ، فجرّد إليه من كل عشرة واحدا فبلغ عدة المجرّدين مائتين وخمسين ألفا ممن دخل تحت الإحصاء سوى من انضم إليهم، وألزم كلّ فارس منهم بغلامين وثلاثين رأسا من الغنم وخمسة أرؤس من الخيل وقدرين نحاس وعجلة .

وأما ترتيب مملكتهم فحكى عن الشيخ نجم الدين بن الشحام الموصلى أن ترتيب هذه المملكة فى أمر جيوشها وسلطانها كما فى ترتيب مملكة العراق والعجم فى عدّة الأمراء والأحكام والخدم، ولكن ليس لأمير الألوس والوزير بها تصرفُ أمير الألوس والوزير بتلك المملكة، ولا لسلطان هذه المملكة نظيرُ مالذلك السلطان من الدخل والمجابى وعدد المُدن والقُرى، ولا مشى أهلُ هذه المملكة على قواعد الخلفاء مثل أولئك، وللخواتين هؤلاء مشاركةٌ فى الحكم معهم وإصدار الأمور عنهم مثل

أولئك وأكثر ، إلا ما كانت عليه بغداد بنت جوبان آمرأة أبى سـعيد بهادر بن خدابندا ، فإنه لم يُرَ من يحكم حكمها . قال المقرّ الشهابىّ بن فضل الله : وقد وقفتُ علىٰ كثير من الكتب الصادرة عن ملوك هذه البلاد من عهد بَرَكَةَ وما بعده ، وفيها "وآتفقت آراء الخواتين والأمراء علىٰ كذا" أو ما يجرى هذا المَجْرىٰ .

وحكى عن الصدر زين الدين عمر بن مسافر عن أزبك خان سلطان هذه المملكة فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون أنه لا آلتفات له من أمور مملكته إلا إلىٰ جُمْلِيَّات الأمور دون تفصيل الأحوال ، يَقْنَعُ بما حُمِلَ إليه ، ولا يبحث عن وجوه القبض والصرف ، وأن لكل آمرأة من خواتينه جانبا من الحمل ، وأنه يركب كل يوم إلىٰ آمرأة منهنّ ، يقيم ذلك اليوم عنـدها ، يأكل من بيتها ويشرب ، وتلبسه بدلة قماش كاملة ، ويخلع التى كانت عليه من اللبس علىٰ من يتفق ممن حوله . ثم قال : وقماشه ليس بفائق الجنس ولا غالى الثمن ، مع قربه من الرعايا القاصـدين له ، إلا أن يده ليست مبسوطة بالعطاء ، ولو أراد هـذا لما وفىٰ به دخلُ بلاده ، فإن غالب رعاياه أصحابُ عَمَلٍ فى الصحراء ، أقواتُهم من مواشيهم . ونقل عن نظام الدين بن الحكيم الطيارىّ أن لسلطان هذه المملكة علىٰ جميعهم خراجًا يستأديه منهم ، وأنهم ربما طُولبوا بالخراج فى سنة مُمْحِلة لوقوع المُوتان بدوابهم ، أو سقوط الثلج ونحوه ، فباعوا أولادَهم لأداء ما عليهم من الخراج .

وأما مقادير أرزاق جُنْدهم ، فقد حكى عن شجاع الدين عبد الرحمن أن كل من كان بيد آبائه شىء من الإقطاع فهو بيد أبنائه . ثم قال : والأمراء لهم بلاد ، منهم من تُغِلُّ بلاده فى السنة مائتى ألف دينار رائج وما دون ذلك إلىٰ مائة ألف دينار رائج .

أما الجند فليس لأحد منهم إلا نقود تؤخذ ، كلهم فيها علىٰ السواء ، لكل واحد منهم فى السنة مائتا دينار رائج .

وأما زِيُّهُم فى اللبس ، فحكى عن شجاع الدين الترجمان أيضا أنه كان زيهم زِيَّ عسكر مصر والشام فى الدولة الإسلامية وما يناسب ذلك ، ثم غلب على زيهم زِىّ التتر إلا أنهم بعمائم صغار مُدَوَّرة .

القسم الثالث
(من مملكة تُورَانَ مملكةُ القان الكبير)

قال فى "التعريف" : وهو أكبر الثلاثة ، (يعنى ملوك الأقسام الثلاثة المتقدمة الذكر) . وهو صاحب الصِّينِ والخِطَا ووارث تخت جنكزخان . قال : وقد تواترت الأخبار بأنه أسلم ودان بدين الإسلام ، ورَقَمَ كلمة التوحيد على ذوائب الأعلام . قال : وإن صَحَّ وهو المؤمل ، فقد ملأتِ الأمةُ المحمديةُ الخافقين ، وعَمَرَتِ المشرقَ والمغربَ ، وآمتدت بين صَفَّتَى البحر المحيط . قال فى "مسالك الأبصار" : وهو القائم مقام جنكزخان والجالسُ على تخته . قال : وهو كالخليفة على بنى عَمِّه من بقية ملوك تُوران : من مملكة إيران ، وصاحب القَبْجَاق ، وصاحب ما وراء النهر . فإذا تجدّد فى مملكة أحد منهم مُهِمٌّ كبير ، مثل لِقَاءِ عسكر ، أو قتل أمير كبير بذنب ، أو ما يناسب ذلك ، أرسل إليه وأعلمه به ، وإن كان لا آفتقار إلى آستئذانه ، ولكنها عادة مَرْعِيَّةٌ بينهم .

وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن نظام الدين بن الحكيم الطيارىّ أنه لم يزل يكتبُ إلى كلّ من القانات الثلاثة ، يأمرهم بالآتحاد والألفة ، وإذا كتب إليهم بدأ باسمه قبلهم ، وإذا كتبوا إليه بدؤا بآسمه قبلهم . قال : وكلهم مُذْعِنون له بالتقدم عليهم . قال فى "مسالك الأبصار" : وأهل هذه المملكة هم أهل الأعمال اللطيفة ، والصنائع البديعة ، التى سلمت إليهم فيها الأمم . وقد تكتّب[1] الكتب من أحوالهم بما أغنى عن ذكره . قال : ومن عادة المجيدين فى الصنائع أنهم إذا عملوا عملا

(١) لعله "وقد تكفلت الكتب الخ" .

بديعا، حملوه إلى باب الملك، وعُلّق عليه ليراه الناس، ويبقى سَنَةً، فإن سلم من عائب أسدى إلى صاحبه الإحسانَ، وإن عيبَ عليه وتوجّه العيبُ، وضع قدر الصانع ولم يوجه العيب [على] من عابه .

وقد حكى المسعودىّ فى "مروج الذهب" أن صانعا منهم صوّر عُصْفورا على سُنْبُلة فى نقش ثوب كمخا وعلقه، فآستحسنه كل من رءاه، حتّى مرّ به رجل فعابه باستقامة السنبلة، لأن العُصْفُورَ من شأنه أنه إذا وضع[1] على السنبلة أمالها .

وحكى فى "مسالك الأبصار" عن بدر الدين حسن الإسعردىّ أن بعض صُنّاعهم عَمِل ثيابا من الوَرَق وباعها على أنها من الكمخاوات الخطائية، لايشُكُّ فيها شاكٌّ، ثم أظهرهم على ذلك فعجبوا منه .

وحكى عن الشريف حسن السَّمَرْقَنْدِىّ أنه كان بهذه البلاد، فشكا ضِرْسَهُ، فأراه لرجل من الخِطَا، فوضع يده عليه، فأخرج منه قطعة متآكلة، ووضع مكانها قطعة من ضِرْسٍ أجنبىّ، ودهنه بدُهْن وأمره أن لايشرب ماء يومه، فآلتصق حتّى صار كأنه من أصل الخلقة، إلا أن لون الأوّل يبين من اللون الثانى . وذكر المقرّ الشهابىّ أنه أراه له بحضرة الشيخ شمس الدين الأصفهانىّ وجماعة من أهل العلم . قال بدر الدين حسن الإسعردىّ : ولقد رأيت منهم من هذه الأعمال ما يَحار فيه العقلُ .

ويحصل الغرض منه فى خمس جمل :

الجملة الأولى

(فيما آشتملت عليه هذه المملكة من الأقاليم)

وآعلم أن هذه المملكة هى أوسع ممالك بنى جنكزخان وأفسحها جوانبَ، وأكثرها أقاليم، وأوفرها مُدُنا، غير أنها بعيدة المسافة، منقطعة الأخبار، فَجُهِلَت لذلك أسماءُ

(١) كذا بالأصل، ولعل الصواب "وقع" .

أقاليمها، وتعذرت الإحاطة بأقطارها، ونحن نورد منها ماشاع ذكره فى سائر الآفاق وآنتشر، ونَقْنَعُ من التفصيل بالجملة، ونكتفى من البحر بالنُّغبة .

والقول الجملىُّ فى ذلك أنه يشتمل على إقليمين عظيمين :

الإقلـــيم الأول
(الصِّينُ)

بكسر الصاد المهملة وسكون الياء المثناة تحت ونون فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : ويحيط به من جهة الغرب المَفَاوِزُ التى بينه وبين الهِنْد، ويحيط به من جهة الجنوب البحر (يعنى بحرَ الهِنْد) ، ويحيط به من جهة الشرق البحر المحيط، ويحيط به من جهـة الشَّمال أرض يَأْجُوج ومَأْجُوج وغيرها من الأراضى المنقطعة الأخبار عنا . ثم قال : وقد ذكر أصحاب المسالك والممالك فى كتبهم بلادا كثيرة، ومواضع وأنهارا وغيرها فى إقليم الصِّين؛ ولم يقع لنا ضبط أسمائها، ولا تحقيق أحوالها، فصارت كالمجهولة لنا لعدم مَنْ يَصِل من تلك النواحى من المسافرين إلينا لنستعلم منه أخبارها فأضربنا عن ذكرها .

وقد ذكر فى " مسالك الأبصـار " عن الشريف تاج الدين حسن بن الجلال السَّمَرْقَنْدِىّ، وهو من السُّفَّار، وممن جال الآفاق، ودخل الصِّينَ وجَالَ بلادَه، وجاب آفاقه، وجاسَ خِلاَلَه، وجال فى أقطاره : أن بالصِّينِ ألفَ مدينة، وأنه دارَ الكثيرَ منها . قال : وبلاد الصِّينِ كلها عمارة متصلة من بلد إلى بلد، ومن قرية إلى قرية .

وقاعدة هذه المملكة (خَانْ بَالِق) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الخاء المعجمة ثم ألف ونون ساكنة وباء موحدة مفتوحة ثم ألف ولام مكسورة وقاف فى الآخر . قال : وهى مدينة من أقاصى الشرق عند بلاد الخطا ، واقعة فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال آبن سعيد حيث الطول مائة وأربعَ عشرةَ درجة، والعرض

خمس وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . وهى قاعدة مشهورة علىٰ ألْسِنَة التُّجَّار وأهلها من جنس الخطا ، وعندهم معادِنُ الفضـة . قال ابن سعيد : ويُذْكَرُ عن عِظَم هذه المدينة مايستبعده العقلُ . قال فى "مسالك الأبصار" نقلا عن الشريف حسن بن الحلال السَّمَرْقَنْدِىّ : إن مدينة خَانْ بَالِق المذكورة مدينتـان ، قديمة وجديدة ، والجديدة منهـما اسمها ديدو ، بناها (ديدو) آخر ملوكها فسميت باسمه ، والقان الكبير ينزل بوسـطها فى قصر عظيم يسـمّى كوك طاق ؛ ومعناه بلغة المغل القصر الأخضر ، لأن طاق معناه عنـدهم القصر ، وكوك معناه الأخضر ؛ ومنازل الأمراء حوله خارجَ القصر ؛ قال : وهى مدينة طَيِّبة ، واسـعة الأقوات ، رخِيَّةُ الأسعار ، ويجمُد بها المـاء فى زمن الشتاء فيصير كالثلج ، فيُرفعُ إلىٰ أيام الصيف حتّى يُبَرَّد به المـاء كما يُبَرَّد بالثلج . ويشق مدينة ديدو المذكورة نهرٌ .

وبها أنواع الفواكه إلا العنبَ فإنه قليل بها ؛ وليس بها نَارَنْجٌ ولا لَيْمُونٌ ولا زَيْتُونٌ ، ثم يُعمل بها السكر . وبها من الزَّرْع والجِمَال والخَيْل والبَقَر والغَنَم مالا يدخل تحت الإحصاء . وبالصِّينِ مُدُن مشهورة سواها .

(منهـا) قَرَاقُومُ . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح القاف والراء المهملة ثم ألف وقاف مضمومة وواو سـا كنة وميم . قال : وهى مدينـة فى أقاصى بلاد التُّرْك الشرقية ، ومعنىٰ قراقوم باللغة التركية الرمل الأسود ، لأن قرا فى لغتهم بمعنىٰ الأسود ، وقم بمعنىٰ الرمل ، ويقع فى كثير من الكتب قَرَاقرم بإبدال الواو راء وهو خطأ ، وإنما كتبت الواو بها بعد القاف دليلا علىٰ الضمة علىٰ عادتهم فى ذلك — وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السـبعة . قال ابن سـعيد حيث الطول مائة وست وخمسون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال : وهى كانت قاعدةَ التتر ، وفى جهاتها بلاد المغل : وهم خالصة التتر . ومنها خاناتهم . قال الشريف

حسن بن الجلال السَّمَرْقَنْدِىّ : وفيها غالب عساكر القان الكبير. وبها يُعْمل القماش الفاخر، والصنائع الفائقة، وغالب مايحتاج إليه القان يُستدعىٰ منها لأنها دار آستعمال، وأهلها أهل صنائعَ فائقة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى قرية جنكزخان التى أخرجته، وعِرِّيسَتُه التى أدرجَتْه .

(ومنها) الخَنْساء . قال فى "تقويم البُلْدان" : بالخاء المعجمة والنون والسين المهملة وألف . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" حيث الطول مائة وخمس وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثمان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وعن بعض المسافرين من بلادنا أن الخنساء فى هذا الزمان أعظم فُرَض الصِّين، وإليها ينتهى وصول التُّجّار المسافرين من بلادنا . قال الشريف السَّمَرْقَنْدِىّ : وطول الخنساء يوم كامل، وعرضها نصف يوم، وفى وسطها سوق واحد ممتدٌّ من أولها إلىٰ آخرها، وأسواقها مبلَّطة بالبَلَاط، وبناؤها خمس طبقات بعضُها فوق بعض، وكلها مبنية بالأخشاب والمسامير، وشرب أهلها من الآبار، وأهلها فى قَشَفٍ عظيم، وغالب أكلهم لحم الجاموس والإوَزّ والدّجاج. وفيها الأرُزُّ، والمَوْزُ، وقصب السُّكَّر، واللَّيْمُونُ، وقليل الرُّمَّان، وأسعارها متوسطة، وتجلب إليها الغنم والقمح علىٰ قلة، ولا يوجَدُ فيها من الخيل إلا ماقلَّ عند أعيانها. وأما الجمال فلا توجد فيها البتة، فإن دخلها جَمَلٌ تعجبوا منه. ونقل فى "مسالك الأبصار" أن بينها وبين جالق بالق أربعين يوما. وحكىٰ عن الصدر صدر الدين عبد الوهاب بن الحدّاد البغدادىّ أنه وصل إلىٰ الخنساء ووصف عظمة بنائها ومَنَعَةَ رِفْعَةِ مدينتها مع تَشَحُّطِ الأقوات بها ووفور المكاسب فيها ورُخْص الدقيق[1] الجيد فيها وفى جميع تلك البلاد . قال : وأهلها يتفاخرون بكثرة الجوارى السرارى، حتّىٰ إنه ليوجد لأحد التجار وآحاد الناس أربعون سرية فما زاد علىٰ ذلك .

(١) لعله الرقيق بالراء فتأمل .

(ومنها) الزَّيتُونُ . قال فى "تقويم البلدان" عن بعض المسافرين الثقات : هى بلفظ الزيتون الذى يُعْتَصَرمنه الزيت ، وهى فُرْضَةٌ من فُرَض الصِّين ــ موقعها فى الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال ٱبن سعيد حيث الطول مائة وأربعَ عشرةَ درجة ، والعرض سبعَ عشرةَ درجة . قال : وهى مدينة مشهورة على ألسنة التجار المسافرين إلى تلك البـلاد ، وهى على خَوْر من البحر ، والمراكب تدخل إليها من بحر الصِّين فى الخَوْر المذكور ، وقدره نحو خمسة عشر ميلًا ، ولها نهر عند رأس الخور المذكور.

وذكر فى "مسالك الأبصار" عن الشريف السَّمَرْقَنْدِى أن مدينـةَ الزَّيتُونِ على البحر المحيط وهى آخر العمارة . قال : وبينها وبين جالق بالق شهر واحد .

(ومنها) السِّيلى . قال فى "تقويم البلدان" : بالسين المهملة والياء المثناة التحتية ولام وياء ثانية . ثم قال : هكذا وجدناه فى الكتب . قال : ويقال لها سِيلَا يعنى باللام ألف ، ورأيت فى بعض الكتب سِيلان بزيادة نون بعد اللام ألف . قال : وهى مدينة فى أقصى الصِّين الشرقىّ ، خارجة عن الإقليم الأوّل إلى الجنوب . قال فى "القانون" حيث الطول مائة وسبعون درجة ، والعرض خمس درج ، وهى فى أعالى الصِّين من الشرق كجزائر الخالدات فى بحر الغرب ، لكن هذه معـمورة فى خِصْبٍ بخلاف تلك .

(ومنها) جمكوت . قال فى "تقويم البلدان" : بالجيم والميم والكاف ثم واو وتاء مثناة فوقية فى الآخر . قال : كذا وجدناها مكتوبة ، وٱسمها عند الفُرْس جما كرد . قال : وهى مدينـة فى أقصى العمارة الشرقية ، خارجة عن الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة إلى الجنوب . قال فى "الأطوال" : وهى على خط الاستواء لاعرض لها . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى على النهاية الشرقية مثل مايحكى عن الجزائر الخالدات فى النهاية الغربية . قال : وليس شرقىّ جمكوت عمارة أصلا .

(ومنها) مدن أخرىٰ مذكورة فى الكتب مجهولة الضبط .

إحداها مدينة (ينجو) — وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول مائة وخمس وعشرون، والعرض آثنتان وعشرون . وقد ذكر فى "القانون" أنها مستقر مَلِكهم الأكبر الملقب بطمغاج .

(ومنها) مدينة خانقو . بخاء معجمة وألف ونون وقاف ثم واو — وهى مدينة علىٰ النهر واقعة فى الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول مائة وستون درجة، والعرض أربعَ عشرةَ درجة . قال فى "تقويم البُلْدان": وهى من أبواب الصِّين . قال آبن سعيد : وموقعها علىٰ شرقىّ نهر خمدان . قال آبن خرداذبه : وهى المرفأ الأكبر، وفيها الفواكه الكثيرة، والبقول، والحنطة، والشعير، والأُرُزّ، والعِنَبُ، والسكّر .

(ومنها) مدينة خانجو — بإبدال القاف من المدينة السابقة جيما — وهى مدينة علىٰ النهر، واقعة فى الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول مائة وآثنتان وستون درجة، والعرض أربع عشرة درجة . قال فى "القانون" : وهى من أبواب الصِّين .

(ومنها) مدينة سوسة — بسينين مهملتين بينهما واو ساكنة وفى الآخر هاء . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مدينة مشهورة كثيرة التُّجَّار متصلة العمارة، وبها يُصْنع الفَخَّار الصِّينىّ الذى لا يفوقه ولا يعدله شىء من أعمال الصِّين . قال : وهى علىٰ شرقىّ نهر خمدان .

الإقليم الثانى

(بلاد الخطا)

بكسر الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وألف فى الآخر، وهم جنس من التُّرْك بلادهم فى متاخمة بلاد الصِّين .

وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" مدينة (قمجوهى) بقاف وميم وجيم وواو ثم هاء وياء آخر الحروف . وقال : إنها أوّل بلاد الخطا ، وان منها إلى جالق بالق أربعين يوما ، بل ذكر أن مدينة جالق بالق التى هى قاعدة هذه المملكة من بلاد الخطا .

الجمـــلة الثـــانية
(فى معاملة هذه المملكة وأسعارها)

أما معاملتها فقال فى "مسالك الأبصار" : حدّثنى الفاضل نظام الدين ابن الحكيم أن معاملتهم بقشور من لحاء شجر التُّوت مطبوعة باسم القان ، فإذا عَتَقَ ذلك حمله صاحبه إلى نُوّاب هذا القان وأخذ عِوَضه مع خسارة لطيفة ، كما يؤخذ فى دار الضرب مما يُحمل إليها من الذهب والفضة ليُضرب بها . وذكر عن الشريف حسن السَّمَرْقَنْدِىّ أن فيها كبارا وفيها صغارا ، فمنها مايقوم فى المعاملة مقام الدرهم الواحد ، ومنها مايقوم مقام درهمين ، ومنها مايقوم مقام خمسة دراهم وأكثر إلى ثلاثين وأربعين وخمسين ومائة . وقد تقدّم فى الكلام على جالق بالق(1) والخَنْسَاء ذكرُ مابهما من الحيوان والحبوب والبقول وغير ذلك .

الجمـــلة الثـــالثة
(فى الطريق الموصل إلى هذه المملكة)

قد حكى فى "مسالك الأبصار" عن الشريف تاج الدين السَّمَرْقَنْدِىّ : أن من سَمَرْقَنْدَ من بلاد ما وراء النهر إلى سيلى عشرين يوما ، ومن سيلى المذكورة إلى ألمالق عشرين يوما ، ومن المالق إلى قرا خوجا إلى قمجوهى إلى خان بالق أربعين يوما . ثم قال : ومن خان بالق إلى الخَنْسَاء طريقان : طريق فى البر ، وطريق فى البحر ،

(1) كذا فى الأصل ، وسبق له مثله مرارا عن "المسالك" ولكن الذى ضبطه فيا تقدّم عن "التقويم" خان بالق بالخاء المعجمة والنون .

وفى كل من الطريقين من خان بالق إلى الخنساء أربعون يوما . وذكر فى الكلام على مملكة بيت بركة عن حسن الإربلى أن المسافر إذا سافر من جولمان على شرقيها وصل إلى مدينة قراقوم .

الجملة الرابعة
(فى ذكر ملوكها)

قد ذكر المسعودى فى "مروج الذهب" عدّة ملوك من ملوك الصّين قبل الإسلام وبعده، أسماؤهم أعجمية لا حاجة بذكرها، والمقصود معرفة حالها فى أيام بنى جنكزخان القائمين بها إلى الآن .

قد تقدّم فى الفصل الأوّل من هذا الباب الكلام على مبتدإ أمر جنكزخان وكيفية مصير الملك إليه فأغنى عن إعادته هنا .

ثم لما ملك جنكزخان أوصى بتخته المستولى فيه على هذا القسم من المملكة لولده الصغير أوكداى، ومات جنكزخان فآستقر ولده أوكداى، [ثم آستقر] فى هذه المملكة مكانه آبنه كيوك ثم مات .

فملك بعده (منكوقان) بن طولى بن جنكزخان، ومات سنة ثمان وخمسين وستمائة .

فملك بعده (أرى بكا)[1]، ثم قبلى خان، ثم دمرباق، ثم قرماى، ثم ترقاى كيزى، ثم قيان قان، ثم سند مرقان[2] بن طولى بن جنكزخان، وهو الذى كان فى الأيام الناصرية محمد آبن قلاوون صاحب الديار المصرية، ثم آنقطع خبرهم فلم يُعلَم مَنْ ملك منهم. وملوك هذه المملكة من بنى جنكزخان كُفَّارٌ يدينون بتعظيم الشمس، واقفون فى الأحكام مع ياسة جدّهم جنكزخان المقدّم ذكرها فى الفصل الأوّل . قال فى "مسالك الأبصار":

(١) وجدنا فى "العبر" ج ٥ ص ٥٣٠ آختلافا فى الأسماء، فاتبعنا الأصل وأجملنا فى التنبيه .
(٢) فى العبر "سند مرقان بن طرمالا بن جنكمر بن قبلاى بن طولى" .

ذكر لى الفاضل نظام الدين بن الحكيم الطيارىّ الكاتب البوسعيدىّ أنهم على ماهم عليه من الجاهلية على السيرة الفاضـلة الشـاملة لأهل مملكتهم ومن يرد إليها . قال الشريف السَّمَرْقَنْدِىّ : ومن عجـائب ما رأيتُ فى مملكة هـذا القانِ أنه مع كُفْره فى رعاياه من المسـلمين أممٌ كثيرة وهم عنده مكرمون محترمون ، ومتى قتل أحدٌ من الكفار مسلما ، قُتِلَ القاتلُ الكافر هو وأهلُ بيته ونُهِبتْ أموالُهم ، وإن قَتَل مسلمٌ كافرا لايُقْتَل به ، بل يُطْلب بدِيتَه ، ودِيَةُ الكافر عندهم حمار لايطلب بغيره .

الجمـــلة الخامسة

(فى عسكره)

قال بدر الدين حسن الإسْعِرْدِىّ التاجر : وهـذا القان ذو عسكر مديد . قال : والذى أعلم من حاله أن له آثنى عشر ألف بازدار يركبون الخيل ، وعساكره من المغل عشرون تومانا ، وهى مائتا ألف فارس ، أما من الخطا فما لا يحصى .

الجمـــلة السادســـة

(فى ترتيب هذه المملكة)

قال الشريف تاج الدين السَّمَرْقَنْدِىّ : وترتيب هذه المملكة أن لهـذا القان أميرين كبيرين هما الوزراء ، يسمّى كل من يكون فى هذه الرتبة جنكصان ، ودونهما أميران آخَران يسمّى كل منهما بنجار ، ودونهما أميران آخران يسمّى كل منهـما زوجين ، ودونهـما أميران آخَران يسمّى كل منهـما بوجين . قال : وله كاتب هو رأس كُتَّابه يسمّى لنجون ، وهو بمنزلة كاتب السر فى بلادنا ، والقان يجلس فى كل يوم فى صدر دار فسيحة تسمّى شن ، بمثابة دار العدل عندنا ، ويقف الأمراء المذكورون حوله عن اليمين وعن الشمال على مقادير رُتَبهم ، وراس الكُتَّاب المسمّى لنجون ، فإذا

شكا أحدٌ شكوى أو سأل حاجة ، أعطى قصته رأس الكُتَّاب المذكور فيقف عليها ، ثم يوصلها إلى أحد الأميرين اللذين يليانه وهما أصغر الكل فيقف عليها هو ومن معه ، ثم يوصلانها إلى من يليهما فى الرتبة ، وهكذا إلى أن تصير إلى القان ، فيأمر فيها بما يراه . وذكر عن الشريف أبى الحسن الكربلاى وكان ممن آجتمع بالقان فى هذه البلاد أن لهذا القان أربعة وزراء يُصْدرون الأمر فى مملكته كلها ، ولا يُراجَع القان إلا فى القليل النادر . قال : وإذا أراد القانُ أن يركب ركب فى مِحَفَّة ولا يظهر للناس إلا فى يوم واحد ، وهو مثل يوم مولده فى كل سنة ، فإنه يركب فرسا ويخرج إلى الصحراء ويعمل بها من الأطعمة والسِّماطات ما يغمرُ الناس ، ويكون مثل يوم العيد عندهم .

تم الجزء الرابع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس .

وأوله المقصد الثانى

فى ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وآله وصحبه والتابعين وسلامه .

وحسبنا الله ونعم الوكيل

(م٠م/٢٤٠٠/١٩١٤/٣٠٠٠)